٢١٨/٧
ن د د

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة
الدراسات العليا
شعبة الدعوة

الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول

بحث ودراسة

قدمت لنيل

شهادة العالمية

الماجستير

إعداد الطالب: عبد الحميد مظاهري ندوي

إشراف فضيلة الدكتور أحمد محمود الأحمد

عام: ١٤٠١ — ١٤٠٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بســـــم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدّمـــــة

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيد الأنبياء و المرسلين ، و على آله و أصحابه و من تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد ، فمما لا ريب فيه أننا نعيش ـ فى هذه الحقبة من التاريخ ـ مرحلة ذات سمات خاصة ، و لعل أبرز هذه السمات : " الصحوة الاسلامية " ، التى تتبدى بصورتها فى آفاق حياتنا ...

و هذه الصحوة تحتاج ـ فيما تحتاج ـ الى مثل تقتدى به ، و تنتفع بهديه ، و تفيد من تجاربه و ممارساته .

ان قدوتنا ـ بشكلها الأمثل و الأكمل ـ تتركز فى العهدين الاماميين : النبوى و الراشدى ، اللذين هما ـ فى الحقيقة ـ " العهدان الدعويان " ، بأوسع معانى هذه الكلمة و أتمها ...

بيد أننا نرى ـ الى جانب ذلك ـ غير قليل من الكتاب و المشتغلين بالتاريخ ، يصفون العصر العباسى الأول (١٣٢ ـ ٢٣٢هـ) بأنه العصر الذهبى ، و فى اضفاء هذه الصفة عليه ما يرشحه ـ بشكل ما ـ الى مكان القدوة ... و ما قد يوهم ارتفاعه الى مستوى العهدين المذكورين ..... مما حدانى الى اختياره مجالا لموضوع رسالتى : " الدعوة فى العصر العباسى الأول " ، عسانى أستطيع أن أعطيه حقه ، و أن أنزله منزلته ـ فى ميزان الاسلام ـ على نحو لا وكس فيه و لا شطط ... و بذلك يظهر مقدار صلاحه ، بل و صلاح ما سواه من العصور ، لاحتلال مكان " القدوة " ، و أرجو أن تفيد "صحوتنا

المعاصرة" من قبل هذه المعرفة بتاريخنا وتجاربنا خلاله، فتخطو خطواتها في الطريق الصحيح، ان شاء الله ...

ان أمتنا - في حقيقتها - أمة داعية، ووظيفتها الجوهرية في الحياة، انما هي حمل لواء هذه الدعوة، قال الله تعالى: ((قل هذه سبيلي، أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين.)) (١) وان التزامها حقيقتها هذه، لهو الأمين لتحقيقها ذاتها، وتحقيقها وجودها في حلبة الحياة، وان تجاوب الأمم مع مبادئها التي هي قوامها - هو سمة لها من الضعف والتفسخ والضياع ...

ان المسلم الدامية الذي عرفناه في العهدين الامامين، النبوي والراشدي، يصول في الآفاق، يبشر نفحات الدعوة الاسلامية العطرة، فتحقق ذاته ووجوده، بل حقق ذات الانسانية ووجودها على نحو لا نظير له، وترك لنا من الدروس والعبر ما هو ضروري لحياتنا، وما ان قعدنا عنه فلن نضل أبدا ..

والدعوة - كما لا يخفى - : قول وعمل، فمن التزمها علا وسما، ومن أعرض عنها، اجتالته الأهواء ومذاهبها، والتاريخ نعم الشاهد على هذه الحقيقة ...

ان أمتنا المسلمة قد تبوأت مكان الذروة في العهدين الامامين النبوي والراشدي، نتيجة التزامها وظيفتها الجوهرية التي ذكرناها آنفا، ولكن بعد أن مضت "دولة الراشدين"، جعلت شخصية هذه الأمة تعاني ما تعاني من أعاصير الفتن والكوارث، وجعل الانحراف يتسرب في كيانها للمثالي شيئا فشيئا، ومن ثم بدأت خصيصتها الدعوية الأصيلة تتقلص من جوانب حياتها، ومن هنا أخذت دولتها ومجتمعها ينحرفان عن الجادة الدعوية.

أجل! لقد كان هذا الانحراف قليلا ونسبيا في بدايته، ولكنه استمر واستمر، حتى كاد كيان الأمة في مجتمعها ودولتها يتمادى في البعد

---

(١) سورة يوسف: الآية: ١٠٨

عن خصّيصتها الدعوية ... على أنها كانت تعود الى تمثل هذه الخصّيصة بين فترة وأخرى من فترات التاريخ ، وقد كان من آخر عوداتها ، ما أنعم الله عليها في القرن الثاني عشر، في عهد الامامين : محمد بن سعود ومحمد ابن عبد الوهاب ، رحمهما الله تعالى ...

وفي العصر العباسي الأول ، أضحت الدعوة واجبا يتصدى بالدرجة الأولى لحمله فئات معنية من الفقهاء والمحدثين والزهاد ومن اليهم ، بينما هي في الأصل واجب الجميع، كل بقدر طاقته ومن خلال اختصاصه ..

وأريد الآن أن أشير الى حقيقة يجب أن ندرسها دراسة واقعية، أن نظام هذا الكون قد خلقه الله تبارك وتعالى بتقدير وحسبان : ((انا كل شيء خلقناه بقدر (١)) و ((ذلك تقدير العزيز العليم (٢)) ، فعملية الجمع ـ كما يقال ـ لا تنتج الا جمعا ، وعملية الطرح لا تنتج الا طرحا ، وهلمجرا ، ويحصد في هذا الكون ما يزرع، فاذا زرعت القمح ، لا تحصد الا القمح ، والذي يزرع الشعير، ويأمل أن يحصد القمح ، هو جدير أن ينظر اليه العاقل نظرة الرثاء .... وكذلك الدعوة الاسلامية لا تؤتي أكلها ـ على نحو ما كان عليه الأمر في عهد سلفنا الصالح ـ الا اذا كانت ـ هي ـ مستولية على حياة الأمة جمعاء، تصورا ، وقولا ، وعملا .

هذه ناحية حساسة دقيقة ، يجب علينا ـ فيما أعتقد ـ أن نستحضرها عند انجاز كل مهمة من مهمات الدعوة ، فهذه الرسالة التي هي عمل متواضع في حقل الدعوة الاسلامية ، قد استحضرت هذه الناحية الدقيقة عند اعدادها ، والله من وراء القصد .

---

(١) سورة القمر : الآية : ٤٩

(٢) سورة يس : الآية : ٣٨

لماذا اخترت هذا الموضوع ؟

اخترت هذا الموضوع لعدة أسباب :

اولا : لأن تفكيري في الدعوة هو ما ذكرت آنفا ، وهو - فيما أعتقد - تفكير سديد ان شاء الله ، لقد كنت في تفكيري ، وفيما كتبت ، صريحا الى حد بعيد ، ولم أرد أن أسلك مسلك النعامة ، التي تدفن رأسها في الرمل و تحسب أن سنن الله تعالى في رؤية الأشياء قد تغيرت ، بل اردت أن أواجه الحقائق مواجهة واقعية سافرة ما أمكنني ذلك .

ثانيا : لم أزل - منذ أن حباني الله سبحانه و تعالى ، طرفا من الوعي و الفهم المجديين - متألما من تلك الانحرافات الدعوية التي أشعر بوجودها في مسار حياة الأمة منذ عهد بعيد ، وأنا فرد من أفرادها ، وما أبرئ نفسي ، كما لا أخص نفسي بهذا التألم ، بل يشاركني ايّاه كل مخلص واع من أبناء هذه الأمة .

ثالثا : ان هذه الانحرافات التي نقلت الأمة من دور القيادة الى دور "التبعية" - على الرغم مما آتاها الله تعالى من المبادئ العظيمة الغلابة ، التي أحلتها يوم تمسكت بها محل القيادة - لم تحدث فجاءة ، ولا دفعة واحدة ، بل تسللت الى كيان الأمة تدريجيا ، حتى أردتها وأنزلتها من مكانها الذي خلقت لتكون فيه ، ألا و هو مكان "القيادة الهادية" ، ومما أردته في بحثي هذا أن أتبين أصل التسلل ..

رابعا : لا شك أن الانحراف بدأ بعد العهد الراشدي - كما قلت سابقا - و توسّع في طول العهد الأموي ، وكان بامكان العباسيين - فيما يبدو - أن يقوموا باصلاح ما طرأ من الفساد في أوساط الحكم و المجتمع ، لو عنوا بذلك عنايتهم في تثبيت الحكم فيهم ، فهل قاموا بهذه المهمة الجوهرية ، أم شغلتهم عنها الشواغل - ؟

خامسا : ان العصر العباسي الأول ، يعتبر عصرا ذهبيا - كما أسلفت - عند كثير من

الباحثين ، ولاشك أن ذلك العصر كان معلما من معالم تاريخنا الزاهر من عدة وجوه : منها : أن السلطة كانت كاملة بيد الخلفاء في ذلك العصر ، والعهود التي تلته جاءت بتقسيم السلطة بين الخليفة وأمراء البلاط، ثم تركيزها بيد الأمراء ، ومنها : كون هذا العهد ذاخرا بالثروة والغنى ، وتدفق الأموال . ومنها : تفتح أزهار العلوم والمعارف، وازدهار الحضارة والثقافة فيه .

وهل كان هذا العصر ذهبيا في ميزان الاسلام من ناحية تبنيه الدعوة ، التي هي الوظيفة الجوهرية لهذه الأمة وخصيصتها المميزة ـــ ؟ أردت أن أبحث عن جواب هذا السؤال المهم فيما أبحث ، و ذلك باستعراض العصر العباسي الأول من الناحية الدعوية .

سادسا : أردت أن ألفت نظر الدول الاسلامية المعاصرة ، الى أن أدنى انحراف دعوي في الدولة ، يأتي بنتائج سلبية رهيبة على المجتمع الاسلامي والى أن أقل حركة للدولة لا تلائم مبادئ الدعوة ، تلوح على شاشة المستقبل بصورة انفجار مخرب شديد ؛ فكيف بهذه الدول الاسلامية التي لا تطبق الشريعة الاسلامية السمحة ، فضلا عن أدائها وظيفتها الدعوية ؟ فعليها أن تحول كيانها دعويا خالصا . فهل من مستمع ـ ؟ وان ما أقوله ليطبق تقريبا على جميع الدول الاسلامية المعاصرة ، باستثناء المملكة العربية السعودية ، التي تطبق الشريعة ، وتتفرد ببذل جهود جبارة في سبيل الدعوة الاسلامية ، فجزاها الله تعالى خير الجزاء .

منهجي في البحث :

التزمت في كتابة البحث بمنهج خلاصته ما يلي :

أولا : حاولت أن أتناول الموضوع تناولا كليا مستوعبا ، وأن أحلل " الظواهر " المختلفة التي بدت في نطاقه الزمني ـ من فكرية

او اجتماعية او غيرها ـ بأسبابها ونتائجها ما استطعت .

ثانيا : عندما استشهدت بالآيات القرآنية ، كنت أذكر تارة الطرف المستشهد به فقط ، وتارة كنت أذكر الآية او الآيات كاملة ، حسب ما تقتضيه الحال .

ثالثا : حاولت أن أستشهد بأحاديث الصحيحين أولا ، ثم بأحاديث كتب السنن وما اليها .

رابعا : حاولت أن أرجع في ذكر الأحداث والوقائع الى المصادر الأصيلة أولا ، ثم الى سواها عند الحاجة ، واكتفيت بالاشارة الى مصدر واحد فقط ، الا اذا اقتضت حاجة التأكيد غير ذلك ، فكنت أذكر مصدرين او أكثر ، واذا اجمعت معلومات متنوعة من مصادر مختلفة ، فكنت أذكر تلك المصادر في مكان واحد .

خامسا : لم ألتزم ترجمة كل علم جاء ذكره في الرسالة ، الا أنني ترجمت الأعلام التي رأيت الحاجة تدعو الى ترجمتها ، وأحسب أن خطتي هذه هي خطة وسط بين اهمال تراجم الأعلام وبين الاكثار فيها بلا ضرورة .

خطة البحث :

أدرت هذا البحث على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة :

الباب الأول :

يحتوي على فصلين ، وكل فصل يحتوي على مبحثين ، وخصصت هذا الباب لاستعراض جوهر الدعوة الاسلامية وتطورها الى العصر العباسي الأول ، ورأيته ضروريا لسببين :

أولا : ان الخوض في الأوضاع الدعوية في العصر العباسي الأول ، لا يجدي الا اذا استحضرنا معيارا صالحا للدعوة ومقوماتها ، كيما ننظر من خلاله الى هذا العصر .

ثانيا : المقومات الدعوية التي فقدنا كثيرا منها ـ في ماضينا وحاضرنا ـ ذات قيمة كبيرة وأهمية بالغة ، ومن المعلوم أنه لا تقدّر

خسارة الجوهر المفقود الا اذا اتبينت قيمته، واتضحت أهمية منفعته .

فعرضت في المبحث الأول من الفصل الأول لتعريف الدعوة لغة واصطلاحا، ومكانتها في حياة الانسان ،كما استعرضت مقومات الدعوة تفصيلا في المبحث الثاني، وذلك من خلال الواقع السيري (١) وتعاليم الاسلام ، ثم استعرضت تطور الدعوة استعراضا عابرا في الفصل الثاني ، فنظرت في بقاء الدعوة على أصالتها في العهد الراشدي في المبحث الأول من هذا الفصل ، ونظرت الى ما طرأ عليها من انحرافات في العهد الأموي ،في المبحث الثاني منه .

الباب الثاني :

يحتوي على أربعة فصول :

الفصل الأول ينقسم الى مبحثين : تكلمت في المبحث الأول عن رقعة الدولة العباسية في عصرها الأول وموقعها الجغرافي ، وحاولت أن ألفت نظر القارئ الى مكانة الدولة العباسية الهامة في خريطة العالم آنذاك ،وما أتيح لها من امكانيات كانت جديرة أن تستغلها كليا في خدمة الدعوة ، وتكلمت في المبحث الثاني عن الدعوة العباسية وتطورها ، وعن رجالها .

وخصصت الفصل الثاني من هذا الباب للاجابة عن سؤال مهم في هذا الموضوع، وهو : " هل كانت الدولة العباسية في عصرها الأول دولة دعوية ؟" لقد عرضت لبيان قوام الدولة العباسية في المبحث الأول من هذا الفصل ،لأجيب عن هذا السؤال ،كما عرضت لبعض جوانب الحياة الاجتماعية في ذلك العصر،في المبحث الثاني من هذا الفصل ، ولاح لي من هذا الاستعراض أنه حدث هناك انحرافات دعوية في الدولة والمجتمع .... ومع ذلك لم تتخل الدولة عن الدعوة نهائيا ،بل كانت هناك جوانب مشرقة دعوية في الدولة ،استعرضتها في المبحث الثالث من هذا الفصل .

---

(١) نسبة الى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وتكلمت فى الفصل الثالث ،عن المشكلات التى واجهتها الدعوة فى ذلك العصر ،فذكرت ثلاث مشكلات رئيسية : أولها : انحراف الدولة فى صميم بنيتها وتصورها عن المنهج الدعوى الى حد بعيد ، ثانيها : وجود المذاهب الكلامية الباطلة ، وثالثها : عدم تبنّى الدولة الدعوة فى الخارج ، وان حمتها فى الداخل على نحو ما ، غير أن الدعوة كانت تشق طريقها رغم هذه المشكلات.

ثم استعرضت أساليب الدعوة لذلك العصر ،فى الفصل الرابع ، وذكرت فيه أساليب رئيسية ثلاثة ،وهى : نشاط المحدثين والفقهاء والزهاد .

وخصصت الباب الثالث لأتوسع فى هذا الاستعراض ، فترجمت بعض الأعلام البارزة فى حقل الدعوة فى ذلك العصر من المحدثين والفقهاء والزهاد .

وذكرت فى الخاتمة خلاصة البحث ، وما وصلت اليه من النتائج فى كتابة هذه الرسالة .

المشكلات التى واجهتها فى كتابة البحث :

واجهت فى كتابة هذا البحث عدة مشكلات أذكر منها ما يلى :

أولا : دقة الموضوع وخطورته، اذ أن الكلام لايتم بدون اشارة الى الانحرافات التى حدثت فعلا فى العصر العباسى الأول ، فهناك وجهتا نظر متطرفتان :

أولاهما : تنظر الى العصر العباسى الأول بمنظار أسود ، وتنسب اليه أنواعا من الفساد الخلقى من الخلاعة والمجون ،والاباحية والزندقة ،و تصور ذلك العصر فى ضوء ما جاء من المبالغات فى كتب الأدب ، و مجلدات " الأغانى " ، بأنه كان عصر الاباحية والمجون ، والحقائق تأبى ذلك .

وثانيتهما : تقدس خلفاء ذلك العصر أكثر مما يستحقون ، ولاتخلو هذه النظرية أيضا من الغلو والمبالغة .

والمرور من بينهما كان صعبا جدا ، فحاولت أن أتغلّب على هذه

المشكلة ، وأمرّ من هذا الطريق المضيق مشمّرا ذيولى ، ومعطيا — بقدر استطاعتى — كل مستحق حقه فى ميدان الوظيفة الجوهرية لأمتنا ألا إ وهى : تبنّى الدعوة ((قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ٠ لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ٠))(١)

ثانيا : لم أعثر على بحوث كتبت فى هذا الموضوع، كيما أنسج على ذلك المنوال ، وأجعله رائدى ، وأتوسع فى الجوانب التى لم يهتم بها ذلك الباحث او الباحثون ، فقمت على قدمىّ ، وشققت الطريق فى ضوء ما أحمل فى كشكولى من المعلومات التاريخية ، وما ألهمنى الله تعالى من بصيرة ، وما استفدت من أستاذى العطوف والمشرف على الرسالة فضيلة الدكتور أحمد محمود الأحمد حفظه الله ٠

وعلى كل حال ، قمت باعداد هذه الرسالة بعد ما أخلصت النية لوجه الله تعالى ، فما أصبت فيه ، فمن الله سبحانه وتعالى وتوفيقه ، وما أخطأت ، فمن نفسى ومن أجل تقصيرى ، وأستغفر الله تعالى منه، وأسأله التوفيق والنجاح فى العاجلة والآجلة ، بيده التوفيق ، وبفضله تتم الصالحات ٠

العبد المذنب

عبد الحميد مظاهرى ندوى

---

(١) سورة الأنعام : الآيتين : ١٦٢ ، ١٦٣

شـــكر ... ودعـــــاء

أحمد الله تعالى أولا وأشكره ،اذ أعاننى على كتابة هـــذه الرسالة ويسرها لى ،على الرغم من العقبات التى اعترضت سبيلـــى ، والتى أشرت الى بعضها ، ثم انى انطلاقا من قولـه صلى الله عليـه وسلم : ((لا يشـكر الله من لا يشـكر النـاس (١))) أتقدم بوافر شكرى ، ودعـائى للجامعة الاسلامية العزيزة ،التى قضيت فى حضانها مرحلة دراستى الجامعية ، وها أنا ذا ،مـاض فى انجاز دراساتى العليا فى ربوعها ،ان شاء الله ، فلك يا أمى العلمية الحنون ، جزيل شكرى وتقديرى وخالص دعـائى ، بأن يعينك الله على أداء رسالتك الدعوية فى هذا العصر الذى استيقظت فى جنباته ، وفى آفاقه ضروب من التحديات لرسالتك العظيمة ... ولكن الله غالب على أمره ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز ، وان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وانى أتقدم بشكرى ايضا الى المسئولين فى الجامعة والدراسات العليا كافة ، وفى مقدمتهم نائب رئيس الجامعة فضيلة الدكتور عبد الله ابن عبد الله الزائد ،الرجل الدعوى المطبوع ، وفضيلة الدكتور أكرم ضياء العمرى ، رئيس قسم الدراسات العليا ، ثم أجد من واجبى أن أشكر أستاذى العطوف الحنون فضيلة الدكتور أحمد محمود الأحمد ،حفظه الله الذى تكرم بالاشراف على رسالتى بروح علمية تعاونية ، وبذل من أوقاته الثمينة أضعاف ما يرسمه الدوام الرسمى ،فجزاه الله تعالى فى الدارين خيرا ، وجعل جهده من الأعمال التى يجرى عليه أجرها يوم يكون الناس أفقر شىء الى صالح الأعمال ، وأشكر أيضا كل من أحسن الىّ فى أثناء كتابة هذه الرسالة ولو بكلمة واحدة عند الحاجة . فتقبل الله حسن نياتهم ، وجزاهم خيرا فى العاجلة والآجلة .

والحمد لله أولا وآخرا .

---

(١) رواه أحمد : المسند : ٢١٢/٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول :

الدعوة الاسلامية فى جوهرها وكيف تطورت حتى العصر العباسى الأول :

ويشتمل هذا الباب على فصلين ، وكل فصل على مبحثين :

الفصل الأول :

الدعوة الاسلامية ومقوماتها

يبدو ، أن موضوع الرسالة ـ وهو : الدعوة الاسلامية فى العصر العباسى الأول ـ يقتضينى ابراز الحقيقة الأصيلة لهذه الدعوة ، واعطاء تصور تام لمقوماتها فى ضوء الكتاب والسنة ، كيما يكون ذلك منظارا ومعيارا نرنو من خلاله الى الدعوة ، وهى تتطور عبر السنين وبين مختلف العوامل حتى تصير الى العصر العباسى الأول ، وهذا ما نراه فى فصلى هذا الباب ومباحثهما . . . .

المبحث الأول

الدعوة ، ومكانتها فى حياة الانسان

ما الدعوة ـ؟

اجابة عن هذا السؤال ، يحسن بنا أن ننظر فى معنى الكلمة لغة واصطلاحا ، علما أن هناك صلة وثيقة بين المعانى اللغوية والاصطلاحية .

أولا : الدعوة لغة :

كلمة " الدعوة " اسما كانت أو مصدرا ـ على اختلاف اللغويين ـ لها معان عدة ، منها : النداء (١) ، والطلب (٢) ، والاستدعاء (٣) ، يقال : دعا الرجل دعوًا ودعاءً (٤) : ناداه ، وصاح به (٥) .

---

(١) انظر : الأزهرى : تهذيب اللغة : ٣/١٢٠ (مادة : دعا)
و : ابن فارس : معجم مقاييس اللغة : ٢/٢٧٩ (مادة : دعو)
و : الجوهرى : الصحاح : ٦/٢٣٣٦ (مادة : دعا)
و : ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم : ٢/٢٣٤ ، ٢٣٥ (مادة : ـ د ـ ع ـ و)
و : ابن منظور : لسان العرب : ١٤/٢٥٨ و ٢٦٠ (مادة : دعا)
و : الزبيدى : تاج العروس : ١٠/١٢٧ (مادة : دعا)

(٢) انظر : ابن سيده : م ـ ن
: ابن منظور : م ـ ن

(٣) " : الأزهرى : م ـ ن
" : الزبيدى : م ـ ن

(٤) " : ابن فارس : م ـ ن
" : ابن منظور : م ـ ن

(٥) " : ابن سيده : م ـ ن

(٦) " : ابن منظور : م ـ ن

وقد وردت هذه الكلمة بصيغ مختلفة لمعان عديدة (١) في كتاب الله عز وجل ، منها ما يلي :

١ ـ النداء والطلب :

قال تعالى : ((ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض ، اذا أنتم تخرجون)) (٢) اى : بأن قال : " يا أهل القبور قوموا " (٣) ، او : " أيها الموتى أخرجوا " (٤) ،

* وقال : ((فدعوهم فلم يستجيبوا لهم)) (٥) أى : نادوهم للاغاثة ، فلم يغيثوهم (٦) .

* وقال : ((فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين)) (٧) أى : فاطلبوا منهم النفع والضر (٨) .

٢ ـ سؤال كشف ضر او سوق نفع :

قال تعالى : ((واذا مسّ الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما)) (٩) أى : دعانا لكشف الضر الذى نزل به وازالته (١٠) .

---

(١) انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، (وضع لجنة منبثقة عن مجمع اللغة العربية بمصر)

(٢) سورة الروم : الآية : ٢٥

(٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن : ١٤/٩

(٤) ابو السعود : ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم : ٤/٣٦٠

(٥) سورة الكهف : الآية : ٥٢

(٦) ابو السعود : ٣/٥٣١

(٧) سورة الأعراف : الآية : ١٩٤

(٨) القرطبى : ٧/٣٤٢

ابو السعود : ٢/٤٥٤

(٩) سورة يونس : الآية : ١٢

(١٠) ابو السعود : ٢/٢٣٧

٣ـ الاستعانة والاستغاثة :

قال تعالى :ـ

(وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين)[1] يعني : استنصروا ، واستعينوا ، كما قال الشاعر:

فلما التقت فرساننا ورجالهم xxx دعوا يا لكعب واعتزينا لعامر[2]

ـ وقال تعالى :

(قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون)[3] أي : ادعو شركاءكم واستعينوا بهم علـيّ .

٤ـ العبادة :

قال تعالى :

(ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك)[5] اى : لا تعبد من دون اللـــه مالا ينفعك ولا يضرك .[6]

---

(١) سورة البقرة : الآية : ٢٣

(٢) الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن : ١/ ١٣٠

(٣) سورة الأعراف : الآية : ١٩٥

(٤) ابو السعود : ٢/ ٤٥٥

(٥) سورة يونس : الآية : ١٠٦

(٦) القرطبى : ٨ / ٣٨٨

- وقال تعالى :

(ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم)[1] - تدعون : اى تعبدون[2]

٥- الحض على الشيء :

قال تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير)[3] يدعون : اى يحثون على الخير.[4]

- وقال :

(ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين)[5]

دعا : اى حث على عبادة الله.[6]

- وقال :

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)[7]

دعاكم : اى حثكم على ما يحييكم.[8]

---

(١) سورة الأعراف : الآية : ١٩٤

(٢) القرطبي : ٧/٣٤٢

(٣) سورة آل عمران : الآية : ١٠٤

(٤) معجم ألفاظ القرآن : ١/٤١٢

(٥) سورة فصلت : الآية : ٣٣

(٦) المصدر السابق : ١/٤٠٨

(٧) سورة الأنفال : الآية : ٢٤

(٨) المصدر السابق م - ن

- وقال :

(قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) (١)

ادعو : اى أحث على عبادة الله . (٢)

ثانيا - الدعوة اصطلاحا :

وهى : قيام المسلمين - دولة وأمة وأفرادا - بتبليغ الناس كافة ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من الهدى والحق ، اخراجا لهم من الضياع الحائر الى الرشاد المبين ، ومن ظلمة الباطل الى نور الحقيقة ، ومن السبل الجائرة الى الصراط المستقيم فى أمور دينهم ودنياهم .

وهذا التبليغ واجب على الدولة والأمة والأفراد على قدر الطاقة ومن خلال الاختصاص هكذا كانت الحال فى العهد النبوى والعهد الراشدى والعهود التى نحت منحاهما ، لقد كان الكيان الاسلامى فى هذه العهود كيانا دعويا خالصا دون تحريف أو تأويل أو تعطيل .

وهذا التعريف - فيما يبدو - يضع الدعوة فى مكانها الفطرى من حياة الانسان ، الم تر أن الدعوة ذات صلة عميقة بنفسيته وفطرته ، وانه مفطور على الدعوة الى ما يعتنقه ، اذ فى ذلك نوع من التحقيق لوجوده ولون من حمايته ، وقد خلق على فطرة سليمة لاعوج فيها ولا تعقيد ، انما هى العوامل الخارجية التى تبعده عن جادة فطرته السليمة والدليل على هذا ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : -

(ما من مولود الا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء (٣) ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟

يقول أبو هريرة : (اقرؤا ان شئتم : (فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)) (٤) .

---

(١) سورة يوسف : الآية : ١٠٨

(٢) معجم ألفاظ القرآن : ١/٤٠٩

(٣) متفق عليه ، واللفظ للبخارى : ٣/٢١٨ و ٢٤٥

(٤) سورة الروم : الآية ٣٠

ومن خصائص تلك الفطرة السليمة للانسان أنه اذا وجد ما يراه خيرا - دعا أبناء جنسه اليه ، ما لم تغلب عليه الأنانية ، أو النفعية أو ما يشابهها ، ويستنبط هذا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)(١) فصرح صلى الله عليه وسلم أن ايمان المسلم لا يكمل الا بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، لأن دين الفطرة يقتضيه - ألا وهو الاسلام - وثبت بهذا أن الدعوة الى ما يراه الانسان خيرا هى من مقتضيات الفطرة الانسانية ويزداد هذا الاقتضاء الفطرى روعة وجمالا اذا كانت القلوب مشرقة بنور الايمان ومنشرحة بحلاوته ، ها هو وفد عبد القيس يفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : (يا رسول الله - ! انا هذا الحى من ربيعة وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر ، فلا نخلص اليك الا فى الشهر الحرام ، فمرنا بأمر نعمل به وندعو اليه من وراءنا ، قال : آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع الحديث(٢) - القوم ، فيهم الخير كل الخير ، يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وبناء على فطرتهم الصالحة يعلنون أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أمر أو تحريض - أنهم يريدون أن يبلغوا هذا الخير الى من وراءهم من أبناء جنسهم (فمرنا بأمر نعمل به وندعوا اليه من وراءنا) فثبت أن الانسان مولع بالدعوة نفسيا وفطريا ، وأنها تقع من فطرته ونفسيته موقعا عميقا . . .

هذا ما يتبين اذا ما استعرضنا - داخليا - مكانة الدعوة فى حياة الانسان ، واذا ما استعرضنا مكانة الدعوة فى حياة الانسان ، فى مظاهرها الخارجية ألفينا هناك دعوتين متنافستين من الأزل :

الأولى : الدعوة الى الخير

والثانية : الدعوة الى الشر

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخارى : ١/٥٦ - ٥٧

(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم ، ١/١٨١ - ١٨٣

فالدعوة الى الخير : هى الدعوة الى الله ، والحض على عبادته وحده . ومما لاريب فيه :

أن غاية خلق الانسان أن يعبد الله وحده لا شريك له ـ فقال سبحانه وتعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)(١) .

كما كلفه الله عز وجل أن يعبد ربه فى جميع شئون حياته حنيفا غير مشرك به ، ويدعو اليه حسبما تقتضيه فطرته السليمة ، فقال تعالى :

((يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)(٢) .

وقال تعالى :

((واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا))(٣)

وقال تعالى :

((قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، اليه أدعو واليه مآب))(٤)

فحمل الانسان راية هذه الدعوة الكريمة ، كما ذكره الله تعالى فى كتابه العظيم :

(انا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا)(٥) .

---

(١) سورة الذاريات : الآية : ٥٦

(٢) سورة البقرة : الآية : ٢١

(٣) سورة النساء : الآية : ٣٦

(٤) سورة الرعد : الآية : ٣٦

(٥) سورة الأحزاب : الآية : ٧٢

والمراد بالأمانة : التكاليف الشرعية ، والطاعة والفرائض على قول جمهور المفسرين (١) (٢) .
وقال القرطبي في تفسيره : (الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال (٣) وهو قول الجمهور) .

والدعوة الى الله هي أفضل وظيفة للانسان الذي يعيش على هذا الكوكب الأرضي كما قال الله سبحانه وتعالى : (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين (٤)) ، واختار الله تبارك وتعالى لهذه المهمة الجليلة أحب خلقه اليه وأفضلهم على الاطلاق ، وأمره - صلى الله عليه وسلم - أن يعلن هذه المهمة بكل صراحة ووضوح فقال : (قل هذه سبيلي ، أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني و سبحان الله وما أنا من المشركين (٥)) . ثم جعلها وظيفة أساسية لأمة حبيبه صلى الله عليه وسلم ، فقال : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (٦)) .

وأما الدعوة الى الشر . . . فتعني الدعوة الى غير الله ، والحض على عصيان الله وعباده غيره ، والى الاستكبار في الارض ، والاصرار على أعمال الشر والفساد والطغيان . وقد حمل راية هذه الدعوة الخبيثة ابليس وجنوده ، حقدا على آدم وذريته حسدا منهم وبغضا لهم ، فقال : (لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ، ولأضلنهم ، ولأمنينهم ولآمرنهم (٧) فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم (٨) فليغيرن خلق الله) .

---

(١) ابو السعود : ٤/٤٣٧
(٢) انظر : الشوكاني : فتح القدير : ٤/٣٠٨
(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٤/٢٥٣
(٤) سورة فصلت : الآية : ٣٣
(٥) سورة يوسف : الآية ١٠٨
(٦) سورة آل عمران : الآية ١١٠
(٧) البتك : القطع ، ومنه : " سيف باتك " وقد فعل الكفار ذلك امتثالا لأمر الشيطان واتباعا لرسمه ، فشقوا آذان البحائر والسوائب (الشوكاني : فتح القدير : ١/٥١٧)
(٨) سورة النساء : الآيتين : ١١٨ و ١١٩

- وقال : ((فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين)) (١) .

- وقال : ((أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ ، لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا)) (٢) (٣)

فاستمر الصراع العنيف بين هاتين الدعوتين ، دعوة كلف بها الانسان ، ودعوة عارضتها ووقفت في وجهها بخبثها وضلالها ، واغرائها ودهائها ، ويحطها الشيطان الغوى العدو الأزلي للانسان ، والتاريخ الانساني - في معظمه - عبارة عن هذا الصراع العنيف المستمر في صورتي .

يقول سيد قطب الشهيد - رحمه الله - في "ظلال القرآن" (٤) :

" ان أمام الانسان طريقين اثنين لا ثالث لهما : طريق الله ، وطريق الشيطان ، ان يستمع الى وعد الله أو ان يستمع الى وعد الشيطان ، ومن لا يسير في طريق الله ويسمع وعده ، فهو سائر في طريق الشيطان ويتبع وعده .. وليس هناك الا منهج واحد هو الحق .. المنهج الذي شرعه الله ، وما عداه فهو للشيطان ومن الشيطان .. "

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال : هذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ، وقرأ : (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه) الآية (٥) .

---

(١) سورة الأعراف : الآيتين : ١٦ ، ١٧

(٢) أي لأستولين عليهم بالاغواء والاضلال ، قال الواحدي : أصله من (احتناك الجراد الزرع " ، وهو : أن تستأصله بأحناكها وتفسده ، هذا هو الأصل ، ثم سمي الاستيلاء على الشيء وأخذه كله : احتناكا (الشوكاني : فتح القدير ٣/٢٤١)

(٣) سورة الاسراء : الآية ٦٢

(٤) ١/٣١٣

(٥) رواه الدارمي : ١/٦٧ - ورواه أحمد والنسائي ، قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في اسناد هذا الحديث : " اسناده حسن صححه الحاكم وغيره " انظر مشكوة المصابيح : ١/١٦٩ (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني)

فما هو واجب الانسان اذن ـ؟

فواجب الانسان اذن ، أن يخلص دينه لله ، وأن يتبنى الدعوة الى دين الله هذه ، هى الدعوة ، التى تكفل للانسان خيره الشامل الكامل فى العاجلة والآجلة ، ولست أريد بذلك أنه يجب على جميع المسلمين أن يكونوا (دعاة متفرغين) . بل الذى أريد هو أن يكون جميع المسلمين (دعاة ملتزمين) بحيث يمارس كل منهم الدعوة الى الحق على قدر طاقته ومن خلال اختصاصه ـ كما قلنا ـ ، عالما كان أو تاجرا حاكما كان أو محكوما ، وبذلك يتحقق ما أراده الله سبحانه وتعالى من عبده ، وهو أن يعبده ، ويذكره فى كل حال من أحواله ، فقال تعالى : ((ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار))(١)

وبناء على أن الانسان مفطور على الدعوة ـ كما أسلفنا ـ اذا نسى واجبه وتخلى عن وظيفته الجوهرية ـ وهى الدعوة الى الله ـ حمل دعوة عدوه المبين ـ وهو الشيطان الغرور الغوى ـ الذى يرصده فى كل لحظة وآن ، ويغريه بكل ما يملكه من الدهاء والاغراء ، والمكر ، وقد حدثت هذه المأساة فعلا ، فان الشقاء والدمار اللذين لم يزل يصادفهما الانسان فى تاريخه الطويل ـ والتاريخ يعيد نفسه على نحو ما ـ ليس لهما من سبب الا ميل الانسان عن دعوته الحقيقية الى دعوة عدوه المنافسة وليذهب بعض علماء علم الاجتماع ، والتاريخ وغيرهم ما شاؤا من مذاهب ، فان ذلك لا يغير من الحقيقة الواقعة شيئا ـ ولقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا السبب الرئيسى فى كتابه العزيز ، ونذكر نبذة من اشارته هنا .

فهؤلاء بنوا اسرائيل ، الذين اختارهم الله ـ فى البداية ـ لحمل لواء الدعوة ، فاشتغلوا بالسحر ، وتخلوا عن دعوتهم الأصيلة ، ولبوا دعوة العدو المبين ـ الشيطان ـ فانتهوا الى الخسران والبوار ، فقال الله تعالى :ـــ

---

(١) سورة آل عمران : الآيتين : ١٩٠ و ١٩١

((واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) (١)

ومن أجل ذلك ضمت هذه الأمة الاسلامية التى اختارها الله تعالى كيما تضطلع بأعباء قيادة الانسانية الحائرة ، منعا باتا من أن تقترب من أى مهوى من مهاوى الانحراف التى يدعو اليها الشيطان ويحتال بها المؤمنين ، ومن ذلك الأعمال السحرية الشيطانية التى ذهبت بعقليه تلك الأمة الضائعة بنى اسرائيل - وألقتها فى حضيض الذل والهوان .

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اجتنبوا الموبقات : الشرك بالله والسحر) (٢)

- وقال :

(حد الساحر ضربة بالسيف) (٣)

- وقال :

(من عقد عقدة فيها رقية فقد سحر ، ومن سحر فقد كفر ، ومن علق علقة وكل اليها) (٤)

وأشار الله سبحانه وتعالى الى أن النكبة الاقتصادية التى لم يزل يواجهها الانسان فى تاريخه الطويل هى نتيجة الانخداع بالخدعة الشيطانية ، حين يخوف الشيطان الانسان بالفقر الموهوم ويمنعه من الانفاق على الفقراء والمساكين وعلى الذين لا يسألون الناس الحافا من التعفف ، فيحدث فى نهاية المطاف لون من الصراع الطبقى بين الناس

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٠٢
(٢) رواه البخارى : ١٠ / ٢٣٢
(٣) رواه الحاكم فى المستدرك : ٤ / ٣٦٠
(٤) رواه عبد الرزاق فى المصنف : ١١ / ١٧

وتستمر طبقة الأغنياء في الرفاهية التامة والازدياد في الثروة ، فتسرب فيهم الترف والبذخ ، فيميلون الى الفحشاء والمنكر ، بينما تستمر طبقة الفقراء والمساكين في بؤسهم وشقائهم ، فيقوم تلميذ من تلامذة الشيطان - في حين من الدهور - ويثير غضب الفقراء ضد الأغنياء ، ويحرض المعدمين على معارضة الأثرياء ، وتملأ الدنيا بصراخ وويلات ، ولم يزل يشعر الانسان بمرارة هذا الصراع في تاريخه الطويل فقال تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم)(١)

ولقد شاهد التاريخ الانساني نضالا مستمرا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، فنضال أولياء الرحمن كان أبدا من أجل مصلحة الدعوة التي تكفل نجاة الانسانية من قبضة أتباع الطواغيت كما تكفل لها السعادة الأبدية والفلاح الحقيقي ، بينما لم يأت نضال أولياء الشيطان للعالم الانساني الا بالخراب والدمار ، والبؤس والشقاء ، والتاريخ هو نعم الشاهد على هذه الحقيقة الناصعة ، وما أمر الحروب العالمية ببعيد ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذه الحقيقة التاريخية معلنا أنه لابد من قتال أولياء الشيطان من أجل انقاذ الانسانية من الدمار والهلاك ، وأن كيدهم - مهما عزوا - ضعيف : ((الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا)(٢) .

وكذلك نبه الله سبحانه وتعالى ذرية آدم الى أن يكونوا دائما في حذر من مكيدة الشيطان وشركه والى أن يجعلوا ما جرى على أبويهم من هذا العدو الحاقد نصب أعينهم ، ليتمكنوا من الاحتراز من مآسي الخراب والتدهور الخلقي ، التي يريد الشيطان أن يلقيهم فيها ، و - مع الأسف الشديد - وقعت ذرية آدم فريسة لهذا الصيد الشيطاني ،

---

(١) سورة البقرة : الآية : ٢٦٨

(٢) سورة النساء : الآية : ٧٦

فقال تعالى :

((يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون .)) (١)

ويقول الله سبحانه وتعالى : وهو يصور بعض مشاهد يوم القيامة ، ويشير الى مصير من نسوا فى حياتهم الدنيا واجههم الحقيقى ، واتبعوا شهوات أنفسهم تلبية للدعوة الشيطانية :

((يوم تقلب وجوههم فى النار ، يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا)) (٢) :

وقال تعالى :

((وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين) (٣) .

وقال تعالى :-

((قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار ، كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا ادارکوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ، ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ، قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) (٤) .

وقال تعالى اشارة الى أن العدو الذى لا يزال يصيد ذرية آدم ويبعدهم عن جادتهم ، كيف يتبرأ منهم فى النهاية فليعتبر الانسان ، كما أن الآية الكريمة تضمن الاشارة الى النشاط الشيطانى لتضليل أبناء آدم :

---

(١) سورة الأعراف : الآية : ٢٧

(٢) سورة الأحزاب : الآيات : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨

(٣) سورة فصلت : الآية : ٢٩

(٤) سورة الأعراف : الآية : ٣٨

((وقال الشيطان لما قضى الأمر ،ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى ،فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ،انى كفرت بما أشركتمون من قبل ،ان الظالمين لهم عذاب اليم (١)))

فهذه الآيات الكريمة - وهناك آيات أخرى ايضا - تدل على أن الانسان لم يزل يصارعه الشيطان فى تاريخه الطويل ،فيميل الى الفساد فى الأرض منخدعا بخدعة الشيطان وكيده ،ومسحورا بسحره - الا عباد الله المخلصين - وقد نجح الشيطان فى مهمته نجاحا لا يستهان بقيمته بينما لم يزل الله تعالى يأخذ بيد الانسان ،بارسال الأنبياء والمرسلين ،وأخيرا باخراج أمة داعية الى الله ،وهى أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فلم يزل يستمر هذا الصراع ولن يزال يستمر الى يوم القيامة ،فالنجاح لمن استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها - وهى : - الاسلام وحده والدعوة اليه - والخسران لمن انخدع بكيدة الشيطان وخدعته ، ثم دعا بدعوته وملأ الدنيا شرا وفسادا . فقال الله تعالى :-

" والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر))

وخلاصة ما ذكرنا فى هذا المبحث : أن المراد بالدعوة الاسلامية : قيام المسلمين - دولة وأمة ، وأفرادا - بتبليغ كافة ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق ،على قدر الطاقة ومن خلال الاختصاص .

وان الدعوة لها مكانة خاصة فى حياة الانسان وصلة عميقة بها ، فهو مفطور على الدعوة الى ما يعتقده ،وهناك دعوتان متنافستان على وجه هذا الكوكب الأرضى منذ أن خلق الانسان : دعوة الى الخير : وهى الدعوة الى الله ودعوة الى الشر : وهى الدعوة الى غير الله .

---

(١) سورة ابراهيم : الآية : ٢٢

وقد حمل الانسان راية الدعوة الى الخير ، بينما حمل عدوه المبين راية الدعوة الى الشر ،والصراع بينهما مازال مستمرا ،فمن واجب الانسان أن لاينسى أبدا واجبه الحقيقى ،وهو الدعوة الى الله.

واذا نسى واجبه فيما انه مفطور على الدعوة مال الى دعوة عدو ه الشيطان والدعوة الشيطانية لا تأتى الا بالشر والفساد فى الأرض ، والدمار والخراب والتاريخ الانسانى شاهد على ذلك .

هذا ،ونستعرض فى المبحث الآتى مقـــومات الدعوة الأصيلة :- وهى : الدعوة الاسلامية التى كلف الله بها الانسان من أجل سعادته فى الدنيا والآخـــرة ، وسنرى فى بحوث آتيه ما آل اليه أمر هذه الدعوة فى العصر العباســـــــــى الأول ـــــــــ .

المبحث الثانـــى

مقومات الدعوة الاسلاميـــة

قد ثبت بما سبق ،أن الدعوة الى الله سبحانه وتعالى هى الوظيفة الأصيلـــة للانسان (١) ونستعرض الآن مقومات هذه الدعوة التى تتمثل عمليا فى سيرة نبينا محمـد صلى الله عليه وسلم ،و أن سيرته صلى الله عليه وسلم هى المثل الأعلى للدعوة الـى الله ،وذلك لسببين :-

أولا : ان الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كانوا يدعون الناس الى الله سبحانه (٢) وتعالـى ، بيـد أن تفاصيـل دعوتهـم لـم تحفظهـا

---

(١) ومما لا يخفى على الانسان العاقل أن الدعوة تخاطب نفس شخصية الداعيـة أولا ومباشرة ومن الخطل أن يدعو الانسان الى ما لا يعتقده ولا يعمل به ، وقد كره الله سبحانه هذه الغفلة وكرهها الى المؤمنين ،فقال : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) (سورة الصف : الآيتين : ٢ ، ٣) -والدعوة هى التى تحرض الانسان على أن يظل متمسكا بها بنفسه مادام يدعو غيره اليها ،وكلما قصر الانسان فى الدعوة - بقدر وسعه ومن خلال اختصاصه - انفصمت شخصيته بقدر تقصيره عن العمـل بما يدعو الناس اليه . هذا هو الداء الحقيقى فى حياتنا فى هذه الأيام ، اذ نرى كثيرا منا يدعون الى أمور لا يعملون بها ،فهل يدل هذا -ياتـرى- على أنهم يؤمنون حقا بما يقولون ـ؟

(٢) قال الله تعالى : انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ، رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (سورة النساء : الآيات ـ (١٦٣-١٦٥)

لنا الوثائق التاريخية ، أما الكتب السماوية - وأشهرها التوراة والانجيل - فقد منيت بالتحريف كما هو معلوم ، فلم يتسن لنا أن نعتمد على مروياتها الا بقدر محدود ، وما ذكره القرآن الكريم عن دعوات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - موجز لا يفصل ما اختاروه فى سبيل هذه الدعوات من الوسائل والطرق والأساليب ، لينالوا بها هدفهم المنشود وغايتهم المرجوة .

فهناك ذكر مجمل لما عاناه الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - فى سبيل الدعوة الى الله ، فلا يمكن لنا أن نحدد المقومات الجوهرية للدعوة الاسلامية تماما فى ضوء ما وصل الينا من سيرهم .

ثانيا :- أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وشريعته مكملة (١) (٢) كل شريعة الهية ، ودينه متمم كل دين سماوى ومهيمن عليه ، وناسخ لجميع (٣) الأديان الموجودة على وجه الأرض ، وسيرته محفوظة بقضها وقضيضها ، ومهيمنة على سير الأنبياء من قبله ، وموضحة لجميع التفاصيل المطلوبة فى هذا الموضوع .

فتكون سيرته الطيبة ميزانا مستقيما لتقويم المجهودات الخالصة فى سبيل الدعوة الى الله فما وافقها فهو السعى المشكور والمجهود المبارك ، وما خالفها يؤخذ عليه بقدر خلافه . وذلك لما قال الله تبارك وتعالى : ((فلا وربك لا يؤمنون حتى (٤) يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما))

---

(١) قال الله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) - (سورة المائدة : الآية : ٣)

(٢) قال الله تعالى : (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) - (سورة المائدة : الآية : ٤٨)

(٣) ذلك لقوله تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) (سورة آل عمران : الآية : ٨٥) ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذى نفس محمد بيده ، لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار) (رواه مسلم : ٢/١٨٦)

(٤) سورة النساء : الآية : (٦٥) -

وقال تعالى :

((قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين .) (١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين)) (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم :

((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) (٣)

ولسنا - فى هذا البحث العلمى - بصدد استعراض السيرة الطيبة بجميع نواحيها ، ولكن نمر بها مرورا جادا نركز الفكرة على النقاط الهامة التى تبرز لنا المقومات الأصيلة للدعوة الاسلامية .

كانت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم - من حين بعثه - حافلة لجميع أنواع الجهاد فى سبيل الله ، وهى : ثلاثة وعشرون عاما ، ثلاث عشرة سنة فى مكة وعشر سنين بالمدينة ، وكانت حياته المكية والمدنية مركزة لتحقيق أهداف دعوية سامية يمكن أن نلخصها تحت العناوين التالية ، وهى كحلقات سلسلة ذهبية متماسكة لا ينفك بعضها عن بعض :

(أ) بناء العقائد على أساس التوحيد الخالص .

---

(١) سورة آل عمران : الآيتين : ٣١ و ٣٢

(٢) رواه الشيخان واللفظ لمسلم : ١٥/٢

(٣) البغوى : شرح السنة : ٢١٣/١ (باب رد البدع والأهواء) .

(ب) تكوين شخصيات عقدية .

(ج) تكوين مجتمع عقدى .

(د) انشاء دولة تحافظ على ذلك المجتمع داخليا وخارجيا .

(هـ) توجيه الدعوة لتعميم هذا المجتمع فى جميع أنحاء العالم .

(أ) - بناء العقائد

أول ما بدأ به الرسول صلى الله عليه وسلم هو اصلاح العقائد وتقويمها لأن العقيدة تستقر فى القلب الانسانى وهو رئيس الأعضاء والجوارح ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (ألا ! وان فى الجسد مضغة ، اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا ! وهى القلب)[1] .

ومما لا ريب فيه أن العقيدة - ولو كانت باطلة - لها مكانة حاسمة فى تطوير حياة الأمم وبناء مجدها والاحتفاظ بكرامتها ، كما يشهد به التاريخ الانسانى[2] ، فكان من الضرورى أن تكون عقائد الأمة الوسط التى أخرجت للناس ، تحتوى على أمرين :

الأول : أن تكون صالحة صحيحة ، لا عوج فيها ولا شائبة ولا يحصل هذا الا اذا كانت العقائد موحى بها من عند الله ، فلا مجال فيها لزيادة أو نقص ، فهى تضمن فلاح حاملها فى الدنيا والآخرة - اذ أن العقائد الفاسدة - مهما صلبت الأمة فى التمسك بها وأفادت منها أحيانا ، لا تصلح فى نهاية المطاف لأن تتجاوب ومقتضيات الحياة وتطوراتها ، وكثيرا ما تجر الخراب والدمار على الجيل الانسانى[3] .

---

(١) رواه الشيخان : انظر مسلم : ١١/٢٨

(٢) نريد أن نشير الى ما وقع قريبا من أحوال الجيش اليابانى أثناء الحرب العالمية الثانية ، خصوصا فى سبيل الدفاع عن مدينة (اوكى ناوا) اذ كانوا يلقون بأنفسهم الى الهلاك وينتحرون ، بناء على عقيدتهم الباطلة بأن أرواح آبائهم فى مكانة عالية تنتظرهم لترحب بهم ، فجاء عملهم هذا بحاصل كبير من الخسائر الجسيمة لجيوش الحلفاء (انظر : رمضان لاوند : الحرب العالمية الثانية : ٥٧٠-٥٧٣)

(٣) فلننظر بهذه المناسبة الى نتائج عقيدة اليهود الباطلة : (انهم شعب الله المختار) وما جرت هذه العقيدة على العالم الانسانى من الكوارث والمآسى وما يتوقع أن تجره فى المستقبل على أهلها وغيرهم .

الثانى : أن تكون الأمة متصلبة فى التمسك بها ، اذ أن الضعف أو التضعضع فى الاستمساك بالعقائد يجعل الأمة مزعزعة الكيان ، ضعيفة الايمان ، كما يبعث فيها أمراضا معنوية متنوعة (١) .

فبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مهمته الجليلة بدعوة أمته الى اصول الدين ، وهى : الايمان بالله ، وتوحيده فى الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، والايمان بملائكته ورسله ، والايمان باليوم الآخر والبعث والجزاء ، والدعوة الى مكارم الاخلاق .

كانت حياة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم فى مكة عبارة عن الجهد المتواصل لايضاح الرؤية العقائدية على أساس التوحيد الخالص ، فى جو مكفهر يهيمن عليه الشرك والوثنية ، لأن التوحيد رأس العقيدة وأول دعوة الرسل (٢) ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فكان يذم الاصنام (٣) ، ويقيم على كفار مكة حججا قاطعة وبراهين دامغة ، كما يشير اليه قوله تعالى : (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ، ان الله لقوى عزيز) (٤)

---

(١) هذه الأمة الوسط مادامت متصلبة فى التمسك بعقائدها السماوية ـ جاءت بمعجزات فى تاريخها الزاهر ، ولما بعدت ـ مع الأسف الشديد ـ تدريجيا عن التمسك بأهداف العقيدة الراسخة ـ وذلك بصورة نشأة المذاهب الكلامية والباطنية ـ شاهدت ما شاهدت من المآسى المؤلمة والكوارث المفضوحة فى تاريخها الحاضر والماضى ، ولا يخفى ذلك على العيون الساهرة فى رباط الاسلام .

(٢) انظر : ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية : ٧٤

(٣) انظر : ابن هشام : سيرة النبى : ١ / ٢٦٢

(٤) سورة الحج : الآيتين : ٧٣ - ٧٤

ولم تجد عقلية المشركين الواهنة مساغا لترد على هذه البينات الواضحة ، القوية المتدفقة ، غير أن تظل صامتة مبهوتة (١) ، أو أن تقوم - وقد جن جنونها - فتحاول أن تطفئ نور الله الساطع بأفواهها ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

وقام المشركون - وقد ثارت حميتهم الجاهلية - فآذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ايذاء شديدا (٢) ، فتحمله هو وأصحابه بغاية الصبر والصمود ، اذ أن مصلحة هذه المرحلة من الدعوة كانت تقتضي مواجهة الظروف بأساليب سلمية ، لأن الأمل في قبول الناس الدعوة لم ينقطع ، والجو الحالك لم ينجل ، ولم تجد الدعوة من الشخصيات المعقدية عددا تتمكن به من ايجاد مجتمع عقدي دعوي (٣) ، وكيلا يجد أعداء الدعوة فرصة ليتهموها بالعنف والشدة والقساوة والفظاظة .

ولعلنا نستجلي خلاصة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ، من بيان جعفر بن أبي طالب (٤) - رضي الله تعالى عنه - امام النجاشي ملك الحبشة ، اذ قال : (ايها الملك ! كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ـــــــ

---

(١) انظر : ابن هشام : سيرة النبي : ١/ ٣٧٤

(٢) " " " " " " : ١/ ٣٢٤- ٣٢٩

(٣) ونستطيع أن نستأنس لذلك بقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقد قاتل قريشا وقاتلوه بعد أن أسلم ، وقاموا على رأسه وهو يقول : (وافعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو كنا ثلاث مائة رجل ، لقد تركنا ها لكم أو تركتموها لنا)
انظر : ابن هشام : سيرة النبي : ١/ ٣٧٤

(٤) ان هذه الرواية ذات قيمة كبيرة بصدد ما نحن فيه من بيان خصائص الدعوة ولا سيما في بدايتها ، وهنالك آيات وأحاديث تجلو لنا هذه الخصائص وسنذكرها في محالها ان شاء الله .

ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، يأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان[1] ـــ

---

(١) السور المكية طيفة بهذه المعاني ، منها : قوله تعالى : (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ، ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، والى الله عاقبة الأمور (سورة لقمان : ٣١ / ٢٢)
وقوله تعالى :- (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، سبحانه وتعالى عما يصفون . بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم . ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل . لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير (سورة الأنعام : الآيات ١٠٠ : ١٠٣) ـــ
وقوله تعالى : (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ، الا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار) (سورة الزمر : الآيتين : ٢ / ٣)

وأمرنا بصدق الحديث[1] وأداء الأمانة[2] وصلة الرحم[3] وحسن الجوار[4]، والكف عن المحارم والدماء[5] ـــ

---

(١) الصدق من أسمى شعار المسلم، ولقد اهتم به الاسلام فى كل مرحلة من مراحل دعوته، قال تعالى : (والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) (سورة الزمر : الآية : ٣٣) والآية مكية، قال قتادة وغيره : الذى جاء بالصدق : النبى صلى الله عليه وسلم، والذى صدق به : المؤمنون (انظر الشوكانى : فتح القدير : ٤/٤٦٣) ونص القرآن على التزام المسلم بالصدق بقوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) (الأحزاب : الآية : ٧٠) والآية مدنية .

(٢) وتؤيد الآية المكية هذا المعنى قال تعالى : (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) (سورة المؤمنون : ٨)

(٣) ويؤيده قوله تعالى : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى) (سورة النحل : الآية : ٩٠) كما يؤيده عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أبرزته زوجه خديجة الكبرى بقولها : (كلا! والله ما يخزيك الله أبدا، انك لتصل الرحم) الحديث (انظر : البخارى : الجامع الصحيح : ١/٢٢) وذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند شعوره بشدة بداية الوحى .

(٤) حسن الجوار، من أهم تعليمات الاسلام وميزات المجتمع الاسلامى وردت فيه أحاديث كثيرة . وكان معمولا به فى كل مرحلة من مراحل الدعوة المكية والمدنية، ونص عليه القرآن الكريم فى الآية التى نزلت بعد الهجرة فقال تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب) الآية (سورة النساء : ٣٦)

(٥) وتؤيد الآية المكية هذا المعنى قال تعالى : (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ـ (سورة الاسراء : الآية : ٣٣)

ونهانا عن الفواحش (١) وقول الزور (٢) وأكل مال اليتيم (٣) ، وقذف المحصنات (٤) . وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا ـ

---

(١) الفواحش جمع الفاحشة ، وقد أريد بها فى الاسلام : كبار الذنوب وكل ما لا يلائم القيم الانسانية العالية ومكارم الأخلاق من قول أو فعل (انظر : الشوكانى : فتح القدير : ٣/١٨٨) ومن أكبر مظاهرها الزنا . وسد الاسلام بالنهى عن الفواحش باب كل رذيلة ـ صغيرة كانت أو كبيرة ـ تدخل فى نفس الانسان وتفسد عليه أخلاقه وقيم مجتمعه ، فتجر عليه كثيرا من المآسى التى لا يدرك آثارها فى بداية الأمر . فالفاحشة كانت منهية عنها فى كل مرحلة من مراحل الدعوة واليكم بعض الآيات المكية التى تؤيد هذا المعنى : قال تعالى :ـ (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم و البغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) (سورة الأعراف : الآية : ٣٣)ـ وقال تعالى : (ان الله يأمركم بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) (سورة النحل : ٩٠)

(٢) قال الله تعالى فى صفات عباد الرحمن : (والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما) . (سورة الفرقان : الآية : ٧٢) .

(٣) قال الله تعالى : (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده) (سورة الاسراء : ٣٤)

(٤) قذف المحصنات أيضا فاحشة من الفواحش التى تأتى على المجتمع الاسلامى بأنواع من المفاسد والمآسى ، ومن أجل ذلك حرم الاسلام قذف المحصنات فى كل مرحلة من مراحل دعوته ، حتى نص القرآن الكريم على اقامة الحد على من يقذف المحصنات وذلك بعد ما رسخت دعائم المجتمع الاسلامى بالمدينة المنورة فنزلت الآية الكريمة : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون . الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم) (سورة النور : الآيتين : ٤/ ٥)ـ ولفظ المحصنات يشمل النساء والرجال تغليبا ـ (انظر : الشوكانى : فتح القدير : ٤/٧) .

(١) (٢) (٣)
وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - قالت أم سلمة : فعدد عليه أمور الاسلام - فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله

---

(١) افترضت الصلاة فى بداية الدعوة كما تشير اليه الآيات القرآنية التى نزلت بمكة ، منها قوله تعالى : (قل ان هدى الله هو الهدى ، وأمرنا لنسلم لرب العالمين ، وان أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون) (سورة الأنعام الآيتين : (٧١-٧٢) .

وقوله تعالى : (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة) — (سورة فاطر : الآية : ١٨)

وقوله تعالى : (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) — (سورة المؤمنون : ١-٢) وروى ابن اسحاق عن صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين كل صلاة ، ثم ان الله تعالى أتمها فى الحضر أربعا وأقرها فى السفر على فرضها الأول ركعتين .
(ابن هشام : سيرة النبى ١/ ٢٤٨)

(٢) نرجح القول بأن الزكاة كانت واجبة فى مكة الا انها كانت زكاة مطلقة من القيود والحدود ، وكانت موكولة الى احساس الأفراد وشعورهم وواجبهم الأخوية نحو المؤمنين الضعفاء (انظر هذا البحث فى تفسير ابن كثير : ٣/ ٢٣٨ و ٢٣٩ فى تفسير قوله تعالى : (والذين هم للزكاة فاعلون) وانظر (فقه الزكاة) : ١/ ٥٨-٦٢ للدكتور يوسف القرضاوى) ويدل على ذلك قوله تعالى : (ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور) (سورة فاطر : الآيتين : ٢٩-٣٠) وقوله تعالى : (والذين فى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم) (سورة المعارج : الآيتين ٢٤ : ٢٥) .

(٣) فرض صيام رمضان فى السنة الثانية من الهجرة (انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٣/ ٢٥٤) اما الصيام فى مكة ، فروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت : كانت قريش تصوم عاشوراء فى الجاهلية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه ، فلما هاجر الى المدينة صامه وأمر بصيامه ، فلما فرض شهر رمضان قال : من شاء صامه ومن شاء تركه) رواه مسلم : ٨/ ٤ و ٥) ولعل مراد جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه بالصيام ، صيام عاشوراء - والله أعلم بالصواب .

فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا (١)

---

(١) ابن هشام : سيرة النبى : ١/٣٤٨.

(ب) تربية شخصيات عقدية

اذا كان الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم يبذل جهوده المتواصلة في ايضاح عقيدة التوحيد الخالص أمام مشركي مكة ، فقد كان يهتم اهتماما كبيرا في تربية نفوس طاهرة ، وبناء شخصيات دعوية فعالة ، تحمل لواء الدعوة وتشيد الحياة الاسلامية المنتظرة ، لتخرج الناس من ظلمة الوثنية الى نور التوحيد ، ومن بيئة يعلو فيها - بين آونة وأخرى - صليل السيوف الى بيئة يسودها الهدوء والمسالمة ومن قساوة نزعات النهب الى طمأنينة التجاوب والتعاون ، ومن دمار نظام الثأر والانتقام الى حياة نظام القصاص ، ومن فوضى الحياة القبلية الى تنظيم الحياة الاجتماعية ، ومن شرور نظام الطبقات الى روائع نظام المساواة .

وكانت شعاب مكة مجالا فسيحا لهذه النشاطات المباركة (١) ، كما كانت دار الأرقم (٢) ابن أبي الأرقم بناء ومقرا لاجتماع هؤلاء المقبلين على دعوة محمد صلى الله عليه وسلم (٣).

خرجت هذه المدرسة المحمدية رجالات عباقر ، تجسدت الدعوة الاسلامية في شخصياتهم الفذة وعبقريتهم النيرة ، فأسهموا في تغيير مجرى التاريخ ومسار الحياة الانسانية وملؤها ربوع المعمورة - في مدة يسيرة - عدلا وسلاما ورفاهية وسعادة - وأخرجوا عباد الله من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها (٤) .

---

(١) انظر : ابن هشام : سيرة النبي : ١/ ٢٥١ و ٢٦١

(٢) هو الأرقم بن ابي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، كان من السابقين الأولين الى الاسلام ، كان ثاني عشر من أسلم ، وكان من المهاجرين الأولين ، شهد بدرا و واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقات ، توفي سنة ثلاث أو خمس وخمسين ودفن بالبقيع .

(انظر : ابن الأثير : اسد الغابة : ١/ ٧٤ - ٧٥)

(٣) انظر : ابن سعد : الطبقات : ٣/ ٢٤٢

ابن الجوزي : صفة الصفوة : ١/ ٤٤٢

(٤) تعبير صحابي جليل ربعي بن عامر رضي الله تعالى عنه أمام قائد جيوش الفرس (رستم) (انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٧/ ٣٩) .

وفتحوا أمامهم آفاق العلوم والحضارة ،كما كانوا فى أنفسهم رمزا للتفانى فى سبيل اعلاء كلمة الله ، والتضحية فى سبيل الكفاح ،والحيوية والنشاط فى خدمة الدين الحنيف.

اذا رأينا أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - يقدم نفسه تضحية فى سبيل اعلاء كلمة الله ويتحمل شديد الأذى فى رحاب المسجد الحرام ، وهو يدافع عن النبى صلى الله عليه وسلم ويقول : (أتقتلون رجلا يقول : ربى الله -؟ (١) وجدنا هناك بلالا - رضى الله تعالى عنه - نموذجا مدهشا فى تحمل الأذى والاضطهاد ،والصلابة فى عقيدة التوحيد ولعل صوته السرمدى "أحد ، أحد" (٢) يدوى حتى الآن فى شعاب مكة .

وهذا عمار بن ياسر وأسرته ، وذاك خباب بن الأرث . وهناك عمر بن الخطاب الذى خرج من بيته يريد قتل محمد صلى الله عليه وسلم ،فاذا هو قد انقض على بيعته صلى الله عليه وسلم على أن يقدم جميع ما يملكه من نفسه وماله فى سبيل الدعـــوة الاسلامية . شهد وى ربع الكون بعدله وانصافه وزهده وتقشفه ، رضى الله تعالـــى عنهم أجمعين .

وحسبنا بهذه المناسبة رواية تصور تصويرا رائعا لبعض كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،تلك الشخصيات العقدية التى رباها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تربية اسلامية خالصه ، ثم كون منهم مجتمعا عقديا دعويا يضرب به المثـــل وتسير بخصائصه الركبان :

---

(١) انظر : ابن الجوزى : صفة الصفوة : ١/ ٢٣٩- ٢٤٠

(٢) ابن هشام : سيرة النبى ١/ ٣٢٤ ، ٣٢٥

قال المسعودي في مروج الذهب[1] : ((دخل عبدالله بن عباس على معاوية ، وعنده وجوه قريش ، فلما سلم وجلس ، قال له معاوية : انى أريد أن أسألك عن مسائل ، قال : سل عما بدا لك . قال : ما تقول في أبي بكر ـ؟ قال : رحم الله أبا بكر ، كان والله للقرآن تاليا ، وعن المنكرات ناهيا ، وبذنبه عارفا ، ومن الله خائفا ، وعن الشبهات زاجرا ، وبالمعروف آمرا ، وبالليل قائما ، وبالنهار صائما ، فاق أصحابه ورعا وكفافا ، وساد هم زهدا وعفافا ، ففضب الله على من أبغضه وطعن عليه .

قال معاوية : ايها[2] يا ابن عباس ، فما تقول في عمر بن الخطاب ـ؟

قال: رحم الله أبا حفص عمر ، كان والله حليف الاسلام ، ومأوى الأيتام ومنتهى الاحسان ، ومحل الايمان ، وكهف الضعفاء ، ومعقل الحنفاء ، قام بحق الله عز وجل صابرا محتسبا ، حتى أوضح الدين وفتح البلاد ، وأمن العباد ، فأعقب الله على من تنقصه اللعنة الى يوم الدين .

قال : فما تقول في عثمان ـ؟

قال رحم الله أبا عمرو ، كان والله أكرم الحفدة وأفضل البررة ، هجادا بالأسحار كثير الدموع عند ذكر النار ، نهاضا عند كل مكرمة ، سباقا الى كل منحة ، حييا أبيا وفيا ، صاحب جيش العسرة ، ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله . فأعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين الى يوم الدين .

---

(١) ٣/ ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .

(٢) ايها : (بالنصب) يريد السكوت ـ (انظر : ابن الأثير : النهاية : ١/ ٨٧)

قال : فما تقول فى على ـــ؟

قال : رضى الله عن أبى الحسن ،كان والله على علم الهدى ،وكهف التقـــى ومحل الحجا(١) ،وبحر الندى ،وطود النهى ،وكهف الملا ، للورى داعيا الى المحجة(٢) العظمى متمسكا بالعروة الوثقى ،خير من آمن واتقى ،وأفضل من تقمص وارتدى ،وأبر من انتعل وسعى ،وأفصح من تنفس وقرأ ،وأكثر من شهد النجوى ،سوى الأنبياء والنبى المصطفى ،صاحب القبلتين ،فهل يوازيه أحد ـ ؟ وهو أبو السبطين ،فهل يقارنه بشر ـــ؟ وزوج خير النساء فهل يفوقه قاطن بلد ـ؟ للأسود قتال ، وفى الحروب ختال(٣) ، لم ترعينى مثله ولن ترى ، فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد الى يـــوم التناد .

قال : ايها يا ابن عباس ! لقد أكثرت فى ابن عمك ، فما تقول فى ابيك العباس؟

قال رحم الله العباس أبا الفضل ،كان صنو نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وقرة عين صفى الله ،سيد الأعمام ،له أخلاق آبائه الأجواد وأحلام أجداده الأمجاد ،تباعدت الأسباب فى فضيلته ،صاحب البيت والسقاية ، والمشاعر والتلاوة ،ولم لا يكون كذلك ـ؟ وقد ساسه أكرم من دب ـ؟

فقال معاوية : يا ابن عباس ،أنا أعلم أنك ركّيمانى(٤) فى أهل بيتك ـ.

قال : ولم لا أكون كذلك ـ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل) ـ؟

---

(١) الحجا : (بكسر الحاء) العقل (انظر : ابن الأثير : النهاية : ١/٣٤٨)

(٢) المحجة : الطريق ،وقيل : جادة الطريق (انظر : ابن منظور : لسان العرب : ٢/٢٢٨)

(٣) ختال : كثير الختل والختل تخادع عن غفلة (لسان العرب : ١١/١٩٩)

(٤) ركّيمانى : جيد الكلام ، فصيح محسن الكلام ،منطيق ـ(لسان : ١٢/٥٢٤)

قال ابن عباس بعد هذا الكلام :

يا معاوية ! ان الله جل ثناؤه ، وتقدست اسماؤه ، خص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بصحابة آثروه على الأنفس والأموال ، وبذلوا النفوس دونه في كل حال ، بوصفهم الله في كتابه فقال : (رحماء بينهم) الآية ، قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين ، حتى تهذبت طرقه ، وقويت أسبابه ، وظهرت آلاء الله ، واستقر دينه ، ووضحت أعلامه ، وأذل الله بهم الشرك ، وأزال رؤوسه ، ومحا دعائمه ، وصارت كلمة الله العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية ، والأرواح الطاهرة العالية ، فقد كانوا في الحياة لله اولياء ، وكانوا بعد الموت أحياء ، وكانوا لعباد الله نصحاء ، رحلوا الى الآخرة قبل أن يصلوا اليها ، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها ـ) .

وأيا ما كانت قيمة هذا النص من جهة الرواية ، فان مضمونه ـ فيما أعتقد ـ صالح لأن يستأنس به على أحوال الرجال الذين وصفهم ، عدا ما فيه من المبالغة في تفضيل على كرم الله وجهه .

هكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شخصيات عقدية عظيمة ، ونماذج انسانية فذة ، قد أشربوا روح الدعوة صافية سائغة ، ولا غرو ، فقد تربوا في رعاية سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . واشتركوا في بناء الصرح العظيم للمجتمع العقدي (الدعوي) .

رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

(ج) تكوين مجتمع عقـــــدى

كان الهدف الأكبر من أهداف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ايجاد مجتمع عقدى يكون مثالا رائعا لتطبيق التعاليم الاسلامية على وجه الأرض ، اذ الاجتماع من المقتضيات البشرية ، لأن الانسان مدنى بالطبع ، ولا يمكنه أن يعيش منعزلا عن البيئة وحيدا ومنفردا فى هذا الكون ، والا لم يكمل وجوده وما أراده الله تبارك وتعالى من اعتمار العالم به واستخلافه اياه ، كما أشار اليه الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى كتابه : (الحسبة)(١) وابن خلدون فى المقدمة .(٢)

وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجتمع جاهلى فارغ عن القيم العالية التى ينبنى على أساسها أى مجتمع انسانى فاضل ، فجهز شخصيات عقدية ليصيروا دعائم لذلك المجتمع ، الا أن الظروف القاسية فى مكة ما كانت تواتى هـــــذه المحاولة ولا تستجيب لها ، بل كان المجتمع الجاهلى يتقدم بكل ما يملك مـــن الامكانيات ، لاحداث العقبات والمشكلات فى طريق ايجاد هذا المجتمع (الدعوى) المثالى ، فهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يثرب التى عرفت بعد ذلك بمدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأوجد هناك المجتمع المطلوب عقب جهاد جاهد تغلب فيه على العقبات التى واجهته بعد الهجرة .

كان هذا المجتمع العقدى يقوم على دعائم لم يألفها قط أى مجتمع انسانـــى - غير مجتمعات الانبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام - قام على وجه الأرض ـــ

---

(١) انظر : ص : ٢-٣

(٢) انظر : ١/ ٤٢٠ - ٤٢٢

ومن أهمهـــا ما يلـى :ـــ

١- وحدة العقيدة .

٢- الأخـوة .

٣- الحريـة

٤- العدالة والمساواة .

٥- التكافل

٦- نظام الأسرة

٧- التوازن الاقتصادى .

٨- العلم والتعليم .

٩- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

١٠- الحياطة البالغة فى العلاقات .

ان شرح هذه النواحى واعطاؤها حقها من البحث يقتضى كتابة رسالة ضخمة فنكتفى باشارات الى معانيها ومدلولاتها حسب ما يقتضيه المقام ، اذ أن مميزات هذا المجتمع العقدى من أهم ثمرات الدعوة ولوازمها فى العهد النبوى والراشدى واستمراضها - ولو بالايجاز - نستطيع أن نتبين تلك الانحرافات التى حدثت فى العصور المتأخرة ، ومنها العصر العباسى الأول .

١- وحدة العقيدة :

اذا قام مجتمع على أساس الجنس ، او اللون ، أو النسب - على نحو ما تقوم عليه المجتمعات الجاهلية(١) - اندثرت آثاره بمرور الايام والليالى ، لأن الأجناس قد تتناثر ، والألوان قد تتباين والأنساب قد تختلط ، ومن أجل ذلك قام المجتمع الاسلامى

---

(١) أريد بالجاهلية : المجتمعات التى تنافى الاسلام فى اصولها وسلوكها وأهدافها سواء تقدم بها الزمان أم تأخر

على أساس وحدة العقيدة (١) . فالعقيدة الربانية الجامعة لا تضعف مهما صدمتها صخور الانحرافات ، ولا تتضاءل مهما هبت عواصف الوهم والخرافات ، ولا تتقطع مهما اشتدت تيارات السيل الجارف .

فقد أرسى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجر الأساس للمجتمع الاسلامى ، على توحيد العقيدة ونذكر ههنا بعض آيات من القرآن الكريم وبعض أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم تشير الى الوحدة العقدية التى تربط بين المؤمنين وتفرق بينهم وبين الكفار : منها : قوله تعالى :

((ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض ، والذين آمنوا ولم يهاجروا ، مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا ، وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، والله بما تعملون بصير ، والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير . والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله ، والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم . والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ، واولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ، ان الله بكل شىء عليم)) (٢)

وقال تعالى :

((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)) الآية (٣)

---

(١) تقوم العقيدة الاسلامية على أساس الايمان بتوحيد الله سبحانه وتعالى فى الوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، والايمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والبعث بعد الموت ، والقدر خيره وشره من الله تعالى ، وعلى أساس اقرار فرضية الصلاة والزكاة والصيام والحج . وكل ذلك فى ضوء ما ثبت من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بدون تأويل أو تحريف (راجع التفصيل فى كتاب (شرح العقيدة الطحاوية)

(٢) سورة الأنفال : الآيات : ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥

(٣) سورة التوبة : الآية : ٧١

وقال تعالى : ((لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه والى الله المصير))(١) .

وقال تعالى :

((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان(٢) ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون))(٣)

وقال تعالى :

((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين))(٤)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ، فلا تخفروا الله في ذمته))(٥)

وقال عليه الصلاة والسلام :

((أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله))(٦) .

---

(١) سورة آل عمران : الآية : ٢٨

(٢) انما هي وحدة العقيدة التي حضت الأبناء على أن يقفوا في وجوه الآباء الذين استحبوا الكفر على الايمان . هذا أبو حذيفة - رضي الله عنه - يشهد معركة بدر ، وينادي أباه عتبة بن ربيعة - سيد قريش - أن يبارزه في ساحة القتال ويجرب ضربة سيف ابنه على عنقه في معركة الحق والباطل ، فلم يخرج اليه ، ولم يكن يدرك الكفر كله هذه الوحدة العقدية فاندفعت أخت أبي حذيفة هند تقول :

أبو حذيفة شر الناس في الدين ... الأحول الأثعل المشئوم طائره
حتى شببت شابا غير محجون ... أما شكرت أبا ربك من صغر

(انظر ابن سعد : الطبقات : ٣/٨٥) .

(٣) سورة التوبة : الآية : ٢٣

(٤) سورة المائدة : الآية ٥١

(٥) رواه البخاري : ١/٤٩٦

(٦) متفق عليه : واللفظ للبخاري : ١/٧٥

وعن عمرو بن العاص - رضى الله عنه - قال :

((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول : ألا! ان آل أبى - يعنى فلانا - ليسوا لى بأولياء ، انما ولى الله وصالح المؤمنين)) (١)

فهذه الوحدة العقدية التى أشير اليها فيما ذكرنا من الآيات والأحاديث ، ظلت تربط المسلمين فى مجتمعهم وتقودهم طوال العهد النبوى والراشدى ، وحدثت بعد ذلك انحرافات فتحت أبواب التأويل والتحريف والتلبس ، تزحزح كيان هذه الوحدة عن أصله واستمر هذا الوضع الى العصر العباسى الأول ولم يتدارك ، كما سنرى فيما نستقل من الكلام .

٢- الأخوة :

اذا قام المجتمع على أساس وحدة العقيدة ، فمن الطبيعى جدا أن تنبثق منه الأخوة رابطة حقيقية تفضل كل رابطة سواها ، كرابطة الجنس واللون والنسب وقد جاء الاسلام بنوع فريد من الاخوة لم يعهده المجتمع العربى ، وربما لم يعهده أى مجتمع آخر من قبل ، فأصبح بلال الحبشى أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمه الشقيق أبى لهب القرشى الهاشمى ، الذى سجل القرآن الكريم تباته وهلاكه (٢) ، ولم يجد أى حبشى أو رومى أو فارسى حائلا يمنعه من الانتساب الى هذا المجتمع الفاضل ، بل التصدر فيه ، ولقد أشار القرآن الكريم فى آيات كثيرة الى هذه الأخوة الأصيلة منها :

قوله تعالى : (٣)

((انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم))

وقوله تعالى : (٤)

((واذكروا اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا))

---

(١) رواه مسلم ٣/٨٧

(٢) اقرأ سورة اللهب .

(٣) سورة الحجرات : الآية ١٠

(٤) سورة آل عمران : الآية : ١٠٣

وقوله تعالى : (١)

((ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه))

وهناك أحاديث كثيرة تقرر مبدأ الاخوة بين المسلمين ، نذكر هنا بعضا منها :-

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((المسلم اخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)) (٢)

- وقال عليه الصلاة والسلام :

((اياكم والظن ، فان الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا)) (٣)

- وقال عليه الصلاة والسلام :

((لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا - ويشير الى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم حرام دمه وماله وعرضه)) (٤) .

وقال عليه الصلاة والسلام :

(لا يحل لمسلم أن يهجر اخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام) (٥)

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٢

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم : ١٦/١٣٥

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم : ١٦/١١٨ - ١١٩ .

(٤) متفق عليه واللفظ لمسلم : ١٦/١٢٠ - ١٢١

(٥) ابن هشام : سيرة النبى : ٢/١١٧

ـ وقال عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع :

((أيها الناس! اسمعوا قولي واعقلوه ،تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ،وأن المسلمين أخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه الا ما أعطاه من طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم ،ألا ! هل بلغت ؟))(١)

ولم تكن هذه الأخوة نظرية فحسب ،بل شاهدت السموات على وجه الأرض نماذج رائعة ومدهشة لهذه الرابطة القوية الفريدة ، التي جاء بها الاسلام ، اقرؤا ما جرى بين عبد الرحمن بن عوف المهاجر وبين أخيه الأنصاري سعد بن الربيع(٢) اذ بهش سعد الى عبد الرحمن أن يقاسمه ماله ويتنازل عن احدى زوجاته ، فأبى وقال : دلني على السوق .(٣)

وهناك مصعب بن عمير يوم بدر يقول لأخيه الأنصاري الذي أسك شقيقه أبا عزيز بن عمير : ((شد يديك به ،فان أمه ذات متاع)) فيقول أبو عزيز : (يا أخي ! هذه وصاتك بي ـ ؟) ويجيبه مصعب بن عمير : (انه اخي ،دونك)(٤)

ولم تنته هذه العلاقة الأخوية الى حد محدود ،بل استمرت طول الحياة ،كان بلال رضي الله عنه ، قد خرج الى الشام مجاهدا في سبيل الله ، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فلما دون أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الدواوين بالشام قال لبلال : (الى من تجعل ديوانك يابلال ـ؟)

قال بلال : (مع رويحة(٥) ،لا أفارقه أبدا) وذلك للمواخاة التي شدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ،اثر مجيئة المدينة .(٦)

---

(١) ابن هشام : سيرة النبي : ٣٥٦/٤

(٢) هو سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير الأنصاري الخزرجي ،كان كاتبا في الجاهلية ،شهد العقبة الأولى والثانية ،كان أحد نقباء الأنصار ، قتل يوم أحد شهيدا ، (انظر : ابن سعد : الطبقات : ٥٢٢/٣ـ ٥٢٤)

(٣) انظر : ابن سعد : المصدر نفسه : ١٢٥/٣
انظر ابن كثير : البداية والنهاية : ٢٢٨/٣

(٤) انظر : ابن هشام : سيرة النبي : ٣٣٦/٢-٣٣٧

(٥) هو هو أبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ـ انظر ترجمته في أسد الغابة ١١٤/٦

(٦) انظر ابن سعد : المصدر السابق : ٢٣٤/٣
ابن هشام : المصدر السابق : ١٢٨/٢

وقد بلغت هذه الأخوة من القوة مبلغا عظيما بحيث كان المتآخون يتوارثون بها دون النسب ، وبقي هذا الحكم معمولا به الى أن أدى مهمته في صياغة المجتمع الدعوى وتقويته ، وعندها نزل قول الله تعالى : ((واولوا الأرحام بعضهم اولى ببعض)) (١) الآية ، أما الأخوة فيما عدا هذا الحكم ، فهي مستمرة أبدا .

وهزت هذه الدعامة الأساسية للمجتمع الاسلامي (الدعوى) تلك المأساة الأليمة التي حدثت في العصر الأموي - الا وهي العصبية بين المضرية واليمانية - ولم تزل ترفع رأسها بين أونة وأخرى في العصر العباسي الأول ، وذهبت آلاف من النفوس الزكية ضحية هذه العصبية المقيتة .

وسنراها في موضعها ان شاء الله .

---

(١) انظر : الشوكاني : فتح القدير : ٢/٣٢٩ ، ٣٣٠

٣ـ الحرية :

ليس المراد بالحرية فى الاسلام : الحرية المطلقة التى لا مجال فيها للقيم الانسانية والاخلاقية ، وأوامر الله ونواهيه ، والحقوق الواجبات المحددة ، لانها ليست حرية ، انما هى الفوضى التى تهز المجتمع والبشرى ، والطبيعة بنفسها تنكرها انكارا شديدا ، فماء النهر مادام يجرى مقيدا بين ضفتيه ، فهو حر تماما ، يجرى كيف يشاء ويستفيد منه الخلق فى حاجاتهم المختلفة ، واذا أراد هذا الماء أن يتحرر من قيد الضفتين اللتين تضبطان مسيرته وتمدانه للخير والفائدة ، وأن يجرى كيف يشاء وأين يشاء ، فيسمى ـ عندها ـ فيضانا ، أو سيلا جارفا يكتسح العمران ، ويبيد الانسان ويحدث الخراب والدمار ويتعوذ منه خلق الله ، فلا مساغ فى الاسلام ـ الذى هو دين فطرى ـ لمثل هذه الحرية .

انما المراد بالحرية التى هى دعامة مهمة من دعائم المجتمع الاسلامى (الدعوى) : اخراج عباد الله من جميع أنواع الرق والعبودية لغير الله ، وتسليمهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ، فلا يعبدون الا الله ، ولا يطيعون أحدا الا اياه ، ولا يوالون غيره ، وتوفير الأمن والاستقرار لهم فى الأرض .

فالانسان حر تماما فى المجتمع الاسلامى ، لا يحد من حريته شىء البتة سوى حق الاسلام الذى تتمثل فيه مصلحته الحقيقية فى العاجلة والآجلة .

وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحرية المنظمة الهادفة فى آيات منها ما يلى :

قال تعالى :

((الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) (١)

---

(١) سورة الأنعام : الآية : ٨٢

ومن أجل تحقيق هذا الأمن والاستقرار أذن الله للمؤمنين أن يهاجروا كما أذن لهم بالقتال في سبيل الله : فقال تعالى :

((والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)) (١)

- وقال تعالى :

((أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير)) (٢)

وكم من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تشير الى أن المجتمع الاسلامي يضمن الأمن والاستقرار لأفراده ضمانا كاملا ، منها :

- قوله صلى الله عليه وسلم :

((ان القوم اذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم)) (٣)

وقوله عليه الصلاة والسلام :

((كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)) (٤)

وقوله صلى الله عليه وسلم :

((من حمل علينا السلاح فليس منا)) (٥)

وقوله صلى الله عليه وسلم :

((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)) (٦)

---

(١) سورة النحل : الآية : ٤١

(٢) سورة الحج : الآية : ٣٩

(٣) رواه أبو داود : ٣/٤٤٩

(٤) متفق عليه واللفظ لمسلم : ١٦/١٢١

(٥) متفق عليه - انظر مسلم : ٢/١٠٧

(٦) متفق عليه - انظر مسلم : ٢/١٢

وقوله عليه الصلاة والسلام :

(١)

((سباب المسلم فسوق وقتاله كفـــر))

ـ وقوله صلى الله عليه وسلم :

((من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة ، فقال (٢)
له رجل : وان كان شيئا يسيرا يارسول الله ـ؟ قال : وان كان قضيبا من آراك))

فتدل هذه الأحاديث والآيات القرآنية على أن المجتمع الاسلامي يوفر لأفـراده الأمن والاستقرار ،كما يمنحهم الحرية الكاملة في شؤونهم الا بحق الاسلام ،فاستفاد المسلمون من هذه الحرية في العهد النبوي والراشدي ،ولكن السياسة الجبرية التي اختارها الخلفاء الذين جاؤا بعد العهد الراشدي ، من الأمويين والعباسيين ـ باستثناء بعض منهم ـ قد ابتزت الأمة حريتها الى حد لم تعد الحياة الاسلامية تستقيم على منهجها الطبيعي وسوف نوضح ذلك في محله ان شاء الله .

---

(١) متفق عليه ،واللفظ لمسلم : ٢/٥٤

(٢) رواه مسلم : ٢/١٥٧

٤ . العدالة والمساواة :

العدالة والمساواة ، متداخلتان احداهما بالأخرى من حيث المعنى ، ومن أجل ذلك أوردناهما تحت عنوان واحد ، فالعدل من أهم مزايا المجتمع الاسلامى ، اذ لا يتصور هذا المجتمع الا والعدل يظلل جميع مجالاته .

- قال الله تعالى : ((واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا (١)))

- وقال تعالى : ((وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون (٢)))

وقال جل شأنه : ((ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون (٣)))

- وقال جلت قدرته : ((يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون (٤)))

وقال جل شأنه :

((فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم وقل امنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير (٥))) .

---

(١) سورة النساء : الآية : ٥٨

(٢) سورة الانعام : الآية : ١٥٢

(٣) سورة النحل : الآية ٩٠

(٤) سورة المائدة : الآية ٨

(٥) سورة الشورى : الآية ١٥

فالمجتمع الاسلامي يتمسك بالعدل وينفي الظلم بناء على عقائده السليمة ، فالمسلم الذي يعتقد اعتقادا جازما بأن الله تعالى واحد وهو أحكم الحاكمين ، وبأنه سوف يقف امام ربه يوم القيامة ليحاسبه حسابا دقيقا ، فلا يميل الى الظلم ولا ينحرف عن جادة العدل .

وكل ما جاء من معاني العدل والمنع عن الظلم في الآيات القرآنية وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحمل في ثناياه الاشارة الى هذه الحقيقة الناصعة .

- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا .))(١)

وقال عليه الصلاة والسلام :

((ان من أحب الناس الى وأقربهم مني مجلسا يوم القيامة : امام عادل وان أبغض الناس الى يوم القيامة وأشدهم عذابا امام جائر))(٢)

وقال عليه الصلاة والسلام :

((من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وان لم يكن حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه .))(٣)

---

(١) رواه مسلم : ١٢/٢١١

(٢) أبو يوسف : كتاب الخراج : ٩

(٣) رواه البخاري : ٥/١٠١

ـ وقال صلى الله عليه وسلم :

((أتدرون ما المفلس ـ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : انّ المفلس من أمتي : من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي : قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار. (١)

ـ وقال عليه الصلاة والسلام :

((اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب)) (٢)

فهذه نبذة من آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تدل على أن المجتمع الاسلامي (الدعوى) يقوم على أساس العدل والانصاف فيما بين أفراده ، ومع الغير والأعداء .

وأما المساواة : فمعناها : أن يؤتى كل امرئ ما يستحقه على قدر عمله أو بلائه في سبيل الله ، دونما نظر الى عرقه أو لونه ، أو ضعفه أو قوته ، ورحم الله أبا بكر رضي الله عنه ـ اذ عبر عن هذا المعنى أدق تعبير وأصدق ، اذ قال في خطبته بعد أن بويع للخلافة :

((والضعيف فيكم قوي عندي ، حتى أرجع عليه حقه ان شاء الله والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله)) (٣)

---

(١) رواه مسلم : ١٦/١٣٥ و ١٣٦

(٢) رواه الترمذي : ٦/١٥٥

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية : ٦/٣٠١

ومما يزيد فى قيمة هذه الخطبة ويرفعها الى مستوى ليس فوقه الا كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم أن قائلها قد طبقها تطبيقا حقيقيا دقيقا فى دولته ، وقدم — هو وزملاؤه الراشدون — أمام العالم مثالا رائعا للمساواة التى صرح بها القرآن الكريم فى قوله تعالى : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير —))(١)

ولنسق الآن بعض نماذج عملية رائعة لهذه المساواة منتزعة من السيرة النبوية الكريمة :

أولا : روى الامام مسلم — رحمه الله — بسنده عن عائشة رضى الله عنها :(٢)

((أن قريشا أهمهم شأن المرأة التى سرقت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الفتح ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم — ؟ فقالوا ومن يجترىء عليه الا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فيها أسامة بن زيد ، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم — فقال : أتشفع فى حد من حدود الله — ؟ فقال له أسامة : استغفر لى يارسول الله ! فلما كان العشى ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فانما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وانى والذى نفسى بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، ثم أمر بتلك المرأة التى سرقت فقطعت يدها)) .

---

(١) سورة الحجرات : الآية : ١٣

(٢) الصحيح : ١١/١٨٧

ثانيا : زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت عمته زينب بنت جحش القرشية من زيد ابن حارثة الذى قضى أياما من حياته فى مكة عبدا ، اشتراه حكيم بن حزام من سوق عكاظ بأربعمائة درهم .(١)

بغض النظر عما حدث فيما بعد من الفراق بينهما ، فسبب ذلك عدم التجانس والاتحاد فى الأفكار والآراء ، ولكن كان هذا الزواج - فى حد ذاته - مثالا عمليا رائعا للمساواة التى هى من أهم ميزات المجتمع الاسلامى الدعوى .

ثالثا : اتبع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صاحبه الجليل أبو حذيفه رضى الله تعالى عنه ، فى تدعيم هذه الدعامة المهمة للمجتمع الاسلامى ، فكان من أشراف قريش ، وكان أبوه عتبة بن ربيعة سيد قومه ، وزوج أبو حذيفة ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة ابن ربيعة ، مولاه سالما وسالم هذا ، كان بعد أن هاجر الى المدينة ، يؤم القوم فى الصلاة ، وفيهم عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، لأن سالما كان أقرئهم قرآنا .(٢)

رابعا : خرج المسلمون الى بدر يريدون عير قريش ، ولم يكن معهم الا سبعون بعيرا وفرسان ، فجعل كل ثلاثة منهم يتناوبون الركوب على بعير واحد ، واحدا بعد واحد ، وكان أبو لبابة وعلى - رضى الله عنهما - زميلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير واحد ، فقالا له : نحن نمشى عنك يارسول الله - ! فقال : " ما أنتما بأقوى منى ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما " فركبوا البعير متناوبين ، وهكذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع مثال للمساواة بين الأمير والمأمورين .(٣)

---

(١) انظر : ابن سعد : الطبقات : ٣/ ٤٠
ابن هشام : سيرة النبى : ١/ ٢٥٢

(٢) ابن سعد : المصدر السابق : ٣/ ٨٦-٨٧
ابن كثير : البداية والنهاية : ٣/ ١٧٤

(٣) انظر : ابن كثير : المصدر نفسه : ٣/ ٢٦٠-٢٦١

خامسا : المهاجرون والأنصار ، يبنون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ولم يتخلف عنهم الرسول الكريم ، حتى قال قائل منهم :

" لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل "

النبي الجليل وأصحابه ، بناؤن ، يبنون بيتا لله ، وينشدون :

" لا عيش الا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

والرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - يعمل معهم ويردد معهم هذه الكلمات (١) . . . .

يا حبذا هذا المنظر البهيج ! وبالروعة حسن هذا المشهد ! وهل شاهد العالم أجمل من هذا المنظر للمساواة ؟

٥ - التكافل .

ان من أهم سمات المجتمع الاسلامي (الدعوى) : ظهور معنى التكافل والتضامن فيما بين المسلمين بأجلى صوره وأشكاله ، بحيث ألقى الدين الحنيف مسئولية بعضهم على كواهل بعض في شئون دنياهم وآخرتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ألا ! كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع ، وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته (٢)))

---

(١) انظر : ابن هشام : سيرة النبي : ٣/١٢٣

(٢) متفق عليه . واللفظ لمسلم : ١٢/٢١٣

وقال عليه الصلاة والسلام :

(ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وشبك أصابعه)(١)

ان هذا التشبيه الرائع يصور لنا بشكل محسوس مؤثر ، العلاقة التى يجب أن تكون بين المسلم وأخيه ، انها علاقة تكاتف وتضامن تامين ، فكما أن أى حجر فى البناء لايستقل وحده فى اتمام البناء ، انما يتم البناء بتكاتف وتضامن حجارته جميعا ، وكذلك المجتمع الاسلامى ، لا تقوم له قائمة الا بتكاتف أعضائه جميعا وأن أى حجر من أحجار البناء الشامخ ليصبح حجرا عاديا ، ملقى على الأرض حين ينفصل عن الحجارة الأخرى ، وهكذا .. فان أى مسلم - مهما كان شأنه - يهون ويضعف ، اذا هو اعتزل مجتمعه وتحلل من واجباته نحوه ، وسلك سلوكا فرديا ، متجاهلا واجبات الجماعة عليه ، ففحياة الجماعة اذن هى ، الى حد بعيد ثمرة تكاتف أعضائها وتعاونهم وتكافلهم .

والتكافل الاجتماعى الذى نور الاسلام سبيله له نواح عدة ، فهناك تكافل معيشى واقتصادى وتكافل سياسى ، وتكافل أدبى ، وتكافل علمى ، وما الى ذلك ، فهذه النواحى كلها اما مادية أو معنوية ، فينقسم التكافل اذن الى القسمين :- التكافل المادى ، والتكافل المعنوى ولعله أشير الى هذين القسمين من التكافل فى قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى خطبته الأولى(٢) التى ألقاها أثر مجيئة المدينة المنورة :

(اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فان لم تجدوا فبكلمة طيبة)(٣)

---

(١) متفق عليه - واللفظ للبخارى : ١/٥٦٥

(٢) انظر ابن هشام : سيرة النبى : ٢/١٢٨

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم : ٧/١٠٢

والجانب المادى من التكافل يشمل الانفاق فى سبيل الله بصورة زكوات وصدقات ، والتعاون فيما بين المسلمين من حاجاتهم المادية المختلفة ، واستيفاء حقوقهم مثل حقوق الأقرباء والأصدقاء والجيران وغيرهم ، فان المجتمع الاسلامى (الدعوى) نشأ فى هذا العالم المادى ، ولا بد له من حاجات مادية يحتاج الى تسديدها ، وقد أشار القرآن الكريم الى هذا الجانب المادى من التكافل فى آياته العديدة ، نذكر منها ما يلى :-

- قال تعالى :

((وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين)) (١)

- وقال تعالى :

((والذين فى أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم)) (٢)

- وقال تعالى :

((فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون)) (٣)

---

(١) سورة آل عمران : الآيتين : ١٣٣ ، ١٣٤

(٢) سورة المعارج : " : ٢٤ ، ٢٥

(٣) سورة الروم : الآية : ٣٨

- وقال تعالى :

((واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين ،والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ،ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا)) (١ ، ٢)

وهناك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة تحمل فى ثناياها المعانى السامية للتكافل الاجتماعى بمعناه الواسع ،وتشمل سائر نواحى المادية والمعنوية ، من شعور الحب والعطف والتراحم ،والتساند والتعاون فى جميع مجالات حياة المسلمين . فنذكر منها ما يلى :-

---

(١) سورة النساء : الآية : ٣٦

(٢) قال ابن حزم - رحمه الله - فى معنى التكافل : " وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك أن لم تقم الزكوات بهم ولا فيئ سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه ،ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ،ومسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة .

برهان ذلك قول الله تعالى : (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل)

وقال تعالى : (وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم)

فأوجب تعالى حق المساكين وابن السبيل وما ملكت اليمين مع حق ذى القربى وافترض الاحسان الى الأبوين وذى القربى والمساكين والجار وما ملكت اليمين ، والاحسان يقتضى كل ما ذكرنا ، ومنعه اساءة بلا شك) المحلى : ٦ / ٤٥٢ ، ٤٥٣

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه)) (١، ٢)ـ

ـ وقال عليه الصلاة والسلام :

((مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .)) (٣)

---

(١) رواه الشيخان واللفظ للبخارى : ١/٥٧

(٢) لو شرح هذا الحديث العظيم الجامع بما يحمل فى ثناياه من المعانى الدقيقة والعميقة لجاءت رسالة ضخمة ، ونود أن نشير الى روح هذا الحديث بايجاز : لا شك ان الانسان يحب نفسه فطريا وأكثر بالنسبة الى غيره ، فجعل الاسلام نفسه ميزانا لحبه ، وقال له : اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين أخيك المسلم فى المجتمع الاسلامى ، فأحبب له ما تحبه لها ، واكره له ما تكرهه لها . فلا تظلمه لأنك لا تحب أن تُظلم ، ولا تفضحه لأنك لا تحب فضيحة نفسك ، وأوف حقه لأنك تحب استيفاء حقوقك ، وأحبب له مستوى المعيش الذى تحبه لنفسك ، وكما تجتهد للحصول على ذلك المستوى اجتهد لأخيك ، أو تعاون معه فى جهده لذلك خير التعاون ، وهلمجرا ... وهذا كله فى المعروف ، أما المنكر ، فلا يحبه ربك لنفسك فكيف تحبه لأخيك ؟

(٣) متفق عليه . واللفظ لمسلم : ١٦/١٤٠

- وقال :

((المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة .))(١)(٢)

- وقال :

((من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه))(٣)

- وقال :

((الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل .))(٤)

- وقال :

((مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه لسيورثنه))(٥)

---

(١) قال ابن حزم - رحمه الله : من تركه بجوع ويعرى - وهو قادر على اطعامه وكسوته - فقد أسلمه . [المحلى : ٤٥٤/٦]

(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٣٤/١٦ ، ١٣٥

(٣) متفق عليه - واللفظ لمسلم : ٢١/١٧

(٤) متفق عليه - واللفظ للبخاري : ٤٣٧/١٠

(٥) متفق عليه : واللفظ لمسلم : ١٧٦/١٦

- وقال :

((والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل : ومن يارسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه -))(١)

- وقال ابن عباس :

((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليس المؤمن الذى يبيت وجاره الى جنبه جائع))(٢)

- وقال عليه الصلاة والسلام :

((ان الأشعريين اذا أرملوا فى الغزو ، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم فى اناء واحد بالسوية ، فهم منى وأنا منهم))(٣)(٤)

- وقال :

((ومن كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له - قال أبو سعيد الخدرى ، راوى الحديث : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل))(٥)

وقال :

((حق المسلم على المسلم ست ، قيل : ماهن يارسول الله -؟

قال : اذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فأجبه ، واذا استنصحك فانصح له ، واذا عطس فحمد الله فشمته ، واذا مرض فعده . واذا مات فاتبعه))(٦)

---

(١) متفق عليه ، واللفظ للبخارى : ١٠/٤٤٣

(٢) رواه الحاكم وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه : المستدرك : ٤/١٦٧

(٣) أرملوا : اى نقص زادهم (ابن الاثير : النهاية : ٢/٢٦٥)

(٤) متفق عليه واللفظ لمسلم : ١٦/٦١ - ٦٢

(٥) رواه مسلم : ١٢/٣٣

(٦) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٤/١٤٣ - ١٤٤

ـ وقال :

((ما من مسلم غرس غرسا ، فأكل منه انسان أو دابة الا كان له صدقة)) (١)

ـ وقال :

((أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى)) (٢ ، ٣)

ولعله قد تبين لنا مما سلف : أن المجتمع الاسلامى ينبغى أن يكون مجتمعا متكافلا متضامنا ، بحيث يستطيع أن يكون الصورة الواقعية للمجتمع الذى يرضى الله ورسوله عنه ، وبحيث يكون أهلا لتحقيق دعوة الله فى واقعه وأهلا لحطها للناس كافة واذا فقدت معانى التكافل والتضامن فى المجتمع ، فانه لا يبقى ذلك المجتمع الذى يرضى الله عنه ورسوله ، ولا يبقى أهلا للقيام بحق الدعوة التى ائتمنه الله عليها ، بل قد لا يكون أهلا للصمود والثبات فى معركة الحياة الدائرة بها .

---

(١) رواه البخارى : ١٠/٤٣٨

(٢) رواه أحمد : المسند : ٢/٣٣

(٣) روى الامام ابن حزم رحمه الله بسنده عن محمد بن على بن أبى طالب يقول : ان الله فرض على الأغنياء فى أموالهم بقدر ما يكفى فقراءهم فان جاعوا ، أو عروا ، أو جهدوا فبمنع الأغنياء ، وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه ـ

وعن ابن عمر أنه قال : فى مالك حق سوى الزكاة ـ

وعن عائشة أم المؤمنين ، والحسن بن على ، وابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهم ـ انهم قالوا كلهم لمن سألهم : ان كنت تسأل فى دم موجع أو غرم مفظع أو فقر مدقع ، فقد وجب حقك .

(المحلى : ٦/٤٥٥)

٦ نظام الأسرة :

الأسرة عبارة عن صورة مصغرة للمجتمع ،اذ المجتمع يتكون من الأسر ،ومن أجل ذلك اهتم الاسلام اهتماما بالغا بنظام الأسرة ، أجله محل الصدارة بين مميزات المجتمع الاسلامى او دعائمه ،والتفصيل فى هذا الباب يقتضى التطويل ،فنشير اختصارا الى جوانب مهمة لهذا النظام .

ان الأسرة تتكون - غالبا - من أب وأم وأولاد ، وبينهم علاقات دقيقة حساسة فهناك علاقة بين الأب والأم ،وهى علاقة الزواج ، وعلاقة بين الأبوين والأولاد ،وعلاقة بين الأولاد ، بين الاخوة والأخوات .

ولقد تناول الاسلام دراسة هذه العلاقات بأسرها بغاية الدقة والاتقان ،وأرشد المسلم الى مبادئ لو التزم بها لبلغ نظام الأسرة الى ذروة مجده وشرفه ،وانتشرت منه نفحات عطرة الى المجتمع الاسلامى (الدعوى) ،واذا تطرق الفساد - لا سمح الله - الى هذا النظام ،تسرب فى المجتمع وبدأ يصمه شيئا فشيئا .

ولم يستحسن الاسلام للمسلم حياة العزوبة ،بل حثه على أن يختار حياة أسرية ، فقال تعالى :

((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ،ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)) (١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((يا معشر الشباب ! من استطاع منكم الباءة فليتزوج ،فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ،فانه له وجاء)) (٢) .

---

(١) سورة الروم : الآية : ٢١

(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ٩/ ١٧٢

واذا استعد المسلم أن يختار حياة أسرية ، وأراد الزواج ، فأرشده الاسلام الى ما يرجحه فى اختياره زوجة يبدأ معها حياته الجديدة ، ويؤسس بمساندتها بناء أسرة صالحة تزيد فى قوة صلاحية المجتمع الاسلامى (الدعوى) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين ، تربت يداك .))(١)

وبعد ما تزوج الرجل امرأة صالحة ، ذات دين وصلاح ، برزت أسرة صغيرة فى بيئة المجتمع الاسلامى ، فيرشد الاسلام الطرفين الى ما فيه صلاحهما فى الدنيا والآخـــرة :

فقال للزوج :

((وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن ، فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا .))(٢)

وقال له الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

((والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته))(٣)

وقال :

((خيركم ، خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى))(٤)

- وقال :

((ان المرأة خلقت من ضلع ، لن تستقيم لك على طريقة ، فان استمتعت بها استمتعت بها ، وبها عوج ، وان ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها))(٥)

---

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٠/٥١

(٢) سورة النساء : الآية : ١٩

(٣) متفق عليه : انظر مسلم : ١٢/٢١٣

(٤) رواه ابن ماجة : ١/٦٣٦

(٥) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٠/٥٧

- وقال :

((ان من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ، ثم ينشر سرها))(١) .

وقال للزوجة :

((الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله))(٢) .

- وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

((والمرأة راعية على بيت زوجها وولده))(٣)

- وقال :

((لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن ، لما جعل الله لهم عليهن من الحق))(٤)

- وقال :

((اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه ، فلم تأته ، فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح))(٥)

فيجب على هذه الأسرة أن تراعي ما قال الله ورسوله في شئونها ، وتسير رويدا تؤدي واجبها نحو المجتمع الاسلامي (الدعوى) ، واذا حدث - لا قدر الله - أي نوع من الخلاف بين الزوجين ، فأرشد الاسلام الزوج الى أن يعالج القضية بغاية الحكمة والتدبر والاتقان :

---

(١) رواه مسلم : ٨/١٠

(٢) سورة النساء : الآية ٣٤

(٣) متفق عليه : انظر مسلم : ٢١٣/١٢

(٤) رواه أبو داود : ٦٠٥/٢

(٥) متفق عليه واللفظ لمسلم : ٨/١٠

فقال الله تعالى :

((واللاتى تخافون نشوزهن ، فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ان الله كان عليا كبيرا ، وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا))(١)

ولم يشجع الزوج على أن يتصور الطلاق حلا وحيدا للأزمات الأسرية ، وأشار الى أن الطلاق هو علاج نهائى يختاره المسلم اذا ضجر وعيى من المسايرة معها بعد ما اختار تدابير لرفع الخلاف الذى حدث بين الزوجين .

وليس الطلاق سدسا دفعه الاسلام الى الزوج ليطلق ناره على المرأة متى شاء وكيف شاء ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ما أحل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق))(٢)

واذا اضطر الزوجان وأهلهما أن يختاروا هذا الحل النهائى للمشكلات العائلية المعقدة فعليهم أن يلتزموا بالنظام الذى أرشد اليه الاسلام بهذا الصدد ، ولا يحاولوا للخروج عنه :

ـــــ فقال الله تعالى : ((يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم ، لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ، فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ، وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ، ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا))(٣)

---

(١) سورة النساء : الآيتين : ٣٤ : ٣٥

(٢) رواه أبو داود : ٢/٦٣١

(٣) سورة الطلاق : الآيتين : ١- ٢

ـ و قـال :

((الطلاق مرتـان فامسـاك بمعروف او تسريح بإحسان ، و لا يحل لكم أن تأخذوا ممـا آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيمـا حدود الله ، فإن خفتم ألا يقيمـا حدود الله فلا جناح عليهما فيمـا افتدت بـه تلك حدود الله فلا تعتدوها و من يتعد حدود الله فـأولئك هم الظالمون . فـان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنـكح زوجا غيره ، فـان طلقها ، فلا جناح عليهمـا أن يتراجعا ان ظنـا أن يقيمـا حدود الله ، و تلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون . و اذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فـأمسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ، و لا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، و من يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، و لا تتخذوا آيات الله هزوا ، و اذكروا نعمت الله عليكم و ما أنزل عليكم من الكتاب و الحكمة يعظكم به ، و اتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم)) (١)

و هناك تفاصيل أخرى فى أحكام الطلاق و الزواج ، اهتم بذكرها الكتاب و السنة ، و على الزوجين التزامها التزاما كاملا .

و بعد ما أشرنا الى العلاقة الدقيقة بين الزوجين ، و الى ما يجب عليهما من رعاية هذه العلاقة الحساسة ، كيما يستمرا الألفة و العودة بينهما ، فينجبا أولادا صالحين ، فيساهموا فى ازدهار المجتمع الاسلامى (الدعوى) ـــ نود أن نشير الى ما يجب على الوالدين نحو الأولاد ، و على الأولاد نحو الوالدين ، و قد جاءت فى ذلك آيات و أحاديث كثيرة نجتزئ فيها بما يلى :

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :

((أكرموا أولادكم ، و أحسنوا آدابهم)) (٢)

ـ و قال :

((من عال (٣) جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا و هو ، و ضم أصابعه .)) (٤)

---

(١) سورة البقرة : الآيات: ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١

(٢) رواه ابن ماجة : ١٢١١/٢

(٣) عال : اى : أنفق عليهما (انظر : ابن الأثير : النهاية : ٣٢١/٣)

(٤) رواه مسلم : ٣٣٤/١

- وقال :

((مروا أولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع))(١)

وقال الله تعالى للأولاد :

((وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا .))(٢)

ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، قيل : من يارسول الله ـ؟ قال : من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة))(٣)

ـ وقال صلى الله عليه وسلم :

((ان من أبر البر صلة الرجل ودّ أبيه بعد أن يولي))(٤)

ولرعاية العلاقة بين الأولاد فيما بينهم ، والعلاقة بين الأقارب ، اهتم الاسلام بابراز صلة الرحم ابرازا يلفت نظر كل مسلم يريد التزام بهادىء الدين الحنيف ، ويحثه على أن يهتم اهتماما بالغا بالعناية بهذه العلاقة التي تربط من أعضاء الأسرة ربطا محكما ومتينا ، فقال الله تعالى

((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا))(٥)

---

(١) رواه أبو داود : ١/٣٣٤

(٢) سورة الاسراء : الآيتين : ٢٣، ٢٤

(٣) رواه مسلم : ١٦/١٠٩

(٤) رواه مسلم : ١٦/١١٠

(٥) سورة النساء : الآية الأولى

ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ان الله خلق الخلق ، حتى اذا فرغ منهم ، قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذاك لك . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرءوا ان شئتم : ((فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ، اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . أفلا يتدبرون القرآن أم على قلـــوب أقفالها .)) (١) (٢)

وهكذا وضع الاسلام نظاما شاملا ومحكما للأسرة ، وهذا النظام له أثر عميـق وبالغ فى بناء المجتمع الفاضل ، بحيث لا تنفصم قوى المجتمع الاسلامى طالما اهتم المسلمون بالمحافظة على نظـام الأسرة ، واذا اختل هذا النظام تأثر به المجتمـــع وتسرب الفساد ـ تسرب الماء الى جذور الحيطان ـ من الأسرة الى المجتمع .

ولم يفسد نظام الأسرة مادام المسلمون ملتزمين بمبادئه التزاما شديدا ، ولما نسى المسلم غاية الزواج وآدابه ، وحسبه وسيلة لتسلية نفسه ولاشباع غرائزه الجنسية فحسب واستغل رخصة التعدد فى الزواج لهذا الغرض ونسى العدل ومقتضاه بهذا الصدد اختل نظام الأسرة وشاع الفساد .

---

(١) سورة محمد : الآيات : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤

(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٦/١١٣

٧- التوازن الاقتصادى :

ان الاقتصاد فى حياة الأمم والشعوب يحل محل العمود الفقرى من الانسان والمال له أثر كبير فى اسعاد الناس والترفيه عنهم ، كما هو عامل من عوامل توفير أسباب القوة ، والمنعة والتقدم الحضارى ، ووسيلة وقوة يصون بها الانسان عرضه وكرامته وبما أن الاسلام دين فطرى ورسالة سماوية خاتمة ، لم يصرف نظره عن المال ولم يعتبره شيئا محظورا يجب أن يجتنب كل الاجتناب .

بل عبر عنه بكلمة (خير)(١) واهتم اهتماما بالغا بحل المشكلات الاقتصادية ، ووضع نظاما ماليا محكما متكاملا متزنا يستفيد منه الانسان فى كل زمان ومكان فى بناء الحياة وتقدمها وفى كرامة الانسان الذى يحيا هذه الحياة .

ولسنا - فى هذا البحث - فى وضع نتكلم فى جميع نواحى هذا النظام المالى والاقتصادى ، فنكتفى باشارات الى بعض جوانبه المهمة :

أولا : ملكية المال -

مما لا شك فيه أن الانسان مولع بالمال ، والرغبة فى تملكه أمر قد وضعه الله فى نفسه(٢) ، فسلب الملكية منه مطلقا أمر مناقض لفطرته ، ومن ثم أقر الاسلام حق الملكية ضمن قيود سنعرض لها ، ومن ثم نسب المال الى من يكتسبه فى غير مكان من القرآن الكريم :

---

(١) قال الله تعالى : (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين) (سورة البقرة : الآية : ١٨٠)

(٢) يدل على ذلك قوله تعالى : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن مآب) (سورة آل عمران : الآية ١٤) وقوله تعالى : (وانه لحب الخير لشديد) (سورة العاديات : ٨)

فقال الله تعالى :

((ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون))(١)

- وقال :

((وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا))(٢) (٣)

كما أنه نبه الانسان الى ألا ينخدع بهذا الاعتراف بملكيته للمال ، فالمالك الحقيقي له ولجميع الأشياء في الكون هو الله سبحانه وتعالى ، وليس الانسان الا خليفته في المال ، استخلفه فيه لينتفع به ، وليؤدي الحقوق الشرعية الواجبة فيه ، وليقوم بالتكاليف التي كلفه الله اياها :

فقال تعالى :

((ولله ملك السماوات والأرض ، والله على كل شيء قدير))(٤)

- وقال تعالى :

((آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير))(٥)

فهنا نرى أن الاسلام قد أقر ملكية المال على أن يراعي المالك أوامر الله في كسبه وادخاره وانفاقه .

---

(١) سورة البقرة : الآية : ١٨٨

(٢) حوبا : (تفتح الحاء وتضم) اثما (ابن الأثير : النهاية : ١/٤٥٥)

(٣) سورة النساء الآية : ٢

(٤) سورة آل عمران : الآية : ١٨٩

(٥) سورة الحديد : الآية : ٧

ثانيا ـ كسب المال :

كسب المال من أهم عناصر الاقتصاد ، ولم يصرف الاسلام نظره عنه ، فبين بالتفصيل حلال الكسب وحرامه ، فقد حرم الربا ، والاحتكار والقمار وأكل مال اليتيم ، وأحل البيع والشراء الشرعيين الى غير ذلك من التفاصيل التى تكفلت كتب الفقه ببيانهما ، وحسبنا ههنا أن نذكر بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المتعلقة بذلك :

قال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون))(١)

وقال : ((يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما))(٢)

ـ وقال :

((الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس(٣) ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا))

ـ وقال :

((يا أيها الذين آمنوا ، انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون))(٥) .

---

(١) سورة المائدة : الآيتين : ٨٧ و ٨٨
(٢) سورة النساء : الآية ٢٩
(٣) سورة البقرة : الآية : ٢٧٥
(٤) الميسر هو القمار (انظر : ابن الأثير : النهاية : ٥/٢٩٦)
(٥) سورة المائدة : الآية : ٩٠

ـــ وقال :

((ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ، انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا)) (١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ان الحلال بين وان الحرام بين ،وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من النـــاس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ،ومن وقع فى الشبهات ،وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ،ألا وان لكل ملك حمى ،ألا وان حمى الله محارمه ،ألا ، وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت ،فسد الجسد كله ،ألا ،وهى القلب)) (٢) .

ـ وقال :

((لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما فعل ،وعن ماله : من أين اكتسبه وفيما أنفقه ،وعن جسمه فيما أبلاه .)) (٣)

ـــ وقال جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ

(لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ، وموكله وكاتبه وشاهديه وقال : هم سواء .)) (٤)

ـــ وقال عليه الصلاة والسلام :

((من احتكر فهو خاطئ ـ اى آثم ـ) (٤-٥)

---

(١) سورة النساء : الآية : ١٠

(٢) متفق عليه ،واللفظ لمسلم : ١١/٢٧-٢٨

(٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح : ٧/١٠١

(٤) رواه مسلم : ١١/٢٦

(٥) قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : (المحتكر هو الذى يعمد الى شراء ما يحتاج اليه الناس من الطعام فيحبسه عنهم ويريد اغلاءه عليهم وهو ظالم للخلق المشترين ،ولهذا كان لولى الأمر أن يكره الناس على بيع ما عندهم بقيمته المثل عند ضرورة الناس اليه ،مثل من عنده طعام لا يحتاج اليه والناس فى مخمصة فانه يجبر على بيعه للناس بقيمة المثل ـ) (الحسبة :ص ١٥)

ـــ وقال : (وأما اذا امتنع الناس من بيع ما يجب عليهم بيعه ،فهنا يؤمرون بالواجب ويعاقبون على تركه . وكذلك من وجب عليه أن يبيع بثمن المثل فامتنع أن يبيع الا بأكثر منه فهنا يؤمر بما يجب عليه ويعاقب على تركه بلا ريب) (الحسبة :ص ٣٣)

ثالثا ـ الانفاق :

لم يمنح الدين أهله الحرية المطلقة فى أن ينفقوا أموالهم التى خولهم الله ، حسب ما بدا لأنفسهم ، بل حدد لهم الحدود وحذرهم من أن يقعوا فى الافراط والتفريط فى الانفاق ، فالافراط فى هذا المجال ـ الذى يعبر عنه بالاسراف والتبذير ـ يوصل الأمة الى حياة البذخ والترف ، التى تفضى الى التحلل والانهيار ، كما أن التفريط ـ الذى يعبر عنه بالشح والبخل ـ له نتائجه السيئة فى الخلق والعلاقات الاجتماعية ، وفى حياة الأمة وسيرتها الحضارية .

فأرشد الدين الحنيف الى الطريق الوسط فى الانفاق ، الذى يحفظ الأمة من أن تقع فى مهاوى النتائج المهلكة .

ونذكر بهذا الصدد بعضا من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة :ـ

قال الله تعالى : ـ

((وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين)) (١)

ـ وقال تعالى :

((والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)) (٢)

ـ وقال :

((ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا)) (٣)

ـ وقال : ((فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)) (٤) (٥)

ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة ، والتودد الى الناس نصف العقل ، وحسن السؤال نصف العلم)) (٦)

---

(١) سورة الأعراف : الآية : ٣١
(٢) سورة الفرقان : الآية : ٦٧
(٣) سورة الاسراء : الآية ٢٩
(٤) أعطى : أى بذل ماله فى وجوه الخير ـ (انظر : الشوكانى : فتح القدير : ٥/٤٥٢
(٥) سورة الليل : الآيتين : ٧ ـ ٨
(٦) ابن الجوزى : صفة الصفوة : ١/٢١٢

- وقال :

((كل واشرب والبس وتصدق فى غير سرف ولا مخيلة (١))) (٢)

- وقال :

((اتقوا الشح (٣) فانه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)) (٤)

رابعا - معالجة الفقر :

مشكلة الفقر تحدث فى المجتمع بسوء التنظيم الاقتصادى فى حدود قضاء الله وقدره ، فتؤدى الانسان تارة الى اختيار المكاسب المحرمة ، وتارة الى اثارة الفساد والطغيان فى المجتمع .

ولم يترك الاسلام هذه المشكلة الانسانية المعقدة على حالها ، بل عالجها بغاية الدقة والتوازن بحيث لو اختار العالم الانسانى هذه المعالجة لانحلت هذه المشكلة ونذكر من هذه المعالجة الدقيقة بعض نواحيها المهمة فيما يلى :

١- أوضح الاسلام الحقيقة الناصعة بأن التفاضل فى الأرزاق أمر اقتضته حكمة الله تبارك وتعالى ، فهو كتفاضلهم فى المواهب والملكات ، وفى الغباوة والذكاء ، وفى الجمال والدمامة ، وفى البياض والسواد ، وفى قصر القامة وطولها ، وفى ضعف الجسم وقوته ، فهذه صفات فطرية خلقها الله تعالى كما شاء وليس فى مقدرة أى انسان - مهما كان عبقريا متفوقا فى العلم والحكمة والبصيرة والسلطة - أن يغير هذه الصفات كما تريده نفسه وكذلك الرزق بيد الله تعالى ، يعطى ما يشاء منه لمن يشاء من عباده ـــــ

---

(١) مخيلة : (بكسر الخاء وسكون الياء) الكبر (ابن الأثير : النهاية : ٢/٩٣)

(٢) الصنعانى : سبل السلام : ٤/٢١٠

(٣) الشح : أشد البخل (ابن الأثير : المصدر السابق : ٢/٤٤٨)

(٤) رواه مسلم : ١٦/١٣٤

دون أن تكون هنالك رابطة حتمية بين الجهد المبذول والرزق المحصل ، على أنه لابد من السعى والعمل ، فان السماء لا تمطر ذهبا وان الأرض لا تنبت فضة .

فقال الله تعالى :

(من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) (١)

وقال :

(ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، انه كان بعباده خبيرا بصيرا) (٢)

فعلى الانسان أن يعترف بهذه الحقيقة الناصعة ويقتنع بها ، وينظر نظرة المشاهدة فيما حوله ، كم من ساع للرزق ، يتعب نفسه فى سعيه ، ويجهد جهدا كبيرا متواصلا للحصول عليه ، والعرق يسيل من مفرقه الى ساقه ، ولا يحصل الا على ما قدر له .

وكم من ساع للرزق جالس فى مكتبه ، يكسب المبالغ الهائلة فى لحظة واحدة ، وبمكالمة هاتفية . فهذه الحقيقة تابعة لحكمة ما شاء الله تبارك وتعالى .

٢- ثم طمأن الفقراء الى أن هذا التفاضل فى الرزق انما هو فى هذه الدنيا فحسب ، أما الآخرة - وهى دار القرار - فيعتبر هناك كل سعى قام به الانسان وهو مؤمن . فعليه أن يصرف النظر عما فيه الآن . وينظر الى ما فى الآخرة ، لأن كل سعى لها يأتى هناك بثمرة اضعافا مضاعفة .

قال الله تعالى : (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ، فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا)) (٣)

---

(١) سورة الأسراء : الآية : ١٨

(٢) سورة الأسراء : الآية : ٣٠

(٣) " " : الآيات : ١٩-٢٠-٢١

وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال :

((قالت أم حبيبة ، زوج النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم امتعنى بزوجى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبأبى ، أبى سفيان ، وبأخى معاوية . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد سألت الله لآجال مضروبة ، وأيام معدودة ، وأرزاق مقسومة ، لن يعجل شيئا قبل حله أو يؤخر شيئا عن حله ، ولو سألت الله أن يعيذك من عذاب فى النار أو عذاب فى القبر ، كان خيرا وأفضل)) (١)

٣ـ وأرشد الفقراء الى اختيار القناعة والرضا بما قسم الله تعالى لهم فى الأرزاق والى اختيار التعفف والصبر : فقال تعالى :

((ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شىء عليما)) (٢)

ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه)) (٣)

ـ وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ

((أن أناسا من الانصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، حتى اذا نفد ما عنده قال : ما يكن عندى من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد من عطاء خيرا وأوسع من الصبر)) (٤)

---

(١) رواه مسلم : ١٦ / ٢١٢ و ٢١٣

(٢) سورة النساء : الآية : ٣٢

(٣) رواه مسلم : ٧ / ١٤٥

(٤) رواه مسلم : ٧ / ١٤٤ - ١٤٥

٤- حث الأغنياء على التصدق على الفقراء والمساكين ، ومد يد العون اليهم من غير من ولا أذى ، وأفهمهم أن في مالهم حقا معلوما للسائل والمحروم ، وبين لهم أن اظهار الصدقة دون رياء لا بأس به ، ولكن اخفاءها خير وأحب الى الله ، لأن فيه صيانة لنفس المتصدق من الرياء ، ورعاية لمشاعر الفقراء ، وكرامة للذين لا يسألون الناس من التعفف .

قال الله تعالى :

((يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا ، والله لا يهدي القوم الكافرين . ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فان لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير))(١)

- وقال :

((ان تبدوا الصدقات فنعما هي ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير))(٢)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((سبعة ، يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله . . . وذكر منهم - ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله))(٣)

---

(١) سورة البقرة : الآيتين : ٢٦٤ - ٢٦٥

(٢) سورة البقرة : الآية : ٢٧١

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم : ٧/ ١٢١ ، ١٢٢

٥- ومن جهة أخرى علم الفقراء ألا يبقوا متطلعين الى ما يساعدهم الأغنياء من أموالهم ، وحثهم على اختيار العمل ،لأن العمل هو السبب لتحصيل الرزق ، وهو الذى يحفظ كرامتهم ، فلا يذلوها بمد أيدى السؤال،ويختاروا حياة التعفف؛ فقال الله تعالى :

((هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه)) (١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يديه ،وأن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يديه)) (٢)

- وقال :

((والذى نفسى بيده ، لأن يأخذ أحدكم حبله ، فيحتطب على ظهره ،خير له من أن يأتى رجلا فيسأله ،أعطاه أو منعه)) . (٣)

- وقال :

((لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم)) (٤)

- وقال :

((اليد العليا خير من اليد السفلى ،واليد العليا المنفقة ،والسفلى : السائلة)) (٥)

---

(١) سورة الملك : الآية : ١٥

(٢) رواه البخارى ٤/٣٠٣

(٣) متفق عليه واللفظ للبخارى : ٣/٣٣٥

(٤) متفق عليه واللفظ لمسلم : ٧/١٣٠

(٥) " " " : ٧/١٢٤

وعن عوف بن مالك الأشجعي (١) - رضي الله عنه - قال :

((كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة ، أو ثمانية ، أو سبعة ، فقال : الا تبايعون رسول الله - ؟ وكنا حديث عهد ببيعته ، فقلنا : بايعناك يا رسول الله - ثم قال : ألا تبايعون رسول الله -؟ فقلنا :قد بايعناك يارسول الله ، ثم قال : ألا تبايعون رسول الله - ؟ قال : فبسطنا أيدينا وقلنا : قد بايعناك يارسول الله ، فعلام نبايعك -؟ قال : على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ،والصلوات الخمس ،وتطيعوا (وأسر كلمة خفيفة) والا تسألوا الناس شيئا . فلقد رأيت بعض أولئك النفر ،يسقط سوط أحدهم ، فما يسأل أحدا يناوله اياه (٢))

وهكذا قوم الاسلام جميع جوانب حياة الانسان الاقتصادية،فعلى كل مسلم أن يراقب مكاسبه يجتنب المحارم والمشتبهات ،كما يجب عليه أن يكون حكيما في انفاق المال ، فلا يسرف ولا يبخل ،وان كان غنيا فعليه أن يراعي مصالح الفقراء والمساكين بزكواته وصدقاته ،بل يبالغ في البحث عن الفقراء المستحقين لينفق عليهم وينال بذلك فضل الانفاق في سبيل الله الذي اهتمت بذكره الآيات القرآنية والاحاديث النبوية .

وان كان فقيرا ، فليكن أبيا متعففا ، وليلتمس طرق المعاش الشريف ولو بالاحتطاب من الجبال ،وليتجنب السؤال ،ولا يقبل الصدقات الا مضطرا وفي حدود اضطراره فحسب .

---

(١) هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي ،كان يكنى أبا عبد الرحمن أو أبا حماد أو أبا عمرو، على اختلاف الروايات ، أول مشاهده خيبر ، سكن الشام وتوفي بدمشق سنة ثلاث وسبعين (انظر:ابن الأثير: أسد الغابة :٤/ ٢١٢)

(٢) رواه مسلم : ٧/ ١٣٢

٨- العلم والتعليم :

المميزة الثامنة من مميزات المجتمع الاسلامى المهمة : العلم والتعليم ، لم تظهر رسالة الاسلام الا والعلم يغمرها من جوانبها ، واهتم الاسلام اهتماما بالغا بالعلم ،اذ استعمل القرآن الكريم (كلمة العلم) ومشتقاتها أكثر من سبعمائة مرة ، (١) وأول وحى نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحمل فى ثناياه ذكر العلم والتعليم بالقلم : فقال الله تعالى :

((اقرأ باسم ربك الذى خلق ،خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ،علم الانسان مالم يعلم)) (٢)

- وأنزل بعده : (٣)

((ن ، والقلم وما يسطرون)) (٤)

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((طلب العلم فريضة على كل مسلم)) (٥)

وهناك نوعان للعلم نستطيع أن نعبر عنهما :

١- بعلم الأشياء .

و

٢- علم خالق الأشياء

---

(١) انظر : محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن : مادة العلم

(٢) سورة العلق : الآيات : ١-٢-٣-٤-٥

(٣) انظر : السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن : ٤٢

(٤) نود أن نشير - بهذه المناسبة - الى ما كتبه العلامة الامام ابن قيم رحمه الله عن العلم والقلم فى كتابه (التبيان فى أقسام القرآن) فقد أورد - رحمه الله - بحثا قيما دقيقا يقوى الايمان ويغذى الوجدان ، انظرمن ص ١٢٦ الى ١٣٧ .

(٥) مسند الامام أبى حنيفة : كتاب العلم.
وابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله : ١/ ٧

فعلم الأشياء :-

هو العلم الذى يبحث فيه عن الأشياء الموجودة فى هذه الخليقة وعن حقائقها وخواصها ، فجميع أنواع علم الكون والحياة يقال لها : علم الأشياء .

وعلم خالق الأشياء :-

هو علم الأديان ، العلم الذى يوصل الانسان الى معرفة رب العالمين ويقربه به ، وهو الذى خلق الأشياء بأجمعها فى الكائنات . فعلوم الكتاب والسنة وعلوم العقائد والعبادات كلها تدخل فى هذا النوع للعلم .

- وأشار الله سبحانه وتعالى الى علم الأشياء بقوله :-

((وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين (١) . قالوا سبحانك ، لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم .))

- وأشار الى علم خالق الأشياء بقوله :

((ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد (٢) بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور (٣)))

والفضل للعلم الذى يوصل الانسان الى معرفة ربه ، سواء حصل ذلك من علم الأشياء أو علم الأديان .

والمهم فى الاسلام أن يكون العلم نورا ينير أمام الانسان الطريق الذى يوصله الى ربه ، فاذا حصل هذا من علم الأشياء فهو المطلوب ، وليس هنالك ـــــ

---

(١) سورة البقرة : الآيتين : ٣١ ، ٣٢

(٢) الجدد : جمع جدة : وهى الطريق - والغرابيب : جمع غربيب : الشديد السواد الذى يشبه لونه لون الغراب . والمعنى : أن الله سبحانه أخبر عن جدد الجبال وهى طرائقها أو الخطوط التى فيها - بأن لون بعضها البياض ولون بعضها الحمرة ، ومن الجبال غرابيب على لون واحد وهو السواد - (انظر : الشوكانى : فتح القدير : ٤/٣٤٧ - ٣٤٨) .

(٣) سورة فاطر : الآيتين : ٢٧-٢٨

أى تباعد - فى الحقيقة - بين العلمين ، لأن علم الأشياء اذا دارسه الانسان بفكره السليم ، لن ينكر رب الكائنات ، بل يصبح ايمانه - فى بعض الأحيان - برب العالمين أقوى وأرسخ من ايمان الدارس لعلم الأديان ، اذ أن الثانى عرف ربه بمجرد ايمانه بما قرأه فى الكتب المختصة ، وقد يكون ايمانه قويا وقد يكون ضعيفا ، ولكن الأول وصل الى معرفة ربه عن طريق مشاهداته فى الأشياء ، مما أودعه الله تعالى فيها من العجائب التى تحير النفوس وتدهش العقول ، فمن الطبيعى جدا أن يكون ايمانه قويا ، ومن أجل ذلك حض القرآن الكريم الانسان على التفكير فيما خلقه الله تعالى فى هذا الكون فقال :-

((ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ، فقنا عذاب النار))(١)

ومما لا ريب فيه أن الأشياء تدل على ربها بصورة مباشرة ، وحقائق الأشياء تبرز عظمة ربها وخالقها ، كما قال الشاعر:

وفى كل شىء له آية xxxx تدل على أنه واحد

وعلم الأشياء وسيلة كبيرة لاهتداء الانسان الى طريق يوصله الى ربه ، ولذلك استدل القرآن الكريم على وحدانية الله تعالى وعلى وجوده بالأشياء الموجودة فى هذا الكون والآيات القرآنية عديدة بهذا الصدد منها :

قوله تعالى :-

((نحن خلقناكم فلولا تصدقون . أفرأيتم ما تمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون . ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون . أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ـــــــــــــــ

---

(١) سورة آل عمران : الآيتين : ١٩٠ و ١٩١

لو نشاء لجعلناه حطاما[1] فظلتم تفكهون[2] . انا لمغرمون ، بل نحن محرومون . أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن[3] أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا[4] فلو لا تشكرون . أفرأيتم النار التى تورون[5] . أأنت أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ، نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين[6] . فسبح باسم ربك العظيم))[7]

- وقوله تعالى :-

((أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى[8] ، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصره وذكرى لكل عبد منيب))[9]

---

(١) حطاما : اى متحطما متكسرا ، والحطام : الهشيم الذى لا ينفع به ولا يحصل منه حب ولا شىء .

(٢) تفكهون : أى تتعجبون فيما نزل بكم فى زرعكم .

(٣) المزن : أى السحاب .

(٤) الأجاج : الماء الشديد الملوحة الذى لا يمكن شربه .

(٥) تورون : تستخرجونها بالقدح من الشجر الرطب ، يقال : أوريت النار : اذا قدحتها .

(٦) المقوين : المستمتعين بالنار من الناس أجمعين فى الطبخ والخبز والاصطلاء والاستضاءة (انظر لهذه المعانى : الشوكانى : فتح القدير : ٥/٥٧ و ١٥٨)

(٧) سورة الواقعة : الآيات : من ٥٧ الى ٧٤

(٨) رواسى : جمع راسية : الجبال الثوابت (الشوكانى : المصدر نفسه : ٥/٧٢)

(٩) سورة ق : الآيات : ٦-٧-٨

والمستوى الرفيع الذى عينه الاسلام للعلم هو : معرفة الله سبحانه وتعالى ، واطاعة أمره ، فالانسان الذى يعرف ربه ، ويطيع أوامره ، ويكف عما نهاه عنه ، ويخشاه فى سره وعلانيته ، يعتبر عالما فى الاسلام . والذى لا يعرف ربه ، ولا يطيع أوامره ، ولا يكف عما نهاه عنه ، ولا يخشاه فى سره وعلانيته ، يعتبر جاهلا فى الاسلام مهما ارتفع شأنه فى ادراك حقائق الأشياء وعلمها ، وقد صرح بذلك كتاب الله تعالى فقال :

((أمن هو قانت أناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولوا الألباب .)) (١)

ـ وقال :

((وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)) (٢)

والمجتمع الاسلامى يؤكد الجانبين من العلم ، فاذا أوجب على المسلم أن يتعلم ما يضمن نجاحه فى الآخرة من علم الكتاب والسنة ، والعقائد السليمة وأحكام العبادات والمعاملات ، (٣) لم يصرف نظره عن حض المسلم على تحصيل علم الأشياء ، لأن هذا الجانب من العلم قد يكون مساعدا كبيرا لمصلحته الدعوية ، وقد يكشف أمامه آفاقا من الحقائق ـ

---

(١) سورة الزمر : الآية : ٩

(٢) سورة العنكبوت : الآية : ٤٣

(٣) قال المحدث المجتهد ابن عبد البر : (ومن الضرورى أيضا علم الناس أن فى الدنيا مكة والهند ، ومصر والصين ، وبلدانا عرفوها ، وأمما قد خلت . . . والعلوم عند جميع أهل الديانات ثلاثة : علم أعلى ، وعلم أسفل ، وعلم أوسط . فالعلم الأعلى عندهم علم الدين الذى لا يجوز لأحد الكلام فيه بغير ما أوله الله فى كتبه وعلى ألسنة أنبيائه ـ صلوات الله عليهم ـ نصا . والعلم الأوسط : هو معرفة علوم الدنيا التى يكون معرفة الشىء منها بمعرفة نظيره ، ويستدل عليه بجنسه ونوعه كعلم الطب والهندسة ، والعلم الاسفل : هو أحكام الصناعات وضروب الأعمال ، مثل السباحة والفروسة والزى والتزويق والخط وما أشبه ذلك من الأعمال التى هى أكثر من أن يجمعها كتاب أو يأتى عليها وصف ، وانما تحصل بتدريب الجوارح فيها ـ) (جامع بيان العلم وفضله : ٢/٣٧) .

والمعارف ، ويفتح عليه أبوابا من العجائب والبدائع، ويتيح له ما يقويه فى سيادته للعالم ، وأفادته من ذخائره المكنونة ، ويشير الى ذلك قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

((الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها))(١)

بل أوجب عليه ـ على الكفاية ـ تحصيل هذه العلوم اذا كانت الدعوة تقتضيها ، فقال الله تعالى :

((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ،الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون))(٢)

* وقال عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ :(٣)

((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، الا ! ان القوة : الرمى ،الا ! ان القوة : الرمى ، الا ! ان القوة : الرمى))(٤)

---

(١) رواه الترمذى : ٧/ ٤٥٨

(٢) سورة الأنفال : الآية : ٦٠

(٣) هو عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهنى الأنصارى ، أسلم بالمدينة و شهد فتوح الشام ، هو كان البريد الى عمر ـ رضى الله عنه ـ بفتح دمشق ، كان أحسن الناس صوتا ، كان من أصحاب معاوية ـ رضى الله عنهما ـ ولّى له مصر ، وتوفى بها سنة ثمان وخمسين .
(انظر : ابن الأثير : أسد الغابة : ٤/ ٥٣ ـ ٥٤)

(٤) رواه مسلم : ١٣/ ٦٤

فالرمى كان قوة قوية فى الحرب، فى عهده صلى الله عليه و سلم، فحض عليه، وضرب المثل لأمته باقتباس بعض أساليب الحرب و الدفاع مما لم تكن تعرفه العرب ، فحفر الخندق (١) فى غزوة الأحزاب ، وكان ذلك أسلوبا من أساليب الدفاع عند الفرس ، وكذلك استعمل المنجنيق فى غزوة الطائف، وقيل هو أول منجنيق رمى به فى الاسلام ، وكان أرشد (٢) اليه سلمان الفارسى ، كما أمر صلى الله عليه و سلم زيد بن ثابت الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ بتعلّم اللغة السريانية ، ليكون بذلك مطلعا على ما كان يجرى بين اليهود (٣) من المؤامرات .

وهكذا ترك الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم لأمته أمثلة تقدر أن تتأسى بها فى اقتباس الأساليب الجديدة و الأسلحة الحديثة فى حروبها و دفاعها فى كل زمان ومكان .

وقد فسر المفسرون " القوة " : بما يتقوى به فى الحرب من أنواع السلاح ، (٤) فاذا أصبحت علوم الأشياء من العلم، و الطب، و الرياضيات ، و الهندسة ، و الكيمياء و الفيزياء و الاقتصاد ، وما الى ذلك مما يتقوى به فى الحرب، سواء كانت الحرب حامية او باردة (٥)، او حرب الأعصاب (٦) ، وجب على المسلم ـ على الكفاية ـ تحصيل هذه العلوم، ليتفوق به على أعدائه، و يستفيد منها فى سبيل دعوته ـ

---

(١) انظر : ابن هشام : سيرة النبى : ١٦٨/٣

(٢) " :ابن هشام : المصدر نفسه : ١٤٩/٤

" : ابن كثير : السيرة النبوية : ٦٥٨/٣

" : الحلبى : السيرة الحلبية : ١٣٤/٣

(٣) " : الترمذى : : ٤٩٧/٧

(٤) " : الشوكانى : فتح القدير : ٢/ ٣٢٠

(٥) الحرب الباردة : هى حرب تتصارع فيها الدول من غير أسلحة .

(٦) حرب الأعصاب : هى الحرب التى تعتمد على فنون الدعاية و المؤامرات .

ولو قصر المسلمون جميعا فى أداء هذا الواجب ، فاضمحلت الدعوة فى شق طريقها ، حاسبهم الله جميعا (١) .

---

(١) كان لهذا الحكم الشرعى ـ " وأعدوا لهم ما استطعتم " ـ وما اليه من تعاليم الاسلام ، أثره البالغ فى ازدهار الحضارة الاسلامية . فما ان اتصل المسلمون بالأمم الأخرى حتى أقبلوا على ما عندها من علوم ومعارف ، يترجمونها الى اللغة العربية ، ويصححونها ، ويضيفون اليها الكثير من قرائحهم ، مما ولّد على أيديهم ، وبجهودهم العبقرية ، تلك الحضارة الاسلامية الباذخة ، التى كانت ـ كما نعلم ـ من أجلّ مصادر الحضارة الغربية المعاصرة .

وان كان لنا ما نقوله بهذه المناسبة فى ترجمة المسلمين علوم الأوائل ، فهو : اننا نتمنى ، لو أنهم اقتصروا على ترجمة ما يسمى اليوم بالعلوم (Sciences) ، كالرياضيات ، والفيزياء والكيمياء ، وما يتبعها من طب وصيدلة .... الخ ، ثم اننا نتمنى ـ ايضا ـ لو نظّم الاشتغال بهذه العلوم الكونية المترجمة و " المكتشفة " ، بحيث لا يتولاّه الا الذين أوتوا ـ الى جانب استعداد معين ـ القدر الكافى من التربية و التكوين الاسلاميين ، اذن لضمنا المزيد من التماسك والتجانس فى تاريخ المسلمين الفكرى ....

وما أجدرنا ، بأن نحتفظ بما مضى ، فننظم ـ الآن ـ الأخذ عن الغرب ، بعد أن أخذوا منا الكثير ، ونقصره على العلوم التطبيقية ونتائجها ، ثم نولى الاشتغال بهذه العلوم من أبنائنا من أوتوا ـ الى جانب الشروط الموضوعية المعروفة ـ حظا كافيا من المعرفة بدينهم ، والتمثل له ، والقدرة على النظر الى الأمور من خلال الموازين والقيم الاسلامية ...

ولا شك ان هذا المطلب جليل الخطر ، وعليه يتوقف مستقبل أمتنا الحقيقى ، وهو يستدعى ـ فى الحقيقة ـ اعادة النظر فى نظم التربية والتعليم القائمة فى العالم الاسلامى جميعا .

ولقد رفع الله تعالى منزلة العلماء الى حد لا حد فوقه ، حيث ذكرهم قرنا اياهم بنفسه وملائكته في الشهادة بوحدانيته تعالى ، فقال :

((شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم))(١)

فالمجتمع الاسلامي - على كل حال - مجتمع علم وحضارة ، وحريص على أن يكون أعضاؤه مضطلعين بأعباء العلوم ، علوم الدين وعلوم الكون والحياة ، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل العلم وحسبنا ذكر بعضها فيما يلي :

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((لا حسد الا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها))(٢)

ـ وقال :

((يا أبا ذر ! لأن تغدو فتعلم أية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم ، عمل به أو لم يعمل ، خير لك من أن تصلي ألف ركعة))(٣)

ـ وقال :

((يا عائشة ! ليكن شعارك العلم والقرآن))(٤)

---

(١) سورة آل عمران : الآية : ١٨

(٢) متفق عليه : واللفظ للبخاري : ١/ ١٦٥

(٣) رواه ابن ماجة : ١/ ٧٩

(٤) مسند الامام أبي حنيفة : كتاب العلم .

٩- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شعار هذه الأمة ، ووظيفة جوهرية لهذه الأمة الوسط ، وهى دعامة مركزية من دعائم المجتمع الاسلامى .

قال الله تعالى :

((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) (١)

- وقال :

((ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)) (٢)

- وقال :

((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم)) (٣)

- وقال :-

((والعصر ، ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)) .

---

(١) سورة آل عمران : الآية : ١١٠

(٢) سورة آل عمران : الآية : ١٠٤

(٣) سورة التوبة : الآية : ٧١

فالتواصي بالحق (١) : معنى شامل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويدل على أهمية هذا المعنى ما روى (٢) عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الرجلين منهم كانا كلما التقيا ، لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر بسورة العصر.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان (٣)))

- وقال :

(والذى نفسى بيده ، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، فتدعونه فلا يستجيب لكم (٤))

- وقال :

(من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر هو خليفة الله فى الأرض وخليفة كتابه وخليفة رسوله (٥)) .

---

(١) انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ٤/ ٥٤٨
الشوكانى : فتح القدير : ٥/ ٤٩٢

(٢) انظر ابن كثير : المصدر نفسه : ٤/ ٥٤٧
الشوكانى : المصدر نفسه : ٥/ ٤٩١

(٣) متفق عليه : واللفظ لمسلم : ٢/ ٢٢ و ٢٥

(٤) رواه الترمذى : ٦/ ٣٩١

(٥) كنز العمال : ٣/ ٣٩ (رواية عن الديلمى عن ثوبان)

ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :

((جمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن اربعون ،قال عبد الله : فكنت آخر من أتاه ، فقال : انكم مصيبون ومنصورون ومفتوح لكم ، فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار))(١)

١٠ـ الحياطة البالغة في العلاقات :

ان علاقة الأمة الاسلامية بالأمم الأخرى ـ علاقة دعوة وارشاد ، فمن سمات المجتمع الاسلامي ، الحياطة البالغة في هذه العلاقة ، ألم تر أن الله ورسوله قد حددا لهذه العلاقات حدودا يجب على الأمة أن تلتزمها ، فالموقف حرج جدا ،والافراط أو التفريط فيه ربما يخرج الأمة عن كيانها الدعوى ، ونريد أن نشير ـ بايجاز ـ فيما يأتي الى نوعية هذه الحدود والى دقة هذه العلاقة :

هناك ناحيتان مهمتان لهذه العلاقة ،وهما : الموالاة والمداراة

فالموالاة : عبارة عن الولاء والمحبة فيما بين الناس من صميم الفؤاد .

وهي خاصة بالمسلمين فحسب ، فلا يسمح لأفراد المجتمع الاسلامي ـ في حال من الأحوال ـ أن تتوثق بينهم وبين الكفار والمشركين علاقة الموالاة ، فقال الله تعالى : ـ

((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا))(٢)

---

(١) مسند الامام أحمد : ٥/٢٣٧ (تحقيق محمد أحمد شاكر)

(٢) سورة النساء : الآية : ١٤٤

ـ وقال تعالى :

((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين (١))) .

ـ وقال :ـ

((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ، ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ، تسرون اليهم بالمودة ، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل (٢)))

والمداراة :

معناها (٣) : الملاينة ، وخفض الجناح للناس ، ولين الكلمة ، وترك الاغلاظ لهم فى القول (٤) ـ ويجيز الاسلام اصطناع هذه العلاقة مع غير المسلمين فى الحالات الثلاث الآتية :ـ

أولا : دفع الضرر

وأشير الى ذلك فى قوله تعالى :

(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير (٥))

---

(١) سورة المائدة : الآية :٥١

(٢) سورة الممتحنة : الآية الأولى

(٣) انظر ابن الأثير : النهاية : ٢/ ١١٥
ابن منظور :لسان العرب : ١٤٠/ ٢٥٥

(٤) انظر ابن حجر : فتح البارى : ١٠/ ٥٢٨

(٥) سورة آل عمران : ٢٨

ويستفاد من الآية الكريمة أنه يجوز اظهار الموالاة للكفار والمشركين اظهارا فحسب اذا خاف على نفسه وتلك هى المدارأة .

قال الشوكانى (١) :

(أخرج ابن جرير وابن المنذر ، وابن أبى حاتم من طرق عنه ،قال : نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة من دون المؤمنين الا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين ، فيظهرون عليهم اللطف ويخالفونهم فى الدين ، وذلك قوله تعالى : (الا أن تتقوا منهم تقاة)

وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت :

(ان رجلا استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أئذنوا له ، فلبئس ابن العشيرة ،أو بئس رجل العشيرة ، فلما دخل عليه ألان له القول ، قالت عائشة : فقلت : يارسول الله ! قلت له الذى قلت ،ثم ألنت له القول ؟ قال : ياعائشة ! ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه ، أو تركه الناس اتقاء فحشه) (٢)

ثانيا : رجاء هدايتهم -

أى يجوز مداراة الكفار والمشركين رجاء هدايتهم ،أى من أجل مصلحة الدعوة وهذا الباب واسع جدا ، فكل ما صدر من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مداراتهم الكفار والمشركين ، يدخل تحت هذا الباب ، ولقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا النوع من مداراة الكفار والمشركين فى عدة آيات من كتابه العزيز ، منها :-

---

(١) فتح القدير : ١/ ٣٣٢

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم : ١٦/ ١٤٤

ـ قوله تعالى :

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)(١)

ـ وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام :

(اذهبا الى فرعون انه طغى ، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى)(٢)

ـ وقوله تعالى :

(ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن ، الا الذين ظلموا منهم وقولوا أمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون)(٣)

ونذكر خبرين من الأخبار التى تدل على مداراة رسول الله صلى الله عليه وسلم الكفار رجاء هدايتهم :

ـ عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال :

((ان غلاما ليهود كان يخدم النبى صلى الله عليه وسلم ، فمرض ، فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم يعوده ، فقال : أسلم ، فأسلم))(٤).

ـ وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت :

(دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : " السام عليكم " قالت عائشة : ففهمتها ، فقلت : وعليكم السام واللعنة ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مهلا يا عائشة ، ان الله يحب الرفق فى الأمر كله فقلت : يا رسول الله ! أولم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله : قد قلت : وعليكم))(٥)

---

(١) سورة النحل : الآية : ١٢٥

(٢) سورة طه : الآيتين : ٤٣ـ ٤٤

(٣) سورة العنكبوت : ٤٦

(٤) رواه البخارى : ١٠/ ١١٩

(٥) رواه البخارى : ١٠/ ٤٤٩

ثالثا اكرام الضيـــــف :

اكرام الضيوف من العادات العربية القديمة ، وقد أمر الاسلام باكرام الضيف ، سواء كان مسلما أو كافرا ، الا أن المسلم من أجل حقوقه الأخرى يستحق هذا الاكرام أكثر من الكافر ، وقد عد رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرام الضيف مما يقتضيه الايمان بالله وباليوم الآخـر ، فقال :

(ومن كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليكرم ضيفه) (١)

ولاكرام الضيوف أخبار كثيرة في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم نذكر منها ثلاثة فقط :-

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه :

((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضافه ضيف وهو كافر ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت ، فشرب حلابها ، ثم أخرى فشربه ثم أخرى فشربه ، حتى شرب حلاب سبع شياه ، ثم انه أصبح ، فأسلم فأمر له رسول الله صلى الله عليه بشاة فشرب حلابها ، ثم أمر لأخرى فلم يستتمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن يشرب في معى واحد ، والكافر يشرب في سبعة أمعاء) (٢)

---

(١) متفق عليه ، انظر : مسلم : ١٨/٢

(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ٢٥/١٤

٢- جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ، فدخلوا عليه في المسجد ، وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ، وحان وقت صلاتهم ، فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون متجهين للمشرق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم (١) ، وهذا من كمال حسن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث ترك عبدة الصليب يصلون في مسجده وكان ذلك من غاية اكرامه للضيوف .

٣- جاء وفد ثقيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم برئاسة عبد يالين ، فدخلوا عليه وحيوه بتحية الجاهلية ، وضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبة في ناحية المسجد ، وكان يبعث اليهم الطعام من عنده (٢) .

ولا يجيز الاسلام مداراة الكفار والمشركين على حساب المصالح الاسلامية ، وأشار الى هذا قول الله سبحانه وتعالى :

((بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة ، فان العزة لله جميعا ، وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (٣)))

---

(١) انظر: ابن هشام : سيرة النبي : ٢/ ٢٤٠

(٢) " : " : المصدر نفسه : ٤/ ٢٤٠-٢٤١

(٣) سورة النساء : الآيات : ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠

ويستفاد من هذه الآيات الكريمة أن علاقة مداراة الكفار اذا أصبحت تضر مصالح الاسلام والمسلمين وجب أن تقطع فورا بدون أى تردد ، كما تدل على أن توثيق الصلة مع الكفار وهم يهاجمون الاسلام ومبادئه ويستهزئون بها ، من شأن المنافقين ومصير المنافقين /مساوم، ومن أجل ذلك يجب على المجتمع الاسلامى أن يكون حذرا جدا فى علاقته مع غير المسلمين ، ولا يجوز له أبدا أن يساوم الكفار على حساب القيم الاسلامية والمبادئ الدينية .

فهذه عشر خصال من أهم مميزات المجتمع الاسلامى (المعقدى) الذى أوجده الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ، وهذا المجتمع - فى مميزاته - من أهم دعائم الدعوة الاسلامية وحججها ، اذ أن الدعوة لا تثمر ولا تزدهر - كما ينبغى - الا بوجود مجتمع مثالى دعوى على وجه الأرض يشهدها شهادة واقعية ملموسة وعلى الأمة الاسلامية أن تحافظ على هذا المجتمع ومميزاته ، كيما تسير الدعوة سيرها بقوة ونشاط - فهل احتفظت الدولة العباسية - فى عصرها الأول - بهذا المجتمع الذى هو حجة للدعوة -؟ وهذا السؤال مهم جدا بالنسبة الى موضوع الرسالة وهو : الدعوة الاسلامية فى العصر العباسى الأول ، وسوف نرى فى جوابه فى محله ان شاء الله تعالى ، والآن ننتقل الى مقومة أخرى للدعوة الاسلامية ، وهى :-

(د) انشاء دولة تحافظ على المجتمع داخليا وخارجيا

ان المجتمع الاسلامى العقدى ، الذى أقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة - وقد تكلمنا فيه آنفا - قام على أساس الاعتراف بطبائع الأشياء التى فطر الله الحياة عليها ، ومن ثم كان واقعيا بمعنى انه بنى على سنن الله فى الكون التى تقتضى اقامة الدول بضبط حياة الانسان على ظهر هذا الكوكب على نحو يتيح لها تحقيق أهدافها الفطرية .

ومن المعلوم ان الاسلام لقى - وما يزال يلقى - مقاومة عنيفة من الشيطان وجنوده الذين اصروا - وما زالوا يصرون - على العمل دون قيام مثل هذا المجتمع ، مهما كلفهم ذلك من جهد ، ومن هنا اشتدت - وما تزال تشتد - حاجة المجتمع الاسلامى الى دولة تنبثق من كيانه الاسلامى الخالص لتحرسه حراسة شاملة ، وتحمل رسالته وتؤدى أمانته ، وتحقق أهدافه على الصعيدين الداخلى والخارجى .

ولم تكن هذه الحاجة بدعا ، انما هى تلقائية وفطرية - كما قلنا - لأنها من مقتضيات الاجتماع (١) ، بل هى واجبة (٢) من حيث كونها من مقتضيات ما أسنده الله تعالى الى هذه الأمة الوسط من مسئوليات ضخمة وأعباء ثقيلة ، نتيجة تكليفها للمحافظة على (الاسلام) -

---

(١) قال ابن خلدون : (ثم أن هذا الاجتماع اذا حصل للبشر - كما قررناه - وتم عمران العالم بهم ، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم) (المقدمة : ١ / ٤٢٢) .

(٢) قال الامام ابن تيمية رحمه الله : (يجب أن يعرف ، أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل ، لا قيام للدين الا بها ، فان بنى آدم لا تتم مصلحتهم الا بالاجتماع ، لحاجة بعضهم الى بعض ، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس ، حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم : (اذا خرج ثلاثة فى سفر ، فليؤمروا أحدهم) رواه أبو داود من حديث أبى سعيد وأبى هريرة - وروى الامام أحمد فى المسند عن عبد الله بن عمرو ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض الا أمروا عليهم أحدهم) - فأوجب صلى الله عليه وسلم تأمير الواحد فى الاجتماع القليل العارض فى السفر ، تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع ، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا يتم ذلك الا بقوة وامارة وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل -

ودعوة الناس كافة الى ما جاء به من الهدى والحق ،والشهادة بذلك أمام الله (١)

تابع حاشية (١) فى الصفحة السابقة :-
واقامة الحج ،والجمع والأعياد ، ونصر المظلوم - واقامة الحدود لا تتم الا بالقوة والامارة ، ولهذا ،روى :" أن السلطان ظل الله فى الأرض" ويقال : (ستون سنة من امام جائر أصلح من ليلة بلا سلطان) والتجربة تبين ذلك . ولهذا ، كان السلف الصالح كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون :" لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان " (: السياسة الشرعية : ١٦٩- ١٧٠)

---

(١) قال الله تعالى :" وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) سورة البقرة : الآية : ١٤٣

وقال العلامة أبو الأعلى المودودى - رحمه الله - فى تفسير هذه الآية الكريمة : ((ان هذه الآية اعلان عن امامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ،وان كلمة "كذلك" تشير الى معنيين هما :

أولا : انها اشارة الى التوجيه الالهى الذى وصل به أتباع محمد صلى الله عليه وسلم الى الصراط المستقيم ،كما وصلوا الى منصب (الامة الوسط) بعد ما اجتازوا مراحل المجاهدة للتزكية والترقى الذاتيين .

ثانيا : انهما اشارة الى تحويل القبلة ، وهذا التحويل - الذى يعتبره غير الراسخين محض تحويل من جهة الى جهة أخرى - وفى الحقيقة انه يعنى فيما يعنى عزل بنى اسرائيل من منصب الامامة واقامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا المنصب الجليل .

وقوله تعالى : (أمة وسطا) يحمل فى ثناياه معانى عميقة لا يمكن أن نعبر عنها بأى لغة أخرى ،ومن معانيها : أنها جماعة ذات علو وشرف ، قائمة على العدل والاعتدال ، ولها الصدارة بين الامم الأخرى ، وعلاقاتها بالأمم علاقة صدق وأمانة ،لا علاقة كذب وخيانة .

(يتبع —)

تابع حاشية (١) في الصفحة السابقة :

ومعنى الشهادة : انه اذا حاسب الله تبارك وتعالى الناس يوم الآخرة ، شهد الرسول - صلى الله عليه وسلم ، وهو المبعوث من عند الله والمسئول أمامه ، بأن ما اعطاه تعالى من نظام العدل والعمل الصالح والفكر السليم ، قد أبلغه اليكم بأسره ، وطبقه تماما بعمله ، ثم يأتي دوركم بعد ذلك ، فتشهدون على الناس كافة مؤتسين برسول الله صلى الله عليه وسلم - بأنكم لم تدخروا جهدا في ابلاغ الناس كافة ما بلغكم اياه رسول الله صلى الله عليه وسلم -

واذا منح الله تعالى فردا أو أمة ، منصب الشهادة هذه ، دل ذلك على أنه أهلها منصب الامامة والسيادة ، وفي ذلك تكريم لها وتقدير من جهة ، وتكليف بأعباء ومسئوليات ضخمة من جهة أخرى ، وكان معنى ذلك انه كما كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم - رمزا وشهادة حية للصدق والامانة والحق والعدالة وجب على امته ايضا أن تكون صورة حية لهذه الشهادة الكريمة ، بحيث ترى فيها أمم العالم الاستقامة قولا وعملا وسلوكا ، وتستضيء بها قائلة : ليس هناك أي تقوى الا ما تحمله هذه الأمة ، ولا صدق الا ما تقوله هذه الأمة ، ولا عدالة الا ما تسلكه هذه الأمة ، ولا أمانة الا ما تقدمه هذه الأمة . وهناك معنى آخر : وهو أن مسئولية الرسول - صلى الله عليه وسلم - كانت عظيمة ودقيقة جدا في ابلاغ رسالة الله الينا ، فلو قصر في ذلك - وما كان له أن يقصر - مقدار خردلة ، لاخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وكذلك مسئوليتنا - نحن الأمة الوسط - ايضا اصبحت عظيمة ودقيقة جدا في ابلاغ ما أبلغه الرسول - صلى الله عليه وسلم - الينا الى الناس كافة بحيث لو لم نستطع أن نشهد أمام رب العالمين بأننا لم ندخر جهدا في ابلاغ الهداية الربانية الى الناس جميعا ، لأخذنا الله تعالى اخذا شديدا ، ولأضحت هذه الامامة التي نفتخر بها في الدنيا ، سوط عذاب علينا في الآخرة .

وكل ما حدث في عهد اما متنا من الضلال العملي والفكري ، بسبب تقصيرنا في اداء واجبنا ، وكل ما حدث من الفساد والفتن في هذا العالم ، سوف يؤاخذ الله به أئمة الشر وشياطين الانس والجن ، ولكن لن تفلت من المؤاخذة أبدا ، سوف يسألنا الله تعالى عما عملنا ، عندما كانت تهب في الدنيا عواصف العصيان والظلم والضلال ، هل أدينا ما علينا من واجب الامامة - ؟ أم كنا في عداد الأموات غافلين عن ذلك - ؟

(تفهيم القرآن : ١/١١٩ ، ١٢٠ ، وهو باللغة الأوردية وهذه ترجمة لي)

وبناء على ذلك ،أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم دولة تحمى هذا المجتمع الفاضل من داخله وخارجه ،وقد أوحى الله سبحانه وتعالى اليه أن يسأله قوة للدعوة تؤيدها وسلطانا يرد عنها الكيد والعدوان ،ويزيل العقبات من طريقها ! فقال تعالى : (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا)(١)(٢)

وعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تأسيس هذه الدولة الاسلامية الفتية معاهدة بين المسلمين ويهود يثرب ،يمكن أن تعتبرها دستورا لهذه الدولة الاسلامية فى تلك المرحلة من مراحل نشوئها ، اذ أن كلمات الوثيقة لا تخص شئون اليهود والمسلمين فحسب ، بل تشمل ما بهم المسلمين فيما بينهم ، كما أنها تصلح أن تدون كدستور - حسب المصطلح الحديث - موزع الى البنود والمواد ،

---

(١) سورة الاسراء : ٨٠

(٢) (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) أى اجعل لى من لدنك ملكا وعزا قويا وكأنه صلى الله عليه وسلم علم ،أنه لا طاقة له بهذا الأمر الا بسلطان ،فسأل الله سلطانا نصيرا ، وبه قال الحسن وقتادة ،واختاره ابن جرير ، قال ابن كثير : وهو الأرجح ،لأنه لابد مع الحق من قهر لمن عاداه وناوأه ولهذا يقول تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات - الى قوله : وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ،الآية ، وفى الحديث : (ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) أى ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمنع كثيرا من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد ،وهذا هو الواقع

انظر : ابن جرير : جامع البيان فى تفسير القرآن : ١٥/١٠٢
ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ٢/٣٩٦ (اختصار وتحقيق : محمد على الصابونى)
الشوكانى : فتح القدير : ٣/٢٥٢

وقد اعتبرها بعض العلماء (١) أول دستور مكتوب فى العالم يحمل عديدا من بنود دستورية احتفظ بها تاريخنا الزاهر ، ولا شك أن كلمات الوثيقة تحمل معانى دقيقة تتحدث بلسان الحال بأن الذى أملاها يتفوق مستواه العقلى أضعافا على مستوى العصر الذى كتبت فيه هذه الوثيقة ، وكيف لا ـ؟ انها خرجت من لسان الوحى الذى لا ينطق بالهوى .

ان هذه الصحيفة (٢) كانت مخططا تمهيديا ذا نواح لوضع نظام دولة اسلامية عادلة .

فهى كانت تصميما رائدا لكل دولة ـ من عهده صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة ـ تريد وضع نظامها على أساس الاسلام ، كما كانت ـ من ناحية أخرى ـ طليعة لمعاهدات سلمية بين المسلمين وغيرهم ، ومن ناحية ثالثة : كانت اعلانا صريحا من جانب الاسلام بأنه رسالة سلام حقيقى ، وانه لا يحمل السيف الا اذا اقتضت مصلحة الدعوة التى هى ملاك دولته كما كانت ـ من ناحية رابعة ـ معالجة دقيقة نفاذة لتكوين المجتمع المثالى الجديد وحمل رسالته داخلها وخارجيا .

---

(١) هو الدكتور محمد حميد الله ، كتب بحثا علميا على هذا الموضوع بعنوان :- (أول دستور مكتوب فى العالم) ونشره فى مجلة كانت تصدر فى حيدر آباد دكن (الهند) فى عام ١٩٢٩ م ، ثم نشره فى كتيبة باللغة الانجليزية باسم (The first written constitution in the world .) ووجهة نظره فى المقال المذكور تستحق التقدير لها والعناية بها .

(٢) اقرأ هذه الصحيفة بنصها الكامل فى سيرة ابن هشام : ٢/١٣٠- ١٣٤

ولم يمض على قيام هذا المجتمع العقدى الا قليل من الزمن اذا هو يواجه هجمات من خارج مستقره وداخله ، وكان يقود الغزو الخارجى قريش مكة ومن عضدها من العرب وأما الغزو الداخلى ، فكانت تتحرك من خلفه أصابع اليهود ، وأصابع عملائهم من المشركين والمنافقين ، ان هؤلاء اليهود ، تترسوا بترس المعاهدة مع المسلمين خوفا على أنفسهم ، من قوة المسلمين المتزايدة ، وحيويتهم المتصاعدة فنجحوا فى دس بذور النفاق فى داخل مجتمع المسلمين .

وعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المشكلات ببصيرته النفاذة وعقليته النيرة فى ضوء ما كان ينزل عليه من الوحى فى فترة تمتد عشر سنوات.

أما الغزو الخارجى ، فقاومه المسلمون بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل شجاعة وبسالة وبصيرة فى ميدان بدر ، وسحقوا رؤوس الكفار وقتلوا أئمة الضلال .

وعند سفح جبل أحد ، ومن وراء الخندق فى غزوة الأحزاب ، يحطون السلاح وجها لوجه أمام أئمة الطغاة وأعداء الدولة الدعوية ، وكذلك قاوم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الغزو الخارجى فى ساحة الحديبية مبرزا الطريق السلمى لازالة المعيقات عن طريق الدعوة ، كما عالج القضية بارسال سرايا عديدة بقيادة نفر من أصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

وماكان هدف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء هذه الأنشطة الحربية الا شق الطريق للدعوة وصيانة المجتمع العقدى الذى أبرزه للناس كافة كمجتمع مثالى دعوى ، فكان مهما جدا أن تهاض قوة قريش الحربية وتحطم معنوياتها ، لأنها كانت خطرا كبيرا على وجود مجتمع المدينة العقدى ، كما كانت قوة تصد القبائل التى تعيش فى أنحاء شبه الجزيرة عن أن تأتى الى عاصمة الاسلام الأولى ، وتنظر عن كثب الى ما أوجده هذا المجتمع الحديث العقدى ، من حياة مستجمعة لمقومات الحياة بوحدته العقدية الصحيحة ، وروابطه الأخوية ، وما قدمه هذا المجتمع المثالى من مبادئ سامية الى النوع البشرى ليشيد على أساسها كيانه ، وليفوز باتباعها فى دنياه وآخرته ، ولتتم بذلك غاية خلقه فى هذه المعمورة .

ونذكر ههنا حديثا يحتوى على وصايا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم ،التى كان يوصى بها أمراءه عند ما يرسلهم فى السرايا ،وهذا الحديث الشريف يبرز لنا الغايات الدعوية التى كان يهدف اليها الرسول المعظيم صلى الله عليه وسلم فى نشاطه الحربى :

عن سليمان بن بريدة (١) عن أبيه قال :

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية ، أوصاه فى خاصته بتقوى الله ،ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال : اغزوا باسم الله فى سبيل الله ،قاتلوا من كفر بالله ،اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ،واذا لقيت عدوك من المشركين ،فادعهم الى ثلاث خصال (او خلال) فأيتهن ما أجابوك (٢) فاقبل منهم وكف عنهم . ثم ادعهم الى الاسلام ، فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ،ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين فان أبوا أن يتحولوا منها ،فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ،ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء ، الا أن يجاهدوا مع المسلمين . فان هم أبوا ، فسلهم الجزية ،فان هم أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم - فان هم أبوا ، فاستعن بالله وقاتلهم ، واذا حاصرت أهل حصن فارادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ،فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه

---

(١) هو سليمان بن بريدة بن الحصيب الاسلمى المروزى ، تابعى ثقة ، روى عن أبيه وعمران بن حصين وعائشة رضى الله عنهم .
وروى عنه خلق كثير ،ولد مع أخيه عبدالله توأما فى سنة ١٥ هـ وماتا فى يوم واحد سنة ١٠٥ هـ . (ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٤/١٧٤-١٧٥)

(٢) أى فأى تلك الخصال قبلوها منك فاقبلها منهم ، فما زائدة .

ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم ان تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم ، أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله ، واذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فانك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا ـ ؟ (١))

وهذا الحديث ـ كما قلنا ـ يدل على أن غاية حروب المصطفى صلى الله عليه وسلم هى مصلحة الدعوة ، التى هى المصلحة الحقيقية للبشر كافة فى العاجلة والآجلة ، ولا غزو فالدولة فى حقيقتها انما هى دولة دعوة أو دولة دعوية ، يتمدى ذلك فى شؤونها كلها حربا أو سلما ، أو تشريعا أو تنظيما ، أو ما الى ذلك .

وأما الغزو الخارجى ، فلم يكن أقل خطرا من الغزو الخارجى ، بل لعله كان أشد منه ، اذ أنه يكون ـ فى غالب الأحيان ـ غزوا معنويا يخفى حقيقته الهدامة المدمرة بقناع الرغبة فى الاصلاح ، وقد أشير الى ذلك فى قوله تعالى : (واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض ، قالوا : انما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون .) (٢) ـ ولا يدركه الا من وهبه الله قلبا سليما وبصيرة نفاذة .

ويشتد خطر الغزو الداخلى بصفة خاصة اذا كان وراءه مثل أصابع اليهود الخفية الماكرة : الأمة التى لعنها الله تعالى لخبثها وتمردها على تعاليمه عز وجل ، فناصبت هذه الدعوة العداء ، ودبرت لها الدسائس والمكائد .

ومقاومة هذا الغزو الرهيب تحتاج الى انتباه تام ، ويقظة كاملة ، وموهلات عالية ، وبصيرة نفاذة ، أكثر مما تحتاجه فى مقاومة الغزو الخارجى ، فقاومت الدولة الفتية الاسلامية بامامة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم هذا الغزو الداخلى بكل مهارة وجدارة ، وأنشأت حصنا على كل نقطة حساسة ، كان من المحتمل أن تحدث فيها فجوة أو ثلمة يخلص منها فكر الماكرين الى هذا المجتمع الاسلامى الدعوى .

---

(١) رواه مسلم : ١٢/٣٧ - ٤٠

(٢) سورة البقرة : الآية : ١٢

ونذكر فيما يلى بعض الجوانب المهمة مما اختاره الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من التدابير فى مقاومته هذا الغزو الداخلى ، حفاظا على سلامة دولـــة الدعوة ومجتمعها ـ

أ ـ الجانب الحضارى :

ان المجتمع الاسلامى الدعوى يحتاج أشد احتياج الى الاختلاط بالناس وتوطيد الروابط بالأمم الأخرى من أجل تحقيق أهدافه الدعوية ، وكان طبيعيا جدا أن يتأثر بحضارة تلك الأمم وثقافتها اثناء هذا الاختلاط وتمكين الروابط ، فيجـــد الباطل ثلمة يدخل منها فى داخل المجتمع ويحاول طمس معالمه وافساد قيمه ، ومن أجل ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يخالفوا اليهود والنصارى عامة ، وخصوصا فى طقوسهم الدينية وحذرهم التشبه بالكفار ،

فقال :ـ

(١)

(من تشبه بقوم فهـــو منهم))

ـ وقال :

((ليس منا من تشبه بغيرنا ، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى فان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة بالأكف))

(٢)

ـ وقال :

(٣)

((ان اليهود والنصارى لا يصبغون ، فخالفوهم))

---

(١) رواه أبو داود : ٤/ ٣١٤

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى اسناد هذا الحديث : (وهـــذا اسناد جيد ، فان ابن أبى شيبة ، وأبا النضر ، وحسان بن عطية ثقات ، مشاهير أجلاء من رجال الصحيحين ، وهم أجل من أن يحتاجوا الى أن يقال : " هم من رجال الصحيحين ـ)) اقتضاء الصراط المستقيم : ٨٢

(٢) رواه الترمذى : ٧/ ٤٧٢

(٣) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٤/ ٨٠

(١)
ـ وعن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ قال :

((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتبع جنازة لم يقعد حتى توضع فى اللحد ، فعرض له حبر (٢) ، فقال : هكذا نصنع يا محمد ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال (٣) : خالفوهم))

ـ وقال :

((خالفوا المشركين ، أحفوا الشوارب (٤) وأوفوا اللحى (٥) (٦))

وهكذا صان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم شخصية الأمة الاسلامية من أن يخدشها أيما مؤثر حضارى أو ثقافى بل يجب أن تبقى الشخصية الاسلامية بارزة بجميع سماتها وخصائصها أمام المجتمعات الانسانية كطارة تستضىء بها تلك الحضارات والثقافات .

(٧)
ومعنى منع التشبه بالكفار : الاجتناب الكامل لطقوسهم الدينية بصفة خاصة ، وألا يتأثر المسلمون ـ تأثر تقليد واستسلام ـ بحضارة الكفار وثقافتهم ، لأن الحضارة هى حضارة الاسلام ، والثقافة هى ثقافة الاسلام ، والاسلام هو منبع الأخلاق والحضارة قال الله تعالى (٨) (صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون)

---

(١) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أحرم الأنصارى ، الخزرجى ، كان يكنى أبا الوليد ، شهد العقبة الأولى والثانية ، وكان أحد نقباء الأنصار ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يعلم أصحاب الصفة القرآن ، وبعثه الفاروق مع معاذ بن جبل وأبى الدرداء رضى الله عنهم الى الشام ليعلموا الناس القرآن ويفقهوهم فى الدين ، توفى بالرملة سنة ٣٤هـ (انظر : ابن سعد : الطبقات : ٣/٥٤٦ ـ ابن الأثير : اسد الغابة : ٣/١٦٠-١٦١)

(٢) حبر (بالفتح والكسر) : عالم ، جمعه : أحبار (انظر : ابن الاثير : النهاية : ١/٣٢٨) والمراد ههنا : عالم من علماء يهود .

(٣) رواه ابن ماجة : ١/٤٩٣

(٤) احفوا الشوارب : اى بالغوا فى قصها (انظر : النهاية : ١/٤١٠)

(٥) أوفوا : بمعنى أعفوا : أى اتركوها وافية كاملة لا تقصوها (النووى : ٣/١٥١)

(٦) صحيح مسلم : ٣/١٤٧ .

(٧) لقد تكلم شيخ الاسلام ، الامام ابن تيمية ـ فى هذا الباب كلاما شافيا مدعما بالأدلة والبراهين ، انظر كتابه : اقتضاء الصراط المستقيم ، مخالفة أصحاب الجحيم) وخصوصا من ص : ١٢ الى ص ٢١٦ .

(٨) سورة البقرة : الآية : ١٣٨

ـ وقال :

((هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون))(١)

فلا يسمح للمؤمن أن ينظر الى حضارة غيره وثقافته نظرة الاستكانة والتبعية ، اذ أن فيه نوعا من الخدش لشخصيته التي يريد الاسلام أن يراها عالية سامية ، وصافية نقية ، كما انه من المحتمل أن تجد تلك الحضارات فجوة تدخل منها في داخل المجتمع الاسلامي وتثير عواصف الانحرافات والضلال الفكري ، حتى لا تستطيع تلك الدولة التي تحرس المجتمع أن تقاومها وتقف في وجهها .(٢)

---

(١) سورة الصف : الآية : ٩

(٢) نريد أن نجيب ههنا عن سؤال يرد تلقائيا على ما نقول ، وهو : أن الأمم التي اعتنقت الاسلام لها حضارات وثقافات تخص بيئتها وأقطارها ، فمن المستبعد جدا أن ترفض تلك الأمم ثقافتها بأسرها ، كما أن اجبارها على رفض ثقافتها لا يلائم الطبيعة ـ؟

والجواب بالاختصار :

أولا : لم يأمر الاسلام برفض ثقافة غيره بأسرها ، بل منع المسلم عن قبول ثقافات تخدش كيانه الاسلامي ، وان لم يكن كذلك فحكم الانتفاع بها يدور مع مصلحة الدعوة وجودا وعدما .

ثانيا : ان الاسلام يطلب من اعتنقه التخلي عن طقوسه الدينية ، والا ، فلا ، فمن استعد للتخلي عن طقوسه الدينية ، رضي بالتخلي عن ثقافته وحضارته بطريق أولى ، ولكن المهم أن تحمل الحضارة الاسلامية قوة التغلب والسيطرة والانتخاب ، بحيث تمتلك مشاعر أولئك المعتنقين ـ ولم تزل هذه خصيصة من خصائص ثقافات الفاتحين ـ والا أصبحت مغلوبة ، ويحصل من امتزاجها بالثقافة الغالبة ثقافة لن تزيد المجتمع الاسلامي الا خسارا ، وهذا هو سر من أسرار الانحطاط الذي ألم للمسلمين حين فقدت ثقافتنا الاسلامية حيويتها وصلابتها الذاتية ، وقوتها المسيطرة شيئا فشيئا بعد عهد الصحابة رضي الله عنهم ، فتأثرت بثقافات الفرس والروم ، واليونان والسريان ، ـ

(يتبع)

وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذا الخطر العظيم ، وحذر أمتـــه منه ، لتكون متنبهة وواعية فى كل لحظة وآن ، فقال :

((لتتبعن سنن[1] الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا فـــى جحر ضب لاتبعتموهم[2] ، فقلنا : يارسول الله آليهود والنصارى ـ ؟ قال : فمن ـ؟

كما أرشد صلى الله عليه وسلم أمته الى حضارة واحدة وثقافة متميزة وهـــى : (ما هو عليه وأصحابه)[3] .

وليس معنى ذلك أن تكون الأمة المسلمة جامدة على اسلوب واحد من أساليب الحياة ـ والحياة دائما متجددة ومتطورة ـ بل ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالا لاقتباس ما ينفع الأمة من أساليب حياة غيرهم بشرط ألا يخدش كيانها .

فاذا وجدناه صلى الله عليه وسلم يمنع أمته من اختيار ثقافة المجوس ، فيقول : (جزوا[4] الشوارب وارخوا اللحى ، خالفوا المجوس)[5]

تابع حاشية رقم (١) فى الصفحة السابقة :

وتتبين ذلك بامعان النظر فى خريطة العالم ، فالأقطار التى فتحها الصحابة رضى الله عنهم تأثرت بثقافة العرب ـ وكانوا قليلا جدا بالنسبة الى سكان البلاد ـ وبقيت بلادا عربية عريقة الى يومنا هذا ، والفتوحات الأخرى بعد ذلك ، وان كانت واسعة النطاق من حيث رقعتها وقوتها المادية ، ولكن لم تزد ـ معنويا ـ فى فتوحات الصحابة شيئا يذكر به .

(١) السنن والسنة : الطريقة (ابن الأثير : النهاية : ٢/٤١٠)

(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٦/٢١٩ ، ٢٢٠

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وان بنى اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين كلهم فى النار الا ملة واحدة ، قال : من هى يارسول الله ـ ض قال : ما أنا عليه وأصحابى .)
(رواه الترمذى : ٧/٣٩٩ - ٤٠٠)

(٤) جزوا : أى قصوا ، من الجز وهو قص الشعر والصوف (النهاية : ١/٢٦٨)

(٥) رواه مسلم : ٣/١٤٧

وجدناه صلى الله عليه وسلم يقتبس من المجوس أساليبهم الحربية ، وهي : استخدام المنجنيق (١) ، وحفر الخندق (٢) ، كما نراه صلى الله عليه وسلم يتخذ خاتما يختم به رسائله الموجه الى الملوك والأمراء (٣) لما أخبر أنهم لا يقرؤن الرسائل التي لا تختم .

ولعلنا لا نخطيء اذا استنبطنا من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ، أنه صلى الله عليه وسلم قد أعطى امته - بهذه الصورة - منهجا كاملا قيما في تطوير ثقافتها وحضارتها دون أن تمس ذاتيتها قليلا أو كثيرا .

ونستطيع أن نعبر عنه بمنهج : (نعومة الحرير وصلابة الحديد) بحيث تختار الأمة نعومة الحرير في اقتباس ما ينفعها في أمور دنياها دون ضرر في دينها وآخرتها ، كما يجب عليها أن تختار صلابة الحديد في تمسكها بأهداب الدين وعقائده ، وعضها عليها بالنواجذ ، وفي قيامها بالواجبات التي كلفها الدين أداءها وقوام هذه الواجبات : (الدعوة الى الله) ، اذ لا تسمح لأي نوع من الخلل أو الضعف أن يلين تلك الصلابة الفولاذية في أي حال من الأحوال .

ولقد رأينا - فعلا - أن الأمة اختارت هذا المنهج القويم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، كان الخليفة الراشد عمر الفاروق شديدا في أمر الله ، فنراه يعاقب صبيغا (٤) العراقي لخوضه في متشابهات القرآن ويضربه حتى يدمي رأسه (٥) ، ونراه في مناسبة أخرى يقتبس - فيما يقال - اسلوبا من أساليب الفرس في الادارة ، وهو تدوين الدواوين (٦) لتنظيم العطاء بين المسلمين .

---

(١) انظر : ابن كثير : السيرة النبوية : ٣/٦٥٨

" : الحلبي : السيرة الحلبية : ٣/١٣٤

(٢) " : ابن هشام : سيرة النبي : ٣/١٦٨

(٣) " صحيح مسلم : ١٤/٦٩

(٤) صبيغ على وزن : عظيم ، رجل من أهل العراق كان يتجول في الجيش بمصر ويسأل الناس عن متشابهات القرآن ، فأمسكه عمرو بن العاص وبعثه الى أمير المؤمنين عمر الفاروق فضربه وأدبه ، انظر ترجمته في تهذيب ابن عساكر ٦/٣٨٧

(٥) انظر : سنن الدارمي : ١/٥٤

(٦) " : الجهشياري : الوزراء والكتاب : ١٦ - ١٧

فالحفاظ على الجانب الحضارى للمجتمع الاسلامى أمر بالغ الخطورة والدقة ، ومن ثم سن رسول الله صلى الله عليه وسلم كامام للدولة الاسلامية الأولى سنة متزنة بهذا الصدد ، وترك لأمته أسوة تكفل نجاحها - اذا مارستها فى دقة وأمانة - فى العاجلة والآجلة .

(ب) الجانب التربوى :

من أهم واجبات الدولة الاسلامية الاهتمام البالغ بالجانب التربوى ، لتحافظ به على مقوماتها الذاتية واتجاهاتها الجوهرية الأصيلة ، ولتدفع به العوامل التى يمكن أن تعترض طريق هذه الدولة الدعوية - خلال الزمن السرمدى - فتفرغها من حقيقتها وتخرج بها عن كيانها الذاتى ، ومن أجل ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهتم بهذا الجانب اهتماما كبيرا ، وينتهز كل فرصة تتاح له لتربية أصحابه تربية اسلامية دقيقة ، اذ أن هذه التربية كانت جزءا أساسيا من رسالته صلى الله عليه وسلم وفى ذلك قال تعالى :

((هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين))(١)

وقد كانت تربيته صلى الله عليه وسلم لأمته خاصة ، كان يربيها على العقائد السليمة ، الصافية النقية ، ويحذرها الوقوع فى ضلال الشرك بعد أن أخرجها الله تعالى من ظلماته الى نور التوحيد ، كما كان يهتم بتعليم الكتاب والحكمة ، ويحض المؤمنين على تحصيل العلم بأقواله وأفعاله ، وكان مسجده صلى الله عليه وسلم مركزالتحقيق ذلك ، ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلف كل فرد من أفراد المجتمع الاسلامى أن يسهم فى تربية المجتمع عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما سبق ذكره.

---

(١) سورة الجمعة : الآية : ٢

ومن معالم تربيته صلى الله عليه وسلم أمره المسلمين بالصلاة أمرا لا هوادة فيه ، اذ الصلاة هى التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهى الفارق بين الكفر والاسلام ، كما رواه جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - فقال :

((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان بين الرجل ، وبين الشرك والكفر : ترك الصلاة)) (١)

وكان يحض المجتمع الاسلامى على اداء الصلاة فى جماعة ، ويراقب ذلك فقال :

((ان أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء ، وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ثم انطلق معى برجال معهم حزم حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار)) (٢)

- وروى أبو هريرة رضى الله عنه :

((أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل أعمى ، فقال : يارسول الله ، انه ليس لى قائد يقودنى الى المسجد ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له فيصلى فى بيته ، فرخص له ، فلما ولى ، دعاه ، فقال ، هل تسمع النداء بالصلاة - ؟ فقال نعم ! قال : فأجب)) (٣)

ومما لا ريب فيه ، أن الأمة اذا واظبت على الصلوات وأقامتها على النحو الذى أرشد اليه النبى عليه الصلاة والسلام ، أفادت منها كثيرا فى بناء شخصيتها الاسلامية القادرة على تحقيق رسالة الاسلام ودعوته على المستويين الداخلى والخارجى .

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم : ٢/ ٧١

(٢) " " " " : ٥/ ١٥٤

(٣) " " " " : ٥/ ١٥٥

ومن جهة أخرى حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من البدع أشد تحذير ، فاجتناب البدع جانب مهم من جوانب الحفاظ على التربية الاسلامية ، ولا شك أن البدعة تخلخل معالم شخصية الأمة وتعرضها للضياع بل للذوبان (كما يذوب الملح في الماء) ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))(١)

ولقد أكمل الله سبحانه وتعالى دينه وختم الرسالة بنبيه سيد المرسلين محمد ابن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، فمن أحدث بعده في الدين شيئا ، فمعنى ذلك أنه رأى نقصا في جانب من جوانب الدين فحاول اكماله ، وهذا أمر لا يرضى به الله ورسوله ، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا صدقة ، ولا حجا ولا عمرة ، ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا ، يخرج من الاسلام كما تخرج الشعرة من العجين))(٢)

ـ وقال :

((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن أمر عليكم عبد حبشي ، فانه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فانها ضلالة ، فمن أدرك ذلكم منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ـ؟))(٣)

وكان من ضمن تربيته صلى الله عليه وسلم مراقبته أفراد الأمة أشد مراقبة ، فلا يمهلهم أن يحاولوا أدنى ميل الى جانب آخر ، وتبدو شدة هذه المراقبة مما رواه جابر بن عبد الله فقال :

((ان عمر بن الخطاب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسخة من التوراة فقال : يارسول الله ! هذه النسخة من التوراة ، فسكت ، فجعل يقرأ ، ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير ، فقال أبو بكر : ثكلتك الثواكل ، ما ترى ـــ

---

(١) متفق عليه ، انظر البخاري : ٥ / ٣٠١

(٢) رواه ابن ماجة : ١ / ١٩

(٣) رواه الترمذي : ٧ / ٤٣٩ - ٤٤٢

بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر عمر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقال : أعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله ، رضينا بالله ربـــا وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والـذى نفس محمد بيده ،لو بدأ لكم موسى ،فاتبعتموه وتركتمونى لضللتم عن سواء السبيـل ، ولو كان حيا وأدرك نبوتى لاتبعنى))(١)

وهكذا سن رسول الله صلى الله عليه وسلم للدولة الاسلامية سننا يتيح لهـا الحفاظ على أصالة المجتمع الاسلامى الدعوى ،عن طريق تربيته وتزكيته وتوجيهه ، وسد كل ثلمة يمكن أن تدخل منها البدع والأهواء والضلال الفكرى فى المجتمـع الذى هو منبثق الدولة .

ج ـ حماية قيم المجتمع :

الدولة التى تحرس قيم المجتمع الاسلامى الدعوى ولا تغفل عنها ، لابد لها من صلاحيات جزائية تحمى بها هذه القيم ،ومن ثم جاء الشرع الاسلامى بالحدود(٢) والقصاص والتعزيرات(٣) ،ولكن الى أى حد تحتاج الدولة الى استخدام هذه الصلاحيات فى مجتمع يرفل فى غلالة من الاصالة الاسلامية تصورا وسلوكا ـ ؟

---

(١) رواه الدارمى : ١/١١٥-١١٦

(٢) الحد : لغة : الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر ،أو لئلا يتعدى أحدهما على الآخر ،وجمعه : حدود واصطلاحا : عقوبات جعلت لمن ركب ما نهى عنه ،كحد السارق : وهو قطع يمينه فى ربع دينار فصاعدا ، وكحد الزانى البكر: وهو جلد مائة وتغريب عام وكحد المحصن اذا زنى ، وهـو الرجم ،وكحد القاذف : وهو ثمانون جلدة ، سميت حدودا لأنها تحد أى تمنع من اتيان ما جعلت عقوبات فيها ـ (ابن منظور : لسان العرب: ٣/١٤٠)

(٣) التعزير : هو التأديب الذى دون الحد ، لمنع الجانى من المعاودة وردعه عن المعصية (ابن الاثير : النهاية : ٣/٢٢٨) .

أحسب ،أنها لا تحتاج الى ذلك الا قليلا وفى شرذمة فاسدة ،لان الدولة مادامت تهتم بالحفاظ على الثقافة والحضارة الاسلاميتين العريقتين ، ومادامت تهتم بالتزام التربية الاسلامية الحصيفة ، فلا يستطيع الفساد أن يتمكن من المجتمع الاسلامى الا فى حدود ضيقة[1] ،ومع ذلك فلا بد من أن يكون هنالك وازع يخافه كل من أراد الانحراف عن الجادة ، ومن أجل ذلك منح الاسلام الدولة الصلاحيات التى أشرنا اليها ،لتأخذ على يد الجانى الشائر على قيم المجتمع ، وكيما يكون هذا النظام وقاية للمجتمع الصالح العادل من نزوات فرد منه ، يهدد عدله بظلمه وصلاحه بفساده .

ومن البديهى جدا أن من أراد توفير النمو للحاصلات ،التزم باقتلاع كثير من الحشائش والأعشاب . ومن ثم جد النبى صلى الله عليه وسلم كل الجد فى تطبيق الحدود والقصاص ، وأخذ كل محدث بما أحدث .

ومما لا ريب فيه أن اقامة الحدود والقصاص والتعزيرات تفتح على المجتمع بركات من السماوات والأرض ويغشى المجتمع الهدوء والراحة ، والأمن والاستقرار والسكينة والطمأنينة ، ويدل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه فقال :—

---

(١) لا تقول ان المجتمع الاسلامى هو مجتمع الملائكة المعصومين ،انما نريد أن نقول : ان المجتمع الاسلامى ،تسوده دائما تقوى الله وخشيته ،والعدالة والصلاح ، وبما أن الانسان عرضة للخطأ والنسيان ،فلا بد لكل عضو من أعضاء المجتمع أن يقوى صلته بالله العليم الحكيم ،وأن يسارع الى التوبة المشروعة بشروطها المعروفة ، وبذلك يعود الى حظيرة الخير فى المجتمع الاسلامى ، ويقبل الله منه توبته ويغفر له ، والله غفور رحيم ،ولكن الاصرار على المعاصى علانية ،وارتكاب الجنايات أمر ينافى الطبيعة العامة للمجتمع الاسلامى ،ولا يرضى عنه الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عباده ،وعليه حينئذ أن يواجه العقوبات التى يستحقها شرعا .

((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحا)) (١)

وعلى هذا ، يجب على الدولة الاسلامية أن تحافظ على المجتمع الاسلامي وتحمي قيمه ، وتعده لحمل رسالته وابلاغ دعوته ولتهيئ المعين على ذلك اقامة الحدود وتطبيق القصاص والتعزيرات .

(هـ) توجيه الدعوة لتعميم هذا المجتمع

هذا آخر ما أردنا أن نذكر من مقومات الدعوة الاسلامية ، وقد ذكرنا فيما سبق أنه كان من أهداف رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعوية ، تكوين مجتمع عقدي دعوي فكونه ، وانشاء دولة تحرس ذلك المجتمع وتحمل رسالته ، فأنشأها ، وجعلت تحافظ على قيم المجتمع ابقاء على ذاتيته الاسلامية ، أما حمل رسالة هذا المجتمع الى الناس والعمل على تعميمه حتى تشمل رحمة الله عباده جميعا فهو أمر جوهري جدا يقتضي أن يعنى بذكره بصفة خاصة ، فنذكره فيما يلي :

بعث محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم رسولا الى الناس كافة (٢) ، ورحمة للعالمين (٣) ، ولقد صرح القرآن الكريم بأن الله تعالى لن يقبل دينا غير الاسلام (٤) :

---

(١) رواه ابن ماجة : ٢/٨٤٨

(٢) قال الله تعالى : (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) سورة سبأ : الآية : ٢٨

(٣) قال تعالى : (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) سورة الأنبياء : الآية : ١٠٧

(٤) قال تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) سورة آل عمران : الآية : ٨٥

(١)

كما جعله دينا يجب أن يكون مهيمنا على جميع أديان العالم ، فكان ضروريا جدا أن يبرز معالم هذا الدين الحنيف على الناس جميعا ، وتعم رسالته العالم كافة ، والاسلام دين عملي أكثر من كونه نظريا ، ومن أجل ذلك كان الشغل الشاغل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تركيز الجهود والعناية بتربية أصحابه تربية دقيقة ، وتنقية سمات المجتمع الاسلامي ، وتهذيب نظام الدولة الاسلامية ، اذ أن الدعوة اذا وجهت الى العالم ، فمن الطبيعي جدا أن ينظر المدعوون - أولا وقبل كل شيء - الى ما حققته هذه الدعوة في كيان حاملها من صفات عالية ومميزات فائقة - على نحو واقعي - مما يدعونهم اليه ، وخصوصا اذا وجهت الدعوة الى الأمم التي تزعم أن مجتمعها أرقى المجتمعات ، وحضارتها أسمى الحضارات ، فيكاد يكون واجبا أن يبرز تفوق مميزات المجتمع الاسلامي على مميزات هذه المجتمعات المزعومة ، ومن جهة أخرى كان صلى الله عليه وسلم يعمل على ازالة المعقبات من طريق الدعوة بالمعاهدات والغزوات والسرايا ، ولما تم صلح الحديبية ، وزالت المعقبة الكبرى - وهي قوة قريش المانعة - عن طريق الدعوة ، وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عديدا من الرسائل الدعوية الى ملوك الفرس والروم ، وأمراء الجزيرة وما حولها ، والرسائل التي أرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم - في هذه المناسبة وفي مناسبات أخرى - يبلغ عددها مائتين وخمسا وسبعين رسالة أو أكثر (٢) ، وكان مضمون جميع الرسائل الدعوية واحدا تقريبا ، وهو : الدعوة الى الله ، وحسبنا نص واحد من نصوص تلك الرسائل ، فنذكرهنا نص الرسالة الكريمة التي وجهها صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم وهو : —

---

(١) قال تعالى : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا)
سورة الفتح : الآية : ٢٨

(٢) انظر : محمد حميد الله : الوثائق السياسية : ص٣٩ و ٢٨١ ، ٢٨٢

((بسم الله الرحمن الرحيم ،

من محمد رسول الله ،

الى هرقل عظيم الروم ،

سلام على من اتبع الهدى ،

اما بعد ، فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم ، تسلم ، وأسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين (١) ، وان توليت ، فان عليك اثم الأريسيين (٢) ، (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)) (٣)

ذهب دحية (٤) الكلبى ـ رضى الله عنه ـ بهذه الرسالة الى الشام ، ودفعها الى عظيم بصرى ، وقدمها عظيم بصرى الى هرقل وهو بايليا (بيت المقدس) ، وحدث فعلا ما ذكرناه آنفا من أن من دعى الى الاسلام ، أراد ـ تلقائيا ـ أن يستوثق مما يدعى اليه أحق هو أم لا ؟ وما حققته هذه الدعوة ؟ فأمر هرقل باحضار بعض قريش ليستوثق بهم من بعض ما هجس فى صدره ، فوجدوا أبا سفيان والرجال معه ، فأحضروهم ، وجرى بينهما حوار رواه الشيخان بالتفصيل (٥) .

---

(١) من أجل ايمانه بعيسى عليه الصلاة والسلام ، وايمانه بخاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، كما جاء فى حديث صحيح : (ثلاثة لهم أجران : (وذكر منهم) رجل من أهل الكتاب ، آمن بنبيه وبمحمد صلى الله عليه وسلم) (الحديث) (رواه البخارى : ٦/ ١٤٥)

(٢) الأريسيين : الفلاحين والزراعين . وخصهم بالذكر دون جميع الرعايا ، لأنهم الأغلب ، ولأنهم أسرع انقيادا ، فاذا أسلم ، أسلموا ، واذا امتنع امتنعوا . (انظر : النووى : شرح صحيح مسلم : ١٢/ ١٠٩)

(٣) رواه الشيخان : انظر صحيح مسلم : ١٢/ ١٠٩

(٤) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبى ، شهد احدا وما بعدها ، كان جبريل يأتى أحيانا فى صورته الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يضرب به المثل فى حسن الصورة ، شهد معركة اليرموك وعاش الى خلافة معاوية رضى الله عنه ، توفى فى سنة ٤٥ هـ .

(انظر : ابن عساكر : (تهذيب) تاريخ دمشق : ٥/ ٢٢١ ، ٢٢٣)

(٥) انظر : البخارى : الجامع الصحيح : ١/ ٣١ ـ ٣٣

وكانت رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتملة على مضمون الدعوة الى الله دون تعرض مباشر الى ملكهم ودولتهم ، بل كلمة " أسلم ، تسلم " تدل على سلامة ملكهم فى الدنيا وسلامة أنفسهم فى الدنيا والآخرة ، وقد صرح بذلك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى خطابه الذى وجهه الى المنذر بن الحارث بن أبى شمر الغسانى ـ حاكم دمشق ـ بقوله :

((وأدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، يبقى ملكك)) (١)

وأشار بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن الدولة الاسلامية ليس من غايتها استلاب الناس ما لكهم ودولهم ، انما توجه الدعوة الى الملوك والأمراء لمصلحتهم ، فمن قبلها انتقلت اليه واجبات الدولة الاسلامية من تربية الرعايا تربية اسلامية دقيقة ورفع مستوى المجتمع العادى الى مستوى المجتمع الاسلامى العالى ، وأن تحرس دولته هذا المجتمع ، وتحمل رسالة الاسلام الى من جاورها ـ ومن لم يقبل الدعوة الاسلامية ، كان معنى ذلك أنه يريد الحوول دون قبول رعاياه هذه الدعوة التى تتحقق فيها مصلحتهم فى الدنيا والآخرة ، فيصير من واجب الدولة الاسلامية أن ترفع هذا الحاجز بين الدعوة وعامة الناس ، فتحمل السلاح ، وتبدأ حروبها من أجل ازالة العقبات عن طريق الدعوة ، فهذه هى المميزة البارزة للدولة الاسلامية الأولى ، التى تكمن فى انتشارها المصلحة الحقيقية للبشرية قاطبة فى الدنيا والآخرة ، ولقد ساهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابراز هذه المميزة الفائقة ، فنريد أن نذكر بهذه المناسبة نص خطاب وجهه خالد بن الوليد رضى الله عنه الى ملوك فارس وهو :

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : ٤ / ٢٦٨

((بسم الله الرحمن الرحيم

من خالد بن الوليد

الى ملوك فارس ـ

أما بعد ، فالحمد لله الذى حل نظامكم ووهن كيدكم ، وفرق كلمتكم ، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شرا لكم فادخلوا فى امرنا ندعكم وأرضكم ، ونجوزكم الى غيركم ، والا ، كان ذلك وأنتم كارهون على غلب ، على أيدى قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة (١)))

فخلاصة جهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية انه ربى شخصيات عقدية عبقرية فى عقيدتها ، وكون بهم مجتمعا عقديا اسلاميا ، وأنشأ دولة ترعى المجتمع وتحرسه ، وتحمل رسالته وتؤدى أمانته الى الناس جميعا ، وكل ذلك فى مدة ثلاث وعشرين سنة وأورث الأمة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كدستور أبدى لأفرادهم ومجتمعاتهم ودولتهم ، وجمع ـ فى حجة الوداع ـ هذه الأمة التى بذل فى تربيتها جهوده الهادية المتواصلة على صعيد واحد ـ وهو ميدان عرفات ـ وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم بذلك الى الله عز وجل أمة جاهزة قد بذل فى تربيتها وتهيئتها ما الله به أعلم من الجهد والعناء ، فها هى أمة مستعدة لتحمل مسئولية وراثة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ الضخمة ، وهى أداء أمانة الدعوة مستوفية جميع مقوماتها ، وهو يسألهم : " ألا إ هل بلغت ؟ " مرارا وتكرارا ، وتشهد الأمة بلسان واحد : نعم قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ، فيقول كلمته الجامعة : (فليبلغ الشاهد الغائب) (٢)

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٣/ ٢٧٠

(٢) البخارى : الصحيح : ١/ ١٩٩

وهكذا نقل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مسئولياته الضخمة الى هذه الأمة ، وتهيأ للحاق بالرفيق الأعلى . صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وهل التزمت الأمة اداء هذه الأمانة الضخمة الدقيقة مستوفية جميع مقوماتها ؟ نستعرض جواب هذا السؤال المهم في الفصل الآتي ، استعراضا عاجلا ثم نعود فنبسطه ونستوفيه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى .

****

الفصل الثانـــى

الدعوة فى طريـق التطـــــور

ثبت بما تكلمنا فى مبحثى الفصل الأول ،أن وجود الدولة الاسلامية التى تقوم على الهدفين الأساسيين :

١ـ المحافظة على قيم المجتمع الاسلامى

٢ـ حمل رسالته الى الناس كافـــــة

أمر مهم فى ازدهار الدعوة ورقيها ،ودفع عجلتها الى الامام بجميع ميزاتها وخصائصها . اذ أن الدولة الاسلامية الأصيلة ،هى التى تستطيع جمع جميع أنواع القوى المتدفقة فى سبيل الدعوة ،وتستطيع تنظيمها وتنسيقها ،واستخدامهـــا حسب ما تقتضيه الظروف والأوضاع ،ولو فقدت الدولة ـ لا قدر الله ـ مهمتها الأساسية ، لاختل نظام الدعوة ،وبدأت تضمحل ـ فعلا حيويتها ونشاطها بالتدريج .

ونستعرض فى مبحثى هذا الفصل ـ ان شاء الله تعالى ـ مدى ثبات الدولـة الاسلامية على الخطوط الدعوية التى ترك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أمتـــه سائرة عليها ،ومدى ضعفها وتهاونها فى هذا المجال ،وذلك بصورة موجزة ،كيما نفرغ بعد ذلك للكلام فى الدولة العباسية فى عصرها الأول ،وقد ادعى مؤسسوها : أنها دولة دعوة ،وأنها ستت الحاجة الى قيامها لتدارك ما وهن من أمر الدين ورث من دعوته فى العصر الأموى (١) .

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٧/٤٢٥-٤٢٨ (خطبة السفـاح وداؤد بن على)

المبحث الأول

المحافظة على
أصالة الدعوة فى العهد الراشدى

ان العهد الراشدى أكمل أدوار التاريخ الاسلامى وأعظمها بعد عهد النبوة من حيث المحافظة على أصالة الدعوة الاسلامية وجوهرها ، ومن حيث التزامها والنهوض بمسئولياتها ، ولعلنا لا نعدو الحق اذا قلنا انه امتداد بشرى لعهد النبوة ذاته ، وقد ساعدت هذا العصر الزاهر قوة الروح والأخلاق ، وقوة الدين والعلم ، وأحكام الاسباب المادية الممكنة فى ابراز الشخصية الاسلامية العقدية ، وفى ظهور الحضارة الصالحة ، وفى ازدهار المدنية المثالية ، ومن ثم اصبحت الدولة الاسلامية قوة سياسية رسالية تفوق كل قوة سواها ، اذ كانت المثل الخلقية العليا تحكم فى حياة الناس ونظام الحكم ، وتحسنت العلاقة فيما بين الأفراد والجماعة ، وتفتحت رياحين الأخلاق والروحانية فى كل بقعة من بقاع هذه الدولة المباركة ، ومن هنا أذهب الى أن العصر الذهبى فى تاريخ الاسلام كله هو عصر الراشدين (١) .

وفى الحق ، أن هذه الدولة المثالية كانت حجة قاطعة على النوع البشرى بصدد امكان المحافظة على أصالة الدعوة الاسلامية ، اذ أنها أثبتت اثباتا عمليا أن الحفاظ على كيان الأمة الداعية ، وعلى نظام الدولة الاسلامية الدعوية لم ينحصر فى امكان شخصية الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - المعصومة فحسب ، ـــــ

---

(١) وقد فرضت هذه الحقيقة نفسها على المؤرخ النصرانى (جرجى زيدان) على الرغم من نصرانيته وكيده المعروف للاسلام وتاريخه ، فهو يقول :
" هذا هو عصر الاسلام الذهبى ، عصر العدل والتقوى ، كانت الحكومة جارية فيه على سنن العدل والاستقامة ، والغيرة الحقيقية على الدين ونبذ الدنيا ، وهو العصر الذى اتخذه المسلمون مثالا ينسجون عليه وكلما حادت دولة من دولهم عن جادة الحق طلبوا اليها الرجوع اليه والسير على خطوات الراشدين "
(تاريخ التمدن الاسلامى : ١/٢٦٤) .

بل أن ذلك في استطاعة أمته - صلى الله عليه وسلم - غير المعصومة ، حين تريد ذلك وتأخذ بأسبابه الموضوعة .

ولقد أشار الى ذلك أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - في موقف حرج ، لما لحق الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، وفوجئ أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين - بهذا النبأ المذهل ، وطار لب كثير منهم من أصحاب العقلية العبقرية ، فقال الصديق :

((أيها الناس انه من كان يعبد محمداً ، فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فان الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية :

(وما محمد الا رسول ، قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين) (١)

وهكذا لفت أبو بكر رضى الله عنه نظر الامة الى تلك الحقيقة الناصعة التى يجب عليها أن تجعلها نصب أعينها ، الا وهى : أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أبلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وعلى الأمة أن تحمل هذه الرسالة بعده ، وهى مكلفة اقامتها على وجه الأرض الى يوم القيامة ، وهذه الفريضة المحكمة غير مربوطة بوجود شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن أن تكون مربوطة بوجود شخصيات أخرى ، فعلى الأمة - كلما واجهتها مواقف حرجة حاسمة فى حياتها أن تنظر دائما الى واجبها المتمثل فى تعاليم الكتاب والسنة ، وأن تنهض بهذا الواجب دون أن يؤثر فى عزمها تقصير المقصرين أو توانى المتوانين فى الماضى والحاضر .

لا شك أن العهد الراشدى كان عهدا دعويا خالصا كما شهد الواقع التاريخى ، فلا نحتاج - الآن - أن نتوسع فى بحثه ، ولا سيما انه ليس من صميم موضوعنا ، وحسبنا أن نلقى نظرة موجزة عليه ، وهناك مثل معروف فى الفارسية معناه : (ان المسك هو ما يفوح بنفسه ولا يحتاج الى أن يعرف به العطار) . فنستعرض هذا العهد الدعوى بايجاز كالتالى :

---

(١) ابن هشام : سيرة النبى : ٤/٤٤٧

أولا : مبادئ الراشدين في ضوء بعض خطبهم

(أ) أبو بكر الصديق رضي الله عنه

بايع أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على كفاءته وتقواه (١) ، ولم يكن قط حريصا على هذا المنصب الجليل فهو يقول عن نفسه :

(وايم الله ! ما حرصت عليها ليلا ولا نهارا ، ولا سألتها الله قط في سر ولا علانية -) (٢)

وبعد ما تمت بيعته الخاصة في سقيفة بني ساعدة ، ثم بيعته العامة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ألقى أمام الناس خطبة كانت بمثابة أول بيان رسمي يدلي به بعد مبايعته ، قال :-

" أما بعد ، أيها الناس ، فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت ، فأعينوني ، وان أسأت ، فقوموني . الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي ، حتى أرجع عليه حقه ان شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا خذلهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا الى صلاتكم ، يرحمكم الله) . (٤)

وترسم هذه الخطبة خطوطا رئيسية يجب على كل رئيس للدولة الاسلامية الدعوية أن يجعلها معالم طريقه ، ونود هنا أن نشير اليها بايجاز :

---

(١) انظر : ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ١٦/١
(٢) " " " : المصدر نفسه : ٢٢/١
(٣) ابن هشام : سيرة النبي : ٤٥٦/٤
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية : ٣٠١/٦

١- ان الخلافة ليست استعلاء ولا تسلطا ، بل هي أمانة ومسئولية ، فالخليفة من الأمة ، ولا يجوز له أن يفتخر بنسب ولا يباهي بعنصر ، ولا يتعالى بالسلطة ولا يتجبر بالحكم ، وأشار اليه الصديق بقوله : (انى وليت عليكم ولست بخيركم) .

٢- لا يزعم الخليفة أنه منزه عن الخطأ ، فهو بشر ، معرض لأن يحسن ولأن يسيء ، وعلى الأمة أن تتعاون معه على ما أحسنه ، بأداء كل فرد منها واجبه المنوط في جميع مجالات الحياة ، وعليها أن تقوم الخليفة - بكل شجاعة وأمانة - وتعدل سلوكه ، وتغير اتجاهه ، اذا ما رأته يميل عن سواء السبيل ، وعلى الخليفة أن يقبل نصح الناصحين ، بل عليه أن يطلبه ، قال الصديق - رضى الله عنه - :

(ان أحسنت فأعينوني ، وان أسأت فقوموني)

٣- على الأمة الاسلامية - وفي مقدمتها رئيس الدولة الاسلامية - أن تلتزم الصدق وتجتنب الكذب ، تلتزم الصدق في كل شيء ، في القول والعمل ، في السياسة والحكم ، فهو أمانة يجب أن تؤدى بدقة ، والكذب في أي من الأمور السابقة خيانة ، يجب على المسلم أن ينزه نفسه عنها . فالصدق والأمانة هما مصدر كل خير في حياة المسلم ، والكذب والخيانة هما مصدر كل شر في حياته .

٤- القوى في الاسلام هو صاحب الحق ، كائنا من كان ، والضعيف هو حليف الباطل كائنا من كان ، هذا هو المبدأ المثالي في اقامة العدل في المجتمع الاسلامي .

٥- القتال في سبيل الله لاعلاء كلمته وازالة العقبات عن طريق الدعوة ، كيما تنتشر في الناس ، ويسعدوا بها في دنياهم وآخرتهم ، والحفاظ على العقيدة والشريعة واجب على الدولة الاسلامية ، والاعراض عن هذا الواجب أو التأويل فيه ، مضيعة للأمة ومجابهة لذلها وهوانها .

٦- ان البلاء يقع لسبب الذنوب والمعاصي ، ويرتفع بالتوبة والانابة الى الله ، فعلى الأمة - وعلى رأسها امام الدولة الاسلامية - أن تجعل هذه الحقيقة الناصعة نصب أعينها .

٧- ان طاعة الحكام مشروطة بطاعتهم الله ورسوله ، فعلى الأمة أن تطيع الحكام (١)
في المعروف فقط ، فلو أمروا بمعصيته فلا طاعة في معصية الله .

(ب) عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه :

==========

وهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبة له :

" أيها الناس ! انه لم يبلغ ذو حق في حقه أن يطاع في معصية الله ، وانـــي لا أجد هذا المال يصلحه الا خلال ثلاث : أن يؤخذ بالحق ، ويعطى فـي الحق ويمنع من الباطل ، وانما أنا ومالكم كولي اليتيم ، ان استغنيت استعففت ، وان افتقرت أكلت بالمعروف ، ولست أدع أحدا يظلم أحدا ولا يعتدي عليه حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق .

ولكم علىّ - أيها الناس - خصال أذكرها لكم فخذوني بها ، لكم على ألا أجتبي شيئا من خراجكم ، ولا مما آفاء الله عليكم الا من وجهه ، ولكم على اذا وقع في يدي ، ألا يخرج مني الا في حقه ، ولكم على أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم ان شاء الله ، وأسد ثغوركم ، ولكم على ألا ألقيكم في المهالك ، ولا أجمركم (٢) في ثغوركم ، وقـــد اقترب منكم زمان قليل الأمناء ، كثير القراء ، قليل الفقهاء ، كثير الأمل ، يعمل فيه أقوام للآخرة يطلبون به دنيا عريضة ، تأكل دين صاحبها كما تأكل النار الحطب ألا ! كل من أدرك فليتق الله به وليصبر ـــــ

---

(١) أما الخروج على الحكام الجائرين ، فلا يجوز الا اذا ظهر منهم كفر بواح ، وذلك لحديث رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه فقال : (دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه ، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وألا ننازع الأمر أهله ، قال : الا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان)
رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم : ١٢/٢٢٨
وانظر : ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية : ص ٤٢٨-٤٣٠

(٢) تجمير الجيش : جمعهم في الثغور وحبسهم عن العود الى أهلهم .
(ابن الأثير : النهاية : ١/٢٩٢)

أيها الناس ! ان الله عظّم حقه فوق حق خلقه ،فقال فيما عظم من حقه :

((ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ،أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون))(١)

ألا ! وانى لم أبعثكم أمراء ولا جبارين ،ولكن ، بعثتكم أئمة الهدى يهتدى بكم ، فأدروا(٢) على المسلمين حقوقهم ، ولا تضربوهم ،ولا تحمدوهم فتفتنوهم ،ولا تغلقوا الأبواب دونهم ،فيأكل قويهم ضعيفهم ،ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم ،ولا تجهلوا عليهم ، وقاتلوا لهم الكفار طاقتهم ، فاذا رأيتم بهم كلالة فكفوا عن ذلك فان ذلك أبلغ فى جهاد عدوكم .

ايها الناس! انى أشهدكم على أمراء الامصار ،انى لم أبعثهم الا ليفقهوا الناس فى دينهم ،ويقسموا عليهم فيئهم ،ويحكموا بينهم ،فان أشكل عليهم شيء رفعوه الىّ(٣)

أدلسنا نجد فى هذه الخطبة الغالية نفحات من العهد النبوى فى السياسة والحكم ؟ أدلسنا نجد فيها الدليل الذى لايدفع على ما نذهب اليه من أن الدولة الراشدية هى امتداد الدولة النبوية تلتزم حدودها وتترسم خطاها ،وتتفيأ ظلالها سياستها الداخلية والخارجية ـ؟ ان تحليل معانى هذه الخطبة يقتضى تصنيف رسالة مستقلة ، فنكتفى ههنا بأن نقول : ان الراشدين ـ رضى الله تعالى عنهم ـ فعلوا أكثر مما قالوا ، والتاريخ أكبر شاهد على ما فعلوا ،ولا شك أن المسك هو ما يفوح بنفسه ولا يحتاج الى أن يعرف به العطار .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ـ : ٨٠

(٢) أدروا : اى يسروا لهم استيفاء حقوقهم ،كناية عن : (أدرت الناقة ،فهى مدر ،اذا درلبنها (انظر : ابن منظور : لسان العرب : ٤/ ٢٨٠)

(٣) أبو يوسف : كتاب الخراج : ١٢٧- ١٢٨

(ج) عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه

==========

والخليفة الراشد الثالث عثمان ذو النورين لم يدخر جهده فى أن تستمر الدولة على منهجها الدعوى ، ومما يؤكد هذا المعنى تلك الأوامر التى أصدرها ذو النورين فيما بعد وهو خليفة ، اليكم بعض النماذج منها :

١- كتب الى عماله :

((أما بعد ، فان الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ، ولم يتقدم اليهم أن يكونوا جباة ، وان صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة ، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ، ولا يكونوا رعاة ، فاذا عادوا كذلك ، انقطع الحياء والأمانة والوفاء ، ألا ! ان أعدل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين فيما عليهم ، فتعطوهم مالهم وتأخذوهم ما عليهم ثم تُثَنّوا (١) بالذمة ، فتعطوهم الذى لهم وتأخذوهم بالذى عليهم ، ثم العدو تتتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء (٢)))

٢- وكتب الى أمراء الجيوش :

((أما بعد ، فانكم حماة المسلمين وذادتهم (٣) ، وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا ، بل كان عن ملأ منا ، ولا يبلغنى عن أحد منكم تغيير ولا تبديل ، فيغير الله ما بكم ، ويستبدل بكم غيركم ، فانظروا كيف تكونون ، فانى انظر فيما ألزمنى الله النظر فيه والقيام عليه (٤))).

---

(١) ثم تثنوا بالذمة : أى ضموا اليه أمر أهل الذمة ، اذا فعل أمرا ثم ضم اليه آخر قيل : ثنى بالأمر الثانى) (انظر : ابن منظور : لسان العرب : ١٤/١١٥)

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٤/٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٣) الذادة : جمع ذائد : وهو الحامى الدافع (ابن الأثير : النهاية : ٢/١٧٢)

(٤) الطبرى : المصدر السابق : ٤/٢٤٥

٣- وكتب الى عمال الخراج :

((فان الله خلق الخلق ،فلا يقبل الا الحق ،خذوا الحق وأعطوا الحق به ، والأمانة ،الأمانة ،قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها ، فتكونوا شركاء من بعدكم الى ما اكتسبتم ،والوفاء ،/لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد ،فان الله خصم لمن ظلمهم)) (١)

(د) علي بن أبي طالب رضي الله عنه

==========

برز على منصة التاريخ الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه- في مرحلة عصيبة من مراحل تاريخ الأمة الاسلامية ،اذ كانت الفتنة الكبرى تتفاقم في جوانب العالم الاسلامي آنذاك .وقتل الخليفة الراشد الثالث ذو النورين مظلوما ، فانتخبه أهل الحل والعقد من الصحابة المهاجرين والأنصار، ولم يكن هو بنفسه قط متطلعا الى هذا المنصب ،بل رفض طلب المهاجرين والأنصار قائلا : (لا حاجة لي في أمركم ،أنا معكم ،فمن اخترتم فقد رضيت به) (٢)

ولما أصروا عليه وأجبروه على قبول هذا المنصب ،صعد منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :-

((انى قد كنت كارها لأمركم ،فأبيتم الا أن أكون عليكم ،ألا ! وانه ليس لي أمر دونكم ،ألا ! ان مفاتيح ما لكم معي ،ألا ! وانه ليس لي أن آخذ منه درهما دونكم ،رضيتم ؟

قالوا : نعم ،

قال : اللهم اشهد عليهم)) ثم بايعهم . (٣)

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤/ ٢٤٥

(٢) الطبري : المصدر نفسه : ٤/ ٤٢٧

(٣) الطبري : " " ٤/ ٤٢٨

وقال في أول خطبته التي ألقاها بعد ما تحمل عبء الخلافة :

((ان الله تعالى أنزل كتابا هاديا ، بين فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير ، ودعوا الشر ، ان الله حرم حرما مجهولة ، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها ، وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق ، لا يحل لمسلم أذى مسلم الا بما يجب . بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت ، فان الناس أمامكم ، وانما خلفكم الساعة ، تحدوكم فتخففوا تلحقوا ، فانما ينتظر بأولكم آخركم ، اتقوا الله عباده في عباده وبلاده ، فانكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم ثم أطيعوا الله ولا تعصوه ، واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فدعوه))(١)

لا شك ، أن هذه الخطبة معلم من معالم الدولة الدعوية ، ولقد شهد التاريخ أن عمل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كان أثبت وأقرب مما قاله .

وفي الحق ان الراشدين - رضي الله تعالى عنهم - صدقوا في قولهم وفعلهم ، وفي سياستهم للدولة ، ونحوا نفس المنحى الذي عنوه في خطبهم في ضوء كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والسر في نجاحهم بالحفاظ على مبادئهم الدعوية : زهدهم الرائع وتقواهم المثالية ، فلم يروا أنفسهم فوق رعاياهم ، كما لم يخطر ببال أحد منهم - في حين من الأحيان - أن يدبر لتدعيم سلطته الشخصية ، فلم يحدث أي تغير في حياتهم قبل الخلافة وبعدها ، فيروى أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - كان يحلب للحي أغنامهم قبل أن يلقى على كاهله عبء الخلافة واستمر في خدمته هذه بعد ذلك .(٢)

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : ٧/٢٢٧-٢٢٨

(٢) انظر : ابن الجوزي : صفة الصفوة : ١/٢٥٨

وفرض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للصديق برد بن ، حتى اذا أغلقها أخذ مثلها ، ودابة اذا سافر ، والنفقة لأهله بمقدار ما كان ينفق عليهم قبل تولّيه الخلافة ، (١) وعاش الصديق على ما فرض له ، ولم يطلب زيادة من بيت مال المسلمين ، (٢) وقال عند ما احتضر : " انظروا ملاءتي هاتين ، فاذا مت فاغسلوهما وكفنوني فيهما ، فان الحي أحوج الى الجديد من الميت " (٣)

وكذلك عمر الفاروق - رضى الله تعالى عنه - كان يدخل على عجوز عمياء (٤) ويخدمها ويخرج عنها الأذى ، واستمر في هذه الخدمة بعد ما تولى منصب الخلافة ، ورآه الناس قائما في الشمس ، في يوم شديد الحر يتفقد ابل الصدقة (٥) ويكتب ألوانها وأسنانها ،

وها هو عثمان بن عفان - رضى الله عنه - ثالث الراشدين ، يقبل في المسجد ، ويقوم وعلى جنبه أثر الحصى ، وكان يطعم الناس طعام الامارة ، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت . (٦)

وهذا علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - رابع الراشدين - يتجول في السوق ويده الدرة ، ولا يشترى ممن يعرفه شيئا مخافة أن يراعيه في الثمن ، ويشترى من غلام لا يعرفه قميصا بثلاثة دراهم ، ولما أراد والد ذلك الغلام أن يرد اليه درهما ، لأن ثمن القميص كان درهمين ، لم يقبله . (٧) وخرج مرة الى السوق ليبيع سيفه ويشترى بثمنه ازارا كان يحتاج اليه ، وقال : (لو كان عندي أربعة دراهم أشترى بها ازارا ما بعتــه) (٨)

---

(١) انظر : ابن سعد : الطبقات : ٣/١٨٤ و ١٨٥

(٢) الملاءة : الازار أو الملحفة ، جمعه : ملاء (انظر : ابن منظور : لسان العرب : ١/١٦٠)

(٣) انظر : ابن سعد : المصدر السابق : ٣/١٩٦

(٤) " ابن الجوزي : صفة الصفوة : ١/٢٨١

(٥) " : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤/٢٠١

(٦) " : ابن الجوزي : المصدر السابق : ١/٣٠٣

(٧) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ٨/٤

(٨) " : ابن كثير : المصدر نفسه : ٨/٣

ثانيا : حياطة الراشدين البالغة لمقومات المجتمع الاسلامـــــى :

لا ريب أن الراشدين - رضى الله عنهم - استطاعوا أن يحافظوا على أصالة الدعوة الاسلامية فى الحكم بزهدهم الرائع وتقواهم المثالية ، فكانوا أروع مثال للحياطـــة البالغة لمقومات المجتمع الاسلامى إذ لم يتركوا فجوة صغيرة يدخل منها الضعـــف والوهن فى مجالات العقيدة والعمل ، والأخلاق والاجتماع ، فاصرار أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه - على ارسال جيش أسامة ، رغم اشارة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه بارجائه ، (١) دليل واضح على تمسكه بأهداب النبوة تمسكـــــا لا هوادة فيه ، وكذلك عزمه وصموده على قتال أهل الردة (٢) ومباشرة ذلك نفسه يدل على شدة محافظته على وحدة العقيدة والعمل فى بيئة المجتمع الاسلامى ، ولم يقتصر الصديق على قمع فتنة الردة واستيصالها فحسب ، بل اختار سياسة حذرة غاية الحذر ، ودقيقة غاية الدقة فى معالجة هذه الفتنة ، اذ لم يسمح لهؤلاء الذين اكتسحهم سيل الردة بالتسرب فى المجتمع الاسلامى ، فكان لا يستعين فى الجهاد بأحد من أهل الردة ، وجعل ذلك جزءا من سياسته وبرنامجه فى الحكم ، فكتب الى عماله :

((أما بعد ! فان أحب من أمر خلتم فى أموركم الى : من لم يرتد ومن كان ممن لم يرتد ، فأجمعوا على ذلك ، فاتخذوا منها صنائع ، وأذنوا لمن شاء فى الانصراف ، ولا تستعينوا بمرتد فى جهاد عدو)) (٣)

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٦/٣٠٩

(٢) " : السيوطى : تاريخ الخلفاء : ٧٤-٧٥

(٣) " : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٣/٢٤١

كما كتب الى خالد بن الوليد وعياض بن غنم (١) رضى الله عنهما :

" ولا يغزون معكم أحد ارتد ، حتى أرى رأيى " (٢)

ويبدو لنا من هذا الموقف الذى وقفه الصديق - رضى الله عنه - دقة نظره وعمق فكره وبلغ حياطته بسلامة الاسلام وسلامة مجتمعه .

وكان الفاروق - رضى الله عنه - أذن لمن ارتد أن يشارك المسلمين فى جهادهم ، وذلك بعد ما قوى أمر المسلمين ، فرأى ألا تبقى هذه القوة معطلة ، ولكنه أيضا كان حذرا جدا فى هذه المعاملة فكتب الى سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - ألا يولى أحدا من رؤساء أهل الردة على مائة (٣) .

ومن جهة أخرى كان الفاروق - رضى الله عنه - يحذر غاية الحذر أن يتسرب فى زمرة عماله أحد من المنافقين ، وأى خطر أخطر على الاسلام من النفاق - ؟ ان النفاق - سواء كان عمليا أو اعتقاديا - كمثل سوس يصيب الظلة فيأكلها ويفسدها ، ولا يعلم صاحبها خطر الدمار الذى أتت به هذه الحشرة الصغيرة ، وكذلك النفاق يأكل شجرة العقيدة والعمل من داخلها ، ويتركها جوفا ، خاوية ، ولا يشعر به الا من أعطاه الله قلبا سليما وبصيرة نفاذة ، ومن هنا تعرف قيمة شدة حياطة الخليفة الراشد الثانى فى هذا الأمر ، فسأل مرة حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - أفى عمالى أحد من المنافقين - ؟ وكان حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معرفة المنافقين ، بحيث لم يخبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن المنافقين وأسمائهم أحدا من أصحابه غير حذيفة ـــــ

---

(١) هو عياض بن غنم بن زهير بن أبى شداد القرشى ، اسلم قبل الحديبية وشهدها ، كان ابن عم أبى عبيدة ، استخلفه أبو عبيدة بالشام عندما احتضر : فأقره الفاروق ، وهو الذى فتح بلاد الجزيرة ، كان صالحا فاضلا ، سمحا يسمى : زاد الركب) يطعم الناس زاده ، فاذا نفد نحر لهم جمله ، توفى بالشام سنة عشرين . (انظر : ابن الاثير : اسد الغابة : ٤/٣٢٧-٣٢٩)

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ٣/٣٤٧

(٣) الطبرى : " " ٣/٥٥٧

فقال حذيفة : نعم ، واحد ، ولكن لم يدل عليه مباشرة ، فعرفه عمر ببصيرته وعزله ، وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة ، فان حضر الصلاة عليه ، صلى عليه عمر ، وان لم يحضر حذيفة ، لم يحضر عمر (١) ـ وهكذا لم يستطع النفاق أن يستشرى فى المجتمع الاسلامى فى العهد الراشدى ، وخصوصا فى دعائم الدولة وهى : عمال الولايات .

وكان من حيطة الفاروق البالغة على مقومات المجتمع ، أنه لا يحب تزوج الأجنبيات لعماله ، فعلم أن حذيفة بن اليمان ـ رضى الله عنه ـ تزوج أجنبية (٢) وكان والياً على المدائن فى تلك الأيام ، فأمره أن يطلقها ، وطلقها حذيفة بعدما اقتنع من استدلال الفاروق (٣) .

ولا يظهر سر هذا الفكر الفاروقى العميق ، ودقته وأبعاده ، الا بامعان النظر فى تاريخ الاسلام ، وفيما مر به العالم الاسلامى من الضعف والشيخوخة فى الحكم ، وما عاناه من الانحطاط والانهيار والشتات ، بأنه كان للزواج بالاجنبيات أثر بعيد فى ذلك (٤) ، ولا سيما اذا كن زوجات للملوك والأمراء .

---

(١) انظر : ابن الأثير : أسد الغابة : ١ / ٤٦٨

(٢) المراد بالأجنبيات غير المسلمات من أهل الكتاب ، أما المسلمات فلسن بأجنبيات من أى جنس كن .

(٣) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٣ / ٥٨٨

(٤) ونضرب لذلك مثلا فقط : السلطان المعظم سليمان القانونى (١٥٢٠-١٥٦٦م) الذى كان من أعظم حكام عصره ، كانت له زوجة يهودية روسية اسمها (خرم) أى الباسمة استطاعت هذه الزوجة الأجنبية أن تتكب الدولة العثمانية نكبات فاقرة عن تدبير اغتيال ولى عهد السلطان نفسه ، وهو ابنه مصطفى واغتيال بعض الوزراء الذين كانوا من أكبر دعائم الدولة ، ففعلت بهم هذه الأجنبية ما فعلت . وان فى خبرها لعبرة لمن كان له قلب كقلب عمر ـ رضى الله عنه ـ وفهم كفهمه .

(انظر : على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ـ : ٣٧-٣٨)

عه وكانت يهودية - انظر : الجصاص - احكام القرآن : ١/٣٢٣ (مصورة عن الطبعة الأولى : ١٣٣٥هـ)

ويدل كذلك على شدة حياطة عمر لمقومات المجتمع الاسلامي ما فعله برجل يقال له صبيغ، كان يتجول في معسكرات الجيوش الاسلامية يسأل عن متشابهات القرآن ، فقبض عليه عمرو بن العاص - رضي الله عنه - عامل مصر ، وبعثه الى الفاروق فضربه عمر حتى أدمى رأسه ، فقال صبيغ " ياأمير المؤمنين ، ان كنت تريد قتلي ، فاقتلني قتلا جميلا ، وان كنت تريد أن تداويني ، فقد ذهب الذي كنت أجد في رأسي " فخلى سبيله ، ولكن كتب الى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عامل البصرة ألا يجالسه أحد من المسلمين ، فكان الناس اذا رأوه يأتي الى مجالسهم قاموا وتفرقوا ولو كانوا مائة (١) .

وهل كان التساؤل عن متشابهات القرآن جريمة نكراء تستحق تلك العقوبة الموجعة التي عاقب بها عمر صبيغا - ؟ الظاهر لا يوافقه ؛ ولكن اذا نظرنا في أبعاد ما ارتكبه صبيغ ، تبين لنا اصابة رأي عمر ودقة نظره وعمق فكره ، فلا يخفى على الذين لهم علم بنشاط عملاء الحركات الهدامة المعاصرة ، أنهم يغزون دائما على جبهتين ، وهما : الجيش ، والتعليم فيستغلون قلة صلة الجنود بالمعارف الاسلامية وغيرها ، وجوانب ضعفهم الأخرى ، كما يستغلون نعومة فكر النشء الجديد في المدارس والمعاهد والجامعات ، فكان تجول صبيغ العراقي في معسكرات الجيوش خطرا مدهشا تنبهت اليه بصيرة عمر الفاروق ، فعالج القضية حسب مقتضاها على الفور .

وفي الحق تحتاج الدولة الاسلامية الدعوية الى هذه النباهة الفكرية والى هذه الحياطة البالغة لمقومات المجتمع الاسلامي أكثر من الماضي في الحاضر وأكثر من الحاضر للمستقبل ، لأن بعد الزمان من خير القرون يفتح أبوابا متنوعة للشر والفساد ، فتشتد حاجة سد الأبواب من هذه النسبة ، والتاريخ الاسلامي شاهد -

---

(١) انظر : الدارمي : السنن : ١/٥٤-٥٦
" : ابن عساكر : (تهذيب) تاريخ دمشق : ٦/٣٨٧

ـ مع الأسف الشديد ـ على أن الدولة الاسلامية لم تنحرف عن الجادة الدعوية الا بسبب ضعف مسئوليها في جانب هذه النباهة الفكرية والحياطة البالغة، اللتين كانتا من أهم مميزات الراشدين رضى الله تعالى عنهم .

ثالثا : دعوية الحكم الراشدى فى ضوء علاقاته الخارجية

وأما دور الراشدين فى المجال الخارجى وهو : حمل رسالة الاسلام الى الناس كافة ، فقد أدوا واجبهم بغاية الحكمة والحنكة ، ونجد هذه الحكمة والكياسة فى وصايا الراشدين لأمراء الجيوش وفى رسائلهم ،فاقرأ(١) وصايا الصديق الموجهة الى يزيد بن أبى سفيان حين بعثه الى الشام ،واقرأ(٢) وصايا الفاروق الى سعد ابن أبى وقاص ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ تجد ونها تنم عن الكياسة والراشدية العبقرية ، وتوضح أهدافهم الدعوية المطهرة ،كما أنها تبرز أخلاق المسلمين الفاضلة وسلوكهم المتميز ازاء أعدائهم ،وان كانوا محاربين ،وقد يخيل لمن يسمع هذه الوصايا ـ وهو لا يعرف صاحبها ـ أنها صدرت من معلم مرشد شفيق ،لا من حاكم تتهاوى الممالك أمام جحافله . ولكن لا غرو ! فانها خرجت من قلب قد اعتبر الدولة بكاملها اداة من أجل مصلحة الدعوة ، التى تكمن فيها المصلحة الحقيقية للبشر قاطبة فى آجلتهم وعاجلتهم ،ونلمح فى آفاق هذه الوصايا نضجا ومهارة متفوقين فى معالجة علاقات الدولة الدعوية بأعدائها .

---

(١) اقرأ نص هذه الوصايا بكاملها فى (١) عيون الأخبار : ١/١٠٨-١٠٩ لابن قتيبة
(٢) العقد الفريد : ١/١٢٩ لابن عبد ربه
(٣) الكامل فى التاريخ ٢/٢٧٦-٢٧٧ ـــ لابن الأثير

(٢) اقرأ نص هذه الوصايا بكاملها فى العقد الفريد : ١/١٣٠ - ١٣٢

وهناك معاهدات الصلح للراشدين ، وهي تنم عن أبعاد أهدافهم السامية في حروبهم من اجل مصلحة الدعوة ، وتبرز استقامتهم على الروح الدعوية لدولة الاسلام ، كما كانت هذه المعاهدات تكفل مصالح المستسلمين للدولة الدعوية الى أبعد حد ممكن ، وتهيء لهم الجو المناسب ليعاشروا المسلمين ، وليشاهدوا البركات التي فتحها الله على المسلمين ، وليتنظروا - عن كثب - الجو المثالي الرائع للمجتمع الاسلامي الدعوي ، فلعلهم ينتفعون بالهداية الربانية .

ويمكن أن نلخص تلك المبادىء الأساسية التي تشملها هذه المعاهدات كالآتي :-

(١)
(أ) اعطاء الأمان للمعاهدين على أنفسهم وأموالهم وأديانهم ومعابدهم .

(ب) تعيين الفئات التي تشملها المعاهدة ، واعطاؤها حرية الاختيار بين
(٢)
الاقامة في البلاد أو الخروج منها ، ومن خرج فله الأمان حتى يبلغ مأمنه .

(٣)
(ج) فرض الجزية عليهم على قدر الطاقة وبشروط محددة .

(٤)
(د) وضع الجزية عمن يستعين بهم المسلمون في الحروب .

(٥)
(هـ) تكفل الدفاع عن المعاهدين .

(٦)
(و) ابراز سيطرة الحكم الاسلامي على المعاهدين .

(ز) المحافظة على مقومات الكيان الاسلامي ، وعدم السماح بتسرب خصائص أخرى اليها ، كيما يبقى سليما ، قويا ، قادرا على حمل الرسالة واداء الأمانة اللتين نيطتا به (٧) .

---

(١) (٢) (٣) مبادىء عامة تشمل كل معاهدة الصلح للمسلمين في تلك الأيام انظر على سبيل المثال : نص معاهدة ايلياء (بيت المقدس) .
(الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٣ / ٦٠٩)

(٤) انظر نص معاهدة أهل جرجان : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤ / ١٥٢

(٥) انظر : أبو يوسف : كتاب الخراج : ١٥٠

(٦) انظر نص معاهدة الصلح بنصارى الشام (١) ابن حزم : المحلى : ٧ / ٤٠٥

(٧) (٢) ابن عساكر : (تهذيب) تاريخ دمشق : ١ / ١٧٩
(٣) ابن قيم : أحكام أهل الذمة : ٦٥٧-٨٧٣

(ح) وقد تضاف شروط تقتضيها الظروف وتحقيق الاهداف .

وجاءت الدولة الراشدية بفضل سياستها الدعوية ، وبحكم هذه الوصايا القيمة والمعاهدات العادلة بثمرات كثيرة فى حقل الدعوة الاسلامية ، وانتشرت الدعوة فى جزء كبير من المعمورة فى مدة لا تتجاوز ربع القرن (١) ، ولم يكن فتح الراشدين فتح البلاد والأقطار فحسب ، انما كان فتحهم فتح القلوب والمشاعر ، وامتلاك الأذهان والعواطف ، ويكفى أن نضرب لذلك مثالا واحدا : كانت الجيوش الاسلامية زاحفة على أرض الشام تفتح القرى والمدن ، فتآمرت الروم أن تقاوم هذه القوة الزاحفة بكل عددها وعدتها ، واجتمع جمع كبير لهم بميدان اليرموك ، وكان أبو عبيدة بن الجراح أمير الجيوش الاسلامية ، قرر بعض تسهيلات للمعاهدين فأصبحوا جواسيس للمسلمين ، وكانوا يأتون اليهم بأخبار الروم فجاؤا بخبر اجتماع الروم فى اليرموك ، فكتب أبو عبيدة الى جميع من تولى امارة البلاد المفتوحة أن يرد الى المعاهدين ما جبى منهم من الجزية والخراج ، ويصرح لهم بأن هذا المال أخذناه بشرط أن ندافع عنكم ، أما الآن فلا نقدر على ذلك ، فنرده اليكم ونحن على عهدنا اذا انتصرنا على عدونا باذن الله ، ولما خرج المسلمون الى اليرموك ، ليقاموا هناك القوة المجتمعة للروم ، قال أهل الذمة : (ردكم الله علينا ، ونصركم عليهم ، فلو كانوا مكانكم ، لم يردوا علينا شيئا وأخذوا كل شئ بقى لنا ، حتى لا يدعوا لنا شيئا) (٢) .

فلا شك ، أن الدولة الراشدية ، كانت دولة دعوية خالصة ، وامتدادا بشريا لعهد النبوة ، وجاءت بعد هذه دولة بنى أمية ، وسوف نرى فى المبحث الآتى مدى ثبات هذه الدولة على المبادئ الدعوية ، ان شاء الله .

---

(١) كان قد وصل الفتح الاسلامى فى عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان ذى النورين فى سنة ثلاثين : فى الشرق الى سجستان وكابول (عاصمة افغانستان) وفى الشمال : الى جرجان وطبرستان ، وفى الغرب الشمالى الى آرمينية ، وفى الغرب الى قرطاجنة (طرابلس) فى شمال قارة افريقية (انظر : البلاذرى : فتوح البلدان : ٢٦٧ ، ٤١١ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٣/ ٨٣- ٨٦ و ٩٢ و ١٢٨

(٢) انظر : أبو يوسف : كتاب الخراج : ١٤٩ و ١٥٠

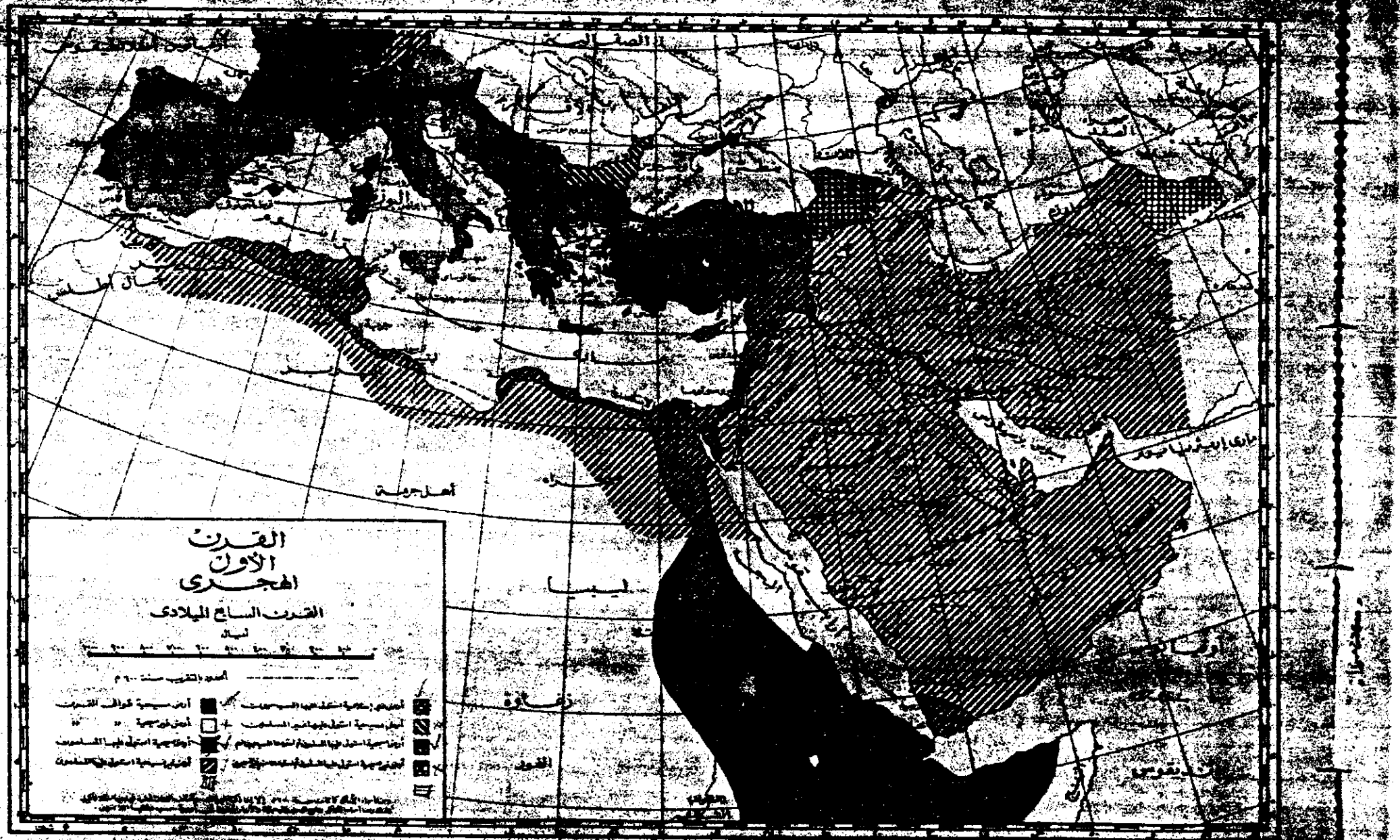
القرن
الأول
الهجرى
القرن السابع الميلادى
أهل جرمة
ليبيا
زغاوة

المبحث الثانـــــى .

الدعوة فى ظل الأمويـــــين -

لقد استعرضنا الدعوة الاسلامية فى أصالتها وجوهرها فى العهد النبوى ، كما استعرضنا امتدادها السوى فى العهد الراشدى ، أما العهد الأموى ، فنعتبره جسرا الى العصر العباسى الذى هو صلب موضوعنا ، ولذا فانا نعرض له فى ايجاز حتى نصير الى الكلام فى العهد العباسى .

يعتبر المؤرخون معاوية بن أبى سفيان - رضى الله تعالى عنهما - مؤسسا للدولة الأموية ، فهو الذى اختار ابنه يزيد وليا لعهده ، وبغض النظر عن كون هذه الخطوة صوابا أو خطأ ، فقد استبدلت هذه الخطوة بطريقة الشورى الراشدية ، بطريقة أخرى ، ونتيجة لذلك ، حدثت عدة من المآسى فى التاريخ الاسلامى .

ولكن هذا لا يبرر لنا أن نسىء الظن فى نية معاوية رضى الله عنه ، أو ننسب اليه نتائج كل من هذه المآسى ، وذلك لأمرين :

أولا كل من جاء بعد معاوية من الخلفاء ، لم يكن مكلفا أن يتبع اجتهاد معاوية فى انتهاج نظام الحكم الذى انتهجه ، وانما كان مكلفا أن يتبع ما يجده فى الكتاب والسنة ، فاذا اختار اجتهاد معاوية ، اختاره برأيه واجتهاده فهو المسئول عن رأيه واجتهاده .

ثانيا قال معاوية عن نفسه : (والله على ذلك : ماكنت لأخير بين الله وغيره ، الا اخترت الله على غيره مما سواه)[1] .

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٨/١٣٤

فلا يجوز لأحد أن ينسب اليه سوء النية فيما فعله طول عهد حكمه وامارته ، فهو صحابي جليل قد اجتهد ، فان أصاب فله أجران ، وان أخطأ فله أجر واحد .

أما حكم معاوية رضي الله عنه ، فنعتبره حكما اسلاميا دعويا أعمل فيه اجتهاده بنحو من الانحاء ، وقد أثنى عليه بعض الصحابة الكبار ؛ يروى أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : (ما رأيت أحدا بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب)(١) يعني معاوية ، كما يروى عن حبر الأمة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما قوله : (ما رأيت رجلا أخلق بالملك من معاوية)(٢) .

لقد أسس - رضي الله تعالى عنه - دولة ترهب العدو وتبزه في العظمة والأبهة ، والروعة والبهاء ، والاعداد والاستعداد ، والعدد والعدة ، وتبزه في ميدان السياسة الخارجية والمواقف الدولية ، وتحفظ على الرعية - في السياسة الداخلية - مبادىء الشريعة الاسلامية ، وتهيء لهم فرص السعادة والرفاهية في اطار ما أجازه الاسلام وأباحه .

ولكن كان هذا الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، جسرا رقيقا ودقيقا ، أرق من الشعر وأحد من السيف ، فمن عبره بتوفيق الله سبحانه وتعالى فقد عبر ، ومن التفت يمينا وشمالا سقط ، وكان معاوية رضي الله عنه ممن عبر هذا الجسر الرقيق بتوفيق الله تعالى سالما وغانما ، كما شهد به علماء هذه الأمة ، فقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

" (فلم يكن من ملوك المسلمين ملك خيرا من معاوية ، ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيرا منهم في زمن معاوية ، اذا نسبت أيامه الى أيام من بعده ، وأما اذا نسبت الى أيام أبي بكر وعمر ، ظهر التفاضل)(٣) "

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : ٨/١٣٣

(٢) ابن كثير : المصدر نفسه : ٨/١٣٥

(٣) منهاج السنة : ٣/١٨٥

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

((وأجمعت الرعايا على بيعته فى سنة احدى وأربعين ، فلم يزل مستقلا بالأمر فى هذه المدة الى هذه السنة التى كانت فيها وفاته ، والجهاد فى بلاد العدو قائم ، وكلمة الله هى العليا ، والغنائم ترد اليه من أطراف الأرض ، والمسلمون معه فى راحة وعدل ، وصفح وعفو))(١)

أما الخلفاء الأمويون الذين جاءوا بعد معاوية - رضى الله عنه - فلم يستطيعوا - عدا عمر بن عبد العزيز رحمه الله - أن يحاكوا معاوية فى اجتياز الجسر بسلام ، وأن يسوغوا ما يقتضيه هذا الموقف الحرج ، واكتسحهم سيل حب السلطة ، فبدأ كل من اعتلى على عرش السلطة أصاله بازالة العقبات عن طريق تدعيم سلطته وسطوته ، فمن الطبيعى جدا أن تتراكم العقبات فى جهة أخرى ، ألا وهى جهة الدعوة ، التى هى أساس الدولة الاسلامية ، وهى لا تقر نزعة تدعيم السلطة الشخصية .

ومن ثم بدأت الدولة تنحرف شيئا فشيئا عن هدفها الأصلى ، وتحولت عن منحى الدولة الاسلامية الدعوى .

ونريد أن نذكر نبذة من تلك التحولات الحيوية التى غيرت اتجاه الدولة الاسلامية عن وجهتها :

(أ) سفك الدماء لتدعيم السلطة :

ان السلطة ليست مقصودة بذاتها فى الدولة الدعوية ، انما السلطة فيها لاستخدامها فى اقامة حدود الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ

---

(١) البداية والنهاية : ٨/١١٩

ولنا أمثال كثيرة فيها فى الدولة النبوية وللراشدية ، نكتفى بذكر مثال واحد مدهش ، هذا سواد بن غزية(١) الأنصارى - رضى الله عنه - قد برز من الصف يوم بدر ، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يعدل صفوف أصحابه ، وبيده سهم فطعن به فى بطن سواد وقال : استو يا سواد ! قال سواد : أوجعتنى يارسول الله ، وقد بعثك الله بالحق والعدل ، فأقدنى ، ويكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، ويقول له : استقد ، فاعتنقه وقبله ، فقال : ماحملك على هذا يا سواد ؟ قال : حضر ما ترى يارسول الله ، فأحببت أن يكون آخر عهدى بك أن يمس جلدى جلدك(٢) .

ان هذا المشهد الرائع أعطانا مستوى رفيعا للدولة الدعوية ، وأبان لنا أن السلطة فيها ليست لتدعيم الشخصيات ، واذا استخدمت السلطة لتدعيم الشخصيات ، بدأ من هنالك الانحراف عن جادة الدعوة ، ولم ينحرف الراشدون عن هذه الجادة ، ولكن رأينا خلفاء بنى أمية - باستثناء بعض منهم - بالغوا فى استخدام السلطة لتدعيم سطوتهم ، ألم تكن وقعة الحرة لتدعيم السلطة الشخصية ؟ وهل تباح دماء المسلمين وأعراضهم لمصلحة الدعوة - ؟ كما استباح المدينة جيش يزيد لثلاثة أيام - ؟(٣)

---

(١) هو سواد بن غزية بن وهب بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، من البدريين ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر ، لم أعثر على سنة وفاته .
(انظر ترجمته فى ابن سعد : الطبقات : ٣/٥١٦)
(ابن الأثير : أسد الغابة : ٢/٤٨٤)

(٢) ابن هشام : سيرة النبى : ٢/٣١٠-٣١١

(٣) انظر ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ١/١٨٠ - ١٨٥
" : ابن كثير : البداية والنهاية : ٨/٢١٧-٢٢٢

وأعجب منه حال عبد الملك بن مروان ، الذى أنكر انكارا شديدا على جيش يزيد الذى وجهه الى مكة لمحاربة عبد الله ابن الزبير (١) - رضى الله عنهما - ثم فعل بعبد الله هذا ما فعل بعد ما تولى السلطة (٢) ، كما أنه غض بصره عن كل ما فعله عامله السفاك الحجاج بن يوسف الثقفى لتدعيم سطوته ، قيل : ان عدد من قتلهم الحجاج صبرا بلغ مائة ألف وعشرين ألفا ، وفيهم بعض من الصحابة وأكابر التابعين ، وعدد ما بقى فى سجن الحجاج بعد موته كان ثمانين ألفا ، منهم ثلاثون ألف امرأة ، واستعرضت السجون بعد الحجاج ، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفا لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب (٣) ، وعبد الملك يستحسن فعل الحجاج ، فيقول فى وصيته لابنه الوليد :

((وانظر الى الحجاج بن يوسف ، فأكرمه ، فانه هو الذى مهد لك البلاد ، وقهر الأعداء ، وخلص لكم الملك ، وشتت الخوارج)) (٤)

وكيف لا يستحسن عبد الملك أعمال الحجاج ! اذ أنه كان بنفسه يميل الى سفك الدماء فى سبيل تدعيم السلطة .

---

(١) انظر : السيوطى : تاريخ الخلفاء : ٢١٧

(٢) » : ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ٢/٢٣-٢٥
ابن كثير : البداية والنهاية : ٨/٣٢٩-٣٤٥

(٣) انظر : ابن كثير : المصدر نفسه : ٩/١٣٦
السيوطى : المصدر السابق : ٢٢٠

(٤) ابن كثير المصدر السابق : ٩/٦٧

يقول عنه المسعودى : (١)

((وكان له اقدام على الدماء ، (٢) وكان عماله على مثل مذهبه ، كالحجاج بالعراق ، والمهلب (٣) ، وهشام بن اسماعيل (٤) بالمدينة ، وغيرهم (بغيرها) وكان الحجاج من أظلمهم وأسفكهم للدماء))

ويقول عبد الملك بنفسه بعد مقتل عبد الله بن الزبير : (٥)

(وايم الله لا يأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا الا ضربت عنقه)

ويقول فى وصيته للوليد : (٦)

(واذا مت فادع الناس الى بيعتك ، فمن أبى فالسيف)

وهذا الوليد بن عبد الملك ، يحمل نزعة أبيه نفسها من سفك الدماء لتدعيم السلطة .

قال فى خطبته الاولى :

(أيها الناس ! من أبدى لنا ذات نفسه ، ضربنا الذى فى عيناه ، ومن سكت ، مات بدائه) (٧)

---

(١) مروج الذهب : ٣/٩٩

(٢) انظر : ابن كثير البداية والنهاية : ٩/٦٣

(٣) هو أبو سعيد المهلب بن أبى صفرة ظالم بن سراق بن صبح بن كندى الأزدى ، كان من أشجع الناس ، وحمى البصرة من الخوارج ، وله معهم وقائع مشهورة ، قاد عدة المعارك ، استعمله الحجاج على خراسان ، وظل واليا عليها حتى توفى فى سنة ٨٣هـ . (انظر ترجمته فى ابن خلكان : وفيات الاعيان : ٥/٣٥٠-٣٥٩) .

(٤) هو هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى - صهر عبد الملك بن مروان ، هو الذى أجبر آل على بالمدينة على شتم آل الزبير ، وأجبر آل الزبير على شتم آل على ، مات بعد سنة ٨٧ هـ (انظر : الزركلى : الاعلام : ٩/٨١) .

(٥) السيوطى : تاريخ الخلفاء : ٢١٩

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية : ٩/٦٧ و ١٦١

(٧) ابن كثير : المصدر نفسه : ٩/٧٠

وقد نقل ابن عبد ربه[1] خبرا مفاده أن الوليد أمر بضرب عنق رجل اعترض عليه لتأخيره صلاة الجمعة حتى اصفرت الشمس ـ ابن هؤلاء الخلفاء الأمويون من أولئك الرعيل الأول الراشد ـ؟ شتان ما بينهم وما أعظم الفارق بين الحكم الراشدى الدعوى وبين الحكم الأموى الذى أخذ الانحراف عن جادة الدعوة ـ فالراشدون كانوا يرون أنفسهم خداما للمسلمين ، كما يرون السلطة أمانة الهية لتنفيذ أوامر الله ولتطبيق شريعته ، أما رجال بنى أمية ـ عدا معاوية وعمر بن عبد العزيز ـ فقد نأوا عن هذا المعنى ، واستجاب لهم عمالهم فى الولايات والأمصار ، وبالغوا فى احداث المعانى للطاعة ، ليبرروا بذلك ما سفكوه من الدماء ، فيقول الحجاج : (ان عبد الملك بن مروان لو أمر الناس أن يدخلوا فى شعب ، فدخلوا فى غيره حلت دماؤهم له)[2] ، ويستدل على زعمه الفاسد بالآيات القرآنية ، وبلغ ببعضهم فى احداث معانى السمع والطاعة الى حد خطير ، روى أن الحجاج قال : (رسول أحدكم فى حاجته أكرم عليه أم خليفته فى أهله)

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله بعد ما نقل هذا الخبر :ـ

(فان صح هذا عنه ، فظاهره كفر ان أراد تفضيل غصب الخلافة على الرسالة ، أو أراد أن الخليفة من بنى أمية أفضل من الرسول)[3]

ونقل عن خالد بن عبد الله القسرى[4] أيضا مثل قول الحجاج[5] ، كما نقل عنه أنه قال وكان مستندا ظهره الى الكعبة المشرفة :

(والله لو علمت أن عبد الملك لا يرضى عنى الا بنقض هذا البيت حجرا حجرا لنقضته فى مرضاته)[6]

---

(١) انظر : العقد الفريد : ١/٥٣

(٢) : * المسعودى : مروج الذهب : ٣/١٥١

(٣) البداية والنهاية : ٩/١٣١

(٤) هو أبو يزيد وأبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلى ثم القسرى ، كان أمير العراقيين من جهة هشام بن عبد الملك ، أمه نصرانية وبنى لها كنيسة خاصة ، قتله يوسف بن عمر الثقفى ابن عم الحجاج شر قتلة فى أيام الوليد بن يزيد فى سنة ١٢٦هـ . (انظر: ابن خلكان : وفيات الاعيان : ٢/٢٢٦-٢٢٩)

(٥) انظر : ابن كثير : المصدر السابق : ٩/٧٦-٧٧

(٦) " : ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ٢/٤٢

فاذا صحت نسبة هذا القول الى خالد القسرى ،شبهت به ذلك الافراط المرضى فى معنى الطاعة الذى كان مستولیا على نفسية عمال بنى أمية ،مما يتنافى ومعنى الطاعة فى الاسلام .

الا أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى جاء فى وسطهم كهبات نسيم تخللت عواصف السموم ،فارتفع صوته على نحو يذكر بأيام الراشدين ،فها هو يقول فى خطبة له :-

((ايها الناس ! انه لاكتاب بعد القرآن ، ولا نبى بعد محمد عليه الصلاة والسلام، ألا وانى لست بقاض ، ولكننى منفذ ، ألا وانى لست بمبتدع ولكنى متبع ،وان الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بعاص ، ولكن الامام الظالم هو العاصى ألا ، لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق))(١)

ولكن الشركان قد بدأ يشق سبيله بكل طاقة وقوة ، فنحى هذه الشخصية الفذة الخالدة عن سبيله ، ولم يمهلها الا مدة أقل من سنتين ونصف(٢) ثم استمر الوضع على نمطه الأول ،ثم جاءت شخصية أخرى تدعى تحويل الوضع الى ما كان فى العهد الراشدى ، وهى شخصية يزيد بن الوليد بن عبد الملك المعروف بيزيد الناقص ، فقال :

((أيها الناس أما والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ،ولا حرصا على الدنيا ،ولا رغبة فى الملك ،وما بى اطراء نفسى ،انى لظلوم لنفسى ان لم يرحمنى ربى فانى هالك وانى خرجت غضبا لله ولرسوله ولدينه ،وداعيا الى الله وكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم))

---

(١) المسعودى : مروج الذهب : ٣/١٩٤ - ١٩٥

(٢) بويع بالخلافة فى شهر صفر سنة ٩٩هـ وتوفى فى شهر رجب سنة ١٠١ هـ وكانت وفاته بالسم(انظر : السيوطى : تاريخ الخلفاء : ٢٣١و ٢٤٦)

لما هدمت معالم الهدى ، وأطفئ نور أهل التقوى ، وظهر الجبار العنيد ، (١)
المستحل لكل حرمة ، والراكب كل بدعة ...) (٢)

ولكن لم يتح له أن يحقق منهجه في الحكم كاملا ، فما بقي في الخلافة الا أقل من ستة أشهر (٣) وتوفي رحمه الله ، واستمر الوضع حتى ثار العباسيون على بني أمية ، وانتقل هذا الوضع المنحرف عن الجادة الدعوية الى بني العباس ، وساروا على ما سار عليه بنو أمية ، وسوف نتكلم فيه في الباب الثاني ان شاء الله .

---

(١) يريد به الخليفة الماجن الوليد بن يزيد بن عبد الملك (٩٠هـ - ١٢٦هـ)

(٢) اقرأ نص الخطبة بكاملها في : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : (٧/ ٢٦٨-٢٦٩)

(٣) تولى زمام الخلافة بعد قتل ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك في جمادى الآخرة ١٢٦ هـ - وتوفي في نفس العام في سابع ذي الحجة (انظر : السيوطي : تاريخ الخلفاء : ٢٥٠ و ٢٥٣)

(ب) البذخ والترف والاسراف :

ودخل نوع من الانحراف عن الجادة الدعوية في حياة رجال بني أمية ، وهو: ارتفاع مستوى عيشهم من البساطة الاسلامية الى الترف الأعجمي ، ونريد بذلك الافراط في ذلك ،اذ أن الاسلام لم يحظر لنا التمتع بما خلق الله من نعيمه في هذه الدنيا ، ولكن الافراط في التمتع بها الى حد يحدث أنواعا من الفساد في حياة الانسان ، ويبعده عن أهدافه ،محرم ،لا يرضى به الاسلام أبدا ، فوجدنا هذا الانحراف قد حدث في حياة بعض من الخلفاء الأمويين ، فقيل : ان يزيد بن معاوية كان أشد الناس كلفا بالصيد ،وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلال المنسوجة منه (١) ، كما كان مولعا بالنطاح بين الكباش والدباب والقرود ، ويلبس القرد قلانس الذهب (٢) ، وكذلك كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك مغرى بالخيل وحبها (٣) وجمعها واقامة الحلبة (٤) .

ومن اقتضاء حياة البذخ والترف : الاسراف والتبذير ،وحدث فعلا هذا المرض في بعض خلفاء بني أمية ،فذكر ابن كثير (٥) رحمه الله أن عبد الملك بن مروان أمر بعشرة آلاف درهم لقائد ابله حينما أنشد أبياتا بسيطة في مدحه ،كما قيل : انه اعطى الأخطل الشاعر النصراني جفنة مملوءة بالدراهم على انشاد قصيدة في مدحه ، وأمر أن ينادى في الناس أن الأخطل شاعر أمير المؤمنين وأنه أشعر العرب (٦) .

---

(١) انظر : ابن الطقطقى : الفخرى : ٥٥

(٢) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ٨/٢٣٥

" : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٧٧

(٣) " المسعودى : المصدر نفسه : ٣/٢٣٠

(٤) الحلبة : بفتح الحاء وسكون اللام : الدفعة من الخيل في الرهان خاصة ، والجمع : حلائب على غير القياس (ابن منظور: لسان العرب ١/٣٣١) .

(٥) البداية والنهاية : ٩/٦٤

(٦) انظر : الاصفهانى : الأغانى : ٨/٢٨٧-٢٨٨

وروى أن الوليد بن يزيد أعطى حماد (١) الراوية (٢) مائة ألف درهم ، كما أعطى عبد الملك جريرا (٣) الشاعر مائة ناقة وثمانية من الرعاة على انشاد قصيدة (٤) فى مدحه .

ولا شك أن هذا - ان صح - منهج كسروى وقيصرى ، اذ كيف يسوغ فى الاسلام أن يبذل مال بيت مال المسلمين على فرد أو أفراد من الأمة بمجرد مدح شخصى ، وينافى مميزات الدولة الدعوية ، ولكن هذا المنهج كان له دوره لدى بعض خلفاء الدولة الأموية ، وهكذا دخل نوع من الانحراف فى أوساط الحكم الاسلامى .

ومن اقتضاء حياة البذخ والترف : اللهو واللعب ، واستماع الأغانى والمعازف والمزامير ، وشرب الخمور ، فدخل هذا الانحراف أيضا فى حياة بعض من خلفاء بنى أمية ، ومن أشهرهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، كان شاعرا ماجنا ، مجاهرا بالفواحش (٥) ، مصرا عليها ، حتى اتهمه بعض الناس بالزندقة والانحلال من الدين ، وكان يدعى : خليع بنى مروان (٦) .

---

(١) هو أبو القاسم حماد بن سابور بن المبارك ، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها ، وأنسابها ولغاتها ، أصله من الديلم ، ومولده بالكوفة هو الذى جمع السبع المعلقات ، ولد فى سنة ٧٥هـ وتوفى ببغداد سنة ١٥٥هـ . (انظر ترجمته فى : ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٢/٢٠٦-٢١٠)

(٢) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١١٤

(٣) هو أبو حزرة جرير بن عطية بن حذيفة الخطفى بن بدر الكلبى ، من تميم ، كان فحول شعراء الاسلام ، وأشعر عصره ، عاش عمره كله يناضل شعراء عصره ولم يفت أمامه الا الفرزدق والأخطل النصرانى ، ولد فى سنة ٢٨هـ فى اليمامة ومات فيها فى سنة ١١١هـ (انظر ترجمته فى : ابن خلكان : وفيات الأعيان : ١/٣٢١-٣٢٧)

(٤) انظر : ابن كثير : المصدر السابق : ٩/٢٦١

(٥) " : ابن كثير : المصدر السابق : ١٠/٢-٦

(٦) " : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٢٢٨

كما نسب الى يزيد بن معاوية أيضا شرب الخمر ، فنقل ابن كثير[١] رحمه الله أنه لا يمر عليه يوم الا ويصبح فيه مخمورا ، وقيل انه ظهر في أيامه الغناء بمكة والمدينة[٢] ، واستعملت الملاهي ، وأظهر الناس شرب الشراب ، ونسب الى عبد الملك بن مروان[٣] أيضا أنه كان يشرب الطلاء[٤] وقد كان الأخطل النصراني يمدح الخمر بين يديه وهو لا ينكر عليه[٥] .

وما أردنا بهذا الذكر أن نقدح في خلفاء بني أمية - وقد أعرضنا عن كثير مما كتب في حالهم بهذا الصدد[٦] - انما أردنا بالاشارة الى بعض جوانب ضعفهم - وهي قليلة بالنسبة الى حسناتهم - أن نقول : انه ضروري جدا أن تكون شخصية الخليفة أو شخصية رئيس الدولة الدعوية سليمة صافية من الشوائب ومن نقائض أخرى دينية كما ينبغي أن تكون شخصية قوية ممسكة بأمور الدين بقوة ، اذ أنه هو المسئول عن تنفيذ أوامر الله في عباده ، فاذا سرى الضعف أيا كان - الى شخصيته ، كان طبيعيا جدا أن تتأثر به رعيته ، بناء على قول مأثور في الناس :

" الناس على دين ملوكهم "[٧] ولقد أشار الى ذلك ابن كثير رحمه الله فقال : ((قالوا : وكانت همة الوليد في البناء ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل فيقول : ماذا بنيت -؟ ماذا عمرت -؟ وكانت همة أخية سليمان في النساء ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل فيقول : كم تزوجت -؟ وماذا عندك من السراري ؟ —

---

(١) البداية والنهاية : ٨/٢٣٥

(٢) انظر : المسعودي : مروج الذهب : ٣/٧٧

(٣) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ٩/٦٦

(٤) الطلاء بالكسر والمد : الشراب المطبوخ من عصير العنب أو النبيذ المسكر المطبوخ . (انظر : ابن الأثير : النهاية ٣/١٣٧) .

(٥) انظر : السيوطي : تاريخ الخلفاء : ٢٢٢ .

(٦) نشير على سبيل المثال الى الكتاب : (المختار من قطب السرور في اختيار على نور الدين المسعودي (انظر من ١٥٥ — ١٩٦)

(٧) البداية والنهاية : ٩/١٦٥

وكانت همة عمر بن عبد العزيز فى قراءة القرآن وفى الصلاة وفى العبادة ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل ، فيقول : كم وردك ؟ كم تقرأ كل يوم ؟ ماذا صليت البارحة ؟ وان الناس يقولون : " ان الناس على دين ملوكهم " ان كان خمارا كثر الخمر ...))

فمسئولية الخلفاء والحكام خطيرة من جهة ، ودقيقة وحرجة من جهة أخرى . ولم يعمل - مع الأسف - بهذه الحقيقة الجادة بعض من أولئك الخلفاء .

(ج)

العصبية الجاهلية

دخل انحراف آخر فى اوساط الحكم وهو : تغلب النزعة العربية على بعض الخلفاء والحكام الأمويين ، وظهرت هذه النزعة بسلوكهم مع الموالى ، وهم الذين دخلوا فى الاسلام أفواجا ، واشتغلوا بالعلوم الاسلامية واعتنوا بها عناية بالغة ، بينما كان العرب منصرفين الى الحكم ومقتضياته فى ذلك الزمان ، ووصل عدد كبير من الموالى الى قمة المجد والشرف فى الأوساط العلمية ، ولم يستحسنه بعض الحكام الأمويين وضاقوا بذلك ، وذلك لأنهم ليسوا بعرب[1] ، ونذكر ههنا خبرين - والأخبار كثيرة - نستخلص منها نظرة بنى أمية الى الموالى ،

---

(١) يبدو هذا القلق والضجر من الحوار الطويل الذى دار بين عبد الملك ابن مروان والامام ابن شهاب الزهرى بحيث كلما أخبره الزهرى عن امام من الموالى ، يسود سيادة علمية فى مدينة من مدن مملكته ، اوداد ضجره وقلقه . اقرأ هذا الحوار بالتفصيل فى :

(الحاكم : معرفة علوم الحديث : ١٩٨ - ١٩٩)

١- عاقب عامل البصرة بلال بن أبي بردة(١) الامام عبدالله بن عون(٢) رحمه الله وضربه بالأسواط ولكن لأي جريمة -؟ يجيبنا ابن سعد(٣) فيقول : (لأنه كان تزوج امرأة عربية) . ما أعظم شأن الجريمة ! وقد ارتكبها صاحبي جليل وهو سالم مولى أبي حذيفة فتزوج بنت أخي أبي حذيفة وهي : فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة(٤) ، سيد قريش ، ومن الذي زوجها سالما -؟ هو أبو حذيفة نفسه - رضي الله تعالى عنهم أجمعين - أين أولئك الرجال الذين تمثلوا الدين والدعوة اليه ، من هؤلاء الذين تنكروا لذلك -؟ فلم يمنحوا عالما كبيرا حرية الزواج بعربية - وذلك لكونه مولى من الموالي - فضلا عن أن يمنحوا هذه الحرية عامة الموالي .

٢- تبدو هذه الصبغة الجاهلية من قصة أخرى(٥) ، وهي : أن الامام علي زين العابدين زوج بنته مولاه ، وأعتق أمة له ثم تزوجها هو نفسه ، ولما علم بذلك عبد الملك بن مروان ، كتب الى الامام يعيره بذلك ، وكتب الامام اليه فقال فيه : « قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، قد اعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي وتزوجها وأعتق زيد بن حارثة(٦) وزوجه ابنة عمه زينب بنت جحش . »

---

(١) هو بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري ، أمير البصرة وقاضيها ولاه خالد القسري سنة ١٠٩ هـ - لم تحمد سيرته في القضاء ، نقل فيه ابن حجر قول ابي العباس المبرد ، أن أول من أظهر الجور من القضاة في الحكم بلال . وكتب فيه عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة : ان بلالا غرنا بالله ، فكدنا أن نغتر به ، ثم سبكناه فوجدناه خبثا كله) . عزله وسجنه يوسف بن عمر الثقفي في سنة ١٢٥ هـ ومات سجينا في سنة ١٢٦هـ .
(انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ١/٥٠٠-٥٠١)

(٢) هو الامام أبو عون عبدالله بن عون بن أرطبان المزني بالولاء ، شيخ أهل البصرة ، قال الذهبي : « لابن عون جلالة عجيبة ، ووقع في النفوس ، لانه كان اماما في العلم رأسا في التألة والعبادة ، حافظا لأنفاسه ، كبير الشأن » ، توفي في رجب سنة ١٥١هـ - (انظر : تذكرة الحفاظ : ١/١٥٦-١٥٧)

(٣) انظر : الطبقات الكبرى : ٧/٢٦٣

(٤) " : ابن سعد : المصدر نفسه : ٣/٨٧

(٥) الحمية : الكبر (انظر : ابن الأثير : النهاية : ٣/١٦٩)

(٦) انظر : ابن سعد : المصدر السابق : ٥/٢١٤

ويبدو من مثل هذه الوقائع أن سياسة الأمويين - باستثناء بعضهم - كانت تميل أحيانا عن سواء الهدى الاسلامى الاصيل الصافى ، فى علاقة المسلمين بعضهم ببعض عربا كانوا أو عجما ، وهذه النزعة نزعة جاهلية رفضها الاسلام ، وأنكرهـــا انكارا شديدا ، فقال عليه الصلاة والسلام :

(دعوها فانها منتنة)[1] ولم تأت هذه العصبية الجاهلية - بوجه عام - بخير قط ، بل جرت على العالم الاسلامى مآسى وكوارث ، وأحدثت فعلا فى أيام الأمويين كارثتين :

الأولى : انقسمت العرب الى كتلتين ، كتلة عربية شمالية ، وهى مضرية أو نزارية ، وكتلة عربية جنوبية ، وهى : يمانية ، والتاريخ أكبر شاهد على الكوارث التى حدثت باحتكاك هاتين الكتلتين ، وضربت ضربة قاسية على دعامة الأخوة فى المجتمع الاسلامى .

والثانية : انقسمت الزعامة - من غير شعور وبتدرج خفى - الى قسمين :

زعامة دينية : وكان يمتلكها العلماء الكبار ، وجلهم من الموالى

وزعامة سياسية : ويمثلها خلفاء بنى أمية وعمالهم .

والثانية كانت أخطر من الأولى ، اذ أنها لم تبرز فى تلك الأيام بصورة محسوسة وبصورة مبدأ سياسى متميز ، كما صارت فى العصور المتأخرة ، وقد ظهرت فى أيامنا بصورة مبدأ فصل الدين عن الدولة ، فنجد بذور هذه المأساة الأليمة فى حكـــم الأمويين ، فانهم لم يرضوا بأن يتدخل العلماء فى الأمور السياسية ، وحسبوا أنفسهم أحرارا فى مباشرة أمورهم السياسية حسبما تزين لهم أنفسهم ، واستمر هذا الوضع طول العهد الأموى - باستثناء عهد معاوية وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنهمـــا .

---

(١) انظر صحيح البخارى : ٨/٦٤٨

ولم يحاول أحد من الخلفاء اصلاح الأحوال ،وكان فى وسع عبد الملك أن يحول هذا الوضع ،بما كانت شخصيته تجمع بين العلم والفقه ، والذكاء والفطانة فى جانب ، والحزم والصلابة ،والكياسة والشهامة ،وصلابة الرأى واصابته فى جانب آخر . ولكنه مع جميع أوصافه الفائقة لم يدرك خطورة هذا الوضع ،ورجح تدعيم السطوة على أن تظل الدولة دعوية ، فقيل : انه لما بشر بالخلافة كان يتلو القرآن الكريم ، فأطبق المصحف وقال : (هذا فارق بينى وبينك) .

وفى رواية أخرى : قال : هذا آخر العهد منك) . فاذا صح هذا الخبر أفلا نعتبره شبه نزعة من نزعات الفصل بين الدين والدولة ـ؟ ولونا من التخلى عن منهج الخلفاء الراشدين الدعوى ـ؟

(د) الابتداع

وهن انحراف الدولة الأموية عن الجادة الدعوية ،تسرب البدعة فى بعض خلفائها فكما رواه البخارى : أن مروان بن الحكم كان يقدم خطبة العيد ـ فى عهد امارته بالمدينة ـ على الصلاة فاعترض عليه صحابى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه ، ولكنه لم يمتنع ، وقال لأبى سعيد الخدرى : (قد ذهب ما تعلم ، ان الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة ،فجعلتها قبل الصلاة

---

(١) كان يعتبر عبد الملك بن مروان من فقهاء المدينة وعبادها قبل أن يتولى منصب الخلافة ، ولكن سقطت عدالته بعد ما سفك الدماء ،يقول فيه الامام الذهبى: (أنى له العدالة وقد سفك الدماء وفعل الأفاعيل) .
(انظر : ميزان الاعتدال : ٢/٦٦٤)- وانظر: ابن كثير : البداية والنهاية : ٩/٦٢-٦٣

(٢) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٩/٦٣
" : ابن الطقطقى : الفخرى : ١٢٢
" : السيوطى : تاريخ الخلفاء : ٢٠٢

(٣) " : ابن كثير المصدر السابق : م ـن

(٤) الجامع الصحيح : ٣/٤٤٩

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله اشارة الى هذه البدعة :

((ومثال ما حدثت الحاجة اليه من البدع بتفريط من الناس ، تقديم الخطبة على الصلاة فى العيدين ، فانه لما فعله بعض الأمراء أنكره المسلمون ، لأنه بدعة . واعتذار من أحدثه بأن الناس قد صاروا ينصرفون قبل سماع الخطبة ، وكانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفضون حتى يسمعوا ، أو أكثرهم ، فيقال : له : سبب هذا تفريطك ، فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطبهم خطبة يقصد بها نفعهم وتبليغهم ، وهدايتهم ، وأنت تقصد اقامة رياستك ، وان قصدت صلاح دينهم ، فلست تعلمهم ما ينفعهم ، فهذه المعصية منك لا تبيح لك احداث معصية أخرى ، بل الطريق فى ذلك أن تتوب الى الله ، وتتبع سنة نبيه ، وقد استقام الأمر ، وان لم يستقم ، فلا يسألك الله الا عن عملك ، لا عن عملهم)) (١) .

وأحدث عبد الملك بن مروان بدعة أخرى لغرض سياسى تافه ، اذ بنى قبة على الصخرة فى بيت المقدس ، ومنذ ذلك الوقت بدأ الناس يقدسون الصخرة ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله اشارة الى هذه البدعة :

((وكانت الصخرة مكشوفة ، ولم يكن أحد من الصحابة ، لا ولاتهم ولا علماؤهم يخصها بعبادة ، وكانت مكشوفة فى خلافة عمر وعثمان رضى الله عنهما مع حكمهما على الشام ، وكذلك فى خلافة على رضى الله عنه ، وان كان لم يحكم عليها ، ثم كذلك فى امارة معاوية وابنه وابن ابنه ، فلما كان فى زمن عبد الملك ، وجرى بينه وبين ابن الزبير من الفتنة ما جرى ، كان هو الذى بنى القبة على الصخرة . ـــ

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم : ٢٨٠-٢٨١

وقد قيل : ان الناس كانوا يقصدون الحج فيجتمعون بابن الزبير، أو يقصدونه بحجة الحج ، فعظم عبد الملك شأن الصخرة ، بما بناه عليها ، وجعل عليها من الكسوة في الشتاء والصيف ، ليكثر قصد الناس لبيت المقدس ، فيشتغلوا بذلك عن قصد ابن الزبير ، والناس على دين الملوك ، وظهر من ذلك الوقت من تعظيم الصخرة وبيت المقدس ما لم يكن المسلمون يعرفونه بمثل هذا (١)))

ومما لا ريب فيه أن احداث البدع مشأمة تجر الانحرافات بسرعة سريعة في حياة الأمة ، وتبعدها من مبادئ الدين الأصيلة ، كما تلقيها في مهاوي الأوهام والخرافات ، وتقربها من الشرك والوثنية ، ولكن - مع الأسف الشديد - نسي رجال بني أمية مسئوليتهم الضخمة الحرجة بهذا الصدد فانحرافهم القليل أحدث صدوعا في بناء المجتمع الاسلامي ، وبدأ سيل الباطل يدخل منها في المجتمع بقوة واندفاع ، وهذه الحال قد انحرفت بالدولة - قليلا أو كثيرا - عن وجهتها الدعوية .

==========

هذه نبذة من تلك الانحرافات التي أبعدت الدولة الاسلامية عن هدفها الحقيقي ، وهو : حمل راية الدعوة الى الحق ، وجعل هذه الدعوة حقيقة واقعية في حياة الناس ، ومنهجا شاملا سلوكهم أجمع ، - ولكن ليس معنى ذلك - بوجه من الوجوه - أن الأمة كانت قد انحرفت عن الجادة المستقيمة ، أو أن الدولة الأموية قد انحرفت عن الجادة الدعوية كليا - لم يكن الأمر كذلك ، بل كانت أغلبية الأمة في العهد الأموي تسير على الجادة المستقيمة ، والدولة تحكم بوجه عام بالشريعة الاسلامية ، وكانت قوانين الدولة اسلامية ، كانت الأيدي السارقة تقطع وكان القاتل يقتل في القصاص ، وكانت المحاكم تفصل القضايا في ضوء الكتاب والسنة واجتهادات الفقهاء ، والجهاد قائم وترفرف رايات الفتح الاسلامي في الشرق الى السند (٢) ، وفي الغرب الى الأندلس (٣) ، وكانت الصبغة العامة اسلامية -

(١) اقتضاء الصراط المستقيم : ٤٣٥

(٢) انظر البلاذري : فتوح البلدان : ٥٣٦-٥٣٧ (القسم الثالث)

(٣) " : ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٤/٥٣٦-٥٦٧

ولو قارنا ذلك العصر بعصور جاءت بعده ، ظهر فضله ، كما كان الخلفاء - على الرغم مما حل ببعضهم من انحرافات - يتصفون بصفات حميدة ، لقد نقل عن عبد الملك بن مروان أنه لما بلغه عن عامل من عماله أنه يقبل الهدايا ، دعاه وعاتبه ثم عزله (١) ، وكان يجهش أحيانا بالبكاء فيستغفر الله (٢) ، ومن أكبر حسنات سليمان بن عبد الملك اختياره عمر بن عبد العزيز خليفة بعده ويمدحه الحافظ ابن كثير رحمه الله بقوله :

((... وكان فصيحا ، بليغا يحسن العربية ويرجع الى دين وخير ، ومحبة للحق واهله واتباع القرآن والسنة ، واظهار الشرائع الاسلامية ، رحمه الله ، وقد كان رحمه الله آل على نفسه حين خرج من دمشق الى مرج دابق - ودابق قريب من بلاد حلب - لما جهز الجيوش الى مدينة الروم المسماة بالقسطنطينية ، ألا يرجع الى دمشق حتى تفتح أو يموت ، فمات هنالك فحصل له بهذه النية أجر الرباط في سبيل الله (٣)))

كما قيل : ان سليمان كان يمنع استماع الأغاني (٤) ، وما عدا ذلك حسنات عديدة لخلفاء بني أمية ، وقد سجلها التاريخ ، لو قارنا بينهم وبين كثير من رؤساء الدول الاسلامية في العصور المتأخرة لظهر فضلهم ، فمع الاعتراف بفضلهم وحسناتهم يجب أن نعترف بتلك الحقيقة المرة : أنهم - باستثناء بعض منهم قصروا في اداء واجبهم نحو الحفاظ على قيم المجتمع الاسلامي الأصيلة ، والقيام بمسئولياتهم نحو استمرار الدولة على الخطوط الدعوية ، فانشغلوا في بعض من الأمور التي تخالف التعاليم الاسلامية النيرة -

---

(١) انظر : المسعودي : مروج الذهب : ٣/١٢٥

(٢) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ٩/٦٧

(٣) " : " البداية والنهاية : ٩/١٨٣

(٤) " : ابن كثير : المصدر نفسه : ٩/١٨٠

وهكذا وقعت ثلمات في بنية المجتمع الاسلامي الذي أوجده الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم وصحابته - رضي الله تعالى عنهم أجمعين - ليكون مجتمعا مثاليا دعويا ، اما ما لسائر المجتمعات البشرية .

ولم ترقع تلك الثلمات ، فكبرت ، وبدأ سيل الباطل الجارف يدخل منها ويكتسح كل صغير وكبير بقوة وشدة ، وأصبح العالم الاسلامي يصادف ويلات وويـــــلات هكذا كان الوضع حين قامت الدولة العباسية .

فما كان واجب تلك الدولة الفتية -؟ أليس كان من واجبها الأول والأكبر أن تهتم بترقيع تلك الثلمات التي وقعت في بنية المجتمع الاسلامي ، وبدأت تكبر يوما بعد يوم -؟ أما كانت وظيفتها الجوهرية أن تردكيان الدولة الاسلامية علـــى أساسها الدعوى -؟ فهل أدت هذه الدولة مهمتها الجوهرية -؟ وهل أدت واجبها الأول ـــ؟ هذه أسئلة يرددها كل قلب مسلم يهمه أمر العالم الاسلامـــي في الماضي والحاضر، وسوف نحاول الاجابة عن هذه التساؤلات في الباب الثانـــي ان شاء الله .

الباب الثاني

الدعوة الإسلامية
في العصر العباسي الأول

- الفصل الأول:
  نظرة في العصر العباسي الأول
- الفصل الثاني:
  هل كانت الدولة العباسية، دولة دعوية ؟
- الفصل الثالث:
  المشكلات التي واجهتها الدعوة في العصر العباسي الأول
- الفصل الرابع:
  أساليب الدعوة في العصر العباسي الأول

الباب الثانى

الدعوة الاسلامية فى العصر العباسى الأول :

ويشتمل هذا الباب على أربعة فصول :

الفصل الأول

نظرة فى العصر العباسى الأول

ويشتمل هذا الفصل على المبحثين :

المبحث الأول :

رقعة الدولة العباسية وموقعها الجغرافى

ان الموقع الجغرافى له أهمية كبيرة فى تاريخ الدول من جهة انجازات مهماتها الجوهرية ، وتحقيق أهدافها الأساسية ، ولقد أكرم الله سبحانه وتعالى الأمة الاسلامية ، اذ جعل مركز دعوتها شبه الجزيرة ، فنهض الدعاة المخلصون من هذا المركز وانتشروا فى أنحاء العالم ينشرون الدعوة الاسلامية ، ويزيلون العقبات عن طريقها ، واستولوا على جزء كبير من المعمورة حتى نهاية العهد الراشدى (١) -

---

(١) انظر : البلاذرى : فتوح البلدان : ٢٦٧ و ٤١١ و ٤٨٤ و ٤٨٥
و : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٣/٨٣- ٨٦ و ٩٢ و ١٢٨

وساد بنوا أمية العالم الاسلامى حوالى احدى وتسعين سنة (١) ، وقد كانت اتسعت رقعة العالم الاسلامى آنذاك من الشرق الى نهر السند (٢) من شبه القارة " الهاكهندية " (٣) ومن الشمال الى بلاد ما وراء نهرى جيحون وسيحون ، الى بلاد كاشغر وفرغانة ، البلاد التى تقع على ثغور الصين ، والى بحر الخزر (٤) والبحر الأسود ، كما قرعوا أبواب قسطنطينية ليفتحوها (٥) ، واتسعت الفتوحات من جهة الغرب من مصر على طول شمال قارة افريقية ، حتى المحيط الأطلنطى (٦) ، ومنه تدفقت الجيوش الاسلامية على أرض أندلس (٧) ، وواصلت تقدمها حتى توغلت الفتوحات الاسلامية الى الحدود الجنوبية من بلاد الفرنج وهى فرنسا (٨) .

وقامت الدولة العباسية على هذه الرقعة الوسيعة من الأراضى المفتوحة الا أن الأندلس خرجت من تحت سيطرتها فى سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وقامت هناك دولة أموية مستقلة بقيادة عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بعبد الرحمن الداخل (٩) .

---

(١) انظر : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٢٤٩

(٢) انظر : البلاذرى : فتوح البلدان : ٥٣٦ و ٥٣٧
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٤/٥٣٦

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق : ٤/٥٨١ و ٥/٥ - ٧

(٤) انظر البلاذرى : المصدر السابق : ٢٤٤ - ٢٤٦

(٥) " : ابن الأثير : المصدر السابق : ٥/٢٧ - ٢٨

(٦) " : البلاذرى : المصدر السابق : ٢٧٢

(٧) " : ابن الأثير المصدر السابق : ٤/٥٥٦

(٨) " : ابن الأثير : المصدر السابق : ٥/١٧٤

(٩) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٧٤

كما انفصلت دولة الأدارسة عن العباسية في سنة ثنتين وسبعين ومائة (١) .

وان خرجت الأندلس من أيدى العباسيين ، ولكن الرقعة التى بقيت تحت سيطرتهم كانت تمتد شرقا الى نهر مهران المعروف بنهر السند ، وشمالا الى حدود الصين والى بحر الخزر والبحر الأسود ، وغربا الى المحيط الأطلنطى ، وكفاك أن تتصور اتساع هذه الرقعة بقول الرشيد ، حينما رأى سحابة تمر من فوق رأسه فقال مشيرا اليها : (اذهبى حيث شئت سيأتينى خراجك) (٢)

ونود أن نذكر بهذه المناسبة موجزا عن تلك الرقعة التى كانت الدولة العباسية تحكمها وتنفذ عليها أوامرها ، وهذا ما ذكره المقدسى فى كتابه : " أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم " (٣)

ذكر المقدسى أن الدولة الاسلامية كانت تنقسم فى تلك الأيام الى أربعة عشر اقليما (٤) ، وكل اقليم يحتوى على عدة كور (٥) ، وهى كالتالى

(١) الاقليم الأول : جزيرة العرب (٦) ، وكانت تشمل على أربع كور (٧) جليلة وهى :

١- الحجاز ٢- اليمن ٣- عمان ٤- هجر

---

(١) انظر : حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام : ٢٠٧/٢

(٢) انظر : القلقشندى : صبح الأعشى : ٢٦٦/٣

(٣) انظر من ص : ٦٧ الى ٤٧٤

(٤) الاقليم : بلاد تسمى باسم خاص ، أو منطقة من مناطق الأرض تتحد فيها الأحوال المناخية والنظم الاجتماعية . المعجم الوسيط : ٧٦٢ ، مادة قلم .

(٥) كور : جمع كورة : المدينة (انظر : ابن منظور : لسان العرب : ١٥٦/٥)

(٦) انظر : المقدسى : المصدر السابق : ص ٦٧

(٧) انظر : ص : ٦٨

(٢) الاقليم الثاني (١) : العراق ، وكانت تشتمل على ست كور (٢) وهي

١- الكوفة ٢- البصرة ٣- واسط ٤- المدائن ٥- حلوان

٦- سامراء .

(٣) الاقليم الثالث : أقور (وهي : الجزيرة ، وهي : ما بين دجلة والفرات)

وكانت تشتمل على ثلاث كور (٤) ، وهي :

١- ديار ربيعة ٢- ديار مضر ٣- ديار بكر

(٤) الاقليم الرابع (٥) : الشام ، وكانت تشتمل على ست كور (٦) وهي :

١- قنسرين ٢- حمص ٣- دمشق ٤- الأردن ٥- فلسطين ٦- الشراة

(٥) الاقليم الخامس : مصر (٧) ، وكانت تشتمل على سبع كور (٨) وهي :

١- الجفار ٢- الحوف ٣- الريف ٤- الاسكندرية ٥- مقدونيا

٦- الصعيد ٧- الواحات

---

(١) انظر: المقدسي : المصدر السابق : ص : ١١٣

(٢) انظر : ص : ١١٤

(٣) " : ص : ١٣٦

(٤) " : ص : ١٣٧

(٥) " : ص : ١٥١

(٦) " : ص : ١٥٤

(٧) " : ص : ١٩٣

(٨) " : ص : ١٩٣

(٦) الاقليم السادس (١) : المغرب (٢) وكانت تشتمل على ثمانى كور وهى :

١- برقه ٢- افريقية ٣- تاهرت ٤- سجلماسة

٥- فاس ٦- السوس الأقصى ٧- جزيرة صقلية (٣) ٨- الاندلس

(٧) الاقليم السابع (٤) : المشرق ، وينقسم هذا الاقليم الى قسمين ، قسم فى الشرق وسماه المقدسى (٥) : هيطلا ، والمراد به المنطقة التى تقع على شرقى نهر جيحون ويسمى : بما وراء النهر ، وقسم فى الغرب ، وهو ما كان على غربى نهر جيحون ويسمى بخراسان .

(أ) كان الهيطل - أو ما وراء النهر - تشتمل على ست كور (٦) ، وهى :-

١- فرغانه ٢- اسبيجاب ٣- الشاش ٤- أشروسنة

٥- الصغد ٦- بخارا

(ب) وخراسان كانت تشتمل على تسع كور (٧) ، وهى (٨) :

١- بلخ ٢- غزنين ٣- بست ٤- سجستان - ٥- هراة ٦- جوزجانان

٧- مرو الشاهجان ٨- نيسابور ٩- قهستان

---

(١) انظر : ص : ٢١٥

(٢) " : ص : ٢١٦

(٣) وانفصلت الاندلس عن الدولة العباسية فى سنة ثمان وثلاثين ومائة كما سبق ذكره .

(٤) انظر : المقدسى : ٢٦٠

(٥) (٦) انظر : ص : ٢٦١

(٧) انظر : ص : ٢٩٣

(٨) " : ص : ٢٩٥

(٨) الاقليم الثامن : الديلم (١) وكانت تشتمل على خمس كور وهى (٢) :

١- قومس ٢- جرجان ٣- طبرستان ٤- الديلمان ٥- الخزر

(٩) الاقليم التاسع : الرحاب (٣) ، وكانت تشتمل على ثلاث كور (٤) ، وهى :

١- الران ٢- أرمينية ٣- اذربيجان

(١٠) الاقليم العاشر : الجبال (٥) ، وكانت تشتمل على ثلاث كور (٦) ، وهى :

١- الرى ٢- همذان ٣- اصفهان

(١١) الاقليم الحادى عشر : خوزستان (٧) ، وكانت تشتمل على سبع كور (٨) ، وهى :

١- السوس ٢- جند يسابور ٣- تستر ٤- عسكر مكرم ٥- الأهواز

٦- رام هرمز ٧- الدورق

(١٢) الاقليم الثانى عشر : فارس (٩) ، وكانت تشتمل على ست كور (١٠) ، وهى :

١- أرجان ٢- أردشير خره ٣- دارابجرد ٤- شيراز ٥- سابور

٦- اصطخر .

---

(١) انظر : المقدسى : ص : ٣٥٣

(٢) " : ص : ٣٥٣

(٣) " : ص : ٣٧٣

(٤) " : ص : ٣٧٤

(٥) " : ص : ٣٨٤

(٦) " : ص : ٣٨٥

(٧) " : ص : ٤٠٢

(٨) " : ص : ٤٠٤

(٩) " : ص : ٤٢٠

(١٠) " : ص : ٤٢١

(١٣) الاقليم الثالث عشر : كرمان (١) ، وكانت تشتمل على خمس كور (٢) ، وهي :-

١- بردسير ٢- نرماسير ٣- السيرجان ٤- بم ، ٥- جيرفت .

(١٤) الاقليم الرابع عشر : السند (٣) ، وكانت تشتمل على خمس كور (٤) وهي :

١- مكران ٢- طوران ٣- السند ٤- وبهند ٥- قنوج .

واذا نظرنا فى الخريطة ظهر لنا أن الدولة العباسية كانت احتلت مكانة استراتيجية هامة على خريطة العالم ، بحيث كانت تتحكم على جزء من ساحل بحر الهند ، وبحيرة العرب وعلى الخليج العربى فى الجهة الشرقية والجنوبية ، كما كانت تتحكم على الشاطئ الشرقى والشمالى للبحر الأحمر ، وعلى الشاطئ الشرقى والجنوبى كاملا من البحر الأبيض ، ومن المعلوم أن الشواطئ البحرية دائما تكون ممرا مائيا للسفن التجارية ، وهى مواضع اتصالات متنوعة بين شعوب العالم ، وهكذا منح الله سبحانه وتعالى فرصة سعيدة طيبة للدولة العباسية كيما تسيطر على هذه الشواطئ ، وتبرز أمام شعوب العالم كلها ذات مستوى رفيع مثالى لدولة دعوية تعيش تحت رعايتها أمة ذات عقيدة سامية ورسالة سماوية ، قامت لتدعو العالم الانسانى الى السعادة الحقيقية ، والفلاح الأبدى الى عبادة الله وحده لا شريك له ، ولتقدم الى مثلى شعوب العالم نموذجا حيا للمجتمع الاسلامى المثالى ، بحيث كل من راه مال اليه ، ووجد فيه ضالته المنشودة

---

(١) انظر : المقدسى : ص : ٤٥٩

(٢) " : ص : ٤٦٠

(٣) " : ص : ٤٧٣

(٤) " : ص : ٤٧٣

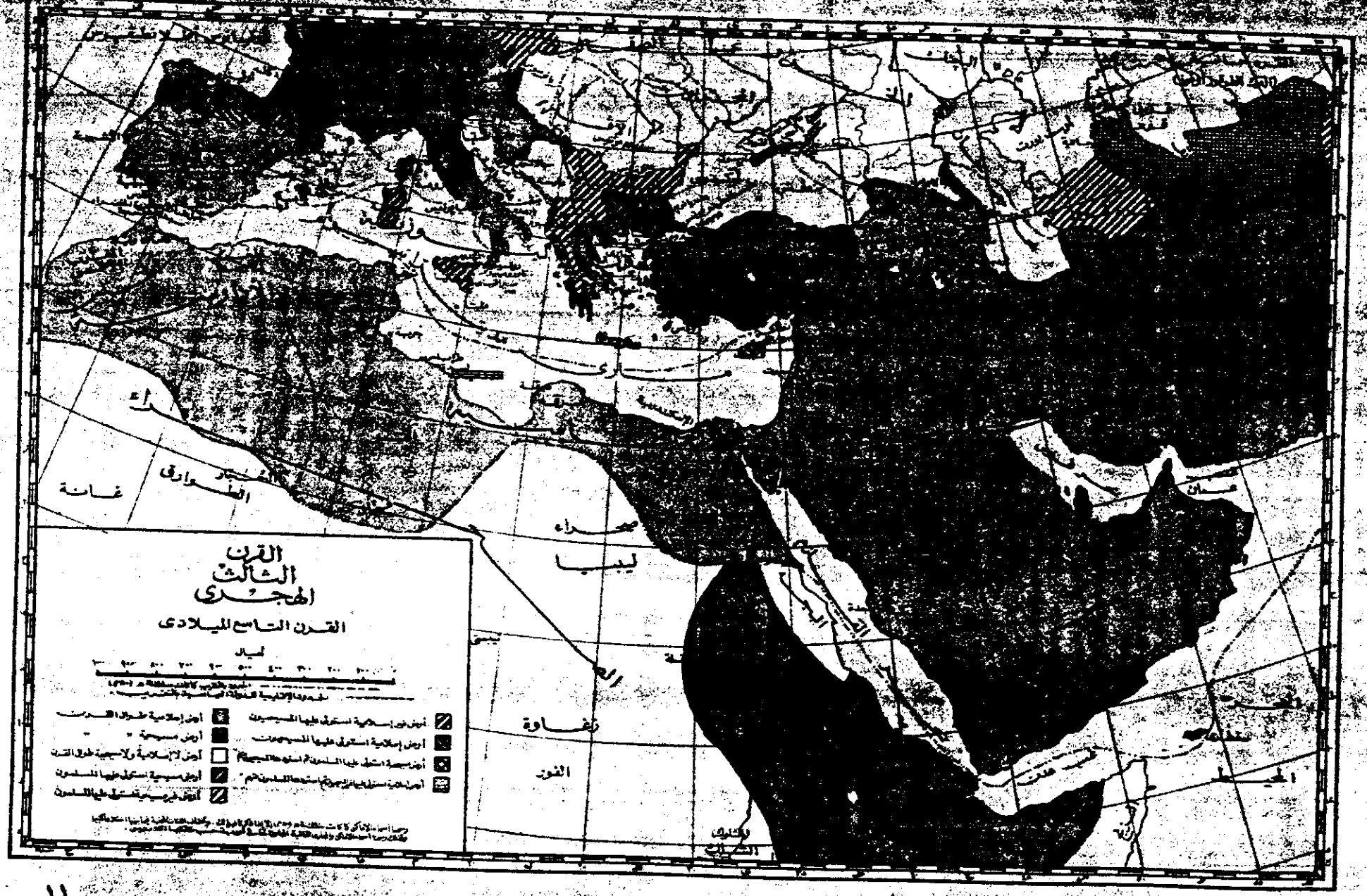
القرن
الثالث
الهجرى
القرن التاسع الميلادى
ليبيا
غانة
الفولاني
الفور
الحبشة

وغايته المرجوة ، فاذا رجع الى وطنه تحدث أمام أبناء وطنه عن المميزات الفائقة لهذا المجتمع ، ورفاهيته الممتعة .

ولكن - هل حققت الدولة العباسية هذه الأهداف الثيرة - ؟ ولم تكمن الدولة فى كياتها ضعيفة ، فتعتذر بهذا الضعف والاستكانة عن تقصيرها فى نيلها هدفها المنشود وغايتها المرجوة ، اذ أن الذين استولوا على الحكم فى العصر العباسى الأول ، كانوا رجالا على درجة عالية من الكفاءة والمقدرة ، ولم يجد الضعف والوهن فرصة التسرب الى شخصياتهم من حيث كونهم ملوكا أو خلفاء ، وتغلبوا على أعدائهم ومنافسيهم تغلبا حاسما ، وقهروهم ، واستولوا عليهم استيلاء تاما ، فلم يبق لهم أى مانع من تنفيذ أوامر الله ونواهيه ، واتباعهم اتباعا كاملا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين - وقبل أن نبحث عن جواب هذا السؤال المهم الأساسى ، نريد أن نشير اجمالا الى تاريخ الدعوة العباسية وترجمة حاملبها من الخلفاء فى العصر العباسى الأول ، ونذكر بعض الأحداث المهمة التى وقعت فى عهدهم .

المبحث الثانى

الدعوة العباسية وخاطوطها :

=====

كان بنو العباس يتطلعون الى منصة الحكم لأخبار رويت مرفوعا (١) ، منها ما رواه ابن كثير (٢) بسند الخطيب عن ثوبان - رضى الله عنه - قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما واضعا رأسه على فخذ أم حبيبة بنت أبى سفيان (٣) ، فنحب ثم تبسم ، فقالوا : يارسول الله رأيناك نحبت ، ثم تبسمت ، فقال : رأيت بنى أمية (٤) يتعاورون على منبرى ، فساءنى ذلك ، ثم رأيت بنى العباس يتعاورون على منبرى فسرنى ذلك " - وروى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس : (فيكم النبوة وفيكم المملكة) (٥) .

وعدا ذلك كانت هناك تكهنات شائعة فيما بين هذه الأسرة ، وتنقل من صدر الى صدر ومن جيل الى جيل ، مثل التكهن بمقتل زيد بن على بالكناسة وصلبه (٦) ، وبأنه يقتل مروان بن محمد عين ابن عين (٧) (أى عبدالله بن على) وما الى ذلك .

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٤٢١/٧

(٢) " : البداية والنهاية : ٥٠/١٠

(٣) النحب : البكاء بصوت طويل وقد (انظر : ابن الأثير : النهاية : ٢٧/٥)

(٤) يتعاورون : أى يختلفون ويتناوبون ، كلما مضى واحد خلفه آخر (انظر : النهاية : ٣٢٠/٤)

(٥) البداية والنهاية : ٥١/١٠

(٦) انظر : المسعودى : مروج الذهب : ٣ / ٣١٢

(٧) " : الطبرى : المصدر السابق : ٣٢٠/٧

" : المسعودى : المصدر السابق : ٢٧٤/٣

ثم تهيأ لهم الجو بعد ما انتقلت الإمامة اليهم من امام الفرقة الكيسانية من الشيعة وهو أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب (١) ، وكان مقيما بالحميمة ، ولما اقترب أجله أوصى بانتقال الخلافة الى علي بن عبد الله بن عباس وأولاده ، وكان عند أبي هاشم علم بتلك التكهنات الشائعة بين بني هاشم ، فبشر علي بن عبد الله بأن الخلافة ستكون في أولادك (٢) ، وهكذا بدأت الدعوة العباسية بالحميمة فدعا محمد بن علي أولا الى نفسه وذلك في سنة ثمان وسبعين (٣) ، ولكن كانت الدعوة مجردة عن التنظيم ، وتنظمت في سنة مائة من الهجرة ، والذي نظم الدعوة العباسية هو محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، كان ذا رأي حصيف ونظر بعيد ، يعرف حق المعرفة ما ناله أبناء عمه مدعي الامامة من أيدي خلفاء بني أمية وحكامهم فبنى فكرته بأن تبدأ الدعوة برموز واشارات ، فلم يصرح دعاته للناس أنهم يطلبون الخلافة ، بل كانوا يشيرون الى انهم يريدون اسقاط دولة بني أمية من أجل ظلمهم واستبدادهم ، ويريدون نصرة الحكم الصالح ، ونصرة الحق والعدل على الظلم والباطل .

كما لا يأخذون البيعة لأنفسهم بالخلافة انما يأخذونها لامام رضا من آل البيت النبوي (٤) .

وهكذا كانوا يصيدون عصفورين بطلقة واحدة ، كانوا ينالون تأييد الأمة لاسقاط الدولة الأموية في جانب ، ويطمئنون أبناء عمهم العلويين ، بأنهم ليسوا منافسين لهم في ادعاء الامامة وهكذا كانوا ينتظروا جوا مناسبا ، وفرصة سعيدة للقيام باظهار الدعوة .

---

(١) الحميمة : بلد من أرض الشراة من أعمال عمان في أطراف الشام ، كان منزل بني العباس (انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان : ٣٠٧/٢)

(٢) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٥/١٠

(٣) " : ابن كثير : المصدر نفسه : ١٨٩/٩

(٤) " : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٤٢١/٧

وألف محمد بن علي جمعية سرية لدعوته في سنة مائة من الهجرة ، وكان عندئذ الخليفة الأموي الصالح عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - يحكم العالم الاسلامي ، وجعل للدعوة مركزين أحدهما بالكوفة ، وجعل ميسرة ، مولى علي بن عبد الله مسئولا عن شؤونها والثاني بخراسان وكان يعتبرها مركزا حقيقيا لنشر دعوته ، وأرسل الى هذا المركز محمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج ، ونال محمد بن علي من كلا المركزين استجابة طيبة استبشر بها ، واختار أبو عكرمة السراج اثنى عشر نقيبا لهذه الدعوة وأسماؤهم كالتالي :

١- سليمان بن كثير الخزاعي

٢- لاهز بن قريظ التميمي

٣- قحطبة بن شبيب الطائي

٤- موسى بن كعب التميمي

٥- أبو داود خالد بن ابراهيم الشيباني

٦- القاسم بن مجاشع التميمي

٧- عمران بن اسماعيل مولى لآل أبي معيط

٨- مالك بن الهيثم الخزاعي

٩- طلحة بن زريق الخزاعي

١٠- أبو حمزة عمرو بن أعين مولى لخزاعة.

١١- أبو علي شبل بن طهمان مولى لبني حنيفة

١٢- عيسى بن أعين مولى لخزاعة

كما اختار سبعين نفرا آخرين ، ليكونوا مستشارين لهؤلاء النقباء ، وكتب محمد بن علي الى هؤلاء النقباء كتابا ليكون لهم مثالا وسيرة يقتدون بها ويسيرون عليها (١)

---

(١) انظر: الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٦/٥٦٢

" : ابن الأثير: الكامل في التاريخ : ٥/٥٤

" : ابن كثير : البداية والنهاية : ٩/١٨٩

ولم يذكر الطبرى ولا المؤرخون الآخرون نص هذا الكتاب ، ولكن وجدنا نصا ذكره ابن قتيبة الدينورى فى كتابه عيون الأخبار (١) ، كما ذكره المقدسى فى كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) (٢) وهناك فرق يسير بين النصين ، ونذكر ههنا النص الذى أورده ابن قتيبة فقال :

(وقال محمد بن على بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة ، حين اختارهم للدعوة وأراد توجيههم :

اما الكوفة وسوادها ، فهناك شيعة على بن أبى طالب ، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف وتقول : كف عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل . وأما الجزيرة ، فحرورية مارقة ، وأعراب كأعلاج ، ومسلمون فى أخلاق النصارى وأما أهل الشام ، فليس يعرفون الا آل أبى سفيان وطاعة بنى مروان ، عداوة لنا راسخة وجهلا متراكما . وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان ، فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ، ولم تشغلها ديانة ، ولم يتقدم فيها فساد ، وليست لهم اليوم هم العرب ولا فيهم كتحازب الأتباع بالسادات ، وكتحالف القبائل وعصبية العشائر ، ولم يزالوا يذلون ويمتهنون ويظلمون ويكظمون ويتمنون الفرج ، ويؤملون الدول (٣) . وهم جند ، لهم أجسام وأبدان ، ومناكب وكواهل ، وهامات ولحى وشوارب ، وأصوات هائلة ولغات فخمة ، تخرج من أفواه منكرة ، وهمم ، فكأنى أتخيل الى المشرق ، والى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق))

---

(١) انظر : ص ١/٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) " : ص : ٢٩٣-٢٩٤

(٣) يؤملون الدول : أى يأملون الانتقال من حال الى حال (انظر : ابن منظور : لسان العرب : ١١/٢٥٢)

وتمتد هذه الدعوة على مدة اثنتين وثلاثين سنة ، وكانت تنقسم على المرحلتين : سرية وجهريـــــة .

المرحلة السرية :

وتمتد هذه المرحلة من سنة مائة الى سنة ثمان وعشرين ومائة ، فكانت الدعوة تنشر سريا ، اذ أن قوة بني أمية كانت متماسكة في هذه الفترة ، ولم يظهر الضعف والانشقاق في الأسرة الحاكمة ، فكان الدعاة يتجولون في المدن والقرى ، وزيهم زي التجار ، يبيعون ويشترون ، ويدعون المسلمين خفية الى امام من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، بدون أن يصرحوا باسم ذلك الامام ، وهكذا كانوا ينالون ثقة شيعة علي ، وكانوا قد ركزوا توجيه دعوتهم الى خراسان حسبما أرشدهم قائدهم محمد بن علي ، وكانوا يرسلون خبر من انضم الى دعوتهم الى مركزهم بالكوفة ومن هناك الى الحميمة (١) ، كما كانوا يعززون العهد بالاجتماع في موسم الحج ، فالمتأثرون بهذه الدعوة كانوا يحضرون لأداء مناسك الحج ، و الحميمة في طريقهم ذهابا وأيابا ، فكانوا يزورون محمد بن علي ، ثم يرجعون الى خراسان نشطين في بث الدعوة العباسية .

وفي سنة خمس ومائة ، انضم الى هذه الدعوة بكير بن ماهان ، وكان من كبار دهاقنة العراق ، وكان له مكان مرموق في اوساط الناس ، فبانضمامه وجدت الدعوة قوة وحيوية جديدتين ، اذ كان من الأثرياء ، أنفق ماله في سبيل نشر هذه الدعوة . وتوفي في تلك الأيام ميسرة الذي كان مسئولا عن شئون الدعوة بالكوفة فعين محمد بن علي بكير بن ماهان مكانه ، فنظم الأمور بغاية الدقة والمهارة (٢) .

---

(١) انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٦ / ٥٦٢

(٢) " : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٧ / ٢٥-٢٧
. ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٥ / ١٢٥

ان الدعوة العباسية ، وان ظلت سرية فى بدايتها ، ولكن لم تكن مكتومة عن عيون ولاة بنى أمية ، فكانت تظهر حالهم بين آونة وأخرى على حكام بنى أمية ، فتارة سلموا من بطش أولئك الولاة من أجل حيلهم اللطيفة وتارة وقعوا فى عقاب شديد . وأول ما ظهر أمرهم بخراسان فى سنة اثنتين ومائة ، وكان أميرها آنذاك سعيد بن عبد العزيز المعروف بسعيد خذينة (١) ، فجاء اليه رجل من تميم يقال له : عمرو بن بحير بن ورقاء السعدى ، وقال : ان ههنا رجالا قد ظهر منهم كلام قبيح ، فبعث اليهم سعيد ، فجيء بهم ، فسألهم : من أنتم ؟ قالوا : رجال من التجار . قال : فما هذا الخبر الذى وصلنى عنكم ؟ قالوا : لا ندرى . قال : جئتم دعاة ؟ قالوا : ان لنا فى أنفسنا وتجارتنا شغلا عن هذا . فسأل سعيد عمن يعرف عن هؤلاء الناس ، فجاء اليه رجال من أهل خراسان جلهم من ربيعة اليمن (٢) ، فشهدوا بمعرفتهم اياهم وتكفلوا عنهم ، فخلى سبيلهم .

ونكث بعض من أولئك الدعاة العهد ، فوشى الى أمير خراسان أسد بن عبد الله القسرى ، وكان هذا الوالى من أشد ولاة بنى أمية وأقساهم على الشيعة ، فقبض على بعض الدعاة فيهم أبو عكرمة السراج ، ومحمد بن خنيس ، وعمار العبادى ، وكان الأمير أفلت من يدى هذا الوالى وفر هاربا الى الكوفة وأخبر بكير بن ماهان ما جرى على الدعاة ، وأما من بقى منهم محبوسا فى سجون أسد بن عبد الله القسرى فقطع أيديهم وأرجلهم ثم صلبهم .

---

(١) قال ابن الأثير : انما لقب بذلك لأنه كان رجلا لينا متنعما ، فدخل عليه ملك أبخر ، وسعيد فى ثياب مصبغة وحوله مرافق مصبغة ، فلما خرج من عنده ، قالوا : كيف رأيت الأمير ؟ قال : خذينة ، فلقب خذينة ، وخذينة هى الدهقانة ربة البيت . (الكامل : ٥ / ٩٠)

(٢) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ٦ / ٦١٦ ، ٦١٧

" : ابن الأثير : المصدر السابق : ٥ / ١٠٠

ثم وقع عمار العبادى (١) أيضا فى قبضة ذلك الوالى ، ففعل به ما فعل باخوانه ولكن مع ذلك لم تخمد جذوة هذه الدعوة التى كانت تحمل فى ذيلها حبا شديدا لآل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، والتقديس لهم . وكان يلهب هذه النار جور بنى أمية وولاتهم (٢) .

واستمرت الدعوة سرية حتى مهدت الأوضاع سبيل اظهارها ، وكان هناك عاملان كبيران أصبحا مساعدين مؤثرين فى شق هذه الدعوة سبيلها الى الامام -

أولهما : وقوع الانشقاق والافتراق فى الأسرة الحاكمة من بنى أمية ، وقد حدث هذا الانشقاق بشكل واضح بوثوب يزيد بن الوليد بن عبد الملك على ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

ولا شك أن هذا الخروج على الخليفة الماجن ، وان كان يحمل فى ثناياه مقاصد حسنة ، غير أنه سبب انقسام بنى أمية على أنفسهم وأحدث فى بنيانهم ثلمة لم ترقع ، وأضعف قبضتهم على زمام الملك ، فوجد المنافسون لبنى أمية - وفى مقدمتهم بنو العباس - فى الملك فرصة طيبة ليشدوا عزائمهم فى الخوض فى معركة الحصول على السلطة .

والعامل الثانى ، الذى هيأ الجو لبنى العباس أن يقوموا بدعوتهم جهارا ، هو حدوث العصبية الجاهلية بين العرب فانقسمت الى النزارية واليمانية ، وقد ذكر المسعودى (٣) مثالا للأسباب التى أورثت نار هذه العصبية ، ذلك أن الشاعر الكميت بن زيد الأسدى أنشد قصيدة فى مناقب بنى هاشم وعرضها على بعض سادساتها ثم أنشد قصيدة أخرى ، وذكر فيها مناقب قومه من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار ، وبالغ فى وصفهم وفضلهم على أهل اليمن طاعنا فيهم ، فأجابه دعبل بن على الخزاعى ، وذكر مناقب أهل اليمن وفضائلهم وطعن فى غيرهم ،

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٧/٤٠ و ٤٣
" : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٥/١٣٦ و ١٤٠
(٢) " : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٢٤١
(٣) " : مروج الذهب : ٣/٢٤٢ - ٢٤٦

ثم يقول المسعودى :

((وافتخرت نزار على اليمن ، وافتخرت اليمن على نزار ، وأدلى كل فريق بما له من المناقب ، وتخزبت الناس ، وثارت العصبية فى البدو والحاضر ، فنتج بذلك أمر مروان بن محمد الجعدى ، وتعصبه لقومه من نزار على اليمن ، ، وانحرف اليمن عنه الى الدعوة العباسية ، وتفلغل الأمر الى انتقال الدولة عن بنى أمية الى بنى هاشم ، ثم ما تلا ذلك من قصة ممن بن زائدة (١) باليمن وقتله أهلها تعصبا لقومه من ربيعة وغيرها من نزار وقطعه الحلف الذى كان بين اليمن وربيعة فى القدم ، وفعل عقبة بن سالم بعمان والبحرين ، وقتله عبد القيس وغيرهم من ربيعة وسائر نزار ممن بأرض البحرين وعمان ، كيادا لممن وتعصبا من عقبة بن سالم لقومه من قحطان))

مرحلة الجهر بالدعوة :

زعزعت هذه المأساة التى أثارها بعض من لا يتبصرون بعواقب الأمور ، أساس الدولة الأموية فى جانب ، ومهدت السبيل فى جانب آخر لبنى العباس أن يقوموا باكمال برنامجهم واقامة ملكهم ودولتهم .

كان آنذاك أمير خراسان نصر بن سيار ، رئيس النزارية ، وكان كبير اليمانية جديع بن شبيب المعروف بالكرمانى ، وكانت بينهما صلة ود ومحبة قبل حدوث هذه العصبية المنتنة ، ولكن نشبت الحرب بينهما بعد حدوث هذه العصبية الجاهلية ، حتى انهزم نصر بن سيار ، واضطر الى أن يخرج هاربا من مرو ، عاصمة خراسان ، وانتقمت اليمانية من بيوت النزارية ومنازلهم فهدموها ونهبوا أموالهم (٢) .

---

(١) هو أبو الوليد ممن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيبانى ، من أشهر أجواد العرب وأحد الشجعان الفصحاء ، ادرك العصرين الأموى والعباسى ، ولاه المنصور بعد ما عفا عنه اليمن ، ثم ولى سجستان . وقتله الخوارج هناك فى سنة احدى وخمسين ومائة (الزركلى : الاعلام : ٨/١٩٢)

(٢) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٧/٣٣٩

وأثناء هذه الأيام توفى محمد بن على ، وأوصى بالخلافة الى ابنه ابراهيم ، كما توفى بكير بن ماهان المسئول عن الدعوة بالكوفة ، فعين ابراهيم بن محمد حفص بن سليمان المعروف بأبى سلمة الخلال مسئولا مكان بكير بن ماهان وكان أبو سلمة الخلال صهرا لبكير ، وفى جانب آخر وجد ابراهيم بن محمد شابا متحمسا شجاعا باسلا ، شديد البطش قوى العزيمة ، وهو أبو مسلم الخراسانى كان مولى بكير بن ماهان (١) ، فتلقى عنه مبادىء الدعوة العباسية ، واتصل بمحمد بن على فى أيامه الأخيرة ، حتى انتقلت الامامة الى ابراهيم ابن محمد ، فوجد ابراهيم فى أبى مسلم المؤهلات التى تحتاج اليها شيعة خراسان لانتهاز الفرصة بما حدث هناك من الاحتكاك بين نصر بن سيار وجديع ابن شبيب الكرمانى ، فأرسل ابراهيم الامام أبا مسلم الى خراسان ، وكتب الى النقباء أن يسمعوه ويطيعوه (٢) ، وعينه مسئولا عن الدعوة بخراسان ، وكان هذا فى سنة ثمان وعشرين ومائة (٣) ، ثم أمره فى سنة تسع وعشرين ومائة باظهار الدعوة واختيار السواد شعارا للعباسيين (٤) - ومن هنا تبدأ المرحلة الثانية للدعوة العباسية وهى : مرحلة الجهر بالدعوة ومرحلة العمل ، أى ازالة العقبات عن طريق دعوتهم بكل ما يملكه المسئولون والنقباء هناك من الوسائل .

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ١٩٨/٧

" : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٢٥٧/٥

(٢) " : الطبرى : المصدر السابق : ٣٦١/٧

(٣) " : الطبرى : المصدر السابق : ٣٤٤/٧

(٤) " : الطبرى : المصدر السابق : ٣٥٣/٧

وكان مما أوصى به ابراهيم بن محمد الامام أبا مسلم الخراساني بصدد قيامه بالدعوة العباسية في خراسان أن قال له ،كما يحكي لنا ابن قتيبة الدينوري (١) :

((يا أبا عبد الرحمن ، انك رجل منا أهل البيت ، فاحفظ وصيتي ،انظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم ،فان الله لا يتم هذا الأمر الا بهم ، وانظر هذا الحي من ربيعة ، فانهم معهم ،وانظر هذا الحي من مضر ،فانهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت في أمره ،ومن وقع في نفسك منه تهمة . فقال - (أبو مسلم) : أيها الامام فان وقع في أنفسنا من رجل هو على غير ذلك ، أحبسه حتى تستبينه قال : لا ،السيف السيف ، لا تتقى العدو بطرف ،ثم قال للشيعة : من أطاعني فليطع هذا ،يعني أبا مسلم ، ومن عصاه فقد عصاني . ثم قال له : ان استطعت ألا تدع بخراسان أرضا فيها عربي فافعل ، وأيما غلام بلغ خمسة اشبار فاتهمته فاقتله ،ولا تخالف هذا الشيخ يعني سليمان بن كثير ،ولا تعصه))

وبدأ أبو مسلم عمله في خراسان ، واتخذ رايات سوداء لجيشه ، ولم يتلكأ في استغلال الفرصة ما دب الشغب بين نصر بن سيار والكرماني من الحروب الدموية ، فجعلت الرايات السود ترفرف في مدن خراسان وقراها ، وبدأت تسقط حواضرها في أيدي أبي مسلم واحدة بعد أخرى ، وكان في مقدمة جيش أبي مسلم قحطبة بن شبيب الطائي (٢) ،ومعه لواؤه الذي عقده له ابراهيم الامام .

وفظع نصر بن سيار من هذه القوة الفتية الزاحفة وكتب مرات الى مروان بن محمد يستنجده وينبهه من هذا الخطر المحدق بدولته ، ولكنه كان مشغولا في حروبه مع الخوارج في الجزيرة فلم يجبه (٣) ، ثم كتب نصر بن سيار الى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري والي العراق ،فلم يجبه لكونه مشغولا في دفع الفتن بالعراق —

---

(١) الامامة والسياسة : ٢/ ١١٤

(٢) انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٧/ ٣٨٨

(٣) " : المسعودي : مروج الذهب : ٣/ ٢٥٥

ولم يستطع نصر بن سيار أن يقف في وجه هذه الجيوش الزاحفة لأبي مسلم ، فخرج هاربا من خراسان واستولى أبو مسلم على مقاليدها . وذلك في سنة ثلاثين ومائة .(١)

وفي هذه الأثناء وقع كتاب بيد مروان بن محمد ، كان موجها من الامام ابراهيم بن محمد الى أبي مسلم الخراساني ، يأمره فيه بقتل كل من يتكلم بالعربية في خراسان ،(٢) فأمر الوليد بن معاوية والي دمشق أن يكتب الى والي البلقاء بالقبض على ابراهيم بن محمد ،(٣) ولما قبض عليه تيقن بأنه سوف يقتل ، فأوصى بالخلافة بعده الى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي ،(٤) وأمرهم أن لا يلبثوا بالحميمة ، بل يتوجهوا الى الكوفة ، فخرج أبو العباس مسرعا أخيه أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد وأعمامه ، من الحميمة ، ودخلوا الكوفة ونزلوا عند أبي سلمة الخلال المسئول عن الدعوة العباسية بالكوفة .(٥)

وقتل ابراهيم الامام في سجن حران مسموما ،(٦) ولما وصل خبر مقتله الى الكوفة أراد أبو سلمة الخلال صرف الدعوة من العباسيين الى العلويين ، وقد كان يكتم ذلك في نفسه ، فكتب الى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، والى أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بالمدينة ، يدعوهما لصرف الدعوة الى أحدهما ، أما جعفر الصادق فأنكر وأحرق الكتاب بدون أن يقرأه ،-

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٣١

(٢) " : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٧/٣٧٠

(٣) " : ابن قتيبة : الامام والسياسة : ٢/١١٦

(٤) " : الطبري : المصدر السابق : ٧/٤٢٣

" : ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٥/٤٠٩

(٥) " : المسعودي : مروج الذهب : ٣/٢٦٧ - ٢٦٨

(٦) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٤٠

وقبله عبد الله بن الحسن ، ولكن قبل أن يصل رسول أبي سلمة الخلال الى الكوفة راجعا من المدينة ، بويع أبو العباس بالخلافة من جماعة من قواد خراسان بالكوفة ، ثم خرج باصرارهم الى المسجد الجامع من دار الامارة ، وألقى أمام الناس خطبة الخلافة ، وكان مريضا فلم يستطع أن يكمل الخطبة ، فأكملها عمه داؤد بن علي ، وبايعه الناس بالخلافة ، وذلك في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة (١) .

وهكذا انتقلت الدولة من بني أمية الى بني العباس .

ولما بلغ هذا الخبر خليفة الوقت مروان بن محمد بن مروان الأموي ، سار من الشام في مائة ألف مقاتل حتى نزل الرأس دون الموصل ، وجهز أبو العباس السفاح عمه عبد الله بن علي في جيش ، فالتقى الجمعان في شهر جمادى الآخرة ، وانكسر مروان فتقهقر الى الجزيرة (٢) ، ثم بعث أبو مسلم قحطبة بن شبيب الطائي لقتال مروان ، وبعث معه ثلاثين ألفا من رجال اليمن وأهل الشيعة وفرسان خراسان (٣) ، فحميت وطيس المعركة في بعض كور الشام حتى انهزم مروان وفر هاربا الى مصر ، فأتبعه قحطبة ولكنه مات غريقا في الفرات ، وحمل لواءه ابنه حميد بن قحطبة (٤) ، ثم الحسن بن قحطبة (٥) ، ثم تولى الجيش صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، ورجع ابن قحطبة الى العراق امتثالا لأمر أبي مسلم (٦) ، ثم بعث صالح بن علي رسولا يقال له أبو عون الى مصر لقتال مروان ومعه أربعة آلاف جندي ،

---

(١) انظر : المسعودي : مروج الذهب : ٣/٢٦٨ - ٢٧٠

(٢) » : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة : ١/٣١٩

(٣) » : ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ٢/١١٧

(٤) » : ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ٢/١١٨

الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٧/٤١٤

(٥) انظر : الطبري : المصدر نفسه : م - ن .

(٦) » : ابن قتيبة : المصدر السابق : ٢/١١٨-١١٩

وانضم الى هذا الجيش جيش سليمان بن هشام من بني أمية ،وكان بينه وبين أبي العباس مودة قديمة ،ودارت المعركة بين الجيشين على شاطئ النيل في مصر ، وقتل مروان وانهزم جيشه ،فأرسل أبو عون نبأ الفتح مع سليمان بن هشام الى أبي العباس . وكان مقتل مروان لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وهكذا تم النصر للعباسيين واستولوا على مقاليد العالم الاسلامي آنذاك .

والآن نذكر ترجمة كل من الخلفاء العباسيين في العصر الأول ، وأهم ما وقع من الأحداث في عهدهم ،في سياق استعراض الناحية الدعوية لهذا العصر.

---

(١) هو سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان ،نشأ في دمشق ،وغزا أرض الروم في زمن أبيه ، وكان شاعرا مجيدا ،حبسه الوليد بن يزيد بعد موت أبيه ، طمع في الملك عندما امتلكه مروان بن محمد وفشل في محاولة الحصول عليه فمال الى أبي العباس ، قتله السفاح في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، - (انظر ترجمته في (تهذيب) تاريخ ابن عساكر : ٦/٢٢٨-٢٨٩)

(٢) انظر : ابن قتيبة ،الامامة والسياسة : ٢/١٢٠

(٣) " : المسعودي : مروج الذهب : ٣/٢٦١

١- ابو العباس عبدالله السفاح

١٣٢هـ — ١٣٦هـ

٧٥٠م — ٧٥٤م

هو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، أمه ريطة بنت عبيد الله ابن عبدالله بن عبد الدار الحارثي ، ولد بالحميمة سنة أربع ومائة ونشأ بها ، هو (١) أول من جلس على عرش الدولة العباسية ، وكان أبوه محمد بن علي أول من قام بنشر الدعوة العباسية في سنة مائة من الهجرة ، حتى توفي في سنة خمس وعشرين (٢) ومائة ، وأوصى بنقل الزعامة لدعوته الى ابنه الأكبر ابراهيم ، ولما ألقى ابراهيم في سجن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أوصى بنقل زعامة الدعوة الى أخيه (٣) أبي العباس عبدالله ، وأمرهم أن يرتحلوا الى الكوفة فنزلوا بها ، ولما وصل الى (٤) الكوفة نعي وفاة ابراهيم بن محمد في سجن حران ، بويع ابو العباس ، وسلم عليه الناس بالخلافة ، وكان ذلك ليلة الجمعة ، الثالث عشر من شهر ربيع الآخر ، سنة (٥) اثنتين وثلاثين ومائة .

وخرج أبو العباس الى المسجد الجامع يوم الجمعة ، فخطب على المنبر قائما بينما كان خلفاء بني أمية يخطبون قعودا ، فحياه الناس وقالوا : أحييت السنة (٦) يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٥٨

(٢) " : ابن كثير : المصدر نفسه : ٩/١٨٩

(٣) " : ابن كثير : المصدر نفسه : ١٠/٥

(٤) " " : " " : ١٠/٣٩

(٥) " " : " " : ١٠/٤٠

(٦) " : المسعودي : مروج الذهب : ٧/٤٢٥-٤٢٨

وألقى خطبة لا بأس باعتبارنا اياها اعلان دستور للدولة العباسية ، وكمل خطبته - لانه كان موعوكا - عمه داؤد بن على ، والسفاح جالس على المنبر يقر جميع ما قاله عمه.(١)

ونستطيع أن نتبين قوام الدولة العباسية فى ضوء هاتين الخطبتين ومدى علاقتها بالدعوة التى هى الوظيفة الأساسية للدولة الاسلامية ، وسوف نتكلم عليه فى الفصل الثانى - ان شاء الله .

وبعد ما تمت البيعة لأبى العباس فى الكوفة انتقل الى الأنبار ، وعمرها وجعلها عاصمة للدولة العباسية واشتهرت بالهاشمية.(٢) وحكم أبو العباس العالم الاسلامى نحو أربع سنين وثمانية أشهر(٣) ، وقضى هذه المدة فى توطيد دعائم ملكه ، فقاتل الثوار والخوارج ، وأزال المقيات عن طريق حكمه ، وكان من الذين ثاروا على حكمه أبو الورد فى قنسرين(٤) ، وحبيب بن مرة المرى بحوران(٥) ، وأهل الجزيرة(٦) ، وبسام بن ابراهيم فى المدائن(٧) ، وزياد بن صالح بهلخ(٨) ، ومنصور بن جمهور بالسند(٩) ، فأرسل أبو العباس قواده الى الثائرين ليكبتوهم ، فكبت عبد الله بن على أبا الورد وحبيب بن مرة ، كما كبت أبو جعفر المنصور أهل الجزيرة ، وقاتل خازم بن خزيمة الخوارج وبسام بن ابراهيم ، وكما كبت أبو مسلم الخراسانى ، زياد بن صالح ، وكبت موسى بن كعب منصور بن جمهور والى السند .

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٧/٤٢٥-٤٢٨

(٢) " : الطبرى : المصدر نفسه : ٧/٤٧٠

" : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٢٦٦

" : القلقشندى : صبح الأعشى - ٥/٢٦٨

(٣) " : الطبرى : المصدر السابق : ٧/٤٧٠

(٤) " : " : " نفسه : ٧/٤٤٣

(٥) " : " : " " : ٧/٤٤٦

(٦) " : " : " " : ٧/٤٤٦

(٧) " : " : " " : ٧/٤٦١

(٨) " : " : " " : ٧/٤٦٦

(٩) " : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٥/٤٥٣

وأزال أبو العباس فى جانب آخر عقبات عن طريق حكمه ، فقتل قائدين كبيرين هما : ابن هبيرة ، وأبو سلمة الخلال . كان يزيد بن عمر بن هبيرة قائدا باسلا من قواد بنى أمية ، وكان متحصنا بواسط ، وكان قد حاصره الحسن بن قحطبة ، ثم بعث ابو العباس أخاه أبا جعفر المنصور الى ابن هبيرة ، فشدد الحصار عليه وطالت مدته ، حتى اضطر ابن هبيرة الى الصلح فكاتب المنصور ، وأخيرا كتب المنصور الى ابن هبيرة يعطيه الأمان ، فنزل من الحصن ، وكان يحضر مجالس المنصور ، ولكن أبا العباس كان يرى ابن هبيرة عائقا كبيرا فى سبيل تدعيم سلطته فشاور فيه أبا مسلم الخراسانى ، فكتب اليه : (ان الطريق السهل اذا القيت فيه الحجارة فسد ، لا والله ، لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة) ، فألح أبو العباس على أبى جعفر المنصور بأمره بقتل ابن هبيرة حتى قتله المنصور ومن معه من القواد ، وذلك بعد ما أعطاهم الأمان (١) ، ولا شك أنه كان غدرا صدر من المنصور وأبى العباس ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ، ألا ! ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة) (٢) .

وكان أبو سلمة الخلال ممن دعم الدعوة العباسية ونشرها ، وكان يسمى (وزير آل محمد) كما كان يسمى أبو مسلم الخراسانى (أمين آل محمد) ولكن ميل أبى سلمة الى العلويين كان يخالج نفس أبى العباس ، فأغرى أبا مسلم الخراسانى بأبى سلمة ، فبعث اليه جماعة قتلته فى ظلام الليل ، ثم أعلن صباحا أن الخوارج قتلوا أبا سلمة الخلال (٣) .

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٧ / ٤٥٠ - ٤٥٦
" : ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ٢ / ١٢٩ - ١٣١

(٢) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٢ / ٤٤

(٣) انظر : الطبرى : المصدر السابق : ٧ / ٤٤٩ - ٤٥٠

ومن جهة أخرى كان المنصور يحرض أبا العباس على قتل أبى مسلم الخراسانى ولكنه كف عن قتله . وتوفى أبو العباس بالأنبار لثلاث عشرة مضت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وعمره ثلاث وثلاثون سنة .(١)

صفات أبى العباس :

يقول فيه ابن الأثير :(٢)

((كان جعدا ، طويلا ، أبيض، أقنى الأنف ، حسن الوجه واللحية . . .

. . نظر السفاح يوما فى المرآة ، وكان أجمل الناس وجها ، فقال : اللهم انى لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك : " أنا الملك الشاب " ولكنى أقول : اللهم عمرنى طويلا فى طاعتك سقيما بالعافية ، فما استتم كلامه حتى سمع غلاما يقول لغلام آخر : " الأجل بينى وبينك شهران وخمسة أيام " فتطير من كلامه ، وقال : حسبى الله ولا قوة الا بالله ، عليك توكلت وبك استعين ، فما مضت الأيام حتى أخذته الحمى واتصل مرضه ، فمات بعد شهرين وخمسة أيام ."

ويقول فيه المسعودى :(٣)

" لم يكن أحد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال مثل أبى العباس السفاح ، . . . وكان اذا تعادى رجلان من أصحابه وبطانته ، لم يسمع من أحدهما فى الآخر شيئا ولم يقبله ، وان كان القائل عدلا فى شهادته ، واذا اصطلح الرجلان لم يقبل شهادة واحد منهما لصاحبه ولا عليه ، ويقول : ان الضغينة القديمة تولد(٤) العداوة الممضة(٥) ، وتحمل على اظهار المسالمة وتحتها الأفعى التى اذا تمكنت لم تبق " . . . . . وكان يطرب من وراء الستر ، ويصيح بالمطرب له من المغنيين أحسنت والله ، أعد هذا الصوت "

(١) انظر: الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٧/٤٦٨/ ٤٧٠

(٢) الكامل فى التاريخ : ٥/٤٦٠

(٣) مروج الذهب : ٣/٢٧٨ - ٢٧٩

(٤) الضغينة : وجمعها : ضغائن : الحقد (انظر : ابن منظور : لسان العرب ١٣/٢٥٥)

(٥) الممضة : المحرقة ، يقال : أمضنى الهم والحزن ، أى أحرقنى وشق طى . (انظر : لسان العرب : ٧/٢٣٣)

وكان لا ينصرف عنه أحد من ندمائه ولا من مقربيه الا بصلة من مال أو كسوة ويقول : (لا يكون سرورنا معجلا ، ومكافأة من سرنا وأطربنا مؤجلا) .

وقال السيوطي فيه (١) :

(قالوا : كان السفاح سريعا الى سفك الدماء فأتبعه في ذلك عماله بالمشرق والمغرب ، وكان مع ذلك جوادا بالمال)

وقال بعض أهل العلم :

((كان آخر ما تكلم به السفاح : الملك لله الحي القيوم ، ملك الملوك وجبار الجبابرة) (٢)

نعم وكذلك اعترف بهذه الحقيقة الناصعة كثير من الجبابرة ، ولكن هذا الاعتراف عند الاحتضار ولم يأت بثمرة مثمرة ، فلو اعترف بهذه الحقيقة الأبدية عند استلامه زمام الملك ، اعترافا عمليا ، لم يسفك الدماء المحرمة ، ولم يخرج من اطار ما أمره الله ونهى عنه ، ولحاول محاولة جادة لجعل حكومته دعوية تلتزم حدود الله في كل ما تأتي وتدع ، وتجعل همها نشر الدعوة وتدعيمها في الداخل والخارج وما وسعها ذلك .

والذي رأيناه في منازعه ومن خلال ترجمته بالدرجة الأولى على الأقل : تدعيم سطوته .

---

(١) تاريخ الخلفاء : ٢٥٩

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠ / ٦١

٢- أبو جعفر المنصـــور

١٣٦هـ ـــــــ ١٥٨ هـ

٧٥٤م ـــــــ ٧٧٥م

هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ولد بالحميمة سنة خمس وتسعين (١) ، وجلس على عرش السلطة اثر وفاة أخيه الأصغر أبي العباس عبد الله ابن محمد بن علي السفاح ، وكانت أمه بربرية اسمها : سلامة (٢) ، ولعل المنصـــور تأخر في نيل السلطة من أخيه الأصغر ، لأن أمه كانت أمة بربرية .

وبشر بالخلافة في طريق عودته من الحج ، وكان أميرا على الحج ، فأخذ عنه البيعة ابن أخيه عيسى بن موسى بالأنبار ، وكان واليا للعهد بعد المنصور عن وصية السفاح (٣) ، وحكم المنصور العالم الاسلامي حوالي اثنتين وعشرين سنة .

يعتبر المنصور مؤسسا حقيقيا للدولة العباسية بمنزلة عبد الملك بن مروان في الأمويين ، ووجد عهدا طويلا للحكم على العالم الاسلامي آنذاك ، وقد مهد سبيله أخوه أبو العباس بقمع الثائرين على الدولة وبقتل رجلين كبيرين ، ابن هبيرة وأبي سلمة الخلال ، ومع ذلك وجد المنصور ثلاث عقبات هائلة في طريق تدعيم السلطة ، فأزالها ومهد السبيل لمن يأتي بعده ، ليأخذ بناصية الأمور مطمئن الفؤاد . وكانت تلك العقبات الثلاثة :

١- ثورة عمه عبد الله بن علي .

٢- وجود أبي مسلم الخراساني ، المستبد برأيه .

٣- ثورة الأخوين العلويين محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ١٢٢

(٢) المسعودي : مروج الذهب : ٣/ ٢٩٤

(٣) انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٨/ ٦٢

١ـ ثورة عبد الله بن على :

أرسل عيسى بن موسى الى عبد الله بن على ، يخبره موت أبى العباس السفاح ويأمره بالبيعة لأبى جعفر المنصور ، وكان السفاح قد أمره بذلك قبل وفاته ، ولم يأتمر بذلك عبد الله بن على ، ودعا الناس الى نفسه ، وجاء بصبر لدعوته الى نفسه ، فأظن أن أبا العباس السفاح لما أراد ارسال الجيش لمحاربة مروان بن محمد ، دعا بنى أبيه وقال لهم : من انتدب منكم فسار اليه فهو ولى عهدى ، فلم ينتدب له غيرى .

وشهد له بذلك بعض القواد من جيشه ، فبايعه الجيش والقواد جميعا ، ثم سار الى حران وقتل واليها بعد ما حاصره أربعين يوما (١) .

وكان أبو مسلم الخراسانى قد عاد من الحج ، فبعثه المنصور لمحاربة عبد الله بن على ، فسار الى عبد الله مع جيشه ، ولما بلغ عبد الله اقبال أبى مسلم ، استعد لقتاله ، ولكنه خاف من الخراسانيين فى جيشه أن يميلوا الى أبى مسلم . فقتل منهم نحوا من سبعة عشر ألفا بدون أى ذنب ارتكبوه (٢) .

كما خاف من قائدهم حميد بن قحطبة ، ولكنه لم يجترئ على قتله مباشرة ، فأرسله الى حلب وكتب الى واليها زفر بن عاصم يأمره بقتل حميد بن قحطبة اذا قدم عليه ، ولكن حميدا فتح الكتاب وقرأه وهو فى طريقه الى حلب ، فأخفى الأمر من عامة جيشه ، وأعلم خاصته بما يحتويه الكتاب ، ثم غير طريقه وسار الى العراق ، ثم لحق بجيش أبى مسلم (٣) .

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٧ / ٤٧٤ - ٤٧٥
" : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٥ / ٤٦٤
(٢) انظر : الطبرى : المصدر السابق : ٧ / ٤٧٥
" : ابن الأثير : " " : ٥ / ٤٦٥
(٣) " : ابن الأثير : " " م - ن

وأقبل عبد الله بن علي حتى نزل نصيبين (١) ، وجاء أبو مسلم مع جيشه من جانب آخر ، وقد لحق الحسن بن قحطبة بأمر المنصور وكان والياً من قبله على أرمينية ، ودارت المعركة بين الجيشين واقتتلوا خمسة أشهر ، حتى انهزم جيش عبد الله بن علي مع كثرة عدده وعدته ، وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ومائة وفر عبد الله بن علي من جيشه رغم ما عابه ذلك على مقاتله مروان بن محمد ، فجاء الى البصرة وكان واليها أخوه سليمان بن علي ، فأقام عنده مختفياً مدة طويلة ، ولما علم المنصور بذلك أرسل الى سليمان باحضار عبد الله بن علي وأعطاه الأمان ، فجاء به سليمان الى المنصور وذلك في سنة تسع وثلاثين ومائة ، فأمر بحبسه وحبس من كان معه ثم أمر بقتل بعض منهم وأرسل بعضاً منهم الى والي خراسان فقتلوا هناك (٢) ، واستمر عبد الله بن علي محبوساً في السجن حتى مات في سنة سبع وأربعين ومائة ، وعمره اثنتان وخمسون سنة (٣) .

وهكذا استطاع المنصور ازالة عقبة كبيرة عن طريقه الى التمكن من الحكم ، كما نال ذلك القائد الباسل السفاك مصيره ، وقد كان له حظ وافر في تدعيم سطوة الدولة العباسية .

---

(١) نصيبين : بالفتح ، ثم بالكسر ، ثم ياء الجمع الصحيح : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام ، فتحها عياض بن غنم رضي الله عنه ـ صلحاً (انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان : ٥/٢٨٨-٢٨٩) .

(٢) انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٧/٤٧٩

(٣) " : الطبري : المصدر نفسه : ٧/٥٠١ - ٥٠٢

٢- قتل أبى مسلم الخراسانى :

كان أبو مسلم الخراسانى من أبرز دعاة الدعوة العباسية ، هو الذى دعم هذه الدعوة بالمدد والمدة ، وكان يسمى بـ (أمين آل محمد) وحصلت له مكانة مرموقة فى اتباع الدعوة العباسية ، وخصوصا أهل خراسان كانوا تحت سيطرته الشخصية ، ومن الطبيعى جدا أن الانسان اذا حصل له الجاه والمنصب بهذه الصورة ، أصبح معجبا بنفسه ورأيه ، ومغترا بمؤهلاته ، فلم يسلم أبو مسلم من هذه الفرة ، فكان لا يبالى بأحد أمام نفسه ، حتى صرف النظر عن مكانة المنصور فى أيام أخيه أبى العباس .(١)

ومن جهة أخرى كان المنصور يخاف مما حظى أبو مسلم من قبول عام فى أوساط أتباع الدعوة العباسية ، فأصبح من يسمع كلامه وينفذ أوامره ، ومن أجل ذلك كان يغرى أخاه السفاح بقتل أبى مسلم ، ومن سوء حظ أبى مسلم أنه لم ينتبه الى ما كان يجره اليه اعجابه بنفسه ، فظل باقيا على نهجه عندما استلم المنصور مقاليد الحكم ، فكان لا يبالى بما يكتب اليه المنصور .(٢)

وحدث هناك حادث وسع خليج سوء الظن وعدم الثقة بين المنصور وأبى مسلم ، وذلك أنه لما حارب أبو مسلم عبد الله بن على وهزمه ، بعث المنصور رسولا من قبله يحصى الغنائم ، ففضب بذلك أبو مسلم وكاد أن يقتل الرسول من شدة غضبه ثم رد الرسول قائلا : أأمين فى الدماء وخائن فى الأموال ـ؟ وشتم المنصور

---

(١) انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٥/٤٥٨

(٢) انظر : ابن الأثير : المصدر نفسه : ٥/٤٦٩

فرجع الرسول الى المنصور وأخبره ، فخاف من أن يتغير عليه أبو مسلم ويرجع الى خراسان ويقوى شأنه هناك ، فكتب اليه يوليه مصر والشام ، وثار غضب أبى مسلم على ذلك ، وقال : (يوليني الشام ومصر ، وخراسان لى) .

وبلغ هذا الخبر المنصور ، فكتب اليه بالمثول بين يديه ، فرفضه أبو مسلم بكلمات لطيفة تحمل فى ثناياها التهديد من جهة ، واظهار الوفاء والمودة من جهة أخرى ، وفطن المنصور الى أنه لابد من المكر والدهاء ليسيطر على عدوه ومنافسه فى السلطة ، فكتب اليه كلمات لطيفة كيسة ، كما هدده بتهديدات ، وفى الوقت نفسه كتب الى نائب أبى مسلم فى خراسان ، بأن لك امرة خراسان طول حياتى . فكتب ذلك النائب أبو داؤد الى أبى مسلم ينصحه ويحرضه على طاعة أمير المؤمنين وعدم مخالفته ، فاضطر أبو مسلم للحضور بين يدى المنصور . فجاء الى الأنبار ومعه جنده ، وقد طمئنه المنصور بحيل عديدة أنه مأمون ، وانما حدث ما حدث بينهما من أجل سوء التفاهم ، فطلبه المنصور فى خلوته ، وجرده من سيفه بحيل ، وكان قد أخفى المنصور عددا من الحراس وراء الستر ، وطلبهم أن يقتلوا أبا مسلم فجأة عندما سمعوا تصفيقه . ثم يجرى بين المنصور وأبى مسلم حوار فيه العنف من المنصور ، واللطف والاعتذار من أبى مسلم ، فاذا المنصور يصفق ، ويبرز الحراس من وراء الستر ، فيقتلون أبا مسلم . ثم ينشد المنصور :

زعمت أن الدين لا يقتضى ... فاستوف الكيل أيا مجرم
سقيت كأسا كنت تسقى بها ... أمرّ فى الحلق من العلقم

(١)

وذلك فى الخامس والعشرين من شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة .

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٧ / ٤٧٩ - ٤٩١

" : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٥ / ٤٦٨ - ٤٧٦

وهكذا لقى ذلك القائد الباسل مصرعه ،وقد سفك الدماء غير مبال بشىء فى تدعيم سطوة الدولة العباسية ، قيل : انه قتل فى دولته وحروبه ستمائة ألف صبرا .

وهكذا نجح المنصور فى محاولته لازالة معرقل كبير فى طريق تدعيم سطوته وكان يخاف جند أبى مسلم ،فنثر عليهم جوائز ثمينة ، جعلت فيهم شخصية أبى مسلم كأنها كانت أسطورة من أساطير الروايات ،ثم رجعوا وهم يقولون : " بمنا مولانا بالدراهم "(١)

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٤٩٣/٧

٣- ثورة الأخوين العلويين :

كان المنصور يخاف من محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، المعروف بالنفس الزكية ، لزهده وتقواه ، اذ أن بني هاشم كانوا قد انتخبوه للخلافة حينما ظهرت آثار الضعف والاضمحلال في حكم بني أمية ، في آخر عهد مروان بن محمد ، وقيل : ان المنصور كان ممن بايعوه بالخلافة . فلو طار النوم من عيني المنصور من أجل خوف ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن هذا ، كان على الحق ، لأن الأسرة النبوية ، كانت مكانتها في أعماق قلوب الناس ، فكان المنصور يبحث عن محمد وابراهيم بابني عبد الله بن الحسن ، وكانا قد اختفيا منذ أن حج المنصور سنة أربعين ومائة ، فكان يتفقد منهما في المدن والقرى ، والعمران والخرابات ، ويعين العيون ، ويبث الجواسيس ويقبض على كل من شك فيه واتهمه ، ونقل في ذلك خبر طريف ، فقيل : انه قبض على رجل اشتبه عليه اسمه ، وذلك أن جاسوسا للمنصور قد دخل سرا في جماعة محمد بن عبد الله ، وكان كاتب للمنصور يحب العلويين ، فبعث الى محمد بن عبد الله رجلا اسمه أبو هبار ، ليخبره عن ذلك الجاسوس ، فدخل على محمد بن عبد الله ، وهو جالس في كهف ومعه جماعته وفيهم ذلك الجاسوس ، فطلب أبو هبار من محمد أن يخلوا به ، ثم أخبره الخبر ، وقد تنبه ذلك الجاسوس ، فتسلل من المجلس وجاء الى المنصور وأخبره ، ولكنه نسي اسم أبي هبار وكنيته ، فذكر : (وهار) فكتب المنصور في طلب (وهار المرى) فحمل اليه رجل اسمه : وهر ، فسأله عن قصة محمد ، وأين ذلك المسكين عن خبر محمد ، فحلف أنه لا يعرف عنه شيئا ، ولكنه ضرب سبعمائة سوط ، وظل محبوسا حتى مات المنصور .(١)

---

(١) انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٥/٥١٤ - ٥١٦

كما كان المنصور يستعمل ويعزل الولاة على المدينة يصدد للبحث عن الأخوين ، فكل وال أخفق فى طلبهما عزل ، حتى استعمل رياح بن عثمان بن حيان المرى ، فحبس العلويين ، وفيهم عبد الله بن الحسن وأبناؤه غير محمد وابراهيم ، ثم أرسلهم الى العراق ، فعذبهم المنصور أشد عذاب ، حتى مات عديد منهم فى السجن (١) . وذلك لكى يظهر الأخوان نفسهما ، لكنهما ظلا مختفيين ، ينتظران جوا مناسبا للخروج ثم اضطر الأخوان أن يصرفا نظرهما عن الفرصة المناسبة فقررا موعدا للخروج فى المدينة والبصرة معا ، فظهر محمد بن عبد الله فى المدينة فى شهر جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة ، ومعه مائة وخمسون رجلا ، فكسر باب السجن ، وأخرج من فيه ، ثم جاؤا الى دار الامارة ، وقبضوا على رياح وأخيه العباس وغيرهما ، وحبسهم فى دار الامارة ، ثم خرج الى المسجد وصعد المنبر وخطب الناس ، وقال: انه خرج على طغيان المنصور بعد ما أحل ما حرمه الله ، وحرم ما أحله الله ، وبأنه يجبى فى الأمصار كلها ، واستفتى أهل المدينة امام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله فى الخروج مع محمد ، وقالوا : ان فى اعناقنا بيعة لأبى جعفر ، فقال : انما بايعتم مكرهين ، وليس على مكره يمين ، فأسرع الناس الى محمد ، ولزم مالك بيته (٢) .

وكان المنصور بدأ بناء بغداد فى تلك الأيام ، فخاف من خروج محمد بن عبد الله ، واستشار كثيرا ممن كان يثق بهم ، حتى عمه عبد الله بن على الذى كان محبوسا عنده ، ثم بدأ يراسل محمدا يهدده تارة ويؤمنه أخرى ، وكاله محمد صاعا بصاع وكيلا بكيل ، وأخيرا أرسل المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد ، لمحاربة محمد بن عبد الله —

---

(١) انظر المسعودى : مروج الذهب : ٣/ ٢١٠

" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ٨١-٨٢

(٢) " : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٥/ ٥٢٩ - ٥٣٢

محمد
واستشار/ أصحابه ، ثم رأى أن يحفر الخندق متبعا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستعد للقتال ، ولكنه أخطأ سيا سيا ،فقال لمن التف حوله من أهل المدينة وغيرها : (فمن أحب منكم أن يقيم فأقام ،ومن أحب أن يظعن ظعن) فخرج كثير من الناس الى الأعراض والجبال ،وبقى محمد فى شرذمة قليلة ،ثم حاول أن يرد اولئك الناس اليه فلم ينجح (١) .

ونادى عيسى بن موسى : (يا أهل المدينة ، ان الله حرم دماء بعضنا على بعض ، فهلموا الى الأمان ، فمن قام تحت رايتنا فهو آمن ،ومن دخل داره فهو آمن ،ومن دخل المسجد فهو آمن ،ومن ألقى سلاحه فهو آمن ،ومن خرج من المدينة فهو آمن ،خلوا بيننا وبين صاحبنا ،فانما لنا ،وانما له) (٢)

ولكن أهل المدينة رفضوه ،ثم دارت المعركة بين جيش عيسى بن موسى وأصحاب محمد ،وقاتل محمد بن عبد الله قتالا عظيما ، فهزموا جيش عيسى بن موسى مرتين أو ثلاثا ،ولكن ـ الى متى تقاوم شرذمة قليلة جيشا كبيرا مدججا بالسلاح ـ ؟! وقد غلب الخوف على أهل المدينة ففتح بعضهم الطريق لأصحاب عيسى بن موسى فدخلوا المدينة وجاؤا من وراء أصحاب محمد ،فأحدقوا به من كل جانب ، ومع ذلك لم يستسلموا حتى صرعوا مقتولين ،واحتز رأس محمد ورؤوس بعض أصحابه ،وكان رأس محمد لا يعرف بكثرة الدماء .

وحدثت هذه المأساة يوم الاثنين بعد العصر ، لأربع عشرة رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ،وأرسلت الرؤوس الى أبى جعفر المنصور ،فأمر ، فطيف برأس محمد فى الكوفة ،ثم سيره الى الآفاق (٣) .

---

(١) انظر : ابن الأثير :الكامل فى التاريخ : ٥/٥٤٥

(٢) انظر : ابن الأثير : المصدر نفسه : ٥/٥٤٦

(٣) اقرأ القصة تفصيلا فى الطبرى : ٧/ من ٥١٧ الى ٦٠١
او ابن الأثير : ٥/٥١٣ الى ٥٥٥

وخرج ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بالبصرة يدعو الى بيعة أخيه محمد ، وكان خروجه قد تأخر من خروج محمد ، وذلك لمرض أصابه ، فظهر في أول شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، وصلى بالناس الفجر ، وقصد دار الامارة ، وطلب أمير البصرة سفيان بن معاوية منه الأمان ، فأمنه ابراهيم وقيده قيدا خفيفا ثم تابع ابراهيم أهل الأهواز وفارس وواسط والمدائن والكوفة ، فأرسل المنصور عيسى بن موسى - وقد رجع اليه بعد ما قاتل محمد بن عبد الله في خمسة عشر ألفا، والتزم المنصور مصلاه خمسين يوما ينام عليه ويجلس ، ولا يلتفت الى أمر آخر (١) ، وارتحل عيسى ابن موسى وفي مقدمة جيشه حميد بن قحطبة ، وتقدم ابراهيم بن عبد الله ونزل باخمرى - وهي من الكوفة على ستة عشر فرسخا - وقابل جيش عيسى بن موسى ودارت المعركة بين الجيشين ، واقتتل الناس قتالا شديدا ، حتى انهزم جميد بن قحطبة وجيشه ، ولكن عيسى بن موسى ظل ثابتا على مكانه مع نفر يسير ، واذا جيش ابراهيم حصر من ورائه ، اذ جاء جيش جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي من وراء أصحاب ابراهيم ، وكان أخرجهما من البصرة ، فانقلب الانصار هزيمة وقتل ابراهيم وأصحابه ، وأرسلت رؤوسهم الى المنصور ، ووقعت هذه المأساة (٢) في خمس وعشرين ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائة .

وهكذا استطاع المنصور أن يزيل العقبات عن طريقه في التمكن من الحكم وتدعيم سلطته ، فنحى الشخصية المعلاقة لمحمد بن عبد الله عن طريقه ، وكان في أغلب التقدير أن تحتل هذه الشخصية مكانة المنصور - لو قدره الله -

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ٩٢

(٢) اقرأ القصة تفصيلا في الطبري : ٧/ ٦٢٢ - ٦٤٩
وابن الأثير : ٥/ ٥٦٠ - ٥٧١

ولكن حدث ما حدث ، فقتل ، وهرب أخ لمحمد وهو ادريس بن عبدالله بن الحسن الى افريقية ، وقامت فيما بعد دولة الأدارسة هناك على يد ابنه ادريس بن ادريس (١) .

وتم للمنصور مهمة تمهيد السبيل لتدعيم السلطة ، وما بقى له بعد ذلك الا معرقل واحد ، وهو وجود عيسى بن موسى ، الذى جعله السفاح وليا للعهد بعد المنصور (٢) وكان المنصور يريد أن يتخذ ابنه محمد المهدى وليا لعهده .

---

(١) انظر : المسعودى : ٣٠٨/٣

(٢) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ٦٠/١٠

خلـع عيسى بن موسى :

كان عيسى بن موسى ، هو الذى تولى أخذ البيعة للمنصور وهو غائب عن العاصمة ، وهو الذى قاتل محمدا وابراهيم الأخوين العلويين لتدعيم سلطة المنصور ، ولكن حب الجاه والسلطة ينسى الانسان النعمة التى تسدى اليه ، فعزم المنصور على خلع ابن أخيه عيسى بن موسى من ولاية العهد ، وكان قبل أن يريد ذلك يكرم عيسى بن موسى ويجله ، فكان يجلسه عن يمينه وابنه المهدى عن يساره ، ولما أراد المنصور أخذ البيعة للمهدى ، كلم عيسى بن موسى أن يخلع نفسه من ولاية العهد ، فأبى ، فبدأ المنصور يهينه فى كل مناسبة ، جعل يجلس ابنه محمد المهدى عن يمينه مكان عيسى ، كما أن أمراء الجيش جعلوا يهينون عيسى ابن موسى من عدة طرق منها : أنهم كانوا يمشون وراءه اذا ركب ، ويقولون : " أنت البقرة التى قال الله : " فذبحوها وما كادوا يفعلون " وهو يتحمل هذه الشدائد بكل صبر - وقيل : انه سقاه المنصور السم بحيلة ، فمرض ولم يمت ، وضيق عليه من كل جانب حتى اضطر عيسى أن يخلع نفسه من ولاية العهد لابن المنصور محمد المهدى (١) ، فاتخذه المنصور وليا للعهد بعد المهدى ، ولكنه لسوء حظه لم يستطع أن يرتقى منصة السلطة بعد المهدى ، لأن المهدى أيضا اختار نفس طريق أبيه المنصور ، فأجبر عيسى بن موسى ، وأزعجه ازعاجا أرغمه على التنازل من ولاية العهد لابن المهدى ، موسى الهادى (٢) .

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٩-٢٦

" : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٥/٥٧٧ - ٥٨١

(٢) " : الطبرى : المصدر السابق : ٨/١٢٤ - ١٢٨

وهكذا مهد المنصور سبيل الوصول الى السلطة لأولاده ، وخضد كل شوكة رآها ماثلة فى سبيله ، فيقال : انه لم يكن خليفة من بنى العباس بعد المنصور الا من سلالته (١) ، وكان اتباع هذه الأساليب لتدعيم السلطة انحرافا كبيرا عن مبادىء الدولة الدعوية ، اذ أنه ينافى فى تلك العدالة التى هى ميزة بارزة من مميزات المجتمع الاسلامى ، ولكن - مع الأسف الشديد - صادف الحكم الاسلامى هذه المأساة .

وظل المنصور يحكم العالم الاسلامى نحو اثنتين وعشرين سنة ، حتى وافته المنية وهو فى طريقه الى الحج ، فتوفى فى سنة ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة (٢) ، وكان عمره عندئذ خمسا وستين سنة .

صفات المنصـــور :

كان المنصور يملك صفات تكاد تكون نادرة فى انسان ، وشبه الله تعالـــى صفات يحتاج اليها خليفة المسلمين أو رئيس دولة اسلامية دعوية ، فكان لبيـــا ، حازما ، يقظا فى سياسة الدولة وكانت تتبادر هذه الصفات من أقواله ووصاياه وخطبه ورسائله ، فكان مما يقول :

" ما أحوجنى الى أن يكون على بابى أربعة نفر ، لا يكون على بابى أعف منهم ، قيل له : يا أمير المؤمنين من هم -؟ قال : هم أركان الملك ، ولا يصلح الملك الا بهم ، كما أن السرير لا يصلح الا بأربع قوائم ، ان نقصت واحدة وهى ، أما أحدهم فقاض ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، والآخر صاحب شرطة ، ينصف الضعيف مـــن القوى ، والثالث صاحب خراج يستقصى ، ولا يظلم الرعية ، فانى من ظلمها غـــنى والرابع : - ثم عض على اصبعه السبابة ثلاث مرات ، يقول فى كل مرة : آه ، آه قيل : ومن هو يا أمير المؤمنين -؟ قال : صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحـــة " (٣) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١٠٥
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٦١
(٣) الطبرى : المصدر نفسه : ٨/٦٧

وقال لابنه المهدى :

« لا تبرم أمرا حتى تفكر فيه ، فان فكر العاقل مرآته ، تريه حسنه وسيئه ... .. يا أبا عبد الله لا يصلح السلطان الا بالتقوى ، ولا تصلح رعيته الا بالطاعة ، ولا تعمر البلاد الا بمثل العدل ، ولا تدوم نعمة السلطان وطاعته الا بالمال ، ولا تقدم فى الحيالة بمثل نقل الأخبار . وأقدر الناس على العفو ، أقدرهم على العقوبة وأعجز الناس من ظلم من هو دونه ، واعتبر عمل صاحبك وعلمه باختباره . »(١)

وخطبه ورسائله(٢) تدل على فصاحته وبلاغته ، وعلى عقليته الفائقة ، وآرائه الصائبة ، وتدبيراته السديدة ، وعلى ذكائه وفطنته ، قال يزيد بن عمر بن هبيرة : « ما رأيت رجلا فى حرب أو سلم أمكر ولا أنكر ولا أشد تيقظا من المنصور ، لقد حاصرنى تسعة شهور ومعى فرسان العرب ، فجهدنا كل الجهد حتى ننال من عسكره شيئا ، فما قدرنا لشدة ضبطه لعسكره وكثرة تيقظه ، ولقد حصرنى وما فى رأسى شعرة بيضاء ، ثم انقضى ذلك وما فى رأسى شعرة سوداء »(٣)

ويذكر الطبرى(٤) :

« كان شغله (أى المنصور) فى صدر نهاره بالأمر والنهى ، والولايات والعزل وشحن الثغور والأطراف وأمن السبل ، والنظر فى الخراج والنفقات ومصلحة معاش الرعية لطرح عالتهم ، والتلطف لسكونهم وهدوئهم فاذا صلى العشاء الآخرة ، نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والأطراف والآفاق ، وشاور سماره من ذلك فيما أرب ، فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه وانصرف سماره ، فاذا مضى الثلث الثانى ، قام من فراشه فأسبغ وضوءه ووقف فى محرابه حتى يطلع الفجر ، ثم يخرج فيصلى بالناس ثم يدخل فيجلس فى ايوانه »

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/ ٧١ - ٧٢

(٢) انظر لنبذة من خطبه ورسائله ووصاياه : الطبرى : المصدر السابق : ٨/ ٨٨ - ١٠٦

(٣) ابن الطقطقى . : الفخرى : ١٦٠

(٤) تاريخ الرسل والملوك : ٨/ ٧٠

وكان يتباعد عن اللهو واللعب ،كما حكاه الطبرى (١) : أنه لم ير فى دار المنصور لهو قط ، ولا شىء يشبه اللهو والعبث ،الا مرة فقط ، فتزيا ولده عبد العزيز بزى الأعراب ، وخرج معهما يحاكى الأعراب ، وعبر الجسر وذهب الى المهدى وأخذ منه الجوائز ، كما قيل : انه سمع المنصور مرة صوتا فى داره ، فسأل خادمه عنه ،فأخبره أن خادما له جلس بين الجوارى وهو يضرب لهن بالطنبور وهن يضحكن ، فدخل المنصور وانتشرن من خوفه ، فأمر بضرب الطنبور على رأس الغلام حتى انكسر الطنبور ، ثم أخرجه من قصره .

ولم يشرب المنصور الخمر ولم تشرب على مائدته ، قيل : انه جاء الطبيب النصرانى بختيشوع الأكبر من السوس الى المنصور ، فأمر له المنصور بالغذاء يتغدى به ، فلما جلس على الطعام طلب الشراب ،فقيل له : ان الشراب لا يشرب على مائدة أمير المؤمنين ، فقال : لا آكل طعاما ليس معه شراب ، فأخبروا المنصور بذلك ، فقال : دعوه - اى لم يجب طلبه - وفعل عند العشاء ما فعل عند الغداء (٢) ، فقيل له ما قيل آنذاك ، فاقتنع بماء دجلة .

ونرى فى مثل هذه الأخبار تدين المنصور ورعايته الناحية الدعوية فى حياته الخاصة ، وكان من واجبه أن يراعى هذه الناحية المهمة فى جميع شئون حياته وحياة شعبه ،لأنه كان خليفة المسلمين ، وله الصدارة فى دولة الاسلام ، ولانه كان عالما دينيا ، كما يحكى لنا الطبرى (٣) : بأنه دخل على المنصور رجل من أهل العلم فازدراه ، ولكنه لم يسأله عن شىء الا وجد عنده ،فتعجب وسأله قائلا : أنى لك هذا العلم ! قال المنصور : لم أبخل بعلم علمته ولم أستح من علم أتعلمه ، قال : فمن هناك .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك : ٦٣/٨

(٢) انظر : الطبرى : المصدر نفسه : ٨٧/٨

(٣) انظر : المصدر نفسه : ٨٨/٨

ومع هذا هناك أخبار تجرح عدالته ،منها : ميله الى تكهنات المنجمين وثقته بها ، حتى وضع أساس مدينة بغداد فى وقت اختاره له المنجم نوبخت(٢) ،وكان قد جعله المنصور من أخص أصحابه ، وكذلك غدره بابن هبيرة وأبى مسلم الخراسانى وعيسى بن موسى معروف ، وفعل ما فعل بابن أخيه محمد ابن أبى العباس السفاح ،لابعاده عن السلطة ، فقيل : ان الخصيب النصرانى الزنديق أشرب محمدا السم باسم الدواء ،فمات ،وكان ذلك باشارة من المنصور ،

ولما اشتكت بذلك أم محمد ،قبض المنصور على الخصيب ، وضربه ثلاثين سوطا ضربا خفيفا ، وحبسه أياما ثم أطلقه وأعطاه ثلاثمائة درهم .

فهذه الأمور لا تلائم أبدا أخلاق مسلم عادى ، فضلا عن أن تصدر من أمير المؤمنين الذى يجب عليه أن يكون على ذروة التقوى والتمسك بأهداب الدين ليحرس بذلك القيم الاسلامية السامية فى المجتمع الاسلامى الدعوى ،ثم يقدمها الى شعوب العالم يدعوهم الى تلك الصفات الايمانية العالية ـ فاذا صدر الغدر، والخيانة ،والاجبار والاكراه من أمير المؤمنين ، فكيف لا تتعدى هذه الأمراض الروحية الى الرعية ـ؟ وكيف يمكن للرعية أن تظل ملتزمة منهج الدعوة ،وأميرها قد انحرف عنه ـ ؟ والناس على دين ملوكهم .

---

(١) انظر : ابن كثير:البداية والنهاية : ١٠/٩٤

(٢) " : ابن كثير :المصدر نفسه : ١٠/٩٨

(٣) " : ابن كثير: المصدر نفسه : ١٠/١٢٢

(٤) " : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٨٦

٣ــــ محمد المهدى

١٥٨ هـ ـــــ ١٦٩هـ

٧٧٥ م ٧٨٥ م

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ويكنى أبا عبد الله أمه ، أم موسى أروى بنت منصور بن عبد الله بن ذى سهم بن أبى سرح ، من ملوك حمير ، ولد سنة سبع وعشرين ومائة بالحميمة ، وبويع له بالخلافة بمكة فى اليوم السادس من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وأخذ البيعة له مولاه الربيع (١) ، وجاءه البريد بنعى أبيه يوم الثلاثاء النصف من ذى الحجة (٢) ، فكتم الأمر يومين ، ثم نودى فى الناس : (الصلاة جامعة) ، فقام فيهم خطيبا ، وأخبرهم موت أبيه ، ثم بايعه الناس بيعة عامة بالخلافة (٣) .

ومات فى ثلاث وعشرين من محرم سنة تسع وستين ومائة ، فحكم العالم الاسلامى عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما (٤) .

ولقب بالمهدى تفاؤلا بأن يكون هو الموعود به فى الأحاديث (٥) ، ولكن أين هذا من ذلك الامام الذى يملأ الدنيا عدلا ، فلم يكن به .

وجد المهدى جوا هادئا نسبيا للحكم على العالم الاسلامى ، لأن أباه المنصور كان قد مهد السبيل لتدعيم السلطة بازالة العقبات التى كانت من المحتمل أن تكون سدودا فى وجه الحكم العباسى ، فلم يجد عقبة تستحق الذكر الا أزالها

---

(١) انظر : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٣١٩

(٢) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١٢٩

(٣) " : ابن كثير : المصدر نفسه : ١٠/١٥٢

(٤) " : المسعودى : المصدر السابق : ٣/٣١٩

(٥) " : ابن كثير : المصدر السابق : ١٠/١٥١

وبقيت السلطة فى أسرة المنصور ، ونجد عصر المهدى برزخا بين حياة الجد والعمل فى عصر السفاح والمنصور ، وبين حياة البذخ والترف التى بدأت من عهد الرشيد والمأمون ومن بعدهما ، فبما أنه كان قريب العهد بعصر أبيه المنصور نجد فيه العنف والشدة على أهل الالحاد والزندقة ، والمراقبة لرد المظالم ، وبما أن عهده كان عهد هدوء ورفاهية نجد فيه الميل الى الترف والبذخ واللهو ، فكان مترفا فى ملبسه ومأكله ، حتى قيل : انه كان يحمل اليه الثلج من البصرة وهو بمكة فى الحج (١) ، وكان أول خليفة حمل له الثلج الى مكة .

ومن أهم ما وقع فى عهد حكمه :

ظهور المقنع !

ظهر المقنع بخراسان فى سنة تسع وخمسين ومائة ، كان رجلا أعور ، قصيرا من أهل مرو صنع وجها له من ذهب ووضعه على وجهه لئلا يرى عوره ، وادعى الألوهية لنفسه ، فكان يقول : (ان الله خلق آدم ، فتحول فى صورته ، ثم فى صورة نوح ، فلم يزل حتى الى أبى مسلم الخراسانى ، وسمى نفسه : هاشما ، وكان يعتقد بالتناسخ ، كما كان يعتقد أن أبا مسلم أفضل من النبى صلى الله عليه وسلم ، وما عدا ذلك من عقائد فاسدة باطلة ، فأضل كثيرا من الناس واجتمعوا حوله ، وكانوا يسجدون له ، كما كان أتباعه يهتفون فى الحروب ب(يا هاشم أعنا) .

فأرسل المهدى اليه جيشا فيه القواد أمثال معاذ بن مسلم وعقبة بن مسلم فحصر المقنع نفسه فى قلعة ، فأطالوا الحصار عليه ، حتى اضطرب أصحابه وخرج منهم حوالى ثلاثين ألفا طالبين لأنفسهم الأمان ، وبقى مع المقنع نفر يسير

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ١٣٢

: السيوطى : تاريخ الخلفاء : ٢٧٣

فلما تيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله وسقاهم السم ، ثم أضرم نارا وقال : من أحب أن يرتفع معى الى السماء فليلق نفسه معى فى هذه النار ، وألقى فيها نفسه مع أهله وخواصه ، فاحترقوا ، ووقع هذا فى سنة احدى وستين ومائة .(١)

غـــزو الهنـــد :

وجه المهدى جيشا الى الهند فى سنة تسع وخمسين ومائة ، وكان قائد الجيش عبد الملك بن شهاب المسمعى ، واشترك فى هذا الغزو المحدث الربيع ابن صبيح(٢) ، فوصل الجيش الى مدينة بارهد من بلاد الهند فى سنة ستين ومائة ، فنصبوا المنجنيق وقاتلوا وفتحوا البلاد عنوة ، واستشهد من المسلمين عدد قليل ، الا انهم أصيبوا هناك بمرض فى أفواههم ، فمات نحو ألف رجـــل فيهم الربيع بن صبيح(٣) .

---

(١) انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/٣٨ ، ٣٩ و ٥١ - ٥٢

(٢) هو أبو بكر أو أبو حفص ، الربيع بن صبيح السعدى بالولاء ، البصرى ، من المحدثين ، ضعفه بعض الرجال ووثقه بعضهم ، كان من عباد أهـــل البصرة وزهادهم ، كان بيته يشبه بالليل ببيت النحل من كثرة التهجـــد ، روى عن الحسن وحميد الطويل وغيرهما ، كما روى عنه الثورى ، وابـــن المبارك وابن المهدى وغيرهم ، مات غازيا سنة ستين ومائة بأرض السنـــد (انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٣/٢٤٧ - ٢٤٨) .

(٣) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/١١٦ - ١١٧ و ١٢٨
" : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/٤٦

غزو الروم :

: غزيت الروم أثناء حكم المهدى مرتين :

أولا : خرج المهدى بنفسه فى سنة ثلاث وستين ومائة لغزو الروم واستصحب ابنه هارون كما استخلف ابنه موسى الهادى ببغداد ، فخرج عن طريق الموصل وعلى الجزيرة آنذاك جده عبد الصمد بن على ، فغضب عليه لعدم استقباله اياه ثم عزله ، ووجه ابنه هارون الى الروم ومعه يحيى بن خالد ابن برمك وغيره ، فغزوا الروم وفتحوا فتوحا كثيرة ، ثم رجعوا الى المهدى وعندما أقام المهدى بحلب — وهو يرجع الى بغداد — أرسل عبد الجبار المحتسب فى طلب الزنادقة بتلك الناحية ، فجاء بهم ، فقتل جماعة منهم وصلبهم وأوتى بكتبهم فقطعت بالسكاكين . (١)

ثانيا : وجه المهدى ابنه هارون الرشيد فى سنة خمس وستين ومائة بجيش كبير عدد ، خمسة وتسعون ألفا وتسعمائة وثلاثة وتسعون رجلا ، فدخل هارون بلاد الروم وفتح بعضا منها وسار حتى بلغ خليج القسطنطينية ، وكان تحكم الروم فى تلك الأيام ملكة تدعى أغسطة (اوايرينى) امرأة الملك الراحل ليون ، اذ كان ابنه صغيرا فى حجرها ، فجرى الصلح بينهما وبين هارون بشروط منها :

١- الهدنة لثلاث سنين .

٢- تدفع الروم فدية مقدارها سبعون ألف دينار سنويا ، تؤدى فى شهر نيسان وحزيران . (٢)

٣- تقيم الروم للجيش الاسلامى الأدلاء والأسواق عند انصرافهم .

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/١٤٤ - ١٤٨

(٢) " : " : المصدر نفسه : ٨/١٥٢ - ١٥٣

" : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/٦٦-٦٧

صفات المهدى :

كان المهدى محببا الى الخاص والعام ، وذلك لأن الناس خرجوا فجأة - بعد ما صار المهدى خليفة - مما أجهدهم المنصور فى أيامه من شدته وقساوته وبخله ، الى ما أعطاهم المهدى من العطايا ، ووسع فى عيشهم من اجتراء الأرزاق ، فكان ينظر فى رد المظالم بنفسه ، وكان سخيا كريما ، جوادا ، أنفق جميع ما تركه أبوه المنصور فى الخزانة ، ومقداره أربعة عشر مليون دينار ، وستمائة مليون درهم (١) ، كما أمر باطلاق من كان فى سجن المنصور ، غير المأخوذ فى دم أو قتل أو من كان معروفا بالسعى فى الأرض بالفساد ، أو من كان عليه حد لأحد (٢) .

كان يتأثر بتلاوة القرآن الكريم ، فقيل : انه كان يصلى فى يوم ، فتلا هذه الآية الكريمة :

((فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم)) (٣) فلما أتم الصلاة قال لحاجبه الربيع باحضار موسى ، ابن أخيه جعفر ، وكان محبوسا عند الربيع ، فجاء به ، فقال له : (ياموسى ، انى قرأت هذه الآية ، فخفت أن أكون قد قطعت رحمك ، فوثق لى أنك لا تخرج على) (٤) فوثق له ، فأطلقه .

ولكن ، مع عدله وجوده وكرمه ، وشدته على أهل الالحاد والزندقة ، ومع تمسكه بالدين ، كان بعض الانحرافات قد لفحته . أجل ! كان لا يشرب النبيذ (٥) ولكن لا تحرجا ، بل لأنه كان لا يشتهيه - كما يظنه الطبرى —

(١) انظر : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٣٢٢

(٢) انظر : الطبرى : المصدر السابق : ٨/١١٧

(٣) سورة محمد : الآية ٢٢

(٤) انظر : الطبرى : المصدر السابق : ٨/١٧٧

(٥) انظر : المصدر السابق : ٨/١٦٠

ومن أجل ذلك كان ندماؤه يشربون النبيذ أمام عينيه ، وهو لا ينكره عليهم ، وكان وزيره يعقوب بن داؤد (١) يعظه وينصحه ، ويلح عليه أن يمنع أصحابه ، وكان يقول له : ((انه ليس على هذا استوزرتني ، ولا على هذا صحبتك أبعد الصلوات الخمس في المسجد الجامع يشرب عندك النبيذ ويسمع الغناء ؟)) (٢)

وقد ذكرنا أن أباه المنصور كان شديدا في هذا الأمر ، فكان لا يشرب الشراب على مائدته .

ومن انحرافه شغفه باللعب بسباق الحمام ، وتساهله في المؤاخذة على أهل البدع والهوى والوضاعين للأحاديث (٣) .

كما كان يحب الغناء ويستلذ به ، يقول الاصبهاني (٤) :

((ان المهدي كان يسمع المغنين جميعا ، ويحضرون مجلسه ، فيغنون من وراء الستارة لا يرون له وجها الا فليح بن أبي العوراء فقد سأله في بيتين أن يناديه فأحضره مجلسه بين أهله ومواليه ، فكان فليح أول من عاين وجهه في مجلسهم))

---

(١) هو يعقوب بن داؤد بن طهمان ، كان من الموالي ، وكان اباؤه كتابا لنصر ابن سيار أمير خراسان أيام بني أمية ، وكانت بينه وبين الربيع صداقة فشفعه الربيع عند المهدي ، فاستخبره فوجده عاقلا ، متدينا ذا كفاءة ، فاختاره وزيرا وفوض اليه الأمور ، والحاسدون كانوا يسمون بيعقوب الى المهدي ، ووجد المهدي زلة ليعقوب ، اذا طلق طويا كان دفعه المهدي ليقتله ، فنكبه وجعله في الطبق وهو حبس التجليد ، فلم يزل في ذلك حتى أخرجه الرشيد ، فدخل مكة وتوفي بها في سنة ثنتين وثمانين ومائة .
(انظر : ابن الطقطقي : الفخري : ١٨١ وما بعدها ، وابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ١٤٧ - ١٤٩ و ١٨٢)

(٢) انظر: الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٨/ ١٦٠
" : ابن كثير : المصدر السابق : ١٠/ ١٤٩

(٣) " : ابن كثير : المصدر السابق : ١٠/ ١٥٣

(٤) " : الأغاني : ٤/ ٩٩

(١)

ويقول الجاحظ :

" ان المهدى كان يحب القيان وسماع الاغانى وكان معجبا بجارية يقال لها : (جوهـــر) وكان اشتراها من مروان الشامى ، فدخل عليه ذات يوم مروان الشامى ، وجوهر تغنيه ، فقال مروان :

أنت ياجوهر عندى جوهرة ... فى بياض الدرة المشتهـــره

فاذا غنت فنـــار رضيـــت ... قذفت فى كل قلب شـــــرره

فاتهمه المهدى وأمر به فدع فى عنقه الى أن خرج ، ثم قال لجوهر : أجيبينى فأنشأت تقول :

وأنت الذى أخلفتنى ما وعدتنى ... وأشمت بى من كان فيك يلـــوم

وأبرزتنى للناس ثم تركتـــــنى ... لهم غرضا أرمى وأنت سليـــم

فلو أن قولا يكلم الجسم قد بـــدا ... بجسمى من قول الوشاة كلـــوم

فقال المهدى :

ألا يا جوهر القلـــب ... لقد زدت على الجوهـــر

وقد اكملك اللـــــه ... بحسن الدل المنظـــر

اذا ما صلت ما أحســـ ... ن خلق الله بالمزهـــر

وغنيت ففاح البيـــ ... ت من ريقك بالعنبـــر

فلا والله ما المهـــد ... ى أولى منك بالعنبـــر

فان شئت ففى كفـــ ... ك خلع ابن أبى جعفـــر

فهذا القدر من الانحراف ، من شاء أن يستصغره ، فعل ، ولكن المنهج الدعوى يعده ضخما وكبيرا ، لان الملوك والرؤساء لهم وقع ونفوذ

---

(١) انظر : البيان والتبيين : ٥٥٥-٥٥٦

فى رعيتهم واتباعهم ، فما صدر منهم صغيرا وصل الى الرعايا كبيرا ، فما بالنـــا بما صدر منهم من الانحراف وهو غير صغير ـ؟ وما نجد فى أيامنا من "رقى الفن" والاحتفال بالفنانين " نجد أصله فى مثل هذه المجالس والمحافل ـ وعلى كل ، كان المهدى يتصف بصفات حميدة ، كما كان يحمل بعض نواحى الضعف فى شخصيته ، واذا كانت هذه الصفات الضعيفة بسيطة تصدر عن حاكم عادى ، فانهـــا لا يجوز أن تعتبر بسيطة بالنسبة الى خليفة يتوقع منه أن يكون ذا شخصيـــــة دعويـــة ـ .

٤- موسى الهـادى :

١٦٩ هـ — ١٧٠ هـ

٧٨٥ م — ٧٨٦ م

هو موسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، ولد بالسيروان (١) من الرى ، (٢) كانت كنيته أبا محمد ، وأمة الخيزران أم ولد يمانيـة ، بويع بالخلافة يوم توفى المهدى ، أى فى سنة تسع وستين ومائة ، وهو كان عند هذ بجرجان يحارب أهل طبرستان ، وأخذ له البيعة أخوه هارون (٣) ، وتوفى ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، وهو ابن أربع وعشرين سنـــة ، ودامت خلافته سنة وثلاثة أشهر فقط (٤) .

ولم يقع فى العهد القصير لهذا الخليفة أمر يستحق الذكر بصفة خاصة ، وكان خرج عليه الحسين بن على بن الحسن المحض بن الحسن بن على بن أبـى طالب . بالمدينة ، وذلك فى سنة تسع وستين ومائة فى أيام الحج ، فأقام بالمدينة أحد عشر يوما ثم خرج الى مكة يدعو الناس الى بيعته ، وأرسل الهادى اليـــه رجالا قاتلوه يوم التروية وهزموه ، وقتل الحسين بموضع يسمى بفخ ، ولمـــا أرسلت رؤوس المقتولين الى الهادى لم يستحسنه وغضب على الذين فعلوا ذلك .

وكان مع الحسين هذا ادريس ابن عبد الله بن الحسن المحض أخو محمـد وابراهيم الذين خرجا على المنصور ، ولكنه لم يقع فى أيدى الهادى ، فخرج مختفيا الى مصر ، ومن هناك الى المغرب —

---

(١) موضع قرب الرى : نزل بها المهدى (انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان : ٢٩٧/٣) .

(٢) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ١٧١/٨

(٣) " : المسعودى : مروج الذهب : ٣٣٤/٣

(٤) " : الطبرى : المصدر السابق : ٢١٣/٨

ومال اليه الناس لكونه من عترة الرسول صلى الله عليه وسلم ، الا أن هارون الرشيد في عهده دس اليه من أهدى اليه اسواكا مسموما فمات به ، ثم خلفه ابنه ادريس ابن ادريس فاقامت دولة الادارسة هناك (١) .

وفعل الهادى ما فعله جده المنصور وأبوه المهدى ، أى اراد خلع أخيه هارون الذى اختاره المهدى وليا للعهد بعد الهادى ، وعزم أن يتخذ ابنه الصغير جعفرا وليا لعهده ، وسلك نفس طريق "قد وثيه" في هذا المسلك ، أى أزعج هارون وضيق عليه بطرق عديدة كيما يخلع نفسه ، وكان هارون قد رضى بذلك ، ولكن يحيى بن خالد بن برمك الذى كان يتولى أمور هارون منذ عهد أبيه المهدى منعه من التنازل عن ولاية العهد ، واختار حيلا لطيفة لم ينجح الهادى بسببها في مرامه حتى وافته المنية (٢) .

صفات الهادى :

كان شديدا على الملحدين والزنادقة مثل أبيه المهدى ، فقتل عددا كبيرا منهم (٣) ، كما كان شديد الغيرة على النساء ، كانت أمه الخيزران لها نفوذ وتدخل في أمور الحكومة في عهد أبيه المهدى ، ومن أجل ذلك كانت مواكب رجال الدولة تغدو وتروح الى بابها ، فمنعها الهادى من ذلك ، وقال لا ضربن عنق من يأتى اليك من هؤلاء الناس ، فغضبت عليه ، وقيل : ان الهادى أرسل الى أمه بعدما سخطت عليه طعاما جعل فيه السم ، لوكنها لم تأكله ، فسلمت وألقته الى كلب أكله فمات على الفور ، ويقال : ان الخيزران من أجل ذلك دست الى الهادى بعض جواريها فقتلته في حالة مرضه (٤) . والله أعلم بالصواب .

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/١٩٢-٢٠٣
" : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٣٠٦ - ٣٠٨
(٢) " : الطبرى : المصدر السابق : ٨/٢٠٧ - ٢١٣
" : ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٦/٩٦ - ٩٩
(٣) " : ابن الأثير : المصدر نفسه : ٦/٨٩
(٤) " : ابن الأثير : المصدر نفسه : ٦/٩٩ — ١٠٠

وقيل : انه كان يشرب النبيذ ويستمع الأغانى (١) ،وهذا ليس من شأن حاكم ينتظر منه أن يكون فى سلوكه وفى سياسته حاكما دعويا ، وأن يجعل من دولته دولة دعوية .

---

(١) انظر : الطبرى : المصدر السابق : ٨/٢٢٢ - ٢٢٧

٥ - هـارون الرشيـد

١٧٠ هـ ـــــ ١٩٣ هـ

٧٨٦ م ـــــ ٨٠٩ م

هو هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، ولد بالرى ، فى سبع وعشرين ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة ، كان يكنى أبا جعفر ، وأمه الخيزران التى سلف ذكرها ، ولى الخلافة سنة سبعين ومائة ، وكان عمره اذ ذاك اثنتين وعشرين سنة وتوفى فى سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن أربع وأربعين سنة ، وكانت مدة حكمه أكثر من ثلاث وعشرين سنة .(١)

يعتبر عهد الرشيد من العهود البارزة فى التاريخ الاسلامى ، فقد وصلت العاصمة الاسلامية بغداد فى عهده الى قمة الرقى والازدهار من نواح شتى ، لم تبلغها من قبل ،(٢) ولكن الناحية الدعوية لم تكن ، - مع الأسف - فى جملة هذه النواحى ، كما سنرى ، وصادف عهده فتنا داخلية وخارجية تغلب على جميعها هارون بحنكته وتدبيره ، وبقى يحكم الدولة العباسية بما وهبه الله تعالى من فضل وعلم وكرم .

الفتن الداخلية :

ومن الفتن الداخلية : خروج يحيى بن عبد الله بن الحسن المحض بالديلم ، وذلك فى سنة ست وسبعين ومائة ، فوجه اليه هارون الفضل بن يحيى البرمكى ، الذى بذل جهده الكبير فى اقناع يحيى بن عبد الله العلوى ، ليرجع عما أراده ،

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٢٣٠ و ٣٤٥
" : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٣٤٧
(٢) " : القلقشندى : صبح الأعشى : ٥/٢٧١ ـ ٢٧٢

حتى اقتنع يحيى بالصلح على أن يكتب له الرشيد أمانا ،فأجابه الرشيد ، فجاء الى بغداد ،فرحب به الرشيد ، وبقى عنده ، ثم أمر الرشيد بعد أيام بحبسه ،وبقى محبوسا حتى مات فى الحبس (١) .

وهاجت عصبية المضرية واليمانية بدمشق فى نفس السنة ، وضاعت أموال كثيرة ونفوس ثمينة فى الاحتكاك بين الطائفتين ، فولى الرشيد موسى بن يحيى البرمكى فبذل موسى جهده وأصلح بين الطائفتين (٢) .

وقامت فتنة فى افريقية ، فظهر هناك فى عدة مناطقها أمراء يحارب بعضهم بعضا باسم أمير المؤمنين ، وفى مقدمتهم رجل يقال له : عبد الله ابن الجارود المعروف بعبدويه الأنبارى .

فأرسل هارون هرثمة بن أعين واليا على افريقية لقمع هذه الفتن ،فتغلب جزئيا على استيصالها ، فقبض على الجارود ، وبعثه الى بغداد ، ولكن هرثمه استوحش من شدة اختلاف الأمراء هناك ،فاستقال من امارة افريقية فى سنة احدى وثمانين ومائة ، فاستعمل الرشيد عليها محمد بن مقاتل بن حكيم العكى ، فخرج وجاء ابراهيم بن الأغلب وهزم تماما ،فعاد محمد الى القيروان عليه بتونس رجل يقال له تمام بن تميم التميمى ، وأخرجه من القيروان ، ثم هجم تمام ثانية على القيروان ، فلم ينجح وتقهقر منهزما ،ثم ولى الرشيد ابراهيم بن الأغلب على افريقية فى سنة أربع وثمانين ومائة ،فتغلب على الفتن ، و بقى حاكما على افريقية الى سنة ست وتسعين ومائة (٣) .

---

(١) انظر: ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/١٢٥ - ١٢٦

(٢) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٢٥١

(٣) " : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/١٣٦ - ١٣٩ و ١٥٤ -١٥٧

وما عدا ذلك كانت هناك فتن و ثورات أخرى تغلب الرشيد على جميعهـــا بحذقه، ومهارته فى السياسة ، ونصح وزرائه له .

غـزو الـروم :

وأما الفتن الخارجية ، فكان من أهمها غزو الروم ،فكانت الصوائـــف والشواتى جارية على الثغور ، وكانت ملكة الروم فى بداية عهد الرشيد امـــرأة تسمى (ريني) فخلعتها الروم فى سنة سبع وثمانين ومائة ، وجلس على عرش الملك والى الخراج السابق نقفور ،فكتب الى الرشيد خطابا عنيفا ،يطلب فيه أن يرد الرشيد جميع ما استلمه من خراج الروم ،ففضب الرشيد غضبا شديدا وكتب اليه : ((الجواب ما تراه دون ما تسمعه)) ثم سار اليه مع جيش كبير وفتـــح هرقلة(١) ، وغنم وأحرق وخرب ،حتى اضطر نقفور على المصالحة بدفع الخـراج سنويا ، فرجع الرشيد ،وعندما وصل الى الرقة(٢) ،نقض نقفور العهد ، فكر راجعا والطقس شديد البرد ، وفتح هرقلة ثانيا ، وهمث نقفور الخراج والجزية عـــن نفسه وعن ولده وعن بطارقته(٣) .

---

(١) هرقلة : بالكسر ثم الفتح : مدينة ببلاد الروم ،واسم حصن أيضا بنـــاه الرشيد على الفرات ،وهو قرب صفين .
(انظر : معجم البلدان : ٥/٣٩٨ - ٣٩٩)

(٢) الرقة : بفتح أوله وثانيه وتشديده : وهى مدينة مشهورة على الفـــرات ، بينها وبين حران ثلاثة أيام ، محدودة فى بلاد الجزيرة
(انظر : معجم : ٣/٥٩)

(٣) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٣٠٧ - ٣١٠ و ٣٢٠
" : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/١٨٤ - ١٨٦ و ١٩٦

نكبة البرامكـــــة :

كانت أسرة البرامكة فارسية الأصل ، ولها فضل كبير فى اجلاس الرشيد طـــى عرش السلطة وكان يتولى يحيى بن خالد بن برمك أمور الرشيد من لدن أن عينه المهدى على ذلك ، وهو الذى منع الرشيد عن التنازل عن ولاية العهد عندما أجبره الهادى على ذلك (١) ، وكان الرشيد يخاطبه دائما بـ (يا أبت) فكـان أبوه من الرضاعة ، أرضعـت زوجة يحيى الرشيد بلبان الفضل ، كما أرضعت الخيزران الفضل بلبان الرشيد (٢) ، ومن أجل ذلك سلم الرشيد جميع أموره الى يحـــى بن خالد ودفعه خاتمه (٣) ، وهكذا امتلك يحيى سواد ملك هارون وبياضه ، وكانت هذه الأسرة على قمة اللباقة والمؤهلات فى سياسة الدولة ، كما كانت ذات جـود وسخاء وكرم ، كان من أقوال يحيى بن خالد : (المواعيد شباك الكرام يصيدون بها محامد الأحرار) وكان اذا ركب عدد صررا ، فى كل صرة مائتا درهم يدفعها كل من تعرض له (٤) . وقال الشاعر فيهم :

أولاد يحيى بن خالد وهـــم ... أربعة سيد ومتبـــوع

الخير فيهم اذا سألت بهـم ... مفرق فيهـم ومجمـــوع

وهم الفضل بن يحيى ، المعروف فى جوده وبراعته ، وجعفر بن يحيى فى كتابته وفصاحته ، ومحمد بن يحيى فى سخائه وبعد همته وموسى بن يحيى فى شجاعتـــه وبأســـه (٥) .

---

(١) انظر : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٣٤٨

(٢) " : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ٨/٣٣٠

(٣) " : الطبرى : المصدر نفسه : ٨/٢٥٦

" : المسعودى : المصدر السابق : ٣/ ٣٤٨

(٤) " : ابن الطقطقى : الفخرى : ٢٠١

(٥) " : المسعودى : المصدر السابق : ٣/٣٧٧

واحتلت الأسرة مكانة مرموقة فى أوساط الحكم ،كما أصبح الفضل وجعفر من أخص أصحاب الرشيد ،حتى كان الرشيد لا يصبر عن جعفر (١) ،وكان جعفر يفعل ما يشاء فى أمر الرشيد ، وهو يقرر كل ما فعله جعفر (٢) ،- ولكن لكل كمال زوال ، كان الحساد يسعون بين الرشيد وبين هذه الاسرة ،كما صدر منهم أيضا بعض الأخطاء ،فنزلت عليهم الدائرة ، فاذا الرشيد يأمر خادمه بقتل جعفر بن يحيى ، فيقتل ويصلب جسده بعد ما قطع قطعتين على جانبى الجسر، وألقى القبض على الفضل بن يحيى ، وحبس يحيى بن خالد فى منزله ،وسلب منهم ما وجد بهم من مال وضياع ومتاع ،وأرسل فى نفس الليلة الى سائر البلاد فى قبض أموال البرامكة ووكلائهم ورقبتهم ، ونودى فى الآفاق بأن لا أمان لمن آوى البرامكة الا محمد بن خالد بن برمك ، وهكذا أفلت شمس أسرة البرامكة فى آن واحد بعد أن ظلت مشرقة على افق العالم الاسلامى نحو سبع عشرة سنة (٣) .

ولاية العهد :

فعل الرشيد ما فعله من سبقه فى الحكم بصدد ولاية العهد ،الا أنه أفرط فى ذلك وقسم الولاية فى ابنائه الثلاثة ،فجعل محمدا ، ابنه من زبيدة ولى لعهده ، وأخذ له البيعة وعمره خمس سنوات ، ولقبه (الأمين) (٤) ثم أخذ البيعة لابنه عبد الله ،من أم ولد له اسمها مراجل ، بأن يتولى الحكم بعد محمد الأمين ، ولقبه : (المأمون) وذلك فى سنة اثنتين وثمانين ومائة (٥) -

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٢٩٤

(٢) " : ابن الطقطقى : الفخرى : ص ٢٠٢-٢٠٦

(٣) " : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٢٨٧ - ٣٠٢

" : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/١٧٥ - ١٨٠

(٤) " : الطبرى : المصدر السابق : ٨/٢٤٠

(٥) " : الطبرى : المصدر السابق : ٨/٢٦٩

ثم أخذ البيعة لابنه القاسم من أم ولد له اسمها قصيف ، بأن يتولى الحكم بعد المأمون ، ولقبه : المؤتمن ، وذلك فى سنة ست وثمانين ومائة ، ثم ولى الأمين العراق والشام وآخر المغرب ، وولى المأمون من همدان الى آخر المشرق ، وولى القاسم الجزيرة والثغور والعواصم ، ثم حج الرشيد فى نفس السنة وكتب كتابا أشهد فيه على محمد الأمين ، وأشهد فيه من حضر بالوفاء للمأمون ، كما كتب كتابا للمأمون أشهدهم عليه فيه بالوفاء للأمين ، وعلق الكتابين فى الكعبة ، فقال الناس : قد ألقى الرشيد بذلك بينهم شرا وحربا ، وحدث ما توقعه الناس (١) .

صفات الرشيد :

ولعلنا لا نخطىء لو قلنا ان الرشيد كان ممن أمسك العصا من وسطها فيما بين أمور الشريعة وما يعارضها ، فكان يحج سنة ويغزو سنة ، وكان يصلى مائة ركعة كل يوم ، كما كان يتصدق من صلب ماله فى كل يوم بألف درهم بعد زكاته ، وكان اذا حج ، حج معه مائة من الفقهاء وأبناؤهم ، واذا لم يحج ، أحج ثلاث مائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الظاهرة (٢) .

وكان يستمع الى الناصحين والعلماء الربانيين ، ويتعظ ويبكى - ومن جهة أخرى كان مولعا بشرب المسكر - كما حكاه ابن كثير (٣) - ويسمع الأغانى من اسحاق بن ابراهيم الموصلى ويطرب طربا شديدا ، وكان قد جمع اليه مرة رؤساء المغنين فاستمع اليهم وقد أخذه النبيذ كل مأخذ (٤) -

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٢٧٦-٢٨٦
" : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/١٧٣

(٢) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٣٤٧
" : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/٢١٧
" : ابن الطقطقى : الفخرى : ١٩٣

(٣) " : البداية والنهاية : ١٠/١٨٩

(٤) " : المسعودى مروج الذهب : ٣/٣٧٠

وقيل : ان أول من جعل للمغنين مراتب وطبقات هو الرشيد (١) ، كما نقل السيوطى (٢) قول الذهبى انه قال : (أخبار الرشيد يطول شرحها ، ومحاسنه جمة ، وله أخبار فى اللهو واللذات المحظورة والغناء سامحه الله) .

فانحراف الرشيد هذا لم يكن أمرا بسيطا ، بل كان خطيرا جدا نظرا الى مسئوليته الضخمة من حيث كونه خليفة للمسلمين ، ومن حيث أنه رئيس دولة المفروض فيها أن تكون دولة دعوة ، وأن يكون رئيسها ذا شخصية دعوية بحاله وقاله .

وكان ينبغى أن يكون حظ الدعوة من الرشيد ودولته أكثر مما كان .... وكم كان حظ الانسانية عظيما ، لو حافظت هذه الدولة على المقومات والواجبات الحقيقية للدولة الاسلامية !!

---

(١) انظر : السيوطى : تاريخ الخلفاء : ٢٩٥

(٢) " : تاريخ الخلفاء : ٢٨٦

٦- محمد الأمـــين

١٩٣ هـ — ١٩٨هـ

٨٠٩م — ٨١٣ م

هو محمد بن هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس .

ولد في سنة احدى وسبعين ومائة ، وبويع بالخلافة في جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة (١) ، كان يكنى أبا موسى ، وقيل : أبا عبدالله ، وأمه زبيدة بنت جعفر الأكبر بن أبي جعفر المنصور ، وهو خليفة ثالث في التاريخ الاسلامي أبوه هاشميان ، اذ الأول : علي بن أبي طالب ، والثاني : الحسن ابن علي ، رضي الله عنهما .

وقتل الأمين ببغداد سنة سبع وتسعين ومائة ، وكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر (٢) .

كان عهد الأمين مليئا بالفتن والكوارث ، وذلك لحدوث الخلاف بين الأخوين اذ أن الأمين منذ بداية عهده لم يكن صافي القلب ازاء أخيه الاكبر عبدالله المأمون ، وذلك لما جمع الرشيد للمأمون أموال خراسان والمشرق (٣) ، وزاد الطين بلة حينما أشار علي الأمين وزيره الفضل بن الربيع بخلع المأمون ، وأخذ البيعة لابنه موسى بولاية العهد (٤) .

---

(١) انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٥/١١٨

(٢) " : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٤٩٨

(٣) " : ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٦/٢٢٢

(٤) " : الطبري : المصدر السابق : ٨/٣٧٤

وكان هذا الاقتراح من الفضل لحماية نفسه فقط ، لا لنصح الأمين ، ومن سوء حظ الأمين أنه استمع لتنفيذ هذا الاقتراح ، فوافق على ذلك بعض قواده وخالفه بعضهم ولكن الأمين أصر على رأيه ، فعزل القاسم المؤتمن وأصدر الأمر بالدعاء لابنه موسى بالامارة .

ولما بلغ هذا الخبر المأمون بخراسان ، أسقط اسم الأمين من الطراز وقطع عنه البريد (١) ، ثم أرسل الأمين مرتين مجموعة من الرجال الى المأمون يأمره بالمثول بين يديه ، ولكن المأمون امتنع ، وهكذا بدأ يشتد الخلاف بين الأخوين (٢) .

ثم خلع الأمين المأمون ، وبايع لابنه الصغير موسى فى سنة خمس وتسعين ومائة ولقبه بـ(الناطق بالحق) ونهى عن ذكر المأمون والمؤتمن على المنابر ، وطلب الكتابين المعلقين بالكعبة ومزقهما (٣) ، ثم أرسل الأمين جيشا كبيرا لمحاربة المأمون ، يقوده على بن عيسى بن ماهان ونصحه زبيدة أم الأمين بالرفق بالمأمون اذا وجد عليه سبيلا (٤) .

كما أرسل المأمون جيشا عدده أقل من أربعة آلاف فارس ، بقيادة طاهر بن الحسين ، ودارت المعركة بين الجيشين ، فكانت الغلبة فى النهاية لجيش طاهر بن الحسين ، وقتل على بن عيسى ، فدخل الفضل بن سهل ذو الرياستين على المأمون وهنأه بالفتح . وأمر الناس فدخلوا عليه ، فسلموا عليه بالخلافة ، [illegible]

---

(١) انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٦/٢٢٩

(٢) " : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٣٧٥ - ٣٧٦

(٣) " : الطبرى : المصدر نفسه : ٨/٣٧٧ و ٣٨٩

(٤) " : ابن الأثير : المصدر السابق : ٦/٢٤٠

ثم وصل رأس علي بن عيسى ، فطيف به في خراسان ، قيل : انه لما بلغ الأمين خبر مقتل علي ، كان يصطاد السمك ، فقال : ويلك ، دعني ، فان كوثرا (يعني خادمه) قد اصطاد سمكتين وأنا ما صدت شيئا بعد .(١-٢)

واستمر القتال بين الأخوين ، وكان أمر الأمين الى انهيار وانحطاط ، وذلك لانهماكه في اللهو واللعب ، وعدم المبالاة بأمور الدولة ، كما يقال ، كما كان أمر المأمون الى التقدم والاقتحال ، فكان جيشه يتقدم ويفتح المدن بقياده طاهر بن الحسين ، حتى خلع أهل الحرمين الأمين وبايعوا المأمون ، وذلك في رجب سنة ست وتسعين ومائة .(٣)

وحاصر جند طاهر بن الحسين بغداد في سنة سبع وتسعين ومائة ، واستمر الحصار أربعة عشر شهرا أو أكثر ، وفسد حال الأمين كما فسد حال بغداد ، فتعطلت المساجد وتركت الصلاة ، وأمال طاهر كثيرا من قواد جيش الامين الى نفسه ، فخرج اليه بعض منهم ، وبقي البعض مع الأمين للتجسس عليه ، وكان الأمين قد عزم على الخروج من بغداد ، ثم فسخ عزمه نتيجة لمؤامرة هؤلاء الخونة من أصحابه ، حتى قتل ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة .(٤)

---

(١) انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٣٩٢ و ٣٩٥

" : ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٦/٢٤٢ـ٢٤٥

(٢) أوردت هذه القصة مع استغرابي اياها واستغرابي ما يماثلها ذلك أنها منافية لطبائع الأمور ، ونحن اذا نظرنا اليها من خلال الطبيعة البشرية وغوصها الأخطار ، وحرصها على بقاء ما بيدها من المكاسب ولا سيما اذا كانت هذه المكاسب ملكا ، اننا حينئذ نستبعد صحة هذه القصة وأمثالها ، بل نكاد نجزم بأنها منحوله ، ولكن اذا نظرنا اليها من خلال ما يريده الله سبحانه وتعالى بقوم سوء - من سلب التوفيق ومسخ العقلية - لم نستبعدها ، (واذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال (سورة الرعد : الآية : ١٣) صدق الله العظيم .

(٣) انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٣٩٤ - ٣٩٥

" : ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٦/٢٤٢ - ٢٤٥

(٤) انظر : الطبري : المصدر السابق : ٨/٤٧٨ - ٤٨٩

" : المسعودي : مروج الذهب : ٣/٤١٢ - ٤٢٠

صفات الأمين :

كان الأمين شجاعا ، باسلا ، - قيل : انه قتل أسدا وحشيا بدون أى سلاح (١) ، ولكنه كان شديد الانغماس فى اللهو واللعب والشرب والسماع ، قيل : انه لم يترك الشراب والسماع فى أيامه الأخيره عندما كان محصورا بمدينة المنصور (٢) ، وقال فيه ابن الأثير (٣) : " ولم نجد فى سيرته ما يستحسن ذكره من حلم أو عدلة أو تجربة حتى نذكرها "

ولا شك أنه من سوء حظ الدولة التى يفترض فيها أن تكون دولة دعوية ، أن يتولى خلافتها رجل يقول فيه مؤرخ شهير مثل هذا المقال ، كما أنه من سوء حظ الدولة والدعوة أن تجرى ولاية العهد على النحو الذى صممه الرشيد ، سامحه الله . . .

---

(١) انظر : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٤٠٣

(٢) " : المسعودى : المصدر نفسه : ٣/٤٠١ - ٤٠٢

(٣) " : الكامل فى التاريخ : ٦/٢٩٥

٧- عبد الله المأمون

١٩٨ هـ	٢١٨ هـ
—	—
٨١٣ م	٨٣٣ م

هو عبد الله بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس ، الملقب بالمأمون ، كان يكنى بأبي العباس ، ولد في سنة سبعين ومائة ، وأمه أم ولد اسمها مراجل ، واستقل بالخلافة سنة ثمان وتسعين ومائة ، وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، وتوفي بقرية بدندون (١) ، ثم حمل الى طرسوس ودفن هناك ، وذلك في سنة ثماني عشرة ومائتين ، وعمره اذ ذاك ثمان وأربعون سنة وكانت مدة حكمه عشرين سنة وستة أشهر (٢) .

وكان عهد المأمون أيضا مليئا بالاضطراب والثورات ، ولكنه تغلب على جميعها بلباقته وحسن تدبيره .

الثورات :

خرج على المأمون أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بابن طباطبا ، سنة تسع وتسعين ومائة وهو يدعو الى الرضى من آل محمد صلى الله عليه وسلم .

واتصل برجل آخر ، خرج على المأمون يدعى بأبي السرايا ، و استولوا على الكوفة ، وأبو السرايا هذا ضرب الدراهم باسمه بالكوفة -

---

(١) طرسوس : بفتح اوله وثانيه بوزن قرموس : وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب بلاد الروم (معجم البلدان : ٤/٢٨)

(٢) انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٦٥٠

" : المسعودي : مروج الذهب : ٤/٤

" : ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٥/١١٩

وسير جيوشه الى البصرة فغلبوا عليها وعلى واسط والمدائن ، فقاتله قائد للمأمون ، وهو هرثمة بن أعين ، وأخرجهم من الكوفة واستولى عليها فى سنة مائتين وهرب أبو السرايا الى السوس بخوزستان ، فقاتله هناك الحسن بن على المأمونى فأسره وبعثه الى الحسن بن سهل ، فضرب عنقه وأرسل رأسه الى المأمون (١) .

وخرج على المأمون بمكة علوى هو محمد بن جعفر الصادق ، وأخذ البيعة لنفسه من الناس ، وذلك بما حثه عليه ابنه والحسين بن الحسن الأفطس ، وسرعان ما تحول الناس عنه لسوء اخلاق ابنه وابن الأفطس ، فهرب من مكة ، فطاف بالبلدان هائما ، ثم طلب العفو من المأمون فعفا عنه (٢) .

وفى سنة احدى ومائتين ، حول المأمون الخلافة من العباسيين الى العلويين ، وجعل على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، الملقب بالرضى ، ولما لعهده ، وكتب الى الآفاق ، وغير اللباس من السواد الذى هو شعار العباسيين الى الخضرة (٣) التى هى شعار العلويين .

فثار غضب العباسيين ، فبايعوا ابراهيم بن المهدى ببغداد ، ولقبوه بالمبارك ، وخلعوا المأمون (٤) ، ولكن الفضل بن سهل ذا الرياستين أخفى هذا الأمر على المأمون ولكنه اطلع عليه فسار من خراسان الى العراق ، ودس على الفضل أناسا قتلوه فى الحمام (٥) ، ومات على بن موسى الرضى فى سنة ثلاث ومائتين

---

(١) انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/٣٠٢ - ٣٠٩

(٢) " : ابن الأثير : المصدر نفسه : ٦/٣١١ - ٣١٣

(٣) " : " " : المصدر نفسه : ٦/٣٣٦

(٤) " : " " : " " : ٦/٣٤١

(٥) " : " " : " " : ٦/٣٤٦ - ٣٤٧

فدفنه المأمون عند قبر أبيه الرشيد (١) ، وكتب الخبر الى أهل بغداد وطلب منهم الدخول فى طاعته ، ثم خلع أهل بغداد ابراهيم بن المهدى ودخلوا فى طاعة المأمون (٢).

واختفى ابراهيم الى أن ألقى القبض عليه فى سنة عشرة ومائتين ، وعفا عنه المأمون بشفاعة الحسن بن سهل (٣).

ودخل المأمون بغداد سنة أربع ومائتين وقد تغلب على الفتن الثائجة بتدبره وسياسته ، فغير اللباس الأخضر ، ورجع الى لبس السواد الذى هو شعار العباسيين ، ثم ولى طاهر بن الحسين على خراسان ، وابنه عبدالله على مصر ، وكان قد تمرد أهل مصر ، فذهب اليهم عبدالله بن طاهر وظفر بهم (٤).

وفى سنة احدى ومائتين خرج رجل اسمه بابك الخرمى يدعو الناس الى الاباحية والزندقة والى العقائد الباطلة منها التناسخ (٥) ، واباحة الزواج بالأم والأخت والبنت - لعنه الله - وأرسل المأمون عدة من قواده ، فقاتلوا ذلك الكافر والزنديق ، ولكنهم لم يظفروا به (٦) ، فبقى ينشر كفره وزندقته حتى قتل فى عهد المعتصم .

---

(١) انظر: ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/٣٥١

(٢) انظر : " " : " " " : ٦/٣٥٣

(٣) " : " " : " " " : ٦/٣٥٤

(٤) " : " " : " " " : ٦/٣٩٦-٣٩٩

(٥) التناسخ : مذهب مبنى على ابطال النظر والاستدلال ، وانكار المعاد والبعث بعد الموت ، وعن عقائد هذا المذهب : قالت طائفة : ينقل روح الانسان الى كلب ، وروح الكلب الى انسان ، وقالت الأخرى : أرواح الصادقين اذا فارقت أجسامها سرت فى عمود الصبح الى النور الذى فوق الفلك ، فبقيت فى ذلك العالم على السرور الدائم ، وأرواح أهل الضلال ردت منعكسة الى السفل ، فتناسخ فى اجسام الحيوانات الى أن تصفو من شوائب الظلمة ثم تلحق بالنور العالى (انظر: الاسفرائينى : الفرق بين الفرق : ٢٧٠-٢٧١)

(٦) انظر : ابن الأثير الكامل فى التاريخ : ٦/٣٢٨

غزو الروم :

غزا المأمون الروم بنفسه فى سنة خمس عشرة ومائتين ، فخرج من بغداد ، وخلف عليها اسحاق بن ابراهيم بن مصعب ، واختار لطريق الموصل ، وفتح خمسة عشر حصنا كما فتح هرقلة ، وبقى فى هذه الغزوة الى النصف من شعبان سنة ست عشرة ومائتين (١) ، ثم ارتحل الى دمشق .

محنة خلق القرآن :

ابتلى المأمون فى أيامه الأخيرة بمحنة أوجدها الفرقة الضالة المعتزلة ، وهى فتنة القول بخلق القرآن ، التى ظلت مسيطرة على أوساط الحكم حوالى خمس عشرة سنة (٢) .

فكتب المأمون فى سنة ثمانى عشرة ومائتين الى اسحاق بن ابراهيم ببغداد أن يمتحن القضاة والشهود والمحدثين ، بالقرآن ، فمن أقر أن القرآن مخلوق محدث ، خلى سبيله ، ومن أبى ، أعلمه به ليأمره فيه برأيه ، وطول كتابه بالقاسة الدليل على كون القرآن مخلوقا - فى زعمه - وترك الاستعانة بمن امتنع عن القول بذلك ، فأقر بذلك كثير من القضاة والفقهاء والمحدثين ، مكرهين ، متأولين ، وذلك صيانة لعرضهم ودينهم ، أما الإمام الجليل أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجنديسابورى - رحمهما الله تعالى - فامتنعا عن القول بكون القرآن مخلوقا ، فشدهما اسحاق بن ابراهيم بالحديد ، وأرسلهما الى المأمون ، وكان مقيما بطرسوس ، فلم يزل الامام أحمد يدعو فى طريقه الى المأمون ألا يجمع الله بينه وبين المأمون .

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٦٢٣ - ٦٢٥

(٢) لأن هذه المحنة أزالها المتوكل فى سنة أربع وثلاثين ومائتين - (انظر : المسعودى : مروج الذهب : ٤/٨٦)

وأمر المأمون اسحاق أن يرسل اليه اولئك الفقهاء والمحدثين الذين اقروا بهذا القول مكرهين متأولين ،لأنه لم يقتنع باقرارهم على هذا النمط (١) ، فأرسلهم أيضا الى المأمون ، ولكن تقبل الله تعالى دعاء الامام أحمد بن حنبل ، فمات المأمون قبل أن يصلوا اليه فردوا جميعا الى بغداد (٢) .

وقيل : ان المأمون كان يعتقد هذه العقيدة الفاسدة بكون القرآن مخلوقا منذ زمن طويل وتكلم بها فى سنة اثنتى عشرة ومائتين ، كما تكلم بعقيدة تفضيل على - رضى الله عنه - بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أصبحت العقيدة - بخلق القرآن - رسمية فى سنة ثمانى عشرة ومائتين ،وأجبر القضاة والفقهاء والمحدثون على الاعتراف بها فى تلك السنة (٣) .

صفات المأمون : (٤)

قال السيوطى فيه :

" وكان أفضل رجال بنى العباس حزما وعزما ،وحلما وعلما ، ورأيا ودهاء ، وهيبة وشجاعة وسؤددا وسماحة ،وله محاسن وسيرة طويلة ،لولا ما أتاه من محنة الناس فى القول بخلق القرآن ،ولم يل الخلافة من بنى العباس أعلم منه ، وكان فصيحا مفوها ،وكان يقول : " معاوية بحلمه ، وعبد الملك بحجاجه ، وأنا بنفسى "

---

(١) ان هذا الطلب من المأمون ،ينم عن مبلغ تشدده فى نصرة بدعته غير المعقولة ،ولو أنه صرف همته هذه الى نشر الدعوة الاسلامية الصافية فى ساحتها وسدادها ، لكان من المتوقع أن يصيب نجاحا كبيرا ،وأن يدخل خلقا غير قليل فى دين الله ،ولزان بذلك تاريخه ، بل التاريخ العباسى كله .

(٢) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/ ٦٣١ - ٦٤٥

" : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/ ٤٢٣ - ٤٢٧

" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ٢٧٢/ ٢٧٤

(٣) " : المسعودى : مروج الذهب : ٤/ ٤٠

" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ٢٦٧

" : السيوطى : تاريخ الخلفاء : ٣٠٨

(٤) " : المصدر السابق : ٣٠٦

خالف المأمون تلك التقاليد التى كانت قد راجت فى خلفاء بنى العباس ، وهى : خلع الاخوان من ولاية العهد ، وصرفها الى أبنائهم ، فلم يتخذ المأمون ابنه العباس وليا للعهد ، بل اختار أخاه المعتصم وليا للعهد بحضرة ابنه العباس ، وأوصى المعتصم وصايا قيمة ، (١) احتوت هذه الوصية معانى كثيرة طيبة ، ولكنها كوصايا غيرها من الخلفاء ، لم تنص على الوظيفة الأصلية للدولة وهى الدعوة الى الله ، وبذلك نفقد تلك الروح التى كانت تقوم عليها دولة الخلفاء الراشدين والتى يعبر عنها ربعى (٢) بن عامر - رضى الله عنه - وهو يخاطب رستم قائد جيش الفرس (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه ، فمن قبل ذلك ، قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضى الى موعود الله)) (٣)

والمأمون هو أول خليفة عباسى اشتدت عنايته بعلوم الحكمة ، فبذل جهدا كبيرا فى الحصول على كتبها وعلى ترجمتها ، (٤) الا أنه لم يوفق الى أن يقوم بما ينبغى ، وهو تحكيم الكتاب والسنة ، وما احتويا من مبادئ بما ترجم اليه من علوم الأوائل .

---

(١) انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/٤٢٦ - ٤٣١

(٢) هو ربعى بن عامر بن خالد بن عمرو ، صحابى كان من أشراف العرب ، كان الفاروق أمد به المثنى بن حارثه ، كما وجهه الى العراق ، وله ذكر أيضا فى غزوة نهاوند .
(انظر : ابن حجر : الاصابة : ١/٤٩١)

(٣) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ٧/٣٩

(٤) " : ابن الطقطقى : الفخرى : ٢١٦

وكان من المنتظر أن يسخر ما يمكن أن يكون فى هذه العلوم من الخير، أو بعض الخير ، لخدمة كتاب الله وسنة رسول الله خالصين ، فلم يقم به ، ومال الى الفلسفة وأدخل تحكيم العقل فى العلوم النقلية ، فأخطأ ، وقام بالدعوة الى القول بخلق القرآن .

قيل : ان المأمون اخترع اربع بدعات : الأولى : لبس الخضرة ، الثانية : القول بخلق القرآن ، الثالثة : الصيحة قياما وتكبيرات ثلاثة بعد الصلوات الخمس والجمعة ، والرابعة : اباحة المتعة (١) . وكان يشرب النبيذ ويستمع الأغانى من القيان (٢) .

وهذا ما يقصيه عن مكانته الحقيقية التى يجب أن يكون عليها رئيس الدولة القائمة على (تمثل) الدين والعمل به والدعوة .

---

(١) انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ٢/٢١٣

(٢) " : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٦٦١ و ٦٦٤ و ٦٦٥

٨- المعتصـــم :

٢١٨ هـ ـــــــ ٢٢٧ هـ

٨٣٣ م ٨٤٢ م

محمد بن
هو محمد بن هارون بن/ عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، الملقب بالمعتصم ، كان يكنى أبا اسحاق ، ولد في شعبان سنة ثمانين ومائة ، أمه أم ولد صغدية من مولدات الكوفة يقال لها : ماردة بنت شبيب .

بويع بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه المأمون ، وهو يوم الخميس ، سابع عشر رجب ، سنة ثماني عشرة ومائتين ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وتوفي سنة سبع وعشرين ومائتين وهو ابن سبع واربعين سنة ـ كانت مدة حكمه ثماني سنين وثمانية أشهر.(١)

كان المعتصم أميا لم يقرأ الا شيئا يسيرا ، ومن أجل ذلك قلد أخاه المأمون(٢) وسار سيره في العقيدة الفاسدة بكون القرآن مخلوقا ، وكان المأمون أوصاه بذلك ، فشدد على العلماء والمحدثين والفقهاء ليقبلوا هذه العقيدة الفاسدة التي أوجدتها المعتزلة(٣) ، وكان رئيسهم أحمد بن أبي داؤد قد نال ثقة المعتصم وغلب عليه(٤) ، فكتب المعتصم الى الآفاق بالتزام هذه العقيدة ـــ

---

(١) انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٩/١١٩
: المسعودي : مروج الذهب : ٤/٤٦
" : ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٦/٥٢٤ - ٥٢٥
(٢) " : ابن الأثير : المصدر نفسه : ٦/٤٣٠
(٣) هو أحمد بن أبي داؤد الايادي المعتزلي ، ولد في سنة ستين ومائة ، قال الصولي فيه : لم يكن بعد البرامكة أكرم منه ، ولولا ما وضع من نفسه من محبة المحنة لاجتمعت عليه الانس ، ولي قضاء القضاة للمعتصم وللواثق ، وكان موصوفا بالجود والسخاء وحسن الخلق ، مات في سنة أربعين ومائتين ـــ (انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٣١٩)
(٤) انظر : المسعودي : المصدر السابق : ٤/٤٧

كما أمر المعلمين أن يعلموها الصبيان ،وياغراء هؤلاء المعتزلة (١) ضرب المعتصم الامام الجليل أحمد بن حنبل - رحمه الله ضربا شديدا غيب عقله وقطع جلده ، ثم امر بحبسه وبقى الامام محبوسا فى السجن الى عهد المتوكل (٢) .

وكان من أهم ما وقع فى عهد حكمه :

محاربة الزط :

وهم قوم من الهنود ،كانوا قد ظهوا على طريق البصرة ، ينهبون ويقطعون الطريق ،فأرسل المعتصم اليهم جيشا يقوده عجيف بن عنبسة ، فحاربهم وقتل كثيرا منهم ، كما أسر عددا كبيرا منهم ، ظل عجيف يحاربهم نحو سبعة أشهر حتى غلب عليهم فى سنة عشرين ومائتين (٣ = ٤) .

قتل بابك الخرمى :

مر بنا ، أن المأمون قد توفى دون أن يستطيع القضاء على حركة هذا المتمرد الزنديق ،فتقوى أمره ، حتى دخل فى دينه آلاف من الناس وكان قد استولى على مدينة البذ - وهى مدينة تقع على الجبال - ولما جلس المعتصم على عرش السلطنة وجه قائده الكبير الأفشين - واسمه حيدر بن كاؤس - لمحاربة بابك ، وذلك فى سنة عشرين ومائتين ،وظل الأفشين يحارب بابك محاربة طويلة ذات تدبيرات مختلفة ومكائد متنوعة ، و استمرت الى سنة اثنتين وعشرين ومائتين ،—

---

(١) ونقول ههنا كما قلنا بحق المأمون : ليت المعتصم صرف همته هذه الى الدعوة الى الاسلام الصافى الاصيل ،كما جاء فى الكتاب والسنة اذن لكانت ثمرات جهوده بالغة العظمة والجدوى .

(٢) انظر : ابن كثير :البداية والنهاية : ١٠/ ٣٣٢-٣٣٥ .

(٣) — انظر:الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٩/ ٨-١١

: ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/ ٤٤٣-٤٤٤=٤٤٦

(٤) — نود أن نقول ههنا انه يقيننى أن الدولة لو التزمت الاسلام والدعوة اليه التزاما سويا لحالت دون ظهور مثل هذه الحركات التى لو فرضنا أن بعضها ظهر بسبب ما ،فان معالجته بالاسلام الصحيح تكون أجدى وأبقى .

فهزم بابك وفتح مدينته (البذ) وهرب بابك مختفيا فى جبال أرمينية ، فوقع فى يد سهل بن سنباط ، أحد دهاقنة تلك المناطق الجبلية ، فأخبر الأفشين ، فقبض على بابك وأخيه عبد الله ، وبعث بهما الى المعتصم فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، فقتلا وصلبا ، وقيل : ان من قتلهم فى بابك فى مدة عشرين سنة يبلغ عددهم : مائتى الف وخمسة وخمسين الفا وخمسمائة انسان (١) .

محاربة الروم :

هجم ملك الروم توفيل بن ميخائيل على عديد من مدن المسلمين وحصونهم وذلك مددا لبابك الخرمى ، وسبى كثيرا من المسلمات ، كما مثل من وقع فى يده من رجال المسلمين ، فسمل أعينهم ، وقطع أنوفهم وآذانهم ، قيل : كانت امرأة هاشمية فى أسارى المسلمين ، فصاحت : " وامعتصماه " وبلغ الخبر المعتصم وكان جالسا على سريره ، فقال : لبيك ، لبيك ، ونهض فورا وصاح فى قصره : الرحيل ، الرحيل ، وجهز جيشا لم يتجهز بمثله خليفة ، ولما عزم على المسير ، أحضر القضاة وأشهدهم أنه وقف أملاكه وأمواله على ثلاثة أثلاث ، ثلث لله وثلث للأولاد والأقارب وثلث لمواليه ، ثم هجم على عمورية ، التى هى أشرف عند الروم من القسطنطينية ، وفتحها بعد جهد كبير اشترك فيه كبار قواد المعتصم أشنال الأفشين وأشناس وايتاخ ، وأمر بعمورية فأحرقت وهدمت ، وأقام عليها نحو خمسة وخمسين يوما (٢) ، وفرق الاسارى على قواده ثم سار الى طرسوس .

---

(١) انظر : الطبرى بتاريخ الرسل والملوك ٩/١١/٥٥

" : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٦/٤٤٧- ٤٧٨

" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٢٨٣ - ٢٨٥

(٢) " : الطبرى : المصدر السابق : ٩/٥٥-٧٠

" : ابن الأثير : المصدر السابق : ٦/٤٧٩ - ٤٨٨

صفات المعتصم :

كان المعتصم شجاعا ، مقداما ، صاحب بأس شديد ، كان يحمل ألف رطل ويمشي بها خطوات .(١)

قال السيوطي(٢) : وله محاسن وكلمات فصيحة وشعر لا بأس به ، غير أنه اذا غضب لا يبالي من قتل ، وكان يحب جمع الأتراك وشراءهم ، وغلب الأتراك في أيامه على الديوان ، ومن أجل كثرة الأتراك في بغداد أضطر أن يعمر مدينة سامراء(٣) ، وكان يستمع الأغاني من القيان(٤) .... ولو أنه جند طاقاته لخدمة الدعوة ، مؤتما بالعهد الراشدي لجاء من خير كثير ....

---

(١) انظر : ابن الطقطقي : الفخري : ٢٢٩

(٢) " : تاريخ الخلفاء : ٣٣٤

(٣) " : المسعودي : مروج الذهب : ٤/٥٣-٥٤

(٤) " : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٩/١٢٢

" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٢٩٦

" : ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٦/٦٢

٩- الواثق بالله

٢٢٧ هـ — ٢٣٢ هـ

٨٤٢ م — ٨٤٧ م

هو هارون بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الملقب بـ (واثق بالله) وكان يكنى أبا جعفر ، ولد سنة ست وتسعين ومائة ، أمه أم ولد رومية تسمى قراطيس ، بويع بالخلافة يوم توفى أبوه المعتصم وذلك فى الثامن من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين ، وعمره اذ ذاك احدى وثلاثون سنة وتسعة أشهر ، ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة ، وكانت مدة حكمه خمس سنين وتسعة أشهر.(١)

لم يقع فى أيام الواثق من الفتوح الكبار والحوادث المشهورة ما يؤثر ،(٢) ولكنه كان شديدا فى القول بخلق القرآن ، متأسيا مسلك أبيه المعتصم وعمه المأمون ، فحبس خلقا كثيرا بصدد هذه المحنة ، وكتب الى جميع قضاته بعدم قبول من لا يعترف بهذه العقيدة الضالة ،(٣) كما قتل اماما جليلا ومحدثا كبيرا ،(٤) وهو أحمد بن نصر الخزاعى -

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٩/١٢٣ و ١٥١
" : المسعودى : مروج الذهب : ٤/٦٥
(٢) " : ابن الطقطقى : الفخرى : ٢٣٦
(٣) " : المسعودى : المصدر السابق : ٤/٣١٩
(٤) هو أبو عبد الله أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعى الشهيد ، كان جده مالك أحد نقباء بنى العباس فى أول الدولة ، روى عن مالك وابن عيينه وحماد بن زيد وغيرهم ، ذكره ابن حبان فى الثقات .

(انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ١/٨٧)

وذلك بعد ما جرى بينه وبين المعتزلة مناظرة ، فعجزت المعتزلة عن الجواب ، فحرضوا الواثق عليه بأنه ضال يحل دمه ، فقتله الواثق بيده محتسبا في ظنه لله ، وحبس من أصحابه نحوا من تسعة وعشرين رجلا وظلمهم ظلما كبيرا .

وكان الواثق قد غلا في تمسكه بهذه العقيدة الفاسدة الى حد لا نهاية له ، بحيث انه لما وقع الفداء بين الدولتين العباسية والرومية ، سنة احدى وثلاثين ومائتين ، استطاع أحمد بن أبي داؤد المعتزلي أن يقنع الواثق بأن يمتحن كل أسير مسلم في القول بخلق القرآن ، فمن اعترف به فودي به والا ترك في أيدي الروم .(١)

وقيل ان الواثق رجع عن القول بخلق القرآن في أيامه الأخيرة ، وذلك أن شيخا عليه قيود ، حمل اليه ، وكان ابن أبي داؤد حاضرا عنده ، فسأله الشيخ : أخبرني عن هذا الرأي الذي دعوتم الناس اليه ، أعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدع الناس اليه ، أم شيء لم يعلمه ـ؟

قال ابن أبي داؤد : بل علمه ، قال الشيخ : فكان يسعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألا يدعو الناس اليه ، وأنتم لا يسعكم ـ؟ فبهت ، فقام الواثق وظب عليه الضحك وهو يقول : وسع النبي صلى الله عليه وسلم أن يسكت عنه ولا يسعنا ، ثم أمر للشيخ بثلاث مائة دينار ، وأن يرد الى بلده ، ولم يمتحن أحدا بعده .(٢)

---

(١) انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٩/ ١٤١ - ١٤٣

(٢) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ٣٢١

" : السيوطي : تاريخ الخلفاء : ٣٤١- ٣٤٢

صفات الواثق :

كان الواثق فاضلا لبيبا عاقلا ، فطنا ، فصيحا ، شاعرا (١) ، كان يسمى المأمون الأصغر لأدبه وفضله (٢) ، كما كان واسع العطاء ، سهل الانقياد محببا الى رعيته (٣) ، ومن ناحية أخرى كان كثير الأكل والشرب ، يشرب النبيذ ويستمع الأغانى (٤) ، قيل انه كان أعلم الخلفاء بالغناء ، وله أصوات وألحان عطها نحو مائة صوت ، وكان حاذقا يضرب العود (٥) ، كما كان يشتق بتكهنات المنجمين (٦) - وليس هذا من شأن الحكم الذى يفرض فيه أن يكون حاكما دعوها ...

==========

انتهى العصر العباسى الأول بموت الواثق بالله ، ويعتبر هذا العصر عصرا ذهبيا فى التاريخ الاسلامى ، ولا شك أنه كان قرناً ذهبيا من حيث عظمة الدولة وأبهتها وسطوتها ، فكانت الدولة العباسية تفوق الدولة البيزنطية التى لم يكن أمامها الا أن تدفع الجزية الى بعض خلفاء هذا العصر ، كما نعرف من تاريخ الرشيد - رحمه الله - وكانت هذه الدولة قوية متماسكة فى شئونها الداخلية من حيث التنظيم الادارى والاقتصادى -

---

(١) انظر : ابن الطقطقى : الفخرى : ٢٣٦

(٢) " : السيوطى : تاريخ الخلفاء : ٣٤٢

(٣) " : المسعودى : مروج الذهب : ٤/٣١٩

(٤) " : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٩/١٢٥ و ١٥٢-١٥٣

" : المسعودى : المصدر السابق : ٤/٦٦

(٥) " : السيوطى : المصدر السابق : ٣٤٣

(٦) " : ابن كثير : المصدر السابق : ١٠/٣٠٨

فكان الولاة البارزون والوزراء البارعون يديرون الادارة الحكومية بدقة ومهارة كما كانت هناك شخصيات علاقة تملك زمام قيادة الجيش الاسلامى ، أمثال عبد الله ابن على ، وأبى مسلم الخراسانى ، وهرثمة بن أعين ، وطاهر بن الحسين ، والأفشين حيدر بن كاوس وغيرهم .

وأما الناحية الاقتصادية ، فكانت عامرة خصبة ، كانت خزائن الدولة تفيض بالأموال ، وقد ذكر ابن خلدون (١) تفصيلا عن جباية الخراج فى عهد المأمون ، كما ذكر غيره من المؤرخين (٢) والكتاب تفاصيل أخرى ، كل ذلك يدل على كون الناحية الاقتصادية على قمة الرقى والازدهار فى العصر العباسى الأول ، وفضلا على ذلك كان الخلفاء الذين امتلكوا زمام الحكم وأشرفوا على جميع الأنظمة الحكومية ، لم يكونوا ضعفاء فى شخصياتهم ، والوصف الذى كان يشملهم جميعا هو : القوة ، والحزم ، والصلابة ، فكانوا - فى جملتهم - ذوى بأس وهيبة ، وحزم ورأى وفكر ، ومن أجل ذلك تغلبوا على جميع الفتن ، داخلية كانت أو خارجية ، كما رأيناه فى استعراضنا الموجز.

فالدولة التى ترأسها أمثال هؤلاء الشخصيات القوية ، التى كانت تملك مواهب عظيمة متنوعة ، واستوزر فيها وزراء كانوا - بوجه عام - ذوى مؤهلات بارعة فى تدبير أمور الدولة وتنظيم شئون الحكم ، وقاد جيوشها قواد كانوا نادرين فى الشجاعة والبسالة ، والحنكة والمهارة - ... كان من واجب هذه الدولة العظيمة أن تتنبه بالدرجة الاولى الى الوظيفة الأساسية للدولة الاسلامية ، ألا : وهى : الدعوة الى الله بجميع اعتباراتها -

---

(١) انظر: المقدمة : ٢/٦٧٠ - ٦٧٤

(٢) " : الجهشيارى : الوزراء والكتاب : ٢٨١ - ٢٨٨

ولكن - مع الأسف الشديد - وجدنا هذه الناحية ضعيفة فى سلك الخلفاء بل فى سلك الدولة العباسية من حيث هى ، وكم نجد من الفرق بينها وبين دولة الراشدين فى هذه الناحية ، بلها دولة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كما استعرضناه آنفا ، ولكى نتوسع فى استعراض هذه الناحية نتكلم عليها فى الفصل الآتى :-

الفصل الثانـــى

هل كانت الدولة العباسية دولة دعويـــة ؟

اذا تساءلنا بهذه الصيغة ،لم يكن معناه أننا نعتبر الناحية الدعوية كناحية عادية من نواحى الدولة ،بل كان معناه - كما قلنا فى الباب الأول - أن الدولة الاسلامية لاتتصور الا بأن تغشاها الدعوة ، وتحيطها بجوانبها المتنوعة ، واذا تخلت - لا قدر الله - أى دولة اسلامية عن هذه الصفة - وبتعبير أبلغ : عن هذه الصيغة - لم تعد فى الحقيقة من الدولة الاسلامية المطلوبة ،وفى الوقت نفسه تكون مسئولة أمام الله عز وجل ،ثم أمام الوعاة من أبناء الأمة الاسلامية ، فما بالك بتلك الدولة التى جاءت فى خير القرون وقد تخلت عن الدعوة كوظيفة أولى ووظيفة جوهرية لها ؟

فلا نستطيع أن نجيب ، بأن الدولة العباسية كانت دولة دعوية ، اذ أن عمودها الفقرى - وهو كون الدعوة مسيطرة على جميع شئونها - كان ضعيفا فلم يمكنها أن تتبوأ مكان الدولة الدعوية ،بحيث تطلع على الناس بمنهـــج كامل متفوق للحياة ،تجعل همها الأول ادخال الناس فيه ، فهى تشبـــه مريضا ظل مستلقيا على قفاه من أجل ضعف عموده الفقرى ، وهو يتمتـــع بأنواع الفواكه وألذ الأطعمة بفضل صحة جهازه الهضمى وسلامته ، أو هـــى تشبه مصباحا رائعا صيغ من أثمن المعادن ولكنه غير مشتعل ، فيجـــب أن نستعرض أوضاع الدولة العباسية من الناحية الدعوية للاجابة عن هـــذا السؤال المطروح ، وهذا ما سنتناوله فى المباحث التالية :

المبحث الأول

* * *

قوام الدولة العباسية

قامت الدولة العباسية على دعوة ، ولكن ... الى أى شىء ؟ هل كانت هذه الدعوة الى الاسلام من جديد ـ؟ أو الى العمل بكتاب الله وسنة رسوله والعض عليها بالنواجذ ـ؟ أو الى اصلاح ما طرأ من الفساد على المجتمع الاسلامى ـ؟

وللجواب عن هذه الأسئلة يجب أن نستعرض استعراضا مجديا حياة خلفاء هذه الدولة ومن اليهم ، ثم يجب أن ندرس مذاهبهم فى الحكم من خلال وصاياهم ورسائلهم وخطبهم وأعمالهم ، وقد استعرضنا فيما مضى حياة الخلفاء الذين عاشوا فى العصر العباسى الأول ، ونظرنا نظرة خاصة لحياتهم لأن الناس اذ ذاك كانوا لهم تبعا ، ولم تكن الأمة تتمتع بشخصية متميزة ازاءهم ، بل كانت أوضاع الأمة وأتباع الدولة كلها تتلون بلون شخصية الخليفة ، فكانت مصداقا للمقولة المشهورة :

((الناس على دين ملوكهم)) وظهر لنا باستعراضنا الموجز أن حياة الخلفاء على ما فيها من نواح جديرة بالتقدير ، ليست هى بحياة حكام دعويين ينحون منحى النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين . وسنتكلم عن النواحى الأخرى فى الفقرات التالية :

أ ـ تطور فكرة الامامة الشيعية

ب ـ استغلال الفرصة

ج ـ الانتقام وتدعيم السطوة

أ ـ تطور فكرة الامامة :

قلنا : ان الدعوة العباسية تحكي لونا من تطور فكرة الامامة عند الشيعة ويثبت ذلك الحقائق التاريخية ، نشأت عقيدة الامامة عند الشيعة بدسيسة دسها يهود الحيرة ، ورفع لواءها عبد الله بن سبأ اليهودي ، فبدأ بقوله : ان عليا ـ رضي الله عنه ـ وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم نسب الألوهية الى علي (١) ، فنفاه علي رضي الله عنه الى المدائن وأحرق بعض أصحابه .

ومن هنا حدثت عقيدة الامامة في الشيعة ، فهم يسبغون على الامام نوعا من التقديس (٢) ، والعصمة والتخيير بين التحليل والتحريم ، والشيعة كانوا يعتقدون الامامة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبعده في ابنه الحسن وبعده في أخيه الحسين ـ رضي الله عنهما ، واختلفوا بعد مقتل الحسين رضي الله عنه ، فقال بعضهم : انتقلت الامامة الى محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية ، وقال بعضهم : انها منحصرة في أبناء علي من فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنهم ، فاعتقدوا أن الامامة انتقلت بعد الحسين الى ابنه علي زين العابدين .

واختلف أولئك الذين كانوا يعتقدون الامامة في محمد بن الحنفية ، بعد موته ، فغلا فيه بعضهم ، فأنكروا موته وقالوا : انه تغيب وسوف يرجع ، وقال شاعرهم كثير عزه :

ألا ان الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بها خفاء
فسبط سبط ايمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء

---

(١) انظر : الاسفراييني : الفرق بين الفرق : ٢١ و ٢٣٣

(٢) راجع لتفصيل هذه العقيدة كتاب : (الكافي في أصول الدين) لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني ، المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ببغداد ، فكتابه هذا يعتبر عند الشيعة كالبخاري عند أهل السنة .

وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء

تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى (١) ، عنده عسل وماء (٢)

وبعضهم اعتقدوا انتقال الامامة فى ابنه عبد الله أبى هاشم فبايعوه .

والتقى أبو هاشم هذا بسليمان بن عبد الملك ، فتأثر سليمان بشخصية أبى هاشم وعلمه وأدبه وفصاحته ، فحسده ، فدس اليه من أشربه الحليب السموم (٣) ، واليكم القصة كما يرويها ابن عبد ربه :

" . . . فلما شرب واستقر بجوفة ، قال لأصحابه : انى ميت فانظروا من القوم؟ فنظروا ، فاذا هم قوضوا ابنيتهم وذهبوا ، فقال : ميلوا بى الى ابن عمى ، وعسى أحسبنى أدركه ، فأسرعوا السير حتى أتوا الحميمة من أرض الشراة ، وبها محمد ابن على بن عبد الله بن العباس ، فنزل به ، فقال : يا ابن عمى ، انى ميت ، وقد صرت اليك وأنت صاحب هذا الأمر ، وولدك القائم به ، ثم أخوه من بعده ، والله ! ليتمن الله هذا الأمر ، حتى تخرج الرايات السود من قصر خراسان ، ثم ليغلبن على ما بين حضرموت وأقصى افريقية ، وما بين الهند وأقصى فرغانة ، فعليك بهؤلاء الشيعة ، واستوص بهم خيرا ، فهم دعاتك وأنصارك ، ولتكن دعوتك خراسان ، ولا تعدها ولا سيما مرو ، واستبطن هذا الحى من اليمن ، فان كل ملك لا يقوم به فمصيره الى انتقاض—

---

(١) رضوى : بفتح أوله وسكون ثانيه : جبل بالمدينة ، والنسبة اليه رضوى بالفتح والتحريك (معجم البلدان : ٣/٥١)

(٢) انظر : الاسفرائينى : الفرق بين الفرق : ٣٩ - ٤١

" : شهرستانى : الملل والنحل : ١/١٣٣ - ١٣٤

" : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٨٧-٨٨

(٣) " : العقد الفريد : ٤/٤٧٥ - ٤٧٧

وانظر هذا الحي من ربيعة ، فألحقهم بهم ،فانهم معهم في كل أمر ، وانظر هذا الحي من قيس وتميم ، فأقصهم الا من عصم الله منهم ، وذلك قليل ، ثم مرهم أن يرجعوا فليجعلوا اثني عشر نقيبا ويعدهم سبعين نقيبا ، فان الله لم يصلح امر بني اسرائيل الا بهم ،وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فاذا مضت سنة الحمار ،فوجه رسلك في خراسان ،منهم من يقتل ومنهم من ينجو ،حتى يظهر الله دعوتكم . قال محمد بن علي : يا أبا هاشم،وما سنة الحمار ـ؟ قال : انه لم تمض مائة سنة من نبوة قط الا انتقض أمرها ، لقول الله عز وجل : (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، قال : أنى يحيي هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه) الى قوله : (وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس) . وأعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله بن الحارثية ،ثم عبد الله أخوه ، ولم يكن لمحمد بن علي في ذلك الحين ولد يسمى عبد الله ، فولد له من الحارثية ولدان ،سمى كل واحد منهما عبد الله ،وكنى الأكبر أبا العباس والأصغر أبا جعفر ، فوليا جميعا الخلافة ، ثم مات أبو هاشم ،وقام محمد بن علي بالأمر بعده ، فاختلفت الشيعة اليه ، فلما ولد أبو العباس أخرجه اليهم في خرقة ، وقال لهم :هذا صاحبكم ، فجعلوا يلحسون أطرافه "[1].

لا نجزم على صحة هذا الخبر ، نظرا الى ما وقع فيه بعض أخطاء تاريخيه في تحديد الأكبر والأصغر من الأخوين ، وكذلك في تحديد أسمها ، وقد ولدا من أمين مختلفتين ، وتعجبا من تلك الصدفات التي وقعت وفقا للتكهنات ، وما وجدنا مثل هذه الدلالة الصريحة على وقوع الحوادث في أحاديث الملاحم والفتن ، وقد أوردنا هذه الرواية بتفصيلها لمجرد الدلالة على انتقال فكرة الامامة من فرع للشيعة ـ وهي : الكيسانية ـ الى بني العباس . فاستغل محمد بن علي تقديس الامامة ، فوجه دعوته الى الرضى من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بدون أن يصرح اسمه .

وبعد ذلك رأينا تطورا فى دعوة بنى العباس ، بحيث أنهم أرادوا أن يستغلوا فكرة الامامة وتقديسها بدون أن يشتبكوا مع ما أحدثته الشيعة فى معنى الامامة وأوصافها ، فرأينا العباسيين أنهم أرادوا بالامامة : تولية الملك والحكم فقط وزعموا أن هذه الامامة كانت استحقاق بنى العباس الذى سلبهم أياه بنو أمية واغتصبوه ، وذلك استنباطا من قوله سبحانه وتعالى :

(وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) فزعموا أن أحق الناس بالامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عمه العباس بن عبد المطلب . فجعلوا الامامة وراثة ورثوها عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ويدل على هذا مما قاله أبو العباس السفاح فى خطبته الأولى عند البيعة ، وهو :

" ... وقال : ((ما افاء الله على رسوله من أهل القرى ، فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى (١))) فأعظمهم جل ثناؤه فضلنا ، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا ، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبا تكرمة لنا وفضلا علينا ، والله ذو الفضل العظيم ، وزعمت السبيئة الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا ، فشاهت وجوههم ، بم ، ولم ، أيها الناس ؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم ، وبصّرهم بعد جهالتهم ، وأنقذهم بعد هلكتهم ، وأظهر بنا الحق ، ودحض بنا الباطل ... (٢)))

---

(١) سورة الحشر: الآية: ٧

(٢) اقرأ الخطبة بكاملها فى الطبرى : تاريخ الرسل والملوك: ٧/ ٤٢٥- ٤٢٦

وقال داوُد بن علي في خطبته بعد السفاح :

"(الحمد لله شكرا شكرا ،شكرا للذي أهلك عدونا وأصار الينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . . . يا أهل الكوفة انا والله ما زلنا مظلومين ، مقهورين على حقنا ، حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقنا ، وأفلح بهم حجتنا ، وأظهر بهم دولتنا . . . . . ألا وانه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار بيده الى أبي العباس - فاعلموا أن هذا الأمر فينا ، ليس بخارج منا حتى نسلمه الى عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم . . .)(١) "

فقد صرح داوُد بن علي أنهم يزعمون الامامة ميراثا ورثوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ،وكذلك يثبت من رسائل أبي جعفر المنصور التي وجهها الى محمد ابن عبد الله بن الحسن المحض ،أن بني العباس يزعمون الخلافة حقا وراثيا لهم فيقول في رسالته :

" . . . . وقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا العباس ،فالسقاية سقايته ، والوراثة وراثته ، والخلافة في ولده ،فلم يبق شرف في الجاهلية والاسلام الا والعباس وارثه ومورثه ."(٢)

على كل ، عقيدة الامامة التي هي مبنية على تقديس الأئمة وعصمتهم ، باطلة لا صلة لها بالاسلام مطلقا ، اذ أنها تقدح في شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ،بأنه أخفى أمرا عن الأمة كان يهمهم جدا ، ألا يعتبر هذا خيانة في أداء أمانة الرسالة -؟

---

(١) اقرأ الخطبة بكاملها في الطبري: تاريخ الرسل والملوك : ٧/٤٢٦-٤٢٨

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٨٦

وتحويل هذه الفكرة الى تولية الملك ، ثم جعلها حقا وراثيا يرثه بنوا العباس من الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ،فكرة خاطئة تنافى تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الذى وصل الينا بسند صحيح فقال : (لا نورث ، ما تركنا صدقة)(١) وقال : (لا يقتسم ورثتى دينارا ، ما تركت بعد نفقة نسائى ومؤونه عاملى فهو صدقة)(٢) ـــــــ فبناء على أن الدعوة العباسية كانت مبنية على فكرة خاطئة لا تلائم التعاليم الاسلامية ،لا نستطيع أن نقول ان الدولة العباسية كانت دولة دعوية خالصة على نحو ما عرفنا من دولة المصطفى صلى الله عليه وسلم ودولة الراشدين رضى الله تعالى عنهم .

(ب) استغلال الفرصة :

وللدعوة العباسية ناحية أخرى وهى : انتهاز الفرصة واستغلالها ،سواء وافق ذلك المبادىء الاسلامية أو عارضها ، فعندما قام محمد بن على لتنظيم دعوته ،كان الحكم الأموى قد وصل الى منعطف خطير من تاريخه ، كان ذلك الرجل الصالح ـ وهو عمر بن عبد العزيز رحمه الله ـ قد تسلم زمام السلطة الأموية ، ... كلنا يعلم أن عمر بن عبد العزيز أراد أن ينحو بالدولة الأموية نحوا راشديا خالصا ، وأن يصلح ما أفسده الأمويون من القيم الاسلامية فى المجتمع الاسلامى ،فعادت الدولة دعوية ثانية ، ومن أجل ذلك عده المؤرخون خليفة راشدا ـ

---

(١) رواه مسلم : ٢ / ٨٢

(٢) رواه مسلم : ١٢ / ٨١

فهذا الرجل المجدد اذا نال التأييد والثناء عليه من الأمة الاسلامية ، فانه قد واجه المعارضة العنيفة من الأمويين ومن رجال الحكم ، ومن ثم أصبح الوضع حرجا جدا ، وكان يحتاج ذلك الخليفة الصالح الى تأييد شعبى منظم ، وحماية حارة قوية ، كيما تخشى منهما تلك المعارضة الخفية التى بدأت تدس دسائس للحؤول دون استمرار سياسة ذلك المصلح .

وفى تلك الساعات الحرجة أصبحت الحميمة طبعاً نشاط جديد ومنبع دعوة جديدة فلو كانت الدعوة اسلامية ، كان واجبها الأول والأقدم تأييد ذلك الخليفة الصالح تأييدا كاملا بدون أى مساومة واشتراط ، ونصرته نصرة قوية متماسكة خالصا لوجه الله ، لتكون تلك العودة الى الأساس الدعوى ، عودة جادة ، وعودة قوية مستمرة ، اذ أن الاخلاص لله تعالى يوجه الانسان الى أن ينظر الى ما صنع لوجه الله تعالى ويصرف النظر عمن قام بتلك الصنعة ، وتلك القوة الفتية التى جاءت بمآثر كبيرة فى تحقيق أهداف الدعوة العباسية ، لو وجهت فى بداية أمرها الى تدعيمها بدأ يمارسه الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، لاستمرت الدعوة الاسلامية تحيط بجوانب الحكم الاسلامى الى مدة طويلة ، ولنشأ ذلك فى وجود الدولة العباسية السوى ، ولكن - مع الأسف الشديد - لم يدرك القائمون بالدعوة العباسية هذه الحقيقة المشرقة ، وجعلوا وجهة دعوتهم انشاء دولة يحكمها بنو العباس ، لا غيرهم ، وذلك من أجل تكهنات شائعة فيما بينهم ، ولا قيمة لها فى العقائد الاسلامية السليمة ، فكان يقول محمد بن على : (لنا ثلاثة أوقات : موت يزيد بن معاوية ، ورأس المائة ، وفتق بافريقية ، فعند ذلك يدعو لنا دعاة ، ثم تقبل أنصارنا من المشرق حتى ترد خيولهم المغرب)(١)

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ١/ ٣١٩ - ٣٢٠

واستعرض محمد بن علي استعراضا جادا دقيقا ، تلك الأوضاع السياسية التي كانت تسود العالم الاسلامي آنذاك ، فعندما نظم على رأس العائلة جمعية سرية لنشر دعوته بين أمام دعاته عصارة تلك الأوضاع ليسهل عليهم المضي الى هدفهم فقال :

" أما الكوفة وسوادها ، فهناك شيعة علي بن أبي طالب ، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف ، وتقول : كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل ، وأما الجزيرة فحرورية مارقة ، وأعراب كأعلاج ، ومسلمون كأخلاق النصارى ، وأما أهل الشام ، فليس يعرفون الا آل أبي سفيان ، وطاعة بني مروان ، عداوة لنا راسخة ، وجهلا متراكما ، وأما أهل مكة والمدينة ، فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان ، فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، صدورا سليمة وقلوبا فارغة ، لم تتقسمها الأهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم تشغلها ديانة ، ولم يتقدم فيها فساد ، وليست لهم اليوم هم العرب ، ولا فيهم كتحازب الأتباع بالسادات ، وكتحالف القبائل وعصبية العشائر ، ولم يزالوا يذالون ويمتهنون ، ويظلمون ويكظمون ، ويؤملون الدول ، وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل ، وهامات ولحى وشوارب ، وأصوات هائلة ، ولغات فخمة ، تخرج من أفواه منكرة ، وهمد ، فكأني أنظر الى المشرق والى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق "(١) .

ولا يتسع حجم هذه الرسالة لشرح هذه الوصايا مفصلا ، فنريد أن نعلق عليها بايجاز فنقول : قد رأينا فيما سبق ، أن الدعوة العباسية لم تبدأ الا بعد انتقال الامامة الى العباسيين من أبي هاشم امام الشيعة الكيسانية —

---

(١) ابن قتيبة : عيون الاخبار : ١/٢٠٤ - ٢٠٥

كما رأينا محمد بن على بدأ عمله بالدعوة الى الرضى من آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فما هو الأمر الذى دعاه الى أن ينبه دعاته أن يكونوا حذرين فى انجاز مهمتهم من وجود شيعة على بن أبى طالب بالكوفة وسوادها ـ؟ فيبدو أنه كان هناك أمر خفى وراء الدعوة الى الرضى من آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وما يود القائمون بالدعوة أن ينكشف ذلك الأمر لشيعة على بن أبى طالب ، فيقاومونهم أشد مقاومة يستطيعونها ، ألا وهو اقامة دولة تختص بأبناء العباس من بنى هاشم.

وما عدا ذلك ما وجدنا فى طول هذه الوصايا وعرضها أمرا نعتبره مقوما من مقومات الدعوة الاسلامية ، بل وجدنا أمرا يعارضها ، فها إن محمد بن على يقول : (وأما أهل مكة والمدينة ، فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر) ـ ما المراد بقوله ـ؟ هل كان هناك رجال بنى تيم وبنى عدى غلبوا على أهل مكة والمدينة فأقاموا دولتهم الخاصة ـ؟ والواقع لم يكن كذلك ، فتعين معنى قوله : أن أهل مكة والمدينة ، فقد غلب عليهم ما دعا اليه أبوبكر وعمر رضى الله عنهما ، فلن يرضوا الا باتباع سيرتهما ، وقد اتضحت الحقيقة مشرقة بأنه لم تكن سيرتهما الا دعوية خالصة ، فالوصية بالحذر من أتباع الشيخين رضى الله عنهما ـ أمر يثير العجب ، . . . فلو كانت الدعوة العباسية دعوة اسلامية خالصة ، لاغتنم القائمون بها وجود الأغلبية الدعوية فى الحرمين الشريفين ، وبدءوا دعوتهم من هناك ، كى يتم لهم النصر والتأييد من أهل مكة والمدينة ، ثم تغشى دعوتهم بعد ذلك العالم الاسلامى .

ولكنهم ـ مع الأسف الشديد ـ أعرضوا عن أهل الحرمين ، وركزوا توجيه دعوتهم الى خراسان ، وقد رأوا هناك ما تنجح به دعوتهم ، فحرض محمد بن على دعاته على أن يستغلوا عواطف أهل خراسان الثائرة ضد الأمويين من أجل جورهم عليهم ، فاستغلوها استغلالا تاما ـــ

حتى أتى ذلك بحاصل كبير لهم بعد اراقة أنهار الدماء على وجه الأرض وهو : قيام الدولة العباسية .

وهناك قصة تبين مدى استغلال دعاة الدعوة العباسية الفرصة استغلالا لا يحقق هدفهم المنشود وغايتهم المرجوة على حساب مصالح الدعوة الاسلامية : كانت فتنة العصبية بين المضرية واليمانية ماثجة في خراسان ، وكان والي خراسان أسد بن عبدالله القسري ، يتعصب لليمانية لكونه من أصل يماني ، وكان من أقسى ولاة بني أمية على الشيعة ، فكان لا يرحم أحدا من دعاة الدعوة العباسية وقع في يده ، فاما قتله شر قتلة أو نفاه من ولايته ، (١) فوقعت جماعة من هؤلاء الدعاة في يده في سنة سبع عشرة ومائة ، وفيهم من نقباء الدعوة : سليمان بن كثير شيخ الدعوة ، ومالك بن الهيثم ، وموسى بن كعب ، ولاهز ابن قريظ ، وخالد بن ابراهيم (وأبو داود) ، وطلحة بن زريق ، فقال لهم أسد بن عبدالله القسري عندما قدموا اليه : ((يافسقة ! ألم يقل الله : (عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام)) (٢) ـ؟

فقال سليمان بن كثير : أتكلم ، أم أسكت ـ؟ قال : بل تكلم ، قال : نحن والله كما قال الشاعر

لو بغير الماء حلقي شرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري

تدري ما قصتنا ـ صدقت والله ـ المقارب بيدك أيها الأمير! انا أناس من قومك اليمن ، وان هذه المضرية انما رفعوا اليك هذا لأنا كنا أشد الناس على قتيبة بن مسلم ، وانما طلبوا بثأرهم . فخلى أسد سبيلهم . (٣)

---

(١) انظر: الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٧/٤٠ و ٤٣ و ٥٠ و ٥١

(٢) سورة المائدة : الآية : ٩٥

(٣) انظر: الطبري : المصدر السابق : ٧/١٠٧

نرى فى هذه القصة غاية دهاء شيخ الدعوة العباسية ومكره،كيف انتهز الفرصة و استغلها بتلك العصبية القومية التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم : (دعوها فانها منتنة)(١)، ولا غرو! فقد علمهم ذلك امامهم ابراهيم ابن محمد ، فقال فى وصيته لأبى مسلم الخراسانى :

" يا أبا عبد الرحمن ، انك رجل منا أهل البيت،فاحفظ وصيتى ، انظر هذا الحى من اليمن فأكرمهم ،فان الله لا يتم هذا الأمر الا بهم ،و انظر هذا الحى من ربيعة ،فانهم معهم ،و انظر هذا الحى من مضر،فانهم العدو القريب الدار،فاقتل من شككت فى أمره، ومن وقع فى نفسك منه تهمة "(٢)

هكذا أمر امام هذه الدعوة دعاته أن يستغلوا الفرصة بتقريب أهل اليمن ، الذين اصبحوا أعداء بنى أمية فى تلك الأيام من أجل العصبية القبلية التى حدثت بين المضرية و اليمانية ،فأمرهم بتطييب خواطر أهل اليمن ،كيما يصبحوا سواعدهم و أيديهم فى انجاز مهمتهم، بينما كان امام الدعوة و أكثر نقبائها ينتمون الى مضر، و الدعوة الاسلامية تنكر على هذه العصبية المنتنة أشد انكار ...

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم :

((من قتل تحت راية عمية(٣) يدعو عصبية او ينصر عصبية فقتلة جاهلية))(٤)

* وقال :

((من خرج من الطاعة و فارق الجماعة ثم مات ،مات ميتة جاهلية ، ومن قتل تحت راية عمّية يغضب للعصبية و يقاتل للعصبية ،فليس من أمتى ،ومن خرج من أمتى على أمتى ،يضرب برها و فاجرها ،و لا يتحاش من مؤمنها ،(٥) و لا يفى بذى عهدها ، فليس منى .(٦)))

---

(١) البخارى : الجامع الصحيح : ٨/ ٦٤٨

(٢) ابن قتيبة : الامامة و السياسة : ٢/ ١١٤

(٣) عمّية : على وزن فعّيلة ،من العماء : الضلالة ،كالقتال فى العصبية والأهواء . (ابن الأثير : النهاية : ٣/ ٣٠٤)

(٤) رواه مسلم : ١٢/ ٢٣٩

(٥) لا يتحاش : معناه : لا يكترث بما يفعله فيها و لا يخاف وباله وعقوبته (النووى : شرح مسلم : ١٢/ ٢٣٩ ، ٢٤٠)

(٦) رواه مسلم : ١٢/ ٢٣٩

فكيف تسمح هذه الدعوة باستغلال تلك العصبية المنكرة ـ؟ والدعوة التي قامت على خلاف ما تلقنه الدعوة الاسلامية ، والتي ضربت ضربة قاسية على مميزة مهمة من مميزات المجتمع الاسلامي الدعوى ، ألا وهي : الأخوة الاسلامية ، كيف تستطيع أن تكون هي ،اياها ؟ ومن ثم لا نعدو الحق اذا قلنا : ان الدولة العباسية لم تكن دولة دعوية خالصة .

(ج) تدعيم السلطة :

وكانت الدعوة العباسية تدور حول محور أساسي ، وهو : تدعيم سلطة حاملوها ، سواء حصل ذلك التدعيم بالانتقام من بني أمية ،أو بابادة العلويين أو ما الى ذلك من سفك الدماء ، ـــ

ولقد رأينا ـ فيما سبق ـ أن الدعوة العباسية لما بدأت سرية ، كان حاملوها يلتجئون الى تأويلات مختلفة ، ومع ذلك قتل بعضهم وعذب بعضهم عذابا شديدا، (١) ولما آن أوان اظهارها رأينا حاملوها يضعون السيف على رقاب المسلمين ويلعبون بدماء المسلمين عندما قويت شوكتهم وقامت دولتهم ، ودخلت الدعوة في مرحلتها الجهرية في عهد الامام ابراهيم بن محمد ، وقد استخدم أبا مسلم الخراساني لانجاز هذه المهمة ،فأوصاه بقتل المضريين في خراسان بل أصر وألح على القتل ،يحكي لنا ابن قتيبة الدينوري : (٢)

" فقال (أي أبو مسلم) : أيها الامام ، فان وقع في أنفسنا من رجل وهو على غير ذلك ،أحبسه حتى تستبينه ـ؟ قال : لا السيف ،السيف ،لا تتقي العدو بطرف ،ثم قال للشيعة : من أطاعني فليطع هذا ،يعني أبا مسلم ، ومن عصاه ، فقد عصاني ، ثم قال له : ان استطعت أن لا تدع بخراسان أرضا فيها عربي ،فافعل ، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمته فاقتله "ـ

---

(١) لما قبض أسد بن عبد الله القسري على بعض دعاة بني العباس ،اطلق من كان منهم من اليمانية ،وأراد من كان من مضر ،فدعا موسى بن كعب والجعد بلجام الحمار وجذب اللجام فحطمت أسنانه ودق وجهه وأنفه ، ثم دعا لاهز بن قريظ وضربه ثلاثمائة سوط (انظر: الطبري :تاريخ الرسل والملوك ٧/ ٢٠٨ :

(يتبع)

وليس فى هذه الوصايا شىء الا ما يخالف الدعوة الاسلامية ، فضلا عن أن يلائمها ، ويزيد عجب القارىء ، عندما يرى التابع - أبا مسلم - يستوضح الأمر من المتبوع ، كيف يعامل الذى يشك فى حاله - ؟ بأنه اذا حدث ريب فيمن يوثق به ويعتمد على ظاهره ، فهل يسمح له الامام أن يحبسه ، كيف ينظر فى أمره ويستبين سره ، ثم يفعل به ما يراه - ؟ والمتبوع يرفض ذلك مطلقا ، ويصر على علاج واحد عنيف ، وهو السيف لا غير وامتثل أبو مسلم أمر امامه ، وسفك الدماء بدون تلكؤ وتردد ، ويقال : انه بلغ عدد الذين قتلهم أبو مسلم صبرا الى نحو ستمائة ألف انسان (١) .

ولقب الخليفة العباسى الأول بالسفاح ، لكثرة ما سفكت الدماء فى عهده وقد سمى هو نفسه بالسفاح ، فقال فى خطبته الأولى : (أنا السفاح المبيح والثائر المبير) (٢) ، ولى السفاح عمه صالح بن على ولاية مصر ، فقبض هناك على عدد كبير من الأمويين ، وقتل كثيرا منهم ، وأرسل جماعة منهم الى العراق فقتلوا بفلسطين (٣) .

وكذلك ولى السفاح عمه داود بن على ، على ولاية الحجاز ، فقتل هناك خلقا كثيرا من بنى أمية وأعوانهم (٤) ، وكان عبد الله بن على ، عم السفاح من أشد الناس على بنى أمية (٥) ، ولقب أيضا بالسفاح من أجل سفكه دماء بنى أمية ، استعمله أبو العباس السفاح على الشام ، فقتل هناك خلقا من بنى أمية وجندهم لا يدخل تحت حصر (٦) .

تابع الحاشية رقم (١) فى الصفحة السابقه :
انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ١/٣٤٤-٣٤٥

تابع الحاشية رقم (٢) فى الصفحة السابقة أيضا :
الامامة والسياسة : ٢/١١٤

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٧/٤٩٣
(٢) " : الطبرى : المصدر نفسه : ٧/٤٢٦
(٣) " : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ١/٣٢٣-٣٢٤
(٤) " : ابن تغرى بردى : المصدر نفسه : ١/٣٢٥
(٥) " : ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ٢/١٢١
(٦) " : ابن تغرى بردى : المصدر السابق : ١/٣١٩

ونكتفى هنا بذكر قصة يرويها ابن عبد ربه[1] :

« لما نزل عبد الله بن على ، نهر أبى فطرس[2] ، حضر الناس بابه للاذن ، وحضر اثنان وثمانون رجلا من بنى أمية ، فخرج الآذن ، فقال : يا أهل خراسان قوموا ، فقاموا سماطين[3] فى مجلسه ، ثم أذن لبنى أمية ، فأخذت سيوفهم ، ودخلوا عليه ، قال أبو محمد العبدى الشاعر : وخرج الحاجب فأدخلنى ، فسلمت عليه ، فرد على السلام ، ثم قال : أنشدنى قولك :

(وقف المقيم فى رسوم ديار)

فأنشدته حتى انتهيت الى قولى :

أما الدعاة الى الجنان فهاشم ... وبنو أمية من دعاة النار

من كان يفخر بالمكارم والعلا ... فلها يتم المجد غير فخار

والنمر بن يزيد بن عبد الملك جالس معه على المصلى ، وبنو أمية على الكراسى ، فألقى الى صرة حرير خضراء فيها خمسمائة دينار ، فقال : (لك عندنا عشرة آلاف درهم وجارية وبرذون وغلام وتخت ثياب) قال : فوفى - والله - بذلك كله ، ثم أنشأ عبد الله بن على يقول :

حسبت أمية أن سيرضى هاشم ... عنها ويذهب زيدها وحسينها

كلا ! ورب محمد والهه ... حتى تباح سهولها وحزونها[4]

ثم أخذ قلنسوته من رأسه ، فضرب بها الأرض ، فأقبل اولئك الجند على بنى أمية ، فخبطوهم بالسيوف والعمد ، وقال الكلبى الذى كان بينهم وكان من أتباعهم : أيها الأمير ! انى والله ، ما أنا منهم . فقال عبد الله بن على :

ومن دخل رأسه لم يدعه أحد ... بين القرينين حتى لزه القرن . . اضربوا عنقه ،

---

(١) العقد الفريد : ٤ / ٤٨٣-٤٨٤

(٢) نهر أبى فطرس : بضم الفاء وسكون الطاء وضم الراء : موضع قرب الرملة من أرض فلسطين (ياقوت الحموى : معجم البلدان : ٥ / ٣١٥)

(٣) سماطين : اى صفين ، وسماط القوم : صفهم ، وكل صف من الرجال سماط . (انظر : ابن منظور : لسان العرب : ٧ / ٣٢٥)

(٤) حزون : جمع حزن ، والحزن : ما غلظ من الأرض (انظر : ابن منظور : لسان العرب : ١٣ / ١١٢) .

ثم أقبل على الغمر فقال : ما أحسب لك فى الحياة بعد هؤلاء خيرا ، فقال : أجل ، قال : ياغلام اضرب عنقه ، فأقيم من المصلى ، فضرب عنقه ثم أمر ببساط ، فطرح عليهم ، ودعا بالطعام ، فجعل يأكل وأنين بعضهم تحت البساط . "))

وردت هذه الرواية عن مصادر مختلفة ، وباختلاف فى نسبة قتل بنى أمية الى عبدالله بن على والى أبى العباس السفاح (١) (٢) ، ولكن القدر المشترك بين هذه الروايات كلها : أن حادثة قتل بنى أمية قد وقعت ، وذكر الحافظ ابن كثير (٣) - رحمه الله - عددا يصعب الاطمئنان اليه فقال :

" ثم تتبع عبدالله بن على بنى أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم ، فقتل منهم فى يوم واحد اثنين وسبعين الفا عند نهر بالرملة ، وبسط عليهم الأنطاع ، ومد عليهم سماطا (٤) ، فأكل وهم يختلجون تحته "

ويستغرب العقل السليم والفكر السلم مثل هذه الروايات ، كما لا يمكن غض النظر عن وجودها فى كتب تاريخنا الاسلامى ، ولعل هذا الاستغراب يصير خفيفا اذا نظرنا فى وصايا القائمين بالدعوة العباسية ، فمن أساسها وضع السيف على من وجدوا فيه أدنى تهمة أو شبهة ، فكيف بأعدائهم المنافسين فى ميدان تدعيم السطوة ؟ فانتقموا منهم عندما غلبوا عليهم -

---

(١) انظر : ابن قتيبة : عيون الأخبار : ١/٢٠٨
" : " : الامامة والسياسة : ٢/١٢١- ١٢٢
" : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٢٦١
" : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ٢/٧
(٢) انظر : الاصبهانى : الأغانى : ٤/٣٤٤-٣٤٧
" : ابن المعتز : طبقات الشعراء : ٣٩-٤٠
" : ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٤/٤٨٥ - ٤٨٧
(٣) انظر : البداية والنهاية : ١٠/٤٥
(٤) يختلجون : أى يرتعدون ويضطربون على وشك الموت
(انظر : ابن الأثير : النهاية : ٢/٦٠)

ولم يكتفوا بقتل من بقي منهم حيا ، بل تمدوا على الموتى ،فها ،ان المسعودى يقول : (١)

"وحكى الهيثم بن عدى الطائى ،عن عمرو بن هانىء ،قال : خرجت مع عبدالله بن على لنبش قبور بنى أمية فى أيام أبى العباس السفاح ، فانتهينا الى قبر هشام ، فاستخرجناه صحيحا ما فقدنا منه الا خورمة أنفه ، فضربه عبدالله بن على ثمانين سوطا ثم أحرقه ، واستخرجنا سليمان من أرض دابق ، فلم نجد منه شيئا الا صلبه وأضلاعه ورأسه ،فأحرقناه ،وفعلنا ذلك بغيرهما من بنى أمية ،وكانت قبورهم بقنسرين ،ثم انتهينا الى دمشق ، فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك ،فما وجدنا فى قبره قليلا ولا كثيرا ،واحتفرنا عن عبد الملك ، فما وجدنا الا شؤون رأسه ،ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية ،فما وجدنا فيه الا عظما واحدا ، ووجدنا مع لحده خطا أسود كأنما خط بالرماد فى الطول فى لحده ،ثم اتبعنا قبورهم فى جميع البلدان ،فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم "

من يقرأ هذا الخبر فى تاريخنا ،فهل يشعر أنه يقرأ تاريخ رجال خطوا الدعوة الاسلامية التى تنير للانسانية الحائرة سبيل الهدى والرشاد ؟ وما فعله عبدالله بن على ، فهل يرضى عنه الاسلام ؟ فالذين أوغلوا فى الانتقام هذا الايغال ،كيف يرجى منهم أن يحافظوا على القيم الاسلامية الدعوية كما ينبغى - على أننا نتمنى أن لا تصح هذه الروايات التى تطالعنا بها كتب التاريخ ، ولكن الذى يبدو ، أن بنى العباس - كبنى أمية - لم يكونوا ليحرصوا بالدرجة الأولى ،الا على تدعيم سطوتهم ، فاذا حال دون ذلك حكم من أحكام الدين تجاوزوه متأولين أو غير متأولين —

---

(١) مروج الذهب : ٣/٢١٩

ان الذين تتحدث الروايات الآنف ذكرها عن قتلهم ،لم يكونوا كفارا ، وأكثرهم، ان لم نقل كلهم - لم يكونوا مسئولين عما اجترحه أجدادهم ، والى جانب ذلك لقد كانوا أقرباء بني العباس واخوانهم في الدين - بل ان بني العباس — رحمهم الله - قد بطشوا بأعوانهم حين خيّل اليهم يوما ما ، أنهم خطر عليهم . فها ان السفاح يقتل أبا سلمة الخلال ،وأبو جعفر المنصور يقتل أبا مسلم الخراساني ،والرشيد يقتل جعفر البرمكي ، بل يقمع الأسرة البرمكية من أصلها ، وغير خاف ما كان لهولاء الضحايا من آثار في قيام دولة بني العباس وتدعيمها ، كما لم يعف العباسيون أقرب الناس اليهم - وهم العلويون - من القمع حين تراءى لهم أنهم خطر عليهم ، وقد ذكرنا اضطراب أبي جعفر المنصور في طلب الأخوين العلويين محمد وابراهيم ابني عبدالله بن الحسن المحض ، حتى برد ما في قلبه بعد ما قضى عليهما قضاء مبرما .

ثم رأينا لونا آخر في العباسيين بصدد تدعيم سطوتهم ،وهو حصر السلطة في الأبناء وابعاد شخصيات يخافهم الخليفة من أقربائه ، فرأينا المنصور يزعج ابن أخيه عيسى بن موسى الذي اختاره أبو العباس وليا للعهد بعد المنصور ، وذلك ليخلي السبيل لابنه محمد المهدي ، كما أراد قتل عمه عبدالله بن علي الذي كان محبوسا عنده في السجن ،وأراد أن يصطاد عصفورين برمية واحدة ، فدفع عمه الى ابن أخيه عيسى بن موسى ، وأمر أن يقتله خفية ، ولكن عيسى بن موسى تنبه الى ما كان يريده المنصور ، فاستشار بعض الناس ،فأشاروا عليه بابقاء عبدالله حيا واشاعة نبأ قتله ،ففعل ، فثار أعمام المنصور وكلموه في الموضوع ، فقال : هو عند عيسى بن موسى ،فجاؤا اليه وسألوه،فقال : قد قتلته بأمر المنصور ،وأنكره المنصور وأظهر سخطه على عيسى بن موسى ، ودفعه الى أبناء علي ليقتلوه قودا عن عبدالله بن علي ،فكاد المنصور أن ينجح في كيده ،ويستريح من عدوه في آن واحد ، الا أن عيسى بن موسى أنقذ نفسه من الهلاك ، وسلم الى المنصور عمه عبدالله بن علي حيا ، فأبقى عليه

محبوسا ، ولم يزل يطلب حيلة ينجو بها من عبد الله ، فحبسه في بيت جعل أساسه ملحا ، ثم أسال عليه الماء فسقط عليه ومات .(١)

وهناك قصة تتعلق بمؤامرة قتل عبد الله بن علي ذكرها المسعودي ، وهي مستغربة جدا ولكن لا يستبعد عن جن جنونه في تدعيم سطوته ، فهو يرتكب كل ذنب يزيل العقبة عن طريق تدعيم ملكه ودولته ولو على حساب أقربائه وفلذات كبده ، فضلا عن أن يكون على حساب الدعوة الاسلامية ، فيقول المسعودي :(٢)

" .... قال (أي المنصور لعيسى بن موسى) : ادفعه (أي عبد الله ابن علي) الى أبي الأزهر المهلب بن أبي عيسى ، فدفعه اليه ، فلم يزل عنده محبوسا ، ثم أمره بقتله ، فدخل عليه ومعه جارية له ، فبدأ بعبد الله فخنقه حتى مات ، ثم مده على الفراش ، ثم أخذ الجارية ليخنقها ، فقالت : يا عبد الله ، قتلة غير هذه ، فكان أبو الأزهر يقول : ما رحمت أحدا قتلته غيرها ، فصرفت وجهي عنها ، وأمرت بها فخنقت ، ووضعتها معه على الفراش وأدخلت يدها تحت جنبه ويده تحت جنبها كالمعتنقين ، ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما ، ثم أحضرنا القاضي ابن علاثة وغيره ، فنظروا الى عبد الله والجارية معتنقين على تلك الحال ، ثم أمر به فدفن في مقبرة أبي سويد بباب الشام من بغداد في الجانب الغربي .

قال المسعودي : وذكر عبد الله بن عياش المنتوف : قال : قال المنصور يوما ونحن عنده : أتعرفون جبارا أول اسمه عين ، قتل جبارا أول اسمه عين وجبارا أول اسمه عين ، وجبارا أول اسمه عين ـ؟ قال : قلت : نعم يا أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، قتل عمرو بن سعيد بن العاص ، وعبد الله ابن الزبير ، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ـ

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١٠٤

(٢) مروج الذهب : : ٣/٣١٦

فقال المنصور : أتعرفون خليفة أول اسمه عين ، قتل جبارا أول اسمه عين ، وجبارا أول اسمه عين ـ؟

قلت : نعم أنت ياأمير المؤمنين ! قتلت عبد الرحمن بن مسلم ، وعبد الجبار ابن عبد الرحمن ، وعمك عبد الله بن علي ، سقط عليه البيت ، فقال : فما ذنبي ان كان سقط عليه البيت ـ؟ قلت : لا ذنب لك ، فتبسم . "

وهكذا كانت المدبرات والمؤامرات سائدة على أفكار الحكام والخلفاء في الدولة العباسية ، ليحافظوا بها على سطوتهم وسلطتهم ، وكان حب السطوة والحرص عليها قد ابلغاهم وضعا يكاد يقتل فيه الابن أباه ، وها ، هو الطبري (١) يحكي قصة فيقول :

" عن عمارة بن حمزة قال : كنت عند المنصور ، فانصرفت من عنده في وقت انتصاف النهار ، وبعد أن بايع الناس للمهدي ، فجائني المهدي في وقت انصرافي ، فقال لي : قد بلغني أن أبي قد عزم أن يبايع لجعفر أخي ، وأعطى الله عهدا لئن فعل لأقتلنه ، فمضيت من فوري الى أمير المؤمنين ، فقلت هذا أمر لا يؤخر ، فقال الحاجب : الساعة خرجت ـ؟ قلت : أمر حدث ، فأذن لي ، فدخلت عليه ، فقال لي : هيه ياعمارة ما جائك ؟ قلت : أمر حدث ياأمير المؤمنين ، أريد أن أذكره . قال : فأنا أخبرك به قبل أن تخبرني جائك المهدي فقال لك كيت وكيت . قلت : والله ، ياأمير المؤمنين لكأنك حاضر ثالثنا ـ قال : قل له : نحن أشفق عليه من أن تعرضه لك " ـ

ويبدو من هذه القصة ـ ان صحت ـ وضع قصر الخليفة ـ فكأن الولد كان دائم الفكرة فيما يتخذه أبوه من قرار بشأن اختيار ولي العهد ، وهو يتطلع الى ولاية العهد ويحرص عليها وربما عزم على قتل والده ان لم يفعل ما يحبه .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك : ٨/٦٨ ـ ٦٩

وفطن المنصور لما كان يدور فى خلد ابنه ـ فاذا كانت القصة تدل على حرص المهدى على السلطة وطمعه فيها ، فهى تدل على ذكاء المنصور المدهش ونباهته الفائقة ، ولكنهم لم يستفدوا ـ مع الأسف الشديد ـ نباهتهم وذكاءهم فى ارساخ قوائم الدعوة الاسلامية فى جميع شئون الدولة وفى أنفسهم بل اختاروا الكسروية والقيصرية ، وكان منتهى جهد كل خليفة ، محافظته على سطوته وبطشه ، بينما كان واجبه المحافظة على قيم المجتمع الاسلامى الدعوية ومن أجل ذلك اضمحلت الدعوة فى عهدهم ، وضعفت قبضتها على أوساط الحكم ، وبدأ الخراب يتسرب فى داخل المجتمع الاسلامى ويهدد كيانه ويهزه هزا عنيفا ، وسوف نرى بعض نماذج هذا الخراب فى المبحث الآتى :ـ

المبحث الثانـــى

هل كانت الحياة
الاجتماعية دعوية فى الدولة العباسية ؟

قد ذكرنا فى الباب الأول ، أن المجتمع الاسلامى - بجميع جوانبه - من شأنه أن يمثل الدعوة الاسلامية أمام المجتمعات الانسانية المختلفة ، ومن هنا أصبح واجب الدولة الاسلامية الدعوية أن تحافظ على قيم المجتمع الاسلامـــى محافظة تامة حذرة ، وألا تسمح لأى نوع من الخراب والفساد أن يتســـرب فى المجتمع ، ثم تحمل رسالة الدعوة مستندة على هذا المجتمع الى أمم العالـم أجمع .

ورأينا فى المبحث الأول من هذا الفصل أن الدولة العباسية كانت قد انحرفت عن الجادة الدعوية انحرافا كان له خطره ، فهل كان طبيعيا أن يبقى المجتمع الاسلامى مستقيما على جادة الدعوة بعد انحراف الدولة عنها - ؟

وهل من المعقول أن يتصور بقاء المال سالما مصونا ، اذا قصر الحارس فى اداء واجبه - ؟ مع تنبه اللصوص - الشيطان وجنوده - وحرصهم البالـــغ على الانقضاض .

ولا شك أن وضع المجتمع الاسلامى كان حرجا جدا فى تلك الأيام ، اذ أنه أصبح ملتقى لحضارات مختلفة وثقافات متنوعة ، والأمم التى اعتنقت الاسلام كانت ذات مزايا مختلفة ، ولا بأس لو ذكرنا ههنا شيئا مما كتبه الجاحظ عـــن مميزايا بعض من تلك الأمم ، فقال عن الأتراك :-

(والتركى أربعة أعين ، عينان فى وجهه وعينان فى قفـاه) (١)

---

(١) رسائل الجاحظ : ١/ ٤٥

((والتركى هو الراعى وهو السائس ، وهو الرائض وهو النحاس ، وهو المهطار وهو الفارس ، والتركى الواحد أمة على حدة)) (١)

وقال عن أهل الصين :

((وأما سكان الصين ، فهم أصحاب السبك والصياغة ، والافراغ والاذابة ، والأصباغ العجيبة ، وأصحاب الخرط والنحت والتصاوير ، والنسخ والخط ، ورفق الكف فى كل شىء يتولونه ويمانونه ، وان اختلف جوهره وتباينت صنعته وتفاوتت ثمنه)) (٢)

وقال عن أهل الهند :

((وأما الهند ، فوجدناهم يقدمون فى النجوم والحساب ، ولهم الخط الهندى خاصة ، ويقدمون فى الطب ، ولهم أسرار الطب ، وعلاج فاحش فى الأدواء خاصة ، ولهم خرط التماثيل ونحت الصور بالاصباغ ، تتخذ فى المحاريب وأشباه ذلك ، ولهم الشطرنج ... ولهم السيوف الظلمية)) (٣)

وقال عن اليونان : (٤)

((واليونان يعرفون الفلك لأن أولئك حكماء وهؤلاء فعله))

وقال عن الزنج :

((الزنج ، هى أطبع الخلق على الرقص الموقع الموزون ، والضرب بالطبل على الايقاع الموزون ، من غير تأديب ولا تعليم ، وليس فى الأرض أحسن حلوقا منهم)) (٥)

---

(١) رسائل الجاحظ : ١/ ٤٩

(٢) " " : ١/ ٦٩

(٣) " " : ١/ ٢٢٣

(٤) " " : ١/ ٦٩

(٥) " " : ١/ ١٩٥

وقد جمع الاسلام هذه الأمم تحت راية واحدة وفى اطار دين واحد ، فكان طبيعيا جدا أن يتأثر المجتمع الاسلامى بآداب وتقاليد هذه الأمم وعاداتها ، ومنها ما يوافق تعاليم الاسلام وعقائده ، أو لا يعارضها على الأقل ، ومنها ما يعارضها ، ومن المعلوم أن العادات والتقاليد لا تنفك عن الانسان الا بعد جهد كبير ، وتحمل تعب كثير ، ففى مثل هذه الحالة تزداد وتتضخم مسئولية الدولة الاسلامية بصدد المحافظة على القيم الدعوية فى المجتمع الاسلامى ، وبقاس قيام الدولة بواجبها على مقياس هو أدق من الشعر وجودا واحساسا ، فانحراف الدولة عن الجادة مقدار شعرة ربما يظهر بصورة انحراف مدهش فى المستقبل ، اذ أن عواقب الانحراف لابد ظاهرة ولو بعد حين - ومع الأسف الشديد ، لم يتنبه رجال الدولة العباسية الى دقة مسئوليتهم وخطورتها ، واشتغلوا بما زينت لهم أنفسهم ، ودخل الخراب فى المجتمع الاسلامى .

ولا نقول : ان المجتمع الاسلامى قد غشيه الخراب والفساد فى تلك الأيام ، بل نقول : ان الفساد كان قليلا بالنسبة الى الصلاح الذى كان يسود المجتمع آنذاك ، ولكن لا يخفى على أهل البصيرة بأن البناء والتعمير دائما يكون صعبا ويستغرق أمدا بعيدا ، والخراب يحدث بسهولة وفى مدة قصيرة ، واذا حدث الفساد - ولو قليلا - يتبعه أنواع من الخراب ، وتصير العاقبة مؤلمة جدا ، وفعلا حدث فى المجتمع الاسلامى عندما كانت تحافظ عليه الدولة العباسية أنواع من الفساد ، نذكر منها ما يلى :

(أ) المدنية المترفة والحياة الباذخة :

ان تضخم دخل الدولة يولد مدنية مترفة وحياة باذخة كما أشار اليه ابن خلدون فى المقدمة[1] ، فكان دخل الدولة العباسية ضخما جدا -

---

(١) انظر : ٢/ ٦٥٠ - ٦٥١

كما يقال : ان المنصور خلف فى بيت المال أربعة عشر مليون دينارا وستمائة ألف مليون درهما (١) ، بينما كان عهده عهد تدعيم الدولة الفتية واحكامها ، ولم يبلغ دخل الدولة الى الحد الذى بلغه فى عهد الرشيد والمأمون ، فيقال : كان دخل بيت المال سنويا فى عهد الرشيد نحو سبعين مليون ومائة وخمسين ألف دينار (٢) ، وخلف الرشيد من الجواهر والأثاث والأمتعة ما قيمته مائة مليون وخمسة وثلاثون ألف دينار ، ما عدا الضياع والدور ، وكان فى بيت المال سبعمائة مليون دينار ونيف (٣) .

كما كان دخل الدولة فى أيام المأمون نحو أربعمائة مليون درهم ما عدا الأموال والغلات (٤) ، وهكذا كان دخل الحكومة فى أيام المعتصم (٥) ، ويقال : كان خراج خراسان فى أيام الواثق ثمانية وأربعين مليون درهم سنويا (٦) ، كما كانت هناك موارد شخصية ضخمة ، فيقولون : ان الخيزران زوجة المهدى كان يبلغها من اقطاعاتها نحو مائة وستين مليونا من الدراهم سنويا (٧) ، وكان مورد محمد بن سليمان بن على العباسى والى البصرة من اقطاعاته مائة ألف درهم يوميا (٨) .

لقد فتح الله سبحانه وتعالى على الدولة العباسية بركات من السماوات والأرض ، وكان من اقتضاء توفر الامكانيات للدولة ، أن تصرفها الدولة فى مصالح المجتمع الاسلامى والحفاظ على قيمه ، ولكن حدث ما كان يخافه النبى صلى الله عليه وسلم على أمته ـ

---

(١) انظر : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٣٢٢

(٢) " : الجهشيارى : الوزراء والكتاب : ٢٨١

(٣) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٢٢٢

(٤) " : جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى : ١/٣٠٩

(٥) " : جرجى : المصدر نفسه : ١/٣١٥

(٦) " : ابن كثير : المصدر السابق : ١٠/٣٠٢

(٧) " : المسعودى : المصدر السابق : ٣/٣٤٨

(٨) " : المسعودى : المصدر السابق : م - ن

اذ قال ،عندما جاء أبو عبيدة ـ رضى الله تعالى عنه ـ بمال من البحرين :
((ما الفقر أخشى عليكم ،ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت
على من كان قبلكم ،فتتنافسوها كما تنافسوها ،وتهلككم كما أهلكتهم)) (١)

فتمتع من هذا المعين الغدق الخلفاء ومن حولهم من البيت العباسى ،ومن الوزراء والقواد والولاة وكبار رجال الدولة ،ولاحت فى المجتمع الاسلامى مدنية مترفة وحياة باذخة ، تحملان فى ثناياهما طوان الاسلام دون حقيقته الكاملة ،فكانت قصور الخلفاء والولاة والوزراء تشبه جنات تجرى من تحتها الأنهار .

واليكم ما صوره الدكتور أحمد شلبى من زخرف هذه القصور الشامخات (٢) فقال :ـ

((لقد كثرت فى ذلك العهد القصور الشاهقة التى تموج بالرياش الفاخر ، والأثاث الثمين ،وتعج بالجوارى والقيان ،وتزخر بالشعر الموسيقى والغناء ، وقد قرأ القوم آيات القرآن الكريم ،التى تصف الجنة ،فتعجلوا هذه الاوصاف فى الدنيا ،فهنا قصر الخلد ،الذى شبه بجنة الخلد التى وعد بها المتقون ، وهناك قصر السلام الذى لوحظ فى تسميته قوله تعالى : (لهم دار السلام عند ربهم) وأغلب قصور هذا العهد تجرى من تحتها الأنهار ، وتموج بحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون .

وحول قصر الخلد كانت الجنات الملتفة ،والحدائق المتسعة ،والأزهار المونقة ، من ورد وبهار ، وياسمين وجلنار ،وسوسن وأقحوان ، الى غير ذلك مما اختلفت ألوانه ،وعبق أريجه ،وتضوع الجو بطيبه ، وفى خلال ذلك

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الزهد : ١٨/٩٥
(٢) التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية : ٣/١٤٧ - ١٤٩

تجرى القنوات والغدران والجداول ، ومن دونها دجلة تزهو بفلكها وزوارقها ، وقد أقبل الأمراء والسراة ، يشيدون حول الخلد قصورهم ، ويفتنون فى هذه القصور بما مكنتهم وسائلهم الكثيرة ، وأموالهم الموفورة ، وأخيلتهم الخصبة ، وروح الترف التى كانت تسيطر عليهم . . .

وكانت مجالس اللهو والغناء والموسيقى فيها ، تضاعف فتنتها وتزيدها متاعا الى متاع ، وكان يناوح هذه الضاحية القائمة على الشاطئ الغربى للنهر ضاحية الرصافة ، وضاحية الشماسية ، وكلتاهما من أحياء السراة والمترفين وفى الشماسية كانت اقطاعات البرامكة ، وفيها بنوا طائفة من القصور الرفيعة ، وكان قصر الخلد يشرف على هذه الأحياء الأنيقة القائمة فى الشاطئ الشرقى ، فكان ذلك مما يزيد جمال منظره روعة وفتنة . . "

(١)

ويقول الدكتور شوقى ضيف :

" . . . وفى الدار حمامات ومجار تحت الأرض ، وسراديب معدة للسكنى ، وتكثر الأساطين فى الأفنية ، وتكثر الشرفات وتلحق بها بعض البساتين وبعض النافورات والبرك - وكانت مصاريع الأبواب تصنع من الخشب المحلى بالنقوش ، وتتألق النوافذ بالزجاج الملون ، وتزخرف الحيطان بالنقوش المستوحاة من الطير والحيوان ، والأشجار والأزهار ، وقد يذهب السقف والأبواب والحيطان وتعلق هنا وهناك ستائر الحرير المزركشة ، وقد تحفر على الحيطان بعض الصور كالمنقاء - أما أرض الدار ، فكانت تموج بالبسط الايرانية والأرمنية ، والطنافس وماضد الآبنوس ، والتحف الثمينة ، وتماثيل العقيان ، والجامات المذهبة ، والأوانى المرصعة بالجواهر "

---

(١) العصر العباسى الأول : ص : ٤٤-٤٥

ولا بأس لو ذكرنا ههنا لونا من الترف والبذخ ، والاسراف والتبذير ، واللهو والشرب والغناء ، من لسان عضو من أعضاء الأسرة المالكة للدولة العباسية ، ها ، هو عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ، يصف ايوان قصر الخليفة المخلوع محمد الأمين ، ولهوه وشربه بأسلوب يحمل في ثناياه المدح والاعتزاز ، فقال :(١)

« بنى للمخلوع مجلس لم تر العرب والعجم مثله ، قد صور فيه كل التصاوير ، وذهّب سقفه وحيطانه وأبوابه ، وطقت على أبوابه ستور معصفرة مذهبة ، وفرش بمثل ذلك الفرش ، فلما فرغ من جميع أسبابه ، وعرف ذلك ، اختار له يوما ، وتقدم بأن يؤمر الندماء والشعراء بالحضور غدوة ذلك اليوم ليصطبحوا معه فيه ، فلم يتخلف أحد ، وكان فيمن حضر أبو نواس ، فدخلوا ، فرأوا أسا (بناء) لم يروا مثله قط ، ولم يسمعوا به ، من ايوان مشرف فارع ، فاسح ، يسافر فيه البصر ، وجعل كالبيضة بياضا ، ثم ذهّب بالابريز المخالف بينه باللازورد ، ذى أبواب عظام ومصاريع غلاظ ، تتلألأ فيها مسامير الذهب ، قد قمعت رؤوسها بالجوهر النفيس ، وقد فرش بفرش كأنها صبغ الدم ، منقش بتصاوير الذهب وتماثيل العقيان ، ونضد فيه العنبر الأشهب والكافور الصمد وعجين المسك ، وصنوف الفاكهة والشمامات والتزابين ، فدعوا له وأثنوا عليه ، وأخذوا مجالسهم على مراتبهم عنده ، ومنزلتهم منه ، ثم أقبل عليهم فقال : انى احببت أن أفرغ متعة هذا المجلس معكم ، وأصطبح فيه بكم ، وقد ترون حسنه ، فلا تنغضونى ذلك بالتكلف ، ولا تكدروا سرورى بالتحفظ ، ولكن انبسطوا وتحدثوا وتبذلوا ، فما العيش الا فى ذلك . فقالوا : يا أمير المؤمنين ! بالطائر الميمون والكوكب السعدى ، والجد الصاعد والأمر العالى ، والظفر والفوز ، ووفقت يا أمير المؤمنين ، وفقت ، ولم تزل موفقا . ثم طعموا ، أتى بالشراب كأنه الزعفران ، أصفى من وصالى المعشوق ، وأطيب ريحا من نسيم المحبوب ،

---

(١) طبقات الشعراء : ٢٠٩ - ٢١٠

وقام سقاة كالبدور ، بكئوس كالنجوم ، فطافوا عليهم ، وعملت المستاثر بمزاهرها فشربوا معه من صدر نهارهم الى آخره فى مذكرة كقطع الرياض ، وشيد كالدر المفصل بالعقيان ، وسماع يحيى النفوس ويزيد فى الأعمار ، فلما كان آخر النهار دعا بعشرة آلاف دينار فى صوانى فأمر ، فنثرت عليهم ، فانتهبوها ، والشراب يعمد يدور عليهم بالكبير والصغير ، من الصرف والممزوج ، وليس يمنع أحد منهم مما يريد ، ولا يكره على من يأباه ، وكان جيد الشراب ، فصبروا معه الى أن سكر فنام ، ونام جميع من فى المجلس . . . .)

. . . ماذا نعلق على هذا الخبر ـ؟ والعقل يأبى أن يصدقه ، ويكاد يقف انصباب القلم من شدة العجب ! وهل يليق هذا الخبر بشأن رئيس دولة لم يعهد عهدها بالدولة الدعوية ، النبوية والراشدية ـ؟ وهل يقول المسئول الكبير فى " الدولة الدعوية " انما العيش ، عيش اللهو والشراب واستماع الأغانى ـ ؟

اين هذا من ذلك الصدى السرمدى الذى لا يزال يدوى فى فضاء المدينة المنورة :

اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فاغفر الأنصار والمهاجرة

وزال العجب اذا نظرنا الى فيضان المال وتدفقه فى مدنية المسلمين وحضارتهم آنذاك ، فمن لم يمسك بالعروة والوثقى ـ وهى هادى الدعوة الاسلامية ـ كان لابد أن يكتسحه سيل المدنية المترفة الجارف . . .

(ب) حياة الاسراف والتبذير :

وفعلا أحدثت هذه المدنية المترفة داء الاسراف فى المجتمع الاسلامى وعلى مقدمته الخلفاء ووزراؤهم ، وقيل : كانت نفقات المأمون يوميا فى القصر ستة آلاف دينار وذلك فى العام ٢١٦٠٠٠٠ دينار.(١)

(١) انظر : ابن الطقطقى : الفخرى : ٢٦٦

ونذكر ههنا نماذج قليلة أخرى من اسراف الخلفاء ،اذ أن الناس على دين ملوكهم :

* ـ دخل حماد عجرد ،الشاعر الماجن على أبى جعفر المنصور بعد موت أخيه أبى العباس ، فأنشده بيتين مدحه فيهما ، فأمر له بخمسة آلاف درهم .(١)

* اشترى جعفر بن سليمان بن على قينة اسمها سلامة الزرقاء بثمانين ألف درهم وذلك فى الأيام التى كان عبدالله بن على ثار على المنصور .(٢)

* دخل مروان بن أبى حفصة الشاعر على المهدى ، وأنشد أبياتا مدحه فيها ، وبين فضل العباسيين على العلويين ، فأمر له المهدى بثلاثين ألف عن نفسه ، وسبعين ألف عن أبنائه موسى وهارون والعباس وغيرهم .(٣)

* أنشد سلم الخاسر الشاعر قصيدة أمام المهدى ،مدحه فيها ، فأعطاه المهدى ثلاثمائة ألف درهم .(٤)

* كان الهادى مولعا بابن جامع المغنى ، وكان أبعده المهدى عن موسى فى عهد ولايته ، فلحق ابن جامع بمكة ، فلما تولى موسى زمام الملك ، اشتاق الى لقاء ابن جامع ،وكان الفضل ابن الربيع يعرف هذا ،فانتهز الفرصة وبعث الى ابن جامع رجلا جاء به من مكة ، فأخفاه الفضل فى بيته ، وفى ليلة من الليالى ،لما أحس الفضل من الهادى شدة اشتياقه الى ابن جامع أحضره اليه ، ونال الفضل بذلك عشرة آلاف دينار والحجابة .(٥)

* أعطى الرشيد سلما الخاسر الشاعر على مديحه عشرين ألف دينار .(٦)

---

(١) انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٣١٦/١

(٢) " : الاصبهانى : الأغانى : ٦٣/١٥-٦٤

(٣) " : ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٣١٠/١- ٣١٢

(٤) " : الجهشيارى : الوزراء والكتاب : ١٧٣

(٥) " : الاصبهانى : المصدر السابق : ٣٠٠/٦

(٦) " : الاصبهانى : الأغانى (طبع الساسى) ٧٧/٢١

* طرب الرشيد يوما لغناء مخارق المغنى ، فأعطاه ضيعة ودارا ، ووصله بثلاثة الاف دينار .(١)

* استمعت زبيدة أغنية ابن جامع المغنى ، ومعها زوجها الرشيد ، فطربت ، وأمرت له بمائة ألف درهم مقابل كل بيت غنى فيه ، وعوضها الرشيد بكل درهم دينارا.(٢)

* قال ابن جامع المغنى : أخذت من هارون بمبتين غنيته بهما عشرة آلاف دينار.(٣)

* قيل : ان مجموعة ما أخذه ابراهيم الموصلى المغنى من الرشيد صلة لغنائه عنده ، يتجاوز مائتى ألف دينار.(٤)

* ان مروان بن أبى حفصة الشاعر أنشد الهادى قصيدة ، فيها قوله :

تشابه يوما بأسه ونواله فما أحد يدرى لأيهما الفضل

فقال الهادى : أيهما أحب اليك ـ؟ ثلاثون ألف معجلة ، أو مائة الف تدور فى الدواوين ؟ قال : ياأمير المؤمنين ! أوأحسن من ذلك ؟ قال : وما هو؟ قال : تكون ثلاثون ألفا معجلة ومائة ألف تدور بالدواوين ، فقال الهادى : أوأحسن من ذلك ؟ فعجل الجميع ، فأمر له بمائة ألف وثلاثين ألفا معجلة .(٥)

* يقال : ان الرشيد عرضت له جارية فأعجبه جمالها ، فساوم سيدها فيها فقال : ياأمير المؤمنين ! انى أقسمت بكل يمين أن لا أبيعها بأقل من مائة ألف دينار فاشتراها الرشيد بمائة ألف دينار.(٦)

---

(١) انظر: الاصبهانى : الأغانى (الساسى) ٢١/١٤٥

(٢) " : الأصبهانى : الأغانى : ٦/٣٠٩ - ٣١٠

(٣) " : " : " : ٦/٢٩٥

(٤) " : " : " : ٥/١٩٢

(٥) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١٥٩

(٦) " : ابن كثير : المصدر نفسه : ١٠/٣٠١

* ـ وقف رجل من بنى أمية للرشيد على الطريق ، وبيده كتاب ، وفيه أربعة أبيات ، أعترف فيها بفضل بنى العباس على بنى أمية ، فاستحسنه الرشيد ، وأمر للرجل لكل بيت بألف دينار ، وقال : لوزدتنا ، زدناك .(١)

* ـ سرت زبيدة باحدى فتاوى القاضى أبى يوسف ، سألته عنها ، فأهدت اليه حقا من فضة فى داخله حقان مطوّان طيبا ، وبأحدهما جام من ذهب مطوّ دراهم ، وبالثانى جام فضة مطوّ دنانير ، مع غلمان وتخوت ثياب وبغل وحمار .(٢)

* طرب الرشيد يوما لغناء ابراهيم الموصلى ، فقال له : سل ، فقال : ياأمير المؤمنين ، أسألك شيئا ليس فيه من مالك شيء ، ولا أرزؤك شيئا سواه ، قال : وما هو ؟ فذكر له وديعة سلم الخاسر الشاعر ، وأنه لم يترك وارثا ، فأمر له بها ، ويقال : انه كان خمسين ألف دينار .(٣)

* ـ مدح الشاعر عبد الله بن أيوب التيمى الأمين ، فأعطاه مائتى ألف درهم .(٤)

* ـ طرب الأمين ليلة لغناء اسحاق الموصلى ، فأعطاه مليون درهم .(٥)

* ـ كان المأمون معروفا فى البذل والعطاء ، يقال : انه وزع على حاشيته فى ساعة واحدة أربعة وعشرين مليون درهم .(٦)

---

(١) انظر : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٣٧٤ - ٣٧٥

(٢) " : " : المصدر نفسه : ٣/٣٥١

(٣) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١٨٨

(٤) " : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ٢/١٨٩

(٥) " : الأصبهانى : الأغانى : ٥/٣٦٨

(٦) " : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٦٥٣

* أمر المأمون يوما لكل من ابنه العباس وأخيه المعتصم وقائد جيشه عبد الله ابن طاهر بخمسمائة دينار.(١)

* أعجب المأمون ببيت من شعر الحسين بن الضحاك الشاعر ، وأجازه عليه بثلاثين ألف درهم.(٢)

* استقدم المعتصم الحسين بن الضحاك الشاعر من البصرة ، فأنشده قصيدته الطويلة حتى أتمها ، فقال له المعتصم : ادن مني ، فدنا منه ، فملأ فمه جوهرا من جوهر كان بين يديه.(٣)

* رجع الواثق من الصيد ، فدعا بالجلساء والمغنيين ، وطرب ، وقال : من ينشدنا ؟ فقام الحسين بن الضحاك ، فأنشده القصيدة الكافية ، فأمر له بخمسين ألف درهم.(٤)

وهذه بعض نماذج الاسراف والتبذير في حياة خلفاء بني العباس ، فكانوا يسرفون بدون أي مبالاة وتلكؤ ، وبدون نظر في الموارد والمصاريف ، فكأنهم نسوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما فعل ، وعن ماله ، من اين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه))(٥)

---

(١) انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ٢/٢٠٥

(٢) " : الأصبهاني : الأغاني : ٧/١٥١ - ١٥٢

(٣) " : " : " : ٧/١٥٢ - ١٥٣

(٤) " : " : " : ٧/١٥٨ - ١٥٩

(٥) رواه الترمذي : ٧/١٠١ ، وقال : حديث حسن صحيح .

ولم يتخلف عنهم وزراؤهم وحواشيهم ، بل نافسوهم فى الاسراف ، واحتلت أسرة البرامكة الذروة فى هذا الموضوع ، فقيل : انهم أعطوا ابراهيم الموصلى المغنى ستمائة ألف درهم وضيعة تساوى بمائة وستين ألفا (١) ويحكى أن يحيى ابن خالد أعطى اسحاق بن ابراهيم الموصلى مائة ألف درهم ليشترى بها دارا ، فأعطاه ابنه جعفر مائة ألف درهم لفرشها ، كما أعطاه الفضل ابن يحيى مائة ألف درهم لتزيينها ، فأعطاه محمد بن يحيى مائة ألف درهم لنفقتها ، وهكذا نال اسحاق المغنى من أسرة البرامكة فى يوم واحد أربعمائة ألف درهم (٢) .

وقصة تهذير الحسن بن سهل وزير المأمون وصهره على زواج ابنته بوران بالمأمون معروفة ، وها ، هو المسعودى يحكيها (٣) :

" وانحدر المأمون الى فم الصلح فى شعبان ، سنة ست ومائتين ، وأملك بخديجة ابنة الحسن بن سهل ، التى تسمى بوران ، ونثر الحسن فى ذلك الاملاك من الأموال ، ما لم ينثره ولم يفعله ملك قط فى جاهلية ولا فى اسلام ، وذلك أنه نثر على الهاشميين ، والقواد ، والكتاب ، والوجوه ، بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وأسماء جوار ، وصفات دواب ، وغير ذلك ، فكانت البندقة اذا وقعت فى يد الرجل فتحها ، فقرأ ما فيها ، فيجد على قدر اقباله وسعوده فيها ، فيمضى الى الوكيل الذى نصب لذلك ، فيقول له : ضيعة يقال لها فلانة الفلانية ، من طسوج (٤) كذا ، من رستاق (٥) كذا ، وجارية يقال لها : فلانة الفلانية ودابة صفتها كذا ، ثم نثر بعد ذلك

---

(١) انظر : الأصبهانى : الأغانى : ٥ / ٣٨

(٢) " : الأصبهانى : الأغانى : ٥ / ٣٠٨

(٣) " : مروج الذهب : ٤ / ٣٠

(٤) الطسوج : الناحية (ابن منظور : لسان العرب : ٢ / ٣١٧)

(٥) رستاق : والجمع : رساتيق : السواد : (انظر : لسان العرب : ٢ / ٣٨١)

على سائر الناس الدنانير والدراهم وفوافج المسك ، وبيض العنبر ، وأنفق على المأمون وقواده وعلى جميع أصحابه ، ومن كان معه من جنوده أيام مقامه عنده ، حتى المكارين والحمالين والملاحين وكل من ضمن العسكر من تابع ومتبوع ، مرتزق وغيره ، فلم يكن أحد من الناس يشترى شيئا فى عسكر المأمون مما يطعم ولا مما تعتلفه البهائم "

(١)
ويقول ابن الطقطقى :

"... وقالوا : جملة ما أخرج على دعوة فم الصلح خمسون ألف ألف درهم ، كان الحسن بن سهل قد فرش للمأمون حصيراً منسوجا من الذهب ، ونثر عليه ألف لؤلؤة من كبار اللؤلؤ ، فلما رآه المأمون ، قال : قاتل الله أبا نواس ، كأنه شاهد مجلسنا هذا ، حيث يقول :

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها (٢) حصباء در على أرض من ذهب "

ويحكى المسعودى قصة اسراف ابراهيم بن المهدى (٣) :

" حدث ابراهيم بن المهدى قال : استزرت الرشيد بالرقة ، فزارنى ، وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد ، فلما وضعت البوارد ، رأى فيما قرب اليه منها جام قريص مثل قريص السمك ، فاستصغر القطع ، وقال : لم صغر طباخك بقطع السمك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين هذه ألسنة السمك قال : فيشبه أن يكون فى هذا الجام مائة لسان ؟ فقال مراقب خادمه : ياأمير المؤمنين ! فيها أكثر من مائة وخمسين ، فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك ، فأخبره أنه قام بأكثر من ألف درهم ، فرفع الرشيد يده وحلف أن لا يطعم شيئا دون أن يحضره ألف درهم ، فلما حضر المال أمر أن يتصدق به

---

(١) الفخرى : ٢٢٢

(٢) فقاقيع : جمع فقاعة : نفاخات تتفقع على الماء والشراب عند المزج بالماء
(انظر : ابن منظور : لسان العرب : ٨/٢٥٦)

(٣) مروج الذهب : ٣/٣٧٣

وقال : أرجو أن يكون كفارة لسرفك فى انفاقك على جام سمك ألف درهم ، ثم ناول الجام بعض خدمه وقال : اخرج من دار أخى ، ثم انظر أول سائل تراه فادفعه اليه . قال ابراهيم : وكان شراء الجام على الرشيد بمائتين وسبعين دينارا ، ففمزت بعض خدمى للخروج مع الخادم ، ليبتاع الجام ممن يصير اليه ، وفطن الرشيد ، فقال له : ياغلام اذا دفعته الى سائل ، فقل له : يقول لك أمير المؤمنين : احذر أن تبيعه بأقل من مائتى دينار ، فانه خير منها ، ففعل الخادم ذلك ، فوالله ما أمكن خادمى أن يخلصه من السائل الا بمائتى دينار .

ومؤاخذة الرشيد على هذا الاسراف أمر مستحسن ، ولكن ما تقتضيه الدعوة من المؤاخذة والنهى عن المنكر ، له شأن آخر ، وهل كان الرشيد نفسه بريئا من الاسراف والتبذير ؟ لو كان الأمر كذلك ، لما صدر من أخيه هذا الاسراف مع علمه به ، وان ما تقتضيه الدعوة هو تطابق القول بالعمل تطابقا حقيقيا .

وعلى كل حال ، الاسراف - سواء صدر من الخلفاء أو من رعاياهم - لا يلائم مبادئ الدعوة الاسلامية ، وقد حذر الله سبحانه وتعالى كل فرد من المجتمع الاسلامى من أن يقع فيه ، فقال : ((ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين)) (١)

وقد زعزع هذا الاسراف والبذخ كيان المجتمع الاسلامى فى ذلك العصر وضرب ضربة قاسية على مميزاته ، وخصوصا على مميزة مهمة منها ، ألا وهى : التوازن الاقتصادى ، اذ أن الخلفاء وحواشيهم ، ووزراءهم كانوا يسرفون ، وكان يتمتع باسرافهم المغنون والشعراء من غير سوغ شرعى فى الغالب وأما العامة فكانت تعيش حياة الكدح والتعب .

---

(١) سورة الاسراء : الآيتين : ٢٦ - ٢٧

وهناك يتساءل السائل : هذه العطايا الضخمة التي كان الخلفاء والولاة يبذلونها على المغنين والشعراء وغيرهم ، ماذا كان موردها ؟ والجواب : كان موردها بيت مال المسلمين (١) .

ولم يكن بيت المال الا أمانة الهية في يد الخليفة ، ليصرف منه فيما تقتضيه الدعوة الاسلامية ومصالح المسلمين - أين هؤلاء الخلفاء العباسيون ، من أولئك الخلفاء الراشدين - الذين كانوا يتقون الله حق تقاته في أموال المسلمين ، فلا يجبون درهما الا حل من حل ، ولا ينفقون الا في حل .

يقول أبو عثمان النهدي (٢) :

" كنت مع عتبة بن فرقد (٣) حين افتتح أذربيجان ، فصنع سفطين (٤) من خبيص ، وألبسهما الجلود واللبود ، ثم بعث الى عمر مع سحيم مولى عتبة ، فلما قدم عليه قال : ما الذي جئت به ؟ أذهب أم ورق ؟ وأمر به فكشف عنه ، فذاق الخبيص ، فقال : ان هذا لطيب أثر ، أكل المهاجرين أكل ، منعه شبعه ؟ قال : لا ، انما هو شيء خصك به ، فكتب اليه : من عبد الله عمر ، أمير المؤمنين الى عتبة بن فرقد ، أما بعد : فليس من كدك ولا كد أمك ولا كد أبيك . لا تأكل الا ما يشبع منه المسلمون في رحالهم " (٥) .

---

(١) انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٩/١٢٦ - ١٢٧

" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١٥٨ و ٣٠١

(٢) هو عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدي ، أسلم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره ، كان قائم الليل وصائم النهار ، وكان عريف قومه مات في سنة مائة من الهجرة - (انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٦/٢٧٧) .

(٣) هو عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب السلمي ، غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوتين ، ولاه عمر الموصل ، ونزل عتبة بعد فتح أذربيجان الكوفة ومات بها - (انظر : ابن الأثير : أسد الغابة : ٣/٥٦٧-٥٦٨ .

" : ابن حجر : الاصابة : ٢/٤٤٨)

(٤) السفط : وعاء كالجوالق أو ما يهيأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء والجمع :: اسفاط والخبيص : الحلواء المخبوصة -
(انظر : ابن منظور : لسان العرب : ٧/٢٠ و ٣١٥

(٥) البلاذري : فتوح البلدان : ٤٠٢ - ٤٠٣

وروى الامام مسلم (١) ـ رحمه الله ـ هذه الرواية عن أبى عثمان النهدى فقال :

" كتب الينا عمر ونحن بأذربيجان : ياعتبة بن فرقد انه ليس من كدك ، ولا كد أبيك ولا من كد أمك ، فأشبع المسلمين فى رحالهم مما تشبع منه فى رحلك ، واياكم والتنعم وزى أهل الشرك ، ولبوس الحرير ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبوس الحرير ، قال : الا هكذا ورفع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبعيه الوسطى والسبابة وضمهما "

ونستفيد من الجمع بين الروايتين بعضا من مميزات الدولة الدعوية ، فهى :

* ـ المساواة بين الامير والمأمورين فى كل حاجات الحياة حتى الأكل والشرب.
* ـ على الأمير تفقد أحوال المأمورين .
* ـ اجتناب الترف والاسراف فى التنعم .
* ـ اجتناب زى أهل الشرك كائنا ما كان .
* ـ الامتناع عن لبس الحرير الا بمقدار الاصبعين .

هذه نبذة من مميزات خلفاء الدولة الدعوية ، والذى انحرف ـ من الملوك والخلفاء ممن جاءوا بعدهم ـ عن مثل هذه المميزات ، لم يستطع أن يقود دولته على المنهج الدعوى المستقيم ، بل كان من الطبيعى أن تنحرف الدولة بقدر انحراف قائدها عن الجادة ، وتميل يمينا وشمالا مع ميلان رئيسها أو مليكها اليهما ، وفعلا حدث كذلك ، فالمدنية المترفة التى أحدثت فى الدولة العباسية داء الاسراف والتبذير ، أحدثت معها أمراض اللهو واللعب وشرب الخمور واستماع الأغانى وأمراضا أخرى ، ونذكر بعضا منها تحت العنوان التالى :

(ج) حياة اللهو :

كان قد تسرب اللهو واللعب فى حياة العامة والخاصة فى العصر العباسى الأول ، وكانت هناك عدة مظاهر اللهو رائجة فى الحياة الاجتماعية آنذاك ـ

---

(١) صحيح مسلم : ١٤/٤٥ ـ ٤٦

منها : سباق الخيل لهوا و تفاخرا أو قمارا ،فكانت خيول الخلفاء والوزراء تتسابق فى الميدان ،واذا سبق فرس الخليفة غيره ، ابتهجت أسارير وجهه ، وكلف الشاعر انشاد الشعر فيه ، واذا سبق فرسه غيره - لا قدر الله - لاحت آثار السخط والامتعاض ، حتى ارتعد حواشيه وسعوا فى ارضائه وتطييب نفسه .(١)

ذكر الكندى قصة فى سباق الخيل بمصر ، تدل على أحط منزلة سقطت اليها بعض القيم الانسانية وصل اليها بعض ممثلى المجتمع الاسلامى فى تلك الأيام ،فجماعة تعتدى على اختها التى كاد فرسها أن يدخل الغاية ، فتضرب وجه الفرس ، وبذلك يدخل فرس الجماعة المعتدية الغاية ،وتعتبر هى الفائزة بعد ما قدمت الى الحكم مالا جزيلا .(٢)

وكان من مظاهر اللهو : لعبة الشطرنج ولعبة النرد ، فقيل : ان الرشيد هو أول من لعب بالشطرنج والنرد ، وشجع هذه الألعاب وروجها ، بحيث جاء بالأشخاص الذين يجيدون هذه الألعاب وأعطاهم رواتب خطيرة ، كما يقال : انه هو الخليفة العباسى الأول الذى لعب بالصولجان فى الميدان ،(٣) ورمى بالنشاب فى البرجاس (٤) ،ولعب بالأكرة والطبطاب (٥) . وشجع المهرة فى هذه الألعاب ، وهكذا عمت هذه الألعاب فى الخواص والعوام .(٦)(٧)

---

(١) انظر : الجهشيارى : الوزراء والكتاب : ٢٠٧-٢٠٨
" : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٣٧٢
" : ابن عبد ربه : العقد الفريد : ١/١٦٦ - ١٧٢

(٢) " : الولاة والقضاة : ٤٠٢

(٣) الصولجان : عصا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب (لسان العرب : ٢/٣١٠)

(٤) النشاب : النبل ،السهام ، واحدته : النشابة (لسان العرب : ١/٧٥٧)

(٥) البرجاس : نوع من السرج المحشوة ،توضع على ظهور الدواب المقرونة المقودة بأرسنتها .

(٦) الطبطابة : خشبة عريضة يلعب بها الكرة (لسان العرب : ١/٥٥٦)

(٧) انظر : المسعودى : مروج الذهب : ٤/٣١٦

وكان من ملاهى عامة الناس تجمعهم عند القراد(١) بين والشموذين(٢) والحوائين(٣) ، يشاهدون محاكاة القردة العجيبة ، ويتعجبون على حركات الشموذيين ، المضحكة ، ويدهشون بحيات الحوائين ، كما كانوا يتفرجون على الحكائين الذين يحاكون أصوات الحيوانات المختلفة ، ولهجات من ينزل فى بغداد من أهل أقطار شاسعة ، من التجار والصناع وأهل الحرف ، كما يحاكون حركات الأعمى ويمثلون عن انفعالاته بغاية الدقة والمهارة ، ولا بأس لو ذكرنا ههنا ما صوره الجاحظ عما قلناه آنفا(٤) : فيقول :

" انا نجد الحاكية من الناس يحكى ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم ، لا يغادر من ذلك شيئا ، وكذلك تكون حكايته للخراسانى ، والأهوازى ، والزنجى ، والسندى ، والحبشى ، وغير ذلك ، نعم ، حتى نجده كأنه أطبع منهم ، فأما اذا حكى كلام الفأفأة ، فكأنما قد جمعت كل أطراف فى كل فأفأ فى الأرض ، فى لسان واحد ، كما أنك تجده يحكى الأعمى بصور ينشئها لوجهه وعينه وأعضائه ، لا تكاد تجد من الف أعمى واحدا يجمع ذلك كله ، فكأنه جمع جميع طرف حركات العميان فى أعمى واحد ، ولقد كان أبو دبوسة الزنجى ، مولى آل زياد ، يقف بباب الكرخ بحضرة المكارين فينهق(٥) ، فلا يبقى حمار مريض ، ولا هرم حسير ، ولا متعب بهير(٦) الا نهق ، وقيل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة ـــ

---

(١) القراد : سائس القرود (لسان العرب : ٣/٣٥٠)

(٢) الشموذة : خفة فى اليد وأخذ كالسحر يرى الشيء بغير ما عليه أصله فى رأى العين ، يقال : رجل مشموذ (انظر : لسان العرب : ٣/٤٩٥)

(٣) الحواء : الذى يجمع الحيات (لسان العرب : ١٤/٢٠٨) .

(٤) البيان والتبيين : ١ ٥

(٥) الحسير : من الدواب : مالا منفعة فيه (لسان العرب : ٤/١٨٩)

(٦) البهر : انقطاع النفس من الأعياء فهو : بهور وبهير - (لسان : ٤/٨٢)

فلا تنبعث لذلك ، ولا يتحرك منها متحرك ، حتى كان أبو دبوسة يحركه ، وكأنه قد جمع جميع الصور التي تجمع نهيق الحمار ، فجعلها في نهيق واحد ، وكذلك في نباح الكلاب ، ولذلك زعمت الأوائل أن الانسان انما قيل له : العالم الصغير ، سليل العالم الكبير . لأنه يصور بيده كل صورة ويحكي بفمه كل حكاية "

وكان من مظاهر اللهو للخلفاء شغفهم الشديد بالصيد ، فكانوا يخرجون للصيد ، ومعهم الحشم والخدم والمواكب ، وينفق على ذلك مالا كثيرا ، وذلك ما عدا ما يبذلونه أثناء صيدهم على من خدمهم بالطعام الطعام أو سقاية الماء والنبيذ ، أو بغناء جاريته ، كما كان بعضهم يطربون بالشراب والغناء بعد رجوعهم مباشرا من الصيد .(١)

وقد اختار بعضهم لهوا يستحيي الانسان من ذكره ، قيل : أن الأمين لعب مرة بالنرد ، ومعه وزيره الفضل بن الربيع ، فتراهنا في خاتميهما ، فغلب الأمين ، فأخذ من الفضل خاتمه ، ثم رده اليه بعد ما نحت عليه كلمة يتندى بذكرها جبين الحياء .(٢)

وكان في بلاطهم ندماء مضحكون ، ووظيفتهم أن يأتوا بفكاهات مضحكة وكان منهم : ابن أبي مريم مضحك الرشيد ، فكان لا يصبر عنه ، قيل : انه كان مع الرشيد في قصره ، فأيقظه الرشيد لصلاة الفجر ، فقام ، فتوضأ ، ثم أدرك الرشيد وهو يقرأ : ((ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون))

---

(١) انظر : الجهشياري : الوزراء والكتاب : ١٧٣
" : المسعودي : مروج الذهب : ٣/ ٣٢٠ - ٣٢١
" : الاصبهاني : الأغاني : ٧/ ١٥٨ - ١٥٩
١٤/ ٣٤٤ و ٤١٨ و ٤١٩ .
(٢) " : ابن الطقطقي : الفخري : ٤٥ ـ ٤٦

فقال : ابن أبي مريم : لا أدري والله ، فضحك الرشيد وقطع الصلاة ، ثم قال له : ويحك اجتنب الصلاة والقرآن ، وقل فيما عدا ذلك .

ويحكى عنه أضحوكه يستحيي القلم من كتابتها ، ولكن الرشيد كان يهلك من شدة الضحك وأمر له بمائة ألف درهم .(١)

والاسلام لا يرضى بمثل هذه الملاهي والمتارف ولايشجعها ، مع أنه لم يمنع المسلمين من اختيار أسباب المتعة والتسلية ، ولكن في اطار ما أحله الله تعالى ، واذا دخلت النزهة في حدود ما حرمه الله تعالى أصبحت ممنوعة ، وخصوصا اذا كان اللعب مما منعه الدين القيم وقد منع النبي صلى الله عليه وسلم من اللعب بالنرد شير فقال : ((من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه))(٢) - وحسب المسلم زاجرا عن اللهو واللعب غير المباحين قوله صلى الله عليه وسلم : ((من حسن اسلام المرأ تركه ما لا يعنيه))(٣)

وقد ذكر القرآن الكريم من صفات المؤمنين اعراضهم عن اللغو فقال : ((والذين عن اللغو معرضون))(٤)

والطامة الكبرى التي أصيبت بها الدولة العباسية هي : شرب الخمر واستماع الأغاني .

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٢١٤

(٢) رواه مسلم : ١٥/١٥

(٣) رواه الترمذي في كتاب الزهد : ٦٠٧/٦

(٤) سورة المؤمنون : الآية : ٣

فمما لا ريب فيه أن الاسلام حرم الخمر ، فقال الله تعالى في أمره النهائي بصدد الخمر : ((يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون))(١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كل شراب أسكر فهو حرام))(٢) —

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : ((لقد أنزل الله الآية التي حرم الله فيها الخمر ، وما بالمدينة شراب يشرب الا من تمر))(٣) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أقسم ربي عز وجل بعزته : لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من خمر الا سقيته مكانها من حميم جهنم معذبا أو مغفورا له ، ولا يسقيها صبيا صغيرا الا سقيته مكانها من حميم جهنم معذبا أو مغفورا له ، ولا يدعها عبد من عبيدي من مخافتي الا سقيتها اياه من حظيرة القدس))(٤)(٥)

وعلى الرغم مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم - وقد ذكرنا قليلا منه - تسربت أم الخبائث في بعض البيئات من المجتمع الاسلامي آنذاك ، وذلك استغلالا من الخلاف اللفظي الذي وقع بين الفقهاء في تعيين معنى الخمر ، ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله اشارة الى ذلك الخلاف :

" وروى عنه أنه صلى الله عليه وسلم رخص بعد هذا في الانتباذ في الأوعية وقال : " كنت نهيتكم عن الانتباذ في الأوعية ، فانتبذوا ، ولا تشربوا المسكر "

---

(١) سورة المائدة : الآيتين : ٩٠ - ٩١

(٢) رواه مسلم : ١٣ / ١٦٩

(٣) رواه مسلم : ١٣ / ١٥١

(٤) أراد بحظيرة القدس : الجنة (انظر : ابن الأثير : النهاية : ١ / ٤٠٤)

(٥) رواه الامام أحمد في مسنده : ٥ / ٢٥٧

فاختلف الصحابة ومن بعدهم من العلماء ، منهم من لم يبلغه النسخ أو لم يثبته ، فنهى عن الانتباذ فى الأوعية ، ومنهم من اعتقد ثبوته وأنه ناسخ ، فرخص فى الانتباذ فى الأوعية ، فسمع طائفة من الفقهاء أن بعض الصحابة كانوا يشربون النبيذ ، فاعتقدوا أنه المسكر فترخصوا فى شرب أنواع من الأشربة التى ليست من العنب والتمر ، وترخصوا فى المطبوخ من نبيذ التمر والزبيب اذا لم يسكر الشارب ، والصواب ما عليه جماهير المسلمين أن كل مسكر خمر))(١) فاستغلت الطبائع المترفة الخلاف بين الفقهاء وتأولت فى معنى الخمر وحلة النبيذ تأويلات غير صحيحة(٢) ، ودخل سيل شرب النبيذ - بغض النظر عن كونه مسكرا أو غير مسكر - فى بعض الأوساط من المجتمع الاسلامى .

أما الخلفاء ، فلم نجد خبرا عن شرب أبى العباس السفاح ولا عن شرب المنصور ، بل كان المنصور لا يأذن أن يشرب الخمر على مائدته كما ذكرنا ، أما المهدى ، فروى الطبرى أنه ما كان يشرب الخمر ، ولكن - كما زعمه الطبرى - امتناعه من شربه لم يكن احتراما للشريعة ، بل من أجل عدم رغبته فيه ، وندماؤه كانوا يشربون على مائدته وهو لا ينكر عليهم(٣) ، ويبدو مما يذهب غير واحد من المؤرخين الى أن الخلفاء الذين جاؤا بعد المهدى لم يسلم أحد منهم من شرب المسكر(٤) ، كما أن الشعراء فى ذلك العصر كانوا يقرضون الشعر فى الخمريات ، ونذكر هنا بعض أبيات أبى نواس ، منها ما قاله صبيحة اليوم الثانى لمجلس الأمين الذى سبق ذكره :

نبه نديمك قد نعس ... يسقيك كأسا فى الغلس
صرفا كأن شعاعها ... فى كف شاربها قبس

---

(١) السياسة الشرعية : ١١٥
(٢) انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٦/من ٣٣٤ الى ٣٧٣
(٣) " : تاريخ الرسل والملوك : ٨/١٦٠
(٤) " : الطبرى : المصدر نفسه : ٨/٢٢٢و٢٢٧و٦٦١و٦٦٤و٦٦٥ ٩/١٢٢و١٢٥و١٥٢و١٥٣
" : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٣٧٠و٤٠١ و٤٠٢
" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١٨٩و٢٤١ و٢٧٧

تذر الفتى وكأنما بلسانه منها خرس
يدعى فيرفع رأسه فاذا استقل به نكس (١)

ويصف مجلس الخمر فى مناسبة أخرى فيقول

ياطيبنا بقصور القنص (٢) مشرقة بها الدساكر والأنهار تطرد
لما أخذنا بها الصهباء صافية كأنها النار وسط الكأس تتقد
جاءتك من دن خمار بطينتها صفراء مثل شعاع الشمس ترتمد
وقام كالبدر مشدودا قراطقه (٣) ظبى يكاد من التهييف (٤) ينعقد
فسلها من فم الابريق فانبعثت مثل اللسان جرى واستمسك الجسد
فلم نزل فى صباح السبت نأخذ ها والليل يأخذنا حتى بدا الأحد
واستشرقت غرة الاثنين واضحة والجدى معترض والطالع الأسد
وفى الثلاثاء أعطانا المطى بها صهباء ما قرعتها بالمزاج يد
والأربعاء صفا فيه النعيم لنا والكأس يضحك فى حافاتها الزبد
ثم الخميس وصلناه بليلته قصفا وتم لنا بالجمعة العدد
ياحسننا وبحار القنص تفمرنا فى لجة الليل والأوتار تجتلد
فى مجلس حوله الأشجار محدقة وفى جوانبه الأطيار تفترد (٥)

---

(١) ابن المعتز : طبقات الشعراء : ٢١٠
(٢) القنص : بالضم ، قرية مشهورة بين بغداد وعكبراء ، كانت من مواطن اللهو ومعاهد النزهة وتنسب اليها الخمور الجيدة والحانات الكثيرة . (انظر : الحموى : معجم البلدان : ٤/٣٨٢) .
(٣) قراطق : جمع قرطق : قباء ، وهى تعريب : كرته (انظر : ابن الأثير : النهاية : ٤/٤٢) .
(٤) التهييف : شدة العطش ، يقال : هاف ، واستهاف : اصابته الهيف أى السموم فعطش (لسان العرب : ٩/٣٥١) .
(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٦/٤٢٠

وكان من واجب المسئولين - وخصوصا الخلفاء - أن يقيموا الحدود على شاربى الخمر ، ويعزروا واصفيه وصفا يحرض النفس على شربه ، والعياذ بالله ، وان كان بعض العمال ينفذون حدود الله على شاربى الخمر ، كما قيل ان الخليفة تشدد على أبى نواس فى شرب الخمر وحبسه حبسا طويلا .(١)

ولكن رأينا تساهل بعض الخلفاء فى اقامة الحدود ، وها هو ابن عبد ربه يذكر قصة يلوح فيها مدى تساهل المهدى واحتياله فى اقامة حدود الله ، قال :(٢)

" ومنهم (اى ممن شهر بالشراب) ابراهيم بن هرمة ، وكان مغرما بالشراب ، وحده عليه جماعة من عمال المدينة ، فلما ألحوا عليه وضاق ذرعه بهم ، دخل الى المهدى بشعره الذى يقول فيه :

له لحظات عن حفافى سريره ... اذا كرها فيها عقاب ونائل

لهم طينة بيضاء من آل هاشم ... اذا اسودّ من لؤم التراب القبائل

اذا أتى شيئا مضى كالذى أتى ... وان قال انى فاعل فهو فاعل

فأعجب المهدى بشعره ، وقال له : سل حاجتك - ؟ قال : تأمرلى بكتاب عامل المدينة ، أن لا يحدنى على الشراب . فقال : ويلك ، كيف نأمر بذلك - ؟ لو سألتنى عزل عامل المدينة ، وتوليتك مكانه لفعلت . قال : ياأمير المؤمنين لو عزلت عامل المدينة ، وليتنى مكانه ، أما كنت تعزلنى أيضا وتولى غيرى ؟ قال : بلى قال : فكنت أرجع الى سيرتى الأولى .

فقال المهدى لوزرائه : ما تقولون فى حاجة ابن هرمة وما عندكم فيها من التلطف - ؟ قالوا : ياأمير المؤمنين انه يطلب مالا سبيل اليه أسقاط حد من حدود الله ! قال المهدى : ان عندى له حيلة

---

(١) انظر : المبرد : الكامل فى الآدب : ٢/١٠٨

(٢) العقد الفريد : ٦/٣٥١

اذا أعيتكم الحيل فيه ،اكتبوا الى عامل المدينة : من أتاك بابن هرمة سكران فيضرب ابن هرمة ثمانين ويضرب الذى يأتيك به مائة . فكان ابن هرمة اذا مشى فى أزقة المدينة يقول : من يشترى مائة بثمانين ؟

وهناك قصة للرشيد

" انه سمع ليلة رجلا يغنى :

ان كانت الخمر قد عزت وقد ضمنت ... وحال من دونها الاسلام والحرج

فقد أبا كرها صرفا وأشربها ... أشفى بها غلتى صرفا وأمتزج

وقد تقوم على رأسى مغنية ... لها اذا رجعت فى صوتها غنج

وترفع الصوت أحيانا وتخفضه ... كما يطن ذباب الروضة الهزج

فوجه فى أثر الصوت من جاءه بالرجل وهو يرعد ،فقال : لا ترع ، فانما أعجبنى حسن صوتك ، فقال : والله ياأمير المؤمنين ما تغنيت بهذا الشعر الا وأنا قد تبت من شرب النبيذ ، وهذا الشعر ، يقوله الأقيشر فى توبته من النبيذ . فقال له الرشيد : وما حملك على تركه؟ قال : خشية الله ، وانى فيه ياأمير المؤمنين ، كما قال زيد بن ظبيان :

جاءوا بقافزة(١) صفراء مترعة(٢) ... هل بين ذى كبرة والخمر من نسب

بئس الشراب شرابا حين تشربه ... يوهى العظام وطورا مفتر العصب

انى أخاف عليكى أن يعذبنى ... وفى العشيرة أن يزرى على حسبى

فقال له الرشيد : أنت وما أخترت لأنفسك ،فأعد الصوت ،فأعاده ، وأمر باحضار المغنين واستعاده ،(٣) وأمرهم بأخذه عنه ، ووصله ، وانصرف ، وكان صوت الرشيد أياما "

---

(١) القافزة : جمعها : قواقيز : أوان يشرب بها الخمر (لسان العرب: ٥/٣٩٦) -

(٢) ذى كبرة : الرجل (لسان : ٥/١٣١)

(٣) الأصبهانى : الأغانى : ١١/٢٧٣ - ٢٧٤

هذه القصة - ان صحت ، وارجو ألا تصح - تثير استغراب القارئ بأن مسئولا كبيرا فى الدولة الاسلامية ، يسمع أبياتا فيها ذكر شرب الخمر واستماع الأغانى ، ولا يثور ثورته الدينية وغيرته الاسلامية ، وبدلا من أن يقيم عليه الحد أو يعزره تعزيرا ، يصله بالجائزة ، ويختار تلك الأبيات غناء يستمعه هو بنفسه — وكتب الأدب والشعر ، التى تهتم - فى غالب محتوياتها - بذكر النواحى المتنوعة عن الحياة الاجتماعية ، تذكر قصصا نستغفر بها ونرجو ألا تكون صحيحة ، فهى تقدح فى الخلفاء ، ولا شك أن مثل هذه الأمور - ان صحت - هى التى أفسدت المجتمع الاسلامى آنذاك ، والثلمة التى حدثت بذلك فى كيان المجتمع الاسلامى الدعوى ، لم ترقع بعد ، بل اتسعت بمرور الأيام ولياليها ، وظلت الأمة تتحمل وزرها وسوء نتائجها .

ومن أهم مقتضيات الخمر والشراب : الغناء والرقص ، فتوغلا فى جوانب المجتمع ، وانتشر الغناء انتشارا عظيما ، بحيث كان المغنون يحكمون على قلوب العامة والخاصة ومشاعرهم ، الا من وفقهم الله سبحانه وتعالى ، فقيل انه لو غنى مغن على الجسر ، التف حوله جمع كبير حتى خيف سقوط الجسر من أجل كثرة الزحام (١) .

وكانت الخاصة تتمتع باستماع الأغانى من القيان المثقفات بفنون الأدب وتتلذذ بمنظرهن البهيج وظلالهن الشير ، ومن أجل ذلك بدأ النخاسون يعلمون الجوارى الأغانى والرقص ، ويبيعهن للخلفاء والأمراء والأثرياء بأثمان غالية (٢) ، قيل : ان الأمين اشترى جارية مغنية بعشرين مليون درهم ، واشترى المأمون جارية مغنية بمائة ألف درهم (٣) —

---

(١) انظر : الأصبهانى : الأغانى . (الساسى) ١٢٧/١٨

(٢) " : " : " " ١٣٨/١٥

(٣) " : " : " " ١٨٢/١٨

كما اشترى صالح بن على مغنية بتسعين ألف درهم ، واشترى جعفر بن سليمان بن على جاريتين مغنيتين بمائتى ألف درهم (١) ، وقيل : ان المهدى اشترى - وهو ولى عهد المنصور - جارية مغنية بسبعة عشر ألف دينار (٢) ، وأخرى بمائة ألف درهم (٣) ، كما اشترى الرشيد جارية بمائة ألف دينار (٤) .

وذكرنا نموذجا صغيرا من تلك الأثمان الغالية التى رفعت منزلة الجوارى المغنيات فى ذلك المجتمع ، واللائى كثرن فى قصور بعض الخلفاء ومن اقتدى بهم من ذوى اليسار ، وفى خارج هذه القصور والصروح ، كان قد تكفل بعض الناس "خدمة العامة" بصدد اللهو والغناء ، فكان بالكوفة رجل يسمى بعبد الملك بن رامين ، كان يستقدم الجوارى المغنيات من الحجاز ، كان فرجلا قصافا ، عنده دار واسعة ، يقصدها أصناف من الناس وفيهم الشعراء والأدباء ويتفرجون عنده باستماع أغانى القيان وبشرب النبيذ .

ومن جهة أخرى حظى المغنون بمكانة كبيرة عند الخلفاء ، وكانوا ينالون منهم ومن وزرائهم جوائز ثمينة وعطايا ضخمة ، كما كانوا يصرفون بأنفسهم مئات من الدراهم على تمهئة الأصوات ، وكذلك كانوا يسرقون ألحان بعضهم وأصواتهم (٥) ، ويزعج بعضهم بعضا بهذا الصدد -

---

(١) انظر : الاصبهانى : الأغانى : ١٥/٦٢

(٢) " : " : " : ١٥/٢٧-٢٩

(٣) " : " : " : ١٠/٩٦ و ١٦٢

(٤) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٣٠١

(٥) " تفصيل هذه الملاهى فى مجلدات الأغانى وعلى سبيل المثال :
انظر : ٦/٢٩١ وما بعدها
: ١٠/٤٨ وما بعدها
: ١١/٢٨٦ وما بعدها
: ١٣/٣٠٠ " "
: ١٤/١٥٤ " "
: ١٥/٥٨ " "

هذا لون من ألوان الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى الأول ،لون الغناء والموسيقى ، لون اللهو والزهو ، اللون الذى زعزع كيان المجتمع الدعوى ، وتأثر بذلك جميع ميزات المجتمع المثالية تأثرا ذا نواح مختلفة ،حيث لم يستطع ذلك المجتمع أن يؤثر على المجتمعات المعاصرة الكافرة تأثيرا له قيمة تذكر فى التاريخ ،كما كان شأن المجتمع الاسلامى فى الدولة النبوية والراشدية ، كأن المسئولين كانوا قد غضوا أبصارهم على مؤاخذة المشتغلين بهذه الملاهى وكأنهم لم يصل اليهم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الصدد ، فما قاله صلى الله عليه وسلم بصدد الغناء :

* قال : ((ان الله عز وجل بعثنى رحمة وهدى للعالمين ، وأمرنى أن أمحق المزامير والكفارات - يعنى البرابط - والمعازف ،والأوثان التى كانت تعبد فى الجاهلية))(١) .

* قال : (ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الخز والحرير ، والخمر ، والمعازف .(٢)

* قال عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" الغناء ينبت النفاق فى القلب "(٣)

* قال نافع مولى ابن عمر - رضى الله عنهما -: سمع ابن عمر مزمارا ، فوضع اصبعيه على أذنيه ونأى عن الطريق ، وقال لى :يانافع هل تسمع شيئا ؟ قلت : لا ،قال : فرفع أصبعيه من أذنيه وقال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فسمع مثل هذا ، فصنع مثل هذا "(٤)

---

(١) رواه الامام أحمد فى مسنده : ٥/٢٥٧

(٢) رواه البخارى فى كتاب الأشربة : ١٠/٥١

(٣) رواه أبو داود فى كتاب الادب : ٥/٢٢٣

(٤) رواه أبو داود فى كتاب الأدب : ٥/٢٢٢

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ، ولا تعلموهن ، ولا خير في تجارة فيهن ، وثمنهن حرام))(١)

ويزداد عجبنا واستغرابنا ، عندما نقرأ أخبارا تذكر اشتغال بعض من الخلفاء في هذه الملاهي ، وبعض أعضاء الأسرة الحاكمة ، بحيث نال بعضهم مكانة مرموقة في هذا الباب ، فكما قال السيوطي : ان الواثق كان من الذين اخترعوا الأصوات وكان حاذقا بضرب العود(٢) ، واما ابراهيم بن المهدي ، فمعروف انه صاحب مذهب في الغناء والموسيقى ، وكان يعتبر من أعلم الناس بالنغم والوتر والايقاعات ، وأطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتا ، وكانت أخته علية بنت المهدي مغنية كبيرة ، وكان الناس يقولون : لم ير في جاهلية ولا في اسلام أخ وأخت أحسن غناء من ابراهيم بن المهدي وأخته علية(٣) .

وكذلك لم يزل يصادف المجتمع الاسلامي آنذاك مرضا خطيرا - ومع الأسف الشديد لم تزل تزداد شدة هذا المرض في العصور المتأخرة - وهو الجمع بين الفسق والتدين ، فهؤلاء المغنون الذين كانوا ينالون جوائز ثمينة من الخلفاء والأثرياء وغيرهم ، كان لا يظهر من زيهم وحالهم أنهم احترفوا مهنة يعيبها الاسلام ، بل ينهى عنها ، فكما قيل : ان المغني اسماعيل بن جامع كان حفظ القرآن الكريم ، وكان يعرف علوم الفقه والحديث ، ولكنه انغمس في الغناء ، ومع ذلك كان يلبس لباس الفقهاء ، فانخدع القاضي أبو يوسف مرة من لباسه ، التقيا على باب الرشيد ، فذاكره أبو يوسف في الفقه والحديث ، وأعجب بما أجاب فيهما ، ثم ظهر عليه أنه مغن فتجنب عنه(٤) ، وقيل : انه كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة ، فيصلي الصبح ، ويجلس في المسجد ، ثم لا يصلي الناس الجمعة الا وهو قد ختم القرآن -

---

(١) رواه الترمذي ٤/٥٠٣

(٢) انظر : تاريخ الخلفاء : ٣٤٣

(٣) انظر : الأصبهاني : الأغاني : ١٠/٦٩ و ٩٦

(٤) " " : " : ٦/٢٩٢

وكان كثير الصلاة ، وقد أخذ السجود جبهته (١) ، ومن جهة أخرى هو يغنى أمام الرشيد ، فيخطىء فى أقسام الصوت من أجل سكرته من النبيذ ، فينبهه ابراهيم ابن المهدى (٢) ، وكذلك حكى ابن عبد ربه قصة طويلة لاسحاق بن ابراهيم الموصلى المغنى المعروف ، بأنه كان يخرج من مجلس المأمون ، ويبيت عند امرأة أجنبية ، يشرب معها ، ويتجاذبان طرف الحديث ، ثم ينصرف الى بيته ، ويصلى صلاة الفجر ، وينام قليلا ، ثم يحضر مجلس المأمون (٣) ، فكأنهم اعتقدوا أن العبادة لله ، وامتثال أوامر الله واجب حقا ، فيؤدون منها ما استطاعوا من بأسا فى نحو ولا يرون أن يشتغلوا بأمور نهى عنها الاسلام من نحو آخر .

ولقد عبر الشاعر أبو نواس عن هذه النفسية الفاسدة تعبيرا دقيقا ، فقال :

اصلى الصلاة الخمس فى حين وقتها ... وأشهد بالتوحيد لله خاضعا

وأحسن غسلى ان ركبت جنابة ... وان جائنى المسكين لم أك مانعا

وانى وان حانت من الكأس دعوة ... الى بهمة الساقى أجبت مسارعا

وأشربها صرفا على جنب ماعز ... وجدى كثير الشحم أصبح راضعا

وجونذاب (٤) حوارى ولوز وسكر ... وما زال للخمار ذلك نافعا (٥)

---

(١) انظر : الأصبهانى : الأغانى : ٦/٢٩١

(٢) " : " : " : ٦/٢٩٧

(٣) اقرأ القصة بطولها فى العقد الفريد : ٦/٤٥٦ - ٤٧٠

(٤) الجرنذاب : طعام يصنع بسكر وأرز ولحم (لسان العرب : ١/٢٥٩)
الحوارى : الدقيق الأبيض ، وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه .
(لسان العرب : ٤/٢٢٠)

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ١٠/٢٣١

وهكذا حدث نفاق عملى - من شعور أو غير شعور - فى المجتمع الاسلامى ولم يشعر هؤلاء أن الاستمرار على ارتكاب المعاصى يأكل روح ما يؤدونه من العبادات وغيرها فى الحقيقة ، ولا يترك أخيرا الا قشرها فحسب ، وقد حدثت هذه المأساة فعلا فى العصور المتأخرة ، ونشأ فى بعض البيوتات المسلمة جيل أضاعوا الصلاة ، بل استخفوها ، وهل من مصيبة أجل منها ؟

ولا شك أن هذا المرض خطير جدا ، ولم يحدث فى العصر العباسى الأول خاصة ، كما أنه لم يكن يخص طبقة المغنين فقط ، اذ كان قد تسرب فى طبقات أخرى من المجتمع ، الا من صانهم الله تعالى - بل انه كان مرضا مزمنا حدث عند بداية الانحراف عن الجادة الدعوية ، ولا نعدو الحق لو قلنا : ان الانحراف لم يبدأ الا من شؤم هذا المرض ، واستمر الى عهدنا ، ونعتقد أنه لا يستقيم الأمر الا اذا شعر كل فرد من المجتمع الاسلامى - أو أغلبيته - مسئوليته الحقيقية الحرجة وصمم على أن يعالج نفسه أولا ، علاجا ، جادا مستمرا ، متمسكا بالكتاب والسنة ، ثم لا يزال يفر من هذا المرض كفراره من الأسد .

على كل حال ، لم نستقص ، ولم نستوعب ذكر الخمريات ، والغنائيات ، وقصص الخلاعة والمجون فى العصر العباسى الأول ، ولا نرغب فيه ، فهناك وقائع وحوادث كثيرة ، عنيت بذكرها كتب الآدب العربى ودواوين الشعر ، اذ أن لها صلة وشيجة بالحياة الاجتماعية .

كما لم نقصد بما ذكرناه : أن ننقص من قدر الخلفاء والولاة فى ذلك العصر بل نعترف - وهذا واجب - بأنه كانت لهم فضائل كثيرة جدا ، والمقارنة بينهم وبين كثير من ملوك ورؤساء الدول الاسلامية ، الذين جاؤا بعدهم

تثبت لهم الفضل الكبير بالجملة ،كما لم نرد أن نذهب الى أن ذلك العصر كان عصر الخلاعة والمجون .

ولا ننكر الكثير مما جاء فى كتب الادب التى لا يخلوا الكثير منها من الوضع والكذب والمبالغة .

وهل نستطيع أن ننسى كتب التاريخ والحديث ،وكتب التراجم والأخلاق ، التى تذكر أخبار العصر العباسى الأول ،وفيها ما يذكرنا الأيام السالفة الدعوية ـ؟ فمن قال : ان ذلك العصر كان عصر الخلاعة والمجون ، ظلم نفسه وظلم التاريخ الاسلامى ـ وما وصل الينا من الأخبار التى تحكى الخلاعة والمجون ، فهى تحكى ـ ان صحت ـ جانبا من جوانب المجتمع الاسلامى آنذاك .

ومن أجل ذلك انتقدنا هذه الناحية التى لا تليق بالمجتمع الاسلامى الدعوى ، وما أردنا باستعراضنا هذه الناحية ،الا أن ندل على الأسباب التى أبعدت الدولة فى هذا العصر عن وظيفتها الدعوية ، الطبيعية الخالصة .

فأصل هذه الأخبار التى تدل على هذه الأسباب ، قد حدثت حقا فى تاريخنا الاسلامى ،وبستعظم تقصير الخلفاء والحكام فى الدولة العباسية فى عصرها الأول بهذا الصدد ،اذ أنها كانت فى خير القرون ، ولم يبعد عهدها كثيرا عن الدولة النبوية والراشدية الدعويتين ، كما أن الخلفاء كانوا من بنى هاشم ، من الأسرة النبوية ،فكانت مسئوليتهم كبيرة وضخمة بالنسبة الى مسئولية غيرهم ،فى أن يحافظوا محافظة تامة حذرة على تراثهم الحقيقى من محمد بن عبد الله الهاشمى صلى الله عليه وسلم .

وهم عندما كانوا يسعون للوصول الى منصة الحكم ،كانوا يتذرعون بأنهم يطلبون لاقامة دين الله ،فيعتبر تقصيرهم فى هذا الباب تقصيرا كبيرا جدا ـ هذا ،وهناك جوانب مشرقة للمجتمع الاسلامى فى ذلك العصر ،وتدل على عدم تخلى الدولة عن الدعوة تخليا نهائيا ،ونذكر بعضا منها فى المبحث التالى :

المبحث الثالث

لم تتخل الدولة العباسية عن الدعوة تخليا نهائيا :

* * * *

استعرضنا في المباحث السابقة انحراف الدولة العباسية في عصرها الأول عن جادة الدعوة ، وذلك أحد جوانب هذه الدولة الاسلامية ، ولكن الدولة لم تنفك عن الدعوة كليا ولم تتخل عنها ، فهي وان كانت قد انحرفت عن الجادة الدعوية الانحراف الذي ذكرناه سابقا ، فانها خدمت الدعوة بامكانياتها خدمات لا يستهان بقيمتها ، ونريد أن نذكر بعض نواح دعوية للدولة العباسية في عصرها الأول ونلخصها تحت العنوانات التالية :

أ - ملامح من تدين الخلفاء

ب - تطبيق الشريعة الاسلامية .

ج - الصبغة العامة الاسلامية

أ - ملامح تدين الخلفاء :

ان خلفاء الدولة العباسية في عصرها الأول ، وان كان قد تسرب في شخصياتهم نوع من الانحراف عن تلك الخصائص الدقيقة ، والمناقب الفذة التي تقتضيها الدولة الدعوية في رؤسائها ورجالها ، ولكنهم لم يكونوا خاليين من السمات الدعوية كليا ، وقد سجل التاريخ وقائع كثيرة تحدث عن غيرتهم الاسلامية ، وميولهم الدينية ، فكانوا يتأثرون كثيرا بنصيحة النصحاء ومواعظ العلماء والزهاد ، وتارة يحاولون التكفير عما صدر منهم من الانحرافات .

ونذكر فيما يلي بعضا من تلك الوقائع :

(١)

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

" وكان المنصور في أول النهار يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والولايات والعزل ، والنظر في مصالح العامة

---

(١) البداية والنهاية : ١٠/١٢٥

فاذا صلى الظهر، دخل منزله واستراح الى العصر ، فاذا صلاها ، جلس لأهل بيته ونظر فى مصالحهم الخاصة ،فاذا صلى العشاء نظر فى الكتب والرسائل الواردة من الآفاق ، وجلس عنده من يسامره الى ثلث الليل ، ثم يقوم الى أهله فينام فى فراشه الى الثلث الآخر ،فيقوم الى وضوئه وصلاته حتى ينفجر الصباح ، ثم يخرج فيصلى بالناس ، ثم يدخل فيجلس فى ايوانه . وقد ولى بعض العمال على بلد ،فبلغه أنه قد تصدى للصيد وأعد لذلك كلابا وبزاة ، فكتب اليه : ثكلتك أمك وعشيرتك ،ويحك انا انما استكفيناك واستعملناك على أمور المسلمين ، ولم نستكفك أمور الوحوش فى البرارى ، فسلم ما تلى من عملنا الى فلان ،والحق بأهلك ملوما مدحورا"

ويحكى ابن قتيبة الدينورى (١) :

" وذكروا أن أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين ،لما حج ودخل الطواف بالبيت الحرام ، أمر بالناس ، فتحوا عن البيت ، ثم طاف اسبوعه فوثب اليه عبدالله بن مرزوق (٢) وقال : من جرأك على هذا ـ؟ فلببه بردائه وهزه ، ثم قال له : من جعلك أحق بهذا البيت من الناس ، تحول بينه وبينهم ، وتنحيتهم عنه ـ؟ فنظر أبو جعفر فى وجهه ، فعرفه فقال : عبدالله بن مرزوق ـ؟ قال نعم فقال : من جرأك على هذا ـ؟ ومن أقدمك عليه ـ؟ فقال عبدالله بن مرزوق : وما تصنع بى ـ؟ بيدك ضر أو نفع ؟ والله ما أخاف ضرك ولا أرجو نفعك ،حتى يكون الله عز وجل يأذن لك فيه ، ويلهمك الى فعله .

فقال له أبو جعفر : انك أحللت بنفسك وأهلكتها ـ فقال عبدالله بن مرزوق : اللهم ان كان بعد أبى جعفر ضرى فلا تدع من الضر شيئا

---

(١) الامامة والسياسة : ١٤٧/٢

(٢) هو أبو محمد عبدالله بن مرزوق ،أحد من الصوفية (انظر :ابن الجوزى صفة الصفوة : ٣١٧/٢)

الا أنزلته عليّ ، وان كان بيده منفعتي ،فاقطع عني كل منفعة منه ، أنت يارب ، بيدك كل شيء ،وليك كل شيء .

فأمر به أبو جعفر ، فحمل الى بغداد ،فسجنه بها ،وكان يسجنه بالنهار ، ويبعث اليه بالليل ، يبيت عنده ويسامره ،يلبث نهاره أجمع بالسجن ، ثم يسامره بالليل ، ليظهر للناس أنه سجن أول من اعترض عليه ، لئلا يجرىء الجاهل فيقول : قد وسع عفو أمير المؤمنين فلانا ، أفلا يسعني ـ؟ فكان دأبه هذا معه زمانا طويلا ،حتى نسي أمره وانقطع خبره .

ثم خلى سبيله فلحق بمكة فلم يزل بها حتى مات أبو جعفر ،وولي ابنه المهدي ، فلما حج المهدي ، فعل مثل ذلك ، ففعل عبدالله بن مرزوق مثل ذلك أيضا ،فأراد قتله ،فقيل له : يا أمير المؤمنين انه قد فعل هذا بأبيك فكان من صنيعه أن حمله الى بغداد ،فسجنه بالنهار ، وسامره بالليل وأنت أحق من أخذ بهديه واحتذى على مثاله ، وورث اكرومانه ، فحمله المهدي معه ، فمات ببغداد . رحمه الله "

وكان المهدي أشد الخلفاء العباسيين على الزنادقة ، وعين لذلك محتسبين يسمون " بأصحاب الزنادقة " وكان وظيفتهم طلب الزنادقة وقتلهم وصلبهم .(١)

يقول المسعودي :(٢)

" وأمعن (اي المهدي) في قتل الملحدين والمداهنين عن الدين لظهورهم في أيامه ، واعلانهم باعتقاداتهم في خلافته ـــــ

---

(١) انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٨/١٤٨ و ١٦٣ و ١٦٧

(٢) مروج الذهب : ٤/٣١٥

(١) (٢) (٣)
لما انتشر من كتب مانى ، وابن ديصان ومرقيون ، مما نقله عبدالله بن المقفع وغيره ، وترجمت من الفارسية والفهلوية الى العربية ، وما صنفه فى ذلك ابن أبى العرجاء وحماد عجرد ، ويحيى بن زياد ، ومطيع بن اياس ، من تأييد المذاهب المانية والديصانية(٤) والمرقيونية(٥) ـ

---

(١) هو مانى بن فاتك ، الحكيم الذى ظهر فى زمان ملك ساسان سابور أردشير (٢٤١ - ٢٧٢م) ، وقتله الملك بهرام بن هرمز بن سابور (٢٧٣ - ٢٧٦م) أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقول بنبوة عيسى عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام ، كان يزعم : أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين : أحدهما : نور والآخر ظلمة ، وانهما ازليان لم يزالا ، ولن يزالا . (شهرستانى : الملل والنحل: ١/ ٢٢٤)

(٢) ابن ديصان (١٥٤ - ٢٢٢م) فيلسوف سريانى من أصل فرتى ، يعرف باسمه السريانى ابردیصان (Bardesane.) درس الفلك والتنجيم كان من أنصار الثنوية ، القائلين بمبدأ النور والظلام والخير والشر (فرديتان توتل : المنجد فى الأدب والعلوم: ٢٠٥)

(٣) مرقيون (Marcion.) فيلسوف نشر فى مصر والشام وفارس تعاليم آل آمرها الى مذهب مانى ، قال : ان الانسان من خلقة النهين أحدهما صالح والآخر شرير. مات فى سنة ١٥٠م (فرديتان توتل : المصدر السابق : ٤٩٢)

(٤) الديصانية : أصحاب ديصان ، أثبتوا أصلين : نورا وظلاما ، فالنور يفعل الخير قصدا واختيارا ، والظلام يفعل الشر طبعا واضطرارا - (شهرستانى : المصدر السابق: ١/ ٢٣٠)

(٥) المرقيونية : أصحاب مرقيون ، أثبتوا أصلين قديمين متضادين ، أحدهما النور والثانى الظلمة ، وأثبتوا اصلا ثالثا ، هو : المعدل الجامع وهو سبب المزاج ، فان المتنافرين المتضادين لا يمتزجان الا بجامع ، وان الجامع دون النور فى المرتبة وفوق الظلمة ، وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم .
(شهرستانى : المصدر السابق : ١/ ٢٣٢)

فكثر بذلك الزنادقة وظهرت آراؤهم فى الناس ، وكان المهدى أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم ، وأقاموا البراهين على المعاندين ، وأزالوا شبه الملحدين ، فأوضحوا الحق للشاكين وشرع فى بناء المسجد الحرام ومسجد النبى صلى الله عليه وسلم على ما هما عليه الى هذه الغاية ، وبنى بيت المقدس ، وقد كان هدمته الزلازل ".

ويحكى الطبرى(١) عن وصية المهدى لابنه الهادى ، فقال المهدى فيها :

" يابنى ان صار لك هذا الأمر ، فتجرد لهذه العصابة - يعنى الزنادقة(٢) من أصحاب مانى - فانها فرقة تدعو الناس الى ظاهر حسن ، كاجتناب الفواحش والزهد فى الدنيا ، والعمل للآخرة ، ثم تخرجها الى تحريم اللحم ، ومس الماء الطهور ، وقتل الهوام تحرجا وتحوبا ، ثم تخرجها من هذا الى عبادة اثنين : أحدهما النور ، والآخر الظلمة —

---

(١) تاريخ الرسل والملوك : ٨/٢٢٠

(٢) وقد فرض مانى على أصحابه العشر فى الأموال كلها ، والصلوات الأربع فى اليوم والليلة ، والدعاء الى الحق ، وترك الكذب ، والقتل ، والسرقة ، والزنا والبخل ، والسحر ، وعبادة الأوثان ، وأن يأتى على ذى روح ما يكره أن يؤتى اليه بمثله ، واعتقاده فى الشرائع والأنبياء ، أن أول من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة : آدم أبو البشر ، ثم بعث بعده شيثا بعده ، ثم نوحا بعده ثم ابراهيم بعده عليهم الصلاة والسلام ، ثم بعث الى الهند ، و " زردشت " الى ارض فارس ، والمسيح كلمة الله وروحه الى أرض الروم والمغرب ، وبولس بعد المسيح اليهم . ثم يأتى خاتم النبيين الى أرض العرب —

(شهرستانى : الملل والنحل : ١/٢٢٨)

ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات ، والبنات ، والاغتسال بالبول ، وسرقة الأطفال من الطرق ،لتتقذهم من ضلال الظلمة الى هداية النور .

فارفع فيها الخشب ،وجرد فيها السيف ، وتقرب بأمرها الى الله لا شريك له ،فانى رأيت جدك العباس فى المنام قلدنى بسيفين وأمرنى بقتل أصحاب الاثنين "

وامتثل موسى الهادى أمر أبيه ،فشدد فى طلب الزنادقة فقتل جماعة منهم ، فيهم يزدان بن باذان ،كاتب يقطين ، وعلى بن يقطين الذى قيل فيه : انه حج ،فنظر الى الناس يطوفون حول البيت العتيق ، فقال : ما أشبههم الا ببقر تدوس فى البيدر[1] ، فاشتهر قوله بلسان الشاعر الملاء بن الحداد :

أيا أمين الله فى خلقه ... ووارث الكعبة والمنبر
ماذا ترى فى رجل كافر ... يشبه الكعبه بالبيدر
ويجعل الناس اذا ما سعوا ... حمرا تدوس البر فالدوسر[2]

فقتله موسى وصلبه[3] ، وقيل : ان موسى قال مرة : لئن عشت لأقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا أترك منها عينا تطرف ، وأمر أن يهيأ له ألف جذع ، ليصلب عليها هؤلاء الملحدين الاباحيين ولكن لم يف عمره ومات بعد شهرين من أمره هذا[4] .

---

(١) البيدر: الموضع الذى يداس فيه الطعام (لسان العرب : ٤/٥٠)
(٢) الدوسر : نبات كنبات الزرع وله سنبل وحب دقيق أسمر - (لسان العرب : ٤/٢٨٥)
(٣) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/١٩٠
(٤) " : الطبرى : المصدر نفسه : ٨/٢٢٠

وسلك الرشيد نفس مسلك أبيه وأخيه فى الزنادقة ، فيقول الحافظ ابن كثير رحمه الله - فى حوادث سنة مائة وسبعين : "وفيها تتبع الرشيد خلقا من الزنادقة فقتل منهم طائفة كثيرة"(١)

ويقول الطبرى فى حوادث سنة مائة وسبعين : "أمن الرشيد فى هذه السنة من كان هاربا أو مستخفيا ، غير نفر من الزنادقة ، منهم : يونس بن فروة ويزيد بن الفيض"(٢)

وبلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ، ممن يذهب الى قول مانى ، ويقول بالنور والظلمة من أهل البصرة ، فأمر بحملهم اليه بعد ما سموا واحد واحدا ، فلما وصلوا الى بغداد ، وأدخلوا على المأمون ، جعل يدعوهم بأسمائهم رجلا رجلا ، فيسأله عن مذهبه ؟ فيخبره بالاسلام ، فيمتحنه ويدعوه الى البراءة من مانى ، ويظهر له صورته ويأمره أن يتفل عليها والبراءة منها ، كما يأمره بذبح طائر ما ، وهو الدراج وهو طائر مقدس عند الزنادقة ، فأبى كل واحد منهم ، فقتلهم(٣) .

ويبدو من وصية المهدى لابنه ، فطانته ووعيه فى ادراك خطر الزندقة التى تلبس لباس الزهد والورع فى بداية أمرها خدعة وريا ، ثم تصب على كيان المجتمع الاسلامى - سالا - الخلاعة والمجون ، والاباحية والوقاحة ، فكان تشدد الخلفاء وعنفهم على هذه الطائفة الكافرة ، من أهم مقتضيات الدعوة ، ومن أدق شعائر الدولة الدعوية ، وبالمقابل فقد قاموا بنفس العنف والحماسة فى وجه تلك الانحرافات التى كانت تزعزع كيان المجتمع الاسلامى -

---

(١) انظر : البداية والنهاية : ١٠/ ١٦١

(٢) " : تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٢٣٤

(٣) " : المسعودى مروج الذهب ٤/ ٩-١٠

اذن لاستطاعوا أن يحفظوا على الأمة أصالة شخصيتها كأمة ذات دعوة ، ولاستطاعوا أيضا أن يحفظوا على دولتهم الكثير الكثير من مقوماتها الاسلامية الطبيعية ، وعندئذ كان من الممكن أن تكون - في غالب الظن - تلك الدولة الدعوية المنشودة التي ترث عن العهد النبوي والعهد الراشدي أكرم ميراث وأفضله ، ألا وهو الدين والدعوة اليه .

على كل ، ففي سياق عرضنا لحسنات هؤلاء الخلفاء ، ننقل ما أورده ابن قتيبة الدينوري في الرشيد ، قال :(١)

" وذكروا أن الرشيد كان كثيرا ما يتثلم ، فيحضر مجالس العلماء بالعراق وهو لا يعرف ، وكان قد قسم الأيام والليالي على سبع ليال ، فليلة للوزراء ، يذاكرهم في أمور الناس ويشاورهم في المهم منها . وليلة للكتاب ، يحمل عليهم الدواوين ويحاسبهم عما لزم من أموال المسلمين ، ويرتب لهم ما ظهر من صلاح أمور المسلمين . وليلة للقواد وأمراء الأجناد ، يذاكرهم أمر الأمصار ، ويسألهم عن الأخبار ، ويوقفهم على ما تبين له من صلاح الكور وسد الثغور . وليلة للعلماء والفقهاء ، يذاكرهم العلم ويدارسهم الفقه ، وكان من أعلمهم . وليلة للقراء والعباد ، يتصفح وجوههم ، ويتعظ برؤيتهم ، ويستمع لمواعظهم ، ويرقق قلبه بكلامهم . وليلة لنسائه وأهله ولذاته ، يتلذذ بدنياه ويأنس بنسائه . وليلة يخلو فيها بنفسه لا يعلم أحد قرب أو بعد ، ما يصنع ، ولا يشك أحد أنه يخلو فيها بربه ، يسأله خلاص نفسه وفكاك رقه . فبينما هو يوما في مجلس محمد بن السماك ، وقد قصد لرؤيته ، يسمع لموعظته ، ولا يعلم أحد بمكانه ، فسمع بعض أهل المجلس يذكر الفضيل بن عياض ، ويصف فضله وعبادته ، وعلمه وورعه ، فاشتهى النظر اليه ، وتاقت نفسه الى رؤيته ومحادثته ـــ

---

(١) الامامة والسياسة : ٢/١٥٦ - ١٥٧

فتوجه من العراق الى الحجاز قاصدا اليه ،ومعه عبدالله بن المبارك ،فقيه أهل بغداد وعالمهم . وكان الفضيل بن عياض يسكن الفيران (١) ، فلما قربا من موضعه ، قال عبدالله بن المبارك : يا أمير المؤمنين ان الفضيل ان عرفك وعرف مكانك ،لم يأذن لك عليه ، ويفر عنك . فقال هارون : تستأذن أنت عليه ،وتخفى مكانى عنه ،حتى يأذن بالدخول فاستأذن عليه ابن المبارك . قال الفضيل : من بالباب؟ قال : ابن المبارك ـ قال : مرحبا يا أخى وصاحبى . فقال ابن المبارك : ومن معى يدخل ـ؟ فقال الفضيل : ومن معك ـ؟ قال : رجل من قريش . فقال لا اذن ، لاحاجة لى برؤية أحد من قريش . فقال له ابن المبارك : انه من العلم والعناية والفقه بمكان . فقال له الفضيل : أو ما علمت أن ابليس أفقه الناس ـ؟ فقال له ابن المبارك : انه سيد قريش فى زمانه هذا وفوقهم ـ وانما عنى أنه فوقهم فى الدنيا وسيدهم فقال له الفضيل : فان كان كما تقول فليدخل . فدخل الرشيد فسلم عليه ، ثم جلس بين يديه ،فحدثوا ساعة . فقال له ابن المبارك : أتدرى من هذا ؟ قال لا أدرى . فقال له : هذا هارون بن محمد الرشيد ،أمير المؤمنين . فنظر اليه الفضيل بن عياض ساعة ، ثم قال : هذا الوجه الجميل ،يسأل غدا عن أمة محمد ويؤاخذ بها ، لئن كان العفو والغفران يسعك مع ما أنت فيه ، ان هذا لهو الفضل المبين .

كان الرشيد من أجمل الناس خلقا ، وأحسنهم نطقا ، وأبلغهم لسانا وأعذبهم كلاما ، وأكثرهم علما وفهما . ثم جعل الفضيل بن عياض يعظه ويخوفه ، حتى بكى هارون بكاء شديدا . قال ابن المبارك : ما رأيت أحداً يبكى بكاء الرشيد يومئذ . ثم أفاق من بكائه فجعل الفضل يذكر مثالبه ومثالب أهل بيته ورداءة سيرتهم ،وخلافهم ،ثم لم يدع شيئا ـ

---

(١) والصحيح : الفران : بضم أوله وتخفيف ثانيه : واد ضخم بالحجاز بين سماية ومكة ، وهى : منازل بنى لحيان وفى غربيه الحديبية . (معجم البلدان : ١٩٤) .

يعيبه به ،ولا أمرا ينتقصه فيه ،الا واستقبله به . فقال الرشيد : يا أبا الحسن أما لك ذنوب تخاف أن تهلك بها ان لم يغفرها الله لك ـ؟ فقال الفضيل : بلى فقال الرشيد : فما جعلك بأحق أن ترجو المغفرة منى ـ؟ وأنا على دين يقبل الله فيه الحسنات ، ويعفو عن السيئات ، ومع ذلك فانى والله ما كنت لأخير بين شيء وبين الله ، الا أخترت الله تعالى على ما سواه ، الله الشاهد على قولى ، والمطلع على نيتى وضميرى ، وكفى به شهيدا" وأنا مع هذا ،ألى من الاصلاح بين الناس والجهاد فى سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مالا تليه أنت ،فما جعلك أحق أن ترجو المغفرة منى ـ؟ فسكت الفضيل ساعة ،ثم قال : ما ظلمك من حجك . ثم قام هارون للخروج ،فقال الفضيل : ياأمير المؤمنين انى أخشى أن يكون العلم قد ضاع قبلك كما ضاع عندنا فقال الرشيد:أجل انه ما قلت.

فلما قدم الرشيد العراق ،كان أول ما ابتدأ فيه النظر : أن كتب الى الأمصار كلها والى أمراء الأجناد ، :" أما بعد فانظروا من التزم الأذان عندكم ،فاكتبوه فى ألف من العطاء ، ومن جمع القرآن ،وأقبل على طلب العلم وعمر مجالس العلم ومقاعد الأدب فاكتبوه فى ألفى دينار من العطاء ، ومن جمع القرآن ، وروى الحديث ، وتفقه فى العلم واستبحر ، فاكتبوه فى أربعة آلاف دينار من العطاء ، وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الأمر، من المعروفين به ، من علماء عصركم وفضلاء دهركم ، فاسمعوا قولهم وأطيعوا أمرهم . فان الله تعالى يقول :((أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم))

وهم أهل العلم .

قال ابن المبارك : فما رأيت عالما ولا قارئا للقرآن ، ولا سابقا للخيرات ، ولا حافظا للمحرمات ، بعد أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام الخلفاء والصحابة ، أكثر منهم في زمن الرشيد وأيامه ، لقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثماني سنين ولقد كان الغلام يستحضر في الفقه والعلم ويروى الحديث ويجمع الدواوين ويناظر المعلمين ، وهو ابن احدى عشرة سنة " .

(١)

ويحكي الحافظ ابن كثير - رحمه الله - عن الرشيد ، فيقول :

" . . . وقد استدعى اليه أبا معاوية الضرير محمد بن حازم ليسمع منه الحديث . قال أبو معاوية : ماذكرت عنده حديثا الا قال : " صلى الله وسلم على سيدي " ، واذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبل الثرى .

وأكلت عنده يوما ، ثم قمت لأغسل يدي ، فصب على الماء وأنا لا أراه ، ثم قال : يا أبا معاوية أتدري من يصب عليك الماء - ؟ قلت : لا ، قال : يصب عليك أمير المؤمنين . قال أبو معاوية : فدعوت له ، فقال : انما أردت تعظيم العلم . وحدثه أبو معاوية يوما : عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة : بحديث احتجاج آدم موسى ، فقال عم الرشيد : أين التقيا يا أبا معاوية ؟ فغضب الرشيد من ذلك غضبا شديدا ، وقال : أتعترض على الحديث - ؟ على بالنطع والسيف . فأحضر ذلك ، فقام الناس اليه يشفعون فيه ، فقال الرشيد : هذه زندقة ، ثم أمر بسجنه ، وأقسم أن لا يخرج حتى يخبرني من ألقى اليه هذا - ؟ فأقسم عليه بالايمان المغلظة : ما قال هذا له أحد وانما كانت هذه الكلمة بادرة مني ، وأنا أستغفر الله وأتوب اليه . فأطلقه " .

ويبدو من الرقعة التي كتبها المأمون الى الفضل بن سهل ذي الرياستين ، يذكر فيها نهجه في الحكم اذا نال السلطة ، يبدو منه أنه كان يريد الحكم

---

(١) البداية والنهاية : ١٠/٢١٥

الدعوى، فكتب فيها :

" جعلت لله على نفسي ان استرعاني أمور المسلمين ، وقلدني الخلافة في خلقه ؛ العمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا أسفك دما عمدا الا ما أحلته حدود ، وسفكته فروضه ، وأن لا أنال من أحد من المخلوقين مالا ولا أثاثا غصبا ، ولا بحيلة محرم على المسلمين ، ولا أعمل في شيء من الأحكام بهواي ولا بغضبي ، الا ما كان منها في الله عز وجل وله ، وجعلت ذلك كله عهدا مؤكدا على أن أفيء به رغبته في زيادته اياي ورهبة من مسألته لي عنه ، فانه عز وجل يقول : ((وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولا)) فان حلت ، أو غيرت ، كنت للمن مستحقا ، ولما نكال متعرضا ، وأعوذ بالله من سخطه وأرغب اليه في المعونة لي على طاعته ، والحول بيني وبين معصيته ، في عافية لي ولجماعة المسلمين ، وأن يسهل لي ما يحب ويرضى في جميع أموري ، انه قريب مجيب ، وعلى ما يشاء قدير . وكتبت بخطي .(١)

ويحكي المسعودي :(٢)

" فانه (المأمون) يوما لجالس اذ دخل عليه علي بن صالح الحاجب ، فقال : ياأمير المؤمنين رجل واقف بالباب ، عليه ثياب بيض غلاظ مشمرة ، ويطلب الدخول للمناظرة . . . فقال : أذن له ، فدخل رجل عليه ثياب قد شمرها ، ونعله في يده ، فوقف على طرف البساط ، فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقال المأمون : وعليك السلام ، فقال : أتأذن لي في الدنو منك ؟ قال : ادن ، فدنا ، ثم قال : اجلس ، فجلس ، ثم قال : أتأذن في كلامك ؟ فقال: تكلم بما تعلم أن لله فيه رضا —

---

(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب : ٢٧٩

(٢) مروج الذهب : ٤/ ١٩ - ٢١

قال : أخبرنى عن هذا المجلس الذى أنت قد جلسته ،أباجتماع من المسلمين عليك ، ورضا منك ،أم بالمغالبة لهم والقوة عليهم بسلطانك ـ؟ قال :لم أجلسه باجتماع منهم ،ولا بمغالبة لهم . انما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلى أحمده المسلمون ،اما على رضا ، واما على كره ،فعقد لى ولآخر معى ولاية هذا الأمر بعده ،فى أعناق من حضره من المسلمين ،فأخذ على من حضر بيت الله الحرام من الحاج البيعة لى ولآخر معى . فأعطوه ذلك اما طائعين واما كارهين ،فمضى الذى عقد له معى على هذه السبيل التى مضى عليها ، فلما صار الأمر الى ،علمت أنى أحتاج الى اجتماع كلمة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها على الرضا ، ثم نظرت ،فرأيت أنى متى تخليت عن المسلمين ،اضطرب حبل الاسلام ،ومرج عهدهم ، وانتقضت أطرافه ، وظهر الهرج والفتنة ،ووقع التنازع ،فتعطلت أحكام الله سبحانه وتعالى ،ولم يحج أحد بيته ،ولم يجاهد فى سبيله ، ولم يكن لهم سلطان يجمعهم ويسوسهم ،وانقطعت السبل ،ولم يؤخذ المظلوم من الظالم .

فقمت بهذا الأمر حياطة للمسلمين ، ومجاهدا لعدوهم ، ورضا بطلبا لسلمهم وأخذا على أيديهم ، الى أن يجتمع المسلمون على رجل تتفق كلمتهم على الرضا به ،فأسلم الأمر اليه ،وأكون كرجل من المسلمين . وأنت ايها الرجل ، رسولى الى جماعة المسلمين ،فمتى اجتمعوا على رجل ورضوا به ،خرجت اليه من هذا الأمر . فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وقام .

فأمر المأمون على بن صالح الحاجب بأن ينفذ فى طلبه من يعرف مقصده ففعل ذلك ، ثم رجع وقال : وجهت ياأمير المؤمنين من اتبع الرجل ،فمضى الى مسجد فيه خمسة عشر جلا فى هيئته وزيه ،فقالوا له : لقيت الرجل ـ؟ فقال : نعم قالوا : فما قال لك ـ؟ قال : ما قال لى الا خيرا ،ذكر أنه ضبط أمور المسلمين الى أن تأمن سبلهم ،ويقوم بالحج والجهاد فى سبيل الله ، ويأخذ للمظلوم من الظالم ، ولا يعطل الأحكام . فاذا رضى المسلمون برجل سلم الأمر اليه ،وخرج اليه منه . قالوا : مانرى بهذا بأسا . وافترقوا .

(١)
ويحكى المسعودى أيضا :

" وفى سنة ثمانى عشرة ومائتين غزا المأمون أرض الروم ، وقد كان شرع فى بناء الطوانة مدينة من مدنهم على فم الدرب مما يلى طرسوس ، وعمد الى سائر حصون الروم ، ودعاهم الى الاسلام وخيرهم بين الاسلام والجزية والسيف ، وذلل النصرانية ، فأجابه خلق من الروم الى الجزية ... لما توجه المأمون غازيا ، ونزل البديدون ، جاءه رسول ملك الروم ، فقال له : ان الملك يخبرك بين أن يرد عليك نفقتك التى أنفقتها فى طريقك ، من بلدك الى هذا الموضع ، وبين أن يخرج كل أسير من المسلمين فى بلد الروم بغير فداء ولا درهم ولا دينار ، وبين أن يعمر لك كل بلد للمسلمين مما خربت النصرانية ويرده كما كان . وترجع من غزاتك . فقام المأمون ، ودخل خيمته فصلى ركعتين واستخار الله عز وجل ، وخرج ، فقال للرسول : قل له : أما قولك : ترد على نفقتى ، فانى سمعت الله تعالى يقول فى كتابه حاكيا عن بلقيس : ((وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون . فلما جاء سليمان قال : أتمدونن بمال ـ؟ فما آتانى الله خير مما آتاكم ، بل أنتم بهديتكم تفرحون)) (٢)

وأما قولك : انك تخرج كل أسير من المسلمين فى بلد الروم . فما فى يدك الا أحد الرجلين : اما رجل طلب الله عز وجل والدار الآخرة ، فقد صار الى ما أراد ، واما رجل يطلب الدنيا ، فلافك الله أسره .

أما قولك : انك تعمر كل بلد للمسلمين قد خربته الروم ، فلو أنى قلعت أقصى حجر فى بلاد الروم ، ما اعتدت بامرأة عثرت فى حال أسرها فقالت : " وامحمداه ، وامحمداه ". عد الى صاحبك ، فليس بينى وبينه الا السيف "

---

(١) مروج الذهب : ٤ / ٤٢ - ٤٣

(٢) سورة النمل : الآيتين : ٣٥ - ٣٦

فهذه نبذة من الوقائع التى تخص بشخصيات بعض الخلفاء من الدولة العباسية فى العصر الأول ، ويبدو منها أنهم لم يكونوا - كما قلنا سابقا - متخلين عن سمات الدعوة الاسلامية ، وأردنا أن ننقل هذه الوقائع بروحها التى أراد مؤرخونا الكبار أن يبرزوها ، فنقلناها بأسلوبهم وتعبيرهم ، والاقتباس الأخير ، الذى يبرز ميول المأمون الدعوية ، يذكرنا تلك الروح الدعوية التى كانت سائدة مآثر أسلافنا العربية والسلمية فى العهد الراشدى ، والفارق بينهما : أن المجتمع الاسلامى فى العهد الراشدى كان دعويا ، وكان قوة مساعدة فى سير الدعوة الاسلامية الى الامام ، وأما العهد العباسى الأول ، فقد اضمحلت فيه تلك القوة - وهى : كون المجتمع دعويا خالصا - التى كان المفروض أن تكون هى عونا كبيرا فى سير الدعوة التى أرادها المأمون أن ينشر نفحاتها فى غزوه المذكور ، ومع ذلك ، هذا الجانب المشرق فى حياة خلفاء الدولة العباسية فى عصرها الأول ، يستحق التقدير والثناء .

(ب) تطبيق الشريعة الاسلامية :

وهناك جانب آخر مشرق للدولة العباسية فى عصرها الأول ، فى مجال الدعوة وهو : أن الشريعة الاسلامية كانت هى دستور الدولة وقانونها ، فلم يسجل التاريخ خبرا عن أى خليفة من خلفاء العصر العباسى الأول ، بأنه أنكر هذا المصدر - لا سمح الله - أو ألغى العمل به ، أو أعرض عنه ومال الى مصادر أخرى للتشريع ، فكان نظام القضاء قائما فى ذلك العصر ، والمظلوم كان يراجع السلطة القضائية كلجأ يأوى اليه ليسترد منه حقه الذى سلبه وكان القضاة يفصلون بين الخصوم بأحكام الشريعة الاسلامية ، وكانوا يستمدون مما أودعه الله تعالى فى شخصياتهم من الذكاء والفطنة ، وقوة الاجتهاد والاستنباط ، كما حكى لنا الكندى عن قاضى مصر ابراهيم بن الجراح (١) —

---

(١) انظر : الولاة والقضاة فى مصر : ٤٣٢

أنه كان ينظر فى أقوال الفقهاء واجتهاداتهم ثم يختار ما يرجحه هو بعلمه وفهمه .

وكانت المميزة البارزة فى هذا المجال هى : حرية القضاة واستقلالهم فى الحكم ، ونضرب لذلك مثالا ، قيل : رفعت الى سوار بن عبد الله قاضى البصرة قضية أرض ، تخاصم فيها تاجر و قائد جيش ، فكتب أبو جعفر المنصور الى القاضى أن يحكم فى حق القائد ، فأجابه القاضى : ان البينة قامت عندى أن تكون الأرض للتاجر ، فلست أخرجها من يد ، الا ببينة .

فكتب اليه المنصور : والله الذى لا اله الا هو ، لتدفعنها الى القائد فكتب اليه سوار : والله الذى لا اله الا هو ، لا أخرجتها من يد التاجر الا بحق .

ولما وصل هذا الخطاب الى المنصور ، قال : ملأتها - والله - عدلا ، وصار قضاتى تردنى الى الحق .(١)

وكان هؤلاء القضاة الأفاضل يفصلون القضايا فى ضوء ما بدا لهم من الحق ، بدون مراعاة أحد الجانبين ، وما كانوا يميلون الى أحد الخصمين مهما كانت منزلته رفيعة فى المجتمع ، كما رأينا فى القصة التى ذكرناها آنفا ، حتى حكموا على الخليفة أو الأمير ، ولم يكن له بد من التسليم بحكم القاضى ، ونضرب لذلك مثلين :

كانت بمكة دار لعبد الله بن جدعان وقفا لآل أبى مليكه ، وكان المهدى أخذها لنفسه ، فشكا أحد من آل أبى مليكة اسمه أبو عزارة الى القاضى محمد ابن عبد الرحمن الأوقص ، فبعث المهدى حاجبه الربيع بن يونس ليثوب عنه فى المحكمة ، فلما جلسا بين يدى القاضى ، قال : ما جاء بكما - ؟ فقال أبو عزارة : هذا جاء يخاصمنى فى دار عبد الله بن جدعان ، وهى وقف -

---

(١) أنظر : السيوطى : تاريخ الخلفاء : ٢٦٥

فقال القاضي : نعم ،هي وقف كما قلت . فقال الربيع : قضيت على قبل أن أتكلم ـ؟ قال القاضي : وما تتكلم ـ؟ هل أجلستموني ههنا للعبث ـــــ؟ والله لوكلفتني أن أعد كل حجر فيها أو ميزاب ،لفعلت ، ولم أزل أعرفهـــا منذ أنا صبي الى اليوم .

ثم أرسل المهدي الى القاضي يسأله : لم قضيت على ـ؟ فقال : أنـــا أقضي ، وأنت تقضي ، فان شئت تركت ،وان شئت أخذت . فرد المهدي الدار على آل أبي مليكة ،ثم اشتراها منهم(١).

وروى أنه كان موسى بن عيسى أميرا على الكوفة ، وقاضيها في تلك الأيـام شريك بن عبد الله النخعي ،فجاءت امرأة من ولد جرير بن عبد الله تشتكي اليه، فقالت : كان لي بستان على شاطئ الفرات ورثته عن أبائي ، وفيه نخل . فقسمته بيني وبين اخوتي ، وبنيت حائطا ، وجعلت فيه حارسا يحفظ النخل فاشترى الأمير موسى بن عيسى من اخوتي جقوقهم ،وساومني أن أبيـــــع فأبيت ،فلما كانت هذه الليلة ، بعث الأمير رجالا قلعوا الحائط ، فأصبحت لا أعرف من مكاني شيئا ، فطلب القاضي حضور الأمير الى مجلس القضاء فبعث الامير صاحب شرطته الى القاضي يسأله : لم أعديتها على ـ؟ وكان صاحب الشرطة يعرف طبيعة القاضي ،فهيأ ما يلزم للمسجون من الفرش وغيرها ، ثم ذهب الى القاضي ، وأبلغه رسالة الامير ، فأمر بحبسه ، وبلغ الخبر موسى فبعث حاجبه اليه ،فحبسه ، ثم بعث الى القاضي جماعة من أعيان البـــلد ، فحبس الجميع ، فذهب موسى ليلا الى الحبس ،فأخرجهم جميعا ، ولما بلغ الخبر شريكا ،أغلق ديوان القضاء ، وتوجه الى بغداد ،فركب موســـى مع حواشيه ولحق القاضي على جسر الكوفة ، فجعل يناشده الله ـ

---

(١) انظر: وكيع : أخبار القضاة : ١/٢٦٥-٢٦٦

وقال له : أنت الذى حبست اخوانك هؤلاء ؟ قال القاضى : نعم لأنهم جاؤا عنك فى أمر لم يناسب لهم أن يمشوا فيه ، ولن أرجع حتى يردوا جميعا الى الحبس والا ذهبت الى بغداد لأستقيل عن منصبى ، فرد موسى كلهم الى الحبس ، ثم حضر مجلس الحكم ، فأخرج القاضى أولئك من الحبس ، وحكم على موسى برد الحائط الى المرأة الجريرية ، ثم قام ، فأجلس الأمير الى جنبه وقال : " السلام عليك أيها الأمير " (١) .

أولسنا نحن فى هذا الخبر من نفحات ، من الأيام الراشدية الدعوية ؟ أولا يقرر مثل هذه الأخبار أن الحفاظ على المميزات الدعوية للمجتمع الاسلامى من أهم أركان الدولة الاسلامية ؟

فلا شك أن العهد العباسى الأول لم يكن خاليا عن المميزات الدعوية كليا ، فكانت المساواة بين الخصمين فى السلوك والمعاملة . معروفة لدى القضاة فى تلك الأيام ، فكان يجلس الغنى والفقير ، والأمير والمأمور ، الخليفة والرعية فى مجلس واحد أمام القاضى ، وتوجد أمثلة تذكرنا أيام السلف ، فحكى أن المهدى تقدم مع خصم له بالبصرة الى قاضيها عبيد الله بن الحسن العنبرى ، فلما رآه القاضى مقبلا ، أطرق الى الأرض ، حتى جلس مع خصومه مجلس المتحاكمين ، فلما فصلت القضية ، قام القاضى بين يدى المهدى فقال له المهدى : ((والله لو قمت حين دخلت اليك لعزلتك ، ولو لم تقم حين فصل الحكم ، لعزلتك . (٢)

---

(١) انظر : وكيع : أخبار القضاة : ٣/ ١٧٠ - ١٧١

(٢) " : الماوردى : ادب القاضى : ١/ ٢٤٨

ونرى أن سبب بقاء هذا الجو المثالى الدعوى فى السلطة القضائية هو تدقيق الخلفاء والولاة فى تعيين القضاة وعزلهم ، فكانوا يدققـــون تدقيقا جادا فى تعيين القضاة كما كانوا يوصونهم وصايا قيمة بصدد حمل هذه الامانة العظيمة ، ها هو المنصور يولى عبيد الله بن الحسن العنبرى قضاء البصرة ، ويوصيه وصايا يظهر فيها بعد نظره ودقة فكره فى أمـر القضاء ، فيقول :

" انى قلدتك مما قلدنى الله طوقا ، فأظلقت فى عنقك طرفه ، وأبقيت فى عنقى ربقته ، وانى لم آل جهدا ، اذ وليتك لما ظهر لى منك من حسن فعلك ، وعلى الله اصلاح باطنك ، لا أطلع الغيب ، فلا أخطىء ، ولا أدعى معرفة ما لم يعلمنى ربى . فاتق الله وأطعنى ، اذا لم أعد بطاعتى من فوقى ، ولا يحملنك خوفى ، واتباع محبتى ، على أن تطيعنى فى معصية ربى ، فانى لا أغنى عنك من الله شيئا ، ولا تغنيه عنى ، انك حجاب بين الله وبينى ، وأمانة منى على رعيتى ، قلدتك أحكامهم ، أن كنت اماسهم فلا يمدلسن الحق عندك شيء ، ولا يكونن أحد أكرم عليك من نفسك ، سلط الله عليها عزمك ، قبل تسلطها عليك فى حكمك ، قد أبلغتك ، وما على الا الجهد "(١)

ولا شك أن هذه الوصية القيمة تذكرنا وصايا أئمة الدعوة الراشدين رضى الله عنهم ، ويالبت هذه الروح غشيت جميع جوانب الدولة العباسية فى عصرها الأول ، لو كان كذا ، لكان تاريخ هذه الأمة غير ما وجدنـاه وانتقدنـاه ـــ

---

(١) وكيع : أخبار القضاة : ٢/ ٩١

ولا ريب أن النقد لا يحطم قيمة تلك الحسنات التى يجب علينا أن نقدرها وكانت توجد فى الخلفاء العباسيين فى عصرهم الأول . وخصوصا فى باب تولية القضاء ، فقيل : ان الرشيد أحضر رجلا ليوليه منصب القضاء فقال الرجل : انى لا أحسن القضاء ، ولست فقيها ، فقال له الرشيد : فيك ثلاث خصال : لك شرف ، والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ، ولك حلم ، وحلمك يمنعك من العجلة ومن لم يعجل ، قل خطؤه ، وأنت رجل تشاور فى أمرك ، ومن شاور كثر صوابه . وأما الفقه ، فسيضم لك من تفقه به ، فولاه القضاء ولم يجد الناس فيه مطعنا .(١)

ويكفى لمعرفة دقة نظر الرشيد فى أمور الدولة واخلاصه فى تطبيق الشريعة الاسلامية طلبه من قاضى القضاة أبى يوسف ـ رحمه الله ـ أن يكتب له كتابا جامعا يعمل به فى جباية الخراج والعشور والصدقات ، وأراد بذلك رفع الظلم عن رعيته والصلاح لأمرهم ،(٢) فكتب كتاب " الخراج " الذى يعتبر مصدرا هاما فى مجال النظم المالية والاقتصادية من ناحية ، وهو مأثرة كبيرة فى تاريخ مكانة القضاة ، من ناحية أخرى .

ولابراز قيمة هذا الكتاب القيم نقتبس شيئا مما كتبه الأستاذ محمد الخضرى بك فى تعريف الكتاب فقال :(٣)

" . . . لم يكن أبو يوسف فى رسالته ، ذلك الفقيه الجاف الذى هو فى خيال الكثير منا ، يكتب جوابه مبتورا ، منقولا من مسطر سبق به ، أو ذلك المفتى الضعيف الذى ينظر الى غرض المستفتى ، فيجتهد أن تكون فتواه طبق رغبته ـــ

---

(١) انظر : ابن حمدون : تذكرة ابن حمدون : ١٠٣

(٢) انظر : كتاب الخراج : ٣

(٣) تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة العباسية) ١٣٩

بل كان ذلك العالم الناصح الذى سبر حال الأمة ، فعرف ما يصلحها ، وأدرك سر الدين الذى أوحى الله به الى رسوله صلى الله عليه وسلم ـ لاصلاح حال الأمة .

فجال فى ميدانه جولة الفارس العالم بشئيات الطريق ، وأحاط علما بتاريخ المسائل التى يفتى فيها .

فبينا نراه واعظا لا يخاف فى الله لومة لائم ، يصوغ من كلمات النصح أشدها وقعا ، وأقواها تأثيرا ، يوجهها الى امامه مع رعاية الأدب واللياقة اذا هو مؤرخ يسرد تاريخ الأمور العالية وغيرها ، مما يتكلم فيه ، وكيف وضعها السلف الصالح ، وكيف كان غرضهم من ذلك .

وبينا أنت تستخرج منه لطائف التاريخ ، اذا بك تراه قد سبر ما يفعله ولاة الخراج والجبايات وحواشيهم من المظالم التى يرهقون بها الرعية ويضرون بها العمارة ، فينبه الامام الى مخازيهم ، ويرفع صوته طالبا اجراء العدالة فيهم ، ويشير على امامه ، بما يجب عليه من رعاية تنفيذ الحق ويبين له كيف يفعل فى ذلك ، ليكون ناجيا بين يدى الله سبحانه وتعالى الذى جعله كفيلا لحقوق الرعية " .

ومن المآثر الدعوية للخلفاء العباسيين فى العصر الأول تخصيصهم دارا للمظالم (١) ، يقصدها المتظلمون .

وذكر الماوردى أن أول من جلس للمظالم من الخلفاء العباسيين ، هو المهدى (٢) ، ثم الهادى ، ثم الرشيد ، ثم المأمون .

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/٢١٦

(٢) " : الأحكام السلطانية : ٧٨

وقيل : ان المهدى كان يجلس فى كل وقت لرد المظالم (١)، وكان اذا جلس للمظالم، يقول : " ادخلوا علىّ القضاة ، فلو لم يكن ردى للمظالم الا للحياء منهم لكفى (٢).

وروى الطبرى عن مسور بن مسور قال (٣) :

" ظلمنى وكيل للمهدى ، وغصبنى ضيعة لى ، فأتيت سلاما ، صاحب المظالم ، فتظلمت منه ، وأعطيته رقعة مكتوبة ، فأوصل الرقعة الى المهدى ، وعنده عمه العباس بن محمد ، وابن علاثة وعافية القاضى ، فقال لى : أدنه ، فدنوت ، فقال : ما تقول ؟ قلت : ظلمتنى ، قال : فترضى بأحد هذين ؟ قلت : نعم ، قال القاضى : فادن منى ، فدنوت منه ، حتى التزقت بالفراش ، قال : تكلم ، قلت : أصلح الله القاضى ، انه ظلمنى فى ضيعتى هذا ، فقال القاضى : ما تقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : ضيعتى ، وفى يدى ، قلت : أصلح الله القاضى ، سله : صارت الضيعة اليه قبل الخلافة او بعدها ؟ فسأله القاضى ؟ ما تقول يا أمير المؤمنين ؟ قال صارت الىّ بعد الخلافة فقال القاضى : فأطلقها له ، قال أمير المؤمنين : قد فعلت .. "، فقال العباس بن محمد : والله يا أمير المؤمنين ، لذا المجلس أحب الىّ من عشرين ألف ألف درهم — "

---

(١) انظر : ابن الطقطقى : الفخرى : ١٧٩

(٢) " : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ١٧٢/٨

(٣) " : المصدر نفسه : ١٧٣/٨ ، ١٧٤

(١)

وذكر الماوردى :

" أن المأمون ، كان يجلس للمظالم فى يوم الأحد ، فنهض ذات يوم من مجلس نظره ، فلقيته امرأة فى ثياب رثة فقالت :

يا خير منتصف يهدى له الرشد	ويا اماما به قد اشرق البلد
تشكو اليك ـ عميد الملك ـ أرملة	عدا عليها فما تقوى به أسد
فابتز منها ضياعا بعد منعتها	لما تفرق عنها الأهل والولد

فأطرق المأمون يسيرا ، ثم رفع رأسه وقال :

من دون ما قلت عيل الصبر والجلد	وأقرح القلب هذا الحزن والكمد
هذا أوان صلاة الظهر فانصرفى	وأحضر الخصم فى اليوم الذى أعد
المجلس السهب أن يقضى الجلوس لنا	أنصفك منه والا المجلس الأحد

فانصرفت ، وحضرت يوم الأحد فى أول الناس ، فقال لها المأمون : من خصمك ـ؟ فقالت ، القائم على رأسك العباس بن أمير المؤمنين . فقال المأمون لقاضيه يحيى بن أكثم ـ وقيل : لوزيره أحمد بن أبى خالد ـ أجلسها معه وانظر بينهما . فأجلسها معه ، ونظر بينهما بحضرة المأمون وجعل كلامها يعلو ، فزجرها بعض حجابه ، فقال له المأمون : دعها فان الحق أنطقها والباطل أخرسه ، وأمر برد ضياعها عليها "

ذكرنا نبذة من تلك الوقائع التى نستطيع أن نبرزها فى استعراضنا الجانب الدعوى فى الدولة العباسية فى عصرها الأول ، فهى تدل على أن المسئولين فى الدولة كانوا يهتمون بتطبيق الشريعة الاسلامية ـــ على قدر جهدهم وفكرهم ـــ

---

(١) انظر : الأحكام السلطانية : ٨٤ - ٨٥

وهذه ناحية مشرقة للدولة العباسية تستحق أن نفتخر عليها ونعتز بها ، وبالبتهم تنبهوا الى مسئوليتهم الحساسة نحو ما تقتضيه الشريعة من تنفيذ أوامرها واستيلائها الحكم على جميع نواحى المجتمع الاسلامى كيما يظل يؤدى واجبه الدعوى نحو المجتمعات المعاصرة .

(ج) الصبغة الدينية العامة :

* * * *

ذكرنا فى المبحثين الأول والثانى من هذا الفصل ،أن الدولة العباسية فى عصرها الأول كان فيها انحراف عن الجادة الدعوية ،وأن الفساد قد تسرب فى المجتمع الاسلامى ، وربما فهم القارىء أن الدولة برمتها قد تحولت الى الفساد . . . والحقيقة لم تكن كذلك ، كما أننا نحن لم نرد ذلك . بل كان السلطان الدينى يسود العامة فى تلك الأيام ،وكانت الصبغة الدينية لها سيطرة على قلوب الجمهور.

فاذا وجدنا الانحرافات قد دخلت فى قصور الخلفاء ، والأمراء ، والأثرياء وأصحاب الترف والبذخ ، ووجدنا ميل الناس الى المغنين والقيان ، وجدنا ازاء ذلك معظم الناس ينظرون الى العلماء والمحدثين ، والفقهاء والزهاد ، والى أصحاب الدين والاستقامة ، نظرة الاجلال والتكريم ، ومعاطفة الثناء والتقدير ويحلّونهم من أنفسهم مكانا ، فكانوا يتبعونهم فى أمور دينهم ودنياهم ، واذا صور لنا الأصبهانى وأشاله أن بغداد ـ عاصمة الدولة العباسية ـ اصبحت ملجأ للمغنين والقيان ، واللهاة والمجان ، وكانت مليئة بالحانات ومحافل الغناء ، والشراب ، صورت لنا كتب الطبقات والتراجم : أن بغداد كانت منتجعا لرواد العلم والدين ، وملتقى لأعلام الفقه والحديث ، وملجأ لأصحاب الايمان واليقين ، قصدوها من الآفاق ،وألقوا فيها عصا التسيار ، وجعلوها مركزا لنشاطهم الدينى والعلمى والفكرى .

ويكفي لاثبات سيطرة السلطان الديني على العامة مثال واحد : فذكر المسعودي (١) : أن أبا عبيدة ، معمر بن المثنى ، مات بالبصرة سنة احدى عشرة ومائتين ، وكان عمره انذاك نحو مائة سنة ، وكان يحمل أفكار الخوارج وعقائدهم ، فلم يحضر جنازته أحد من الناس ، حتى استأجروا الحمالين لحملها ، كما كان الناس يتكلمون فيمن سلم عليه ، سواء كان شريفا أو وضيعا .

وذكر الخطيب (٢) : قصة ترحيب العامة بالعالم الرباني الكبير عبد الله ابن المبارك - رحمه الله - وحفاوتهم به حفاوة بالغة ، وتشهد القصة بسيطرة السلطان الديني على قلوب الجمهور ، فقيل : ان الرشيد دخل الرقة ، وكانت أم ولد له تطل من شرفة القصر الخشبي ، فاذا هي تشاهد جموع الناس وأصوات الضجيج والغوغاء ، وترتفع الغبرة وتتقطع النعال ، فسألت عن السبب ، فقيل لها : ان ابن المبارك يأتي اليوم الى الرقة ، فخرج الناس لاستقباله ، والترحيب به ، فقالت : " هذا والله الملك ، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس الا بشرط وأعوان "

وكذلك نجد في تلك الأيام وقائع تذكرنا أيام سلفنا الصالحين ، هما هو محمد بن عمر الواقدي ، يذكر قصته العجيبة : قال : كان لي صديقان ، أحدهما هاشمي ، وكنا كنفس واحدة ، وأصابني ضيق شديد ، وحضر العيد ، فقالت زوجتي : أما نحن في أنفسنا ، فنصبر على البؤس والشدة ، ولكن نشفق على الصبيان ، فهم يرون صبيان الجيران قد لبسوا لباسهم الفاخر يوم العيد ، وهم في ثيابهم الاخلاق -

---

(١) انظر : مروج الذهب : ٤/٣٦

(٢) انظر : تاريخ بغداد : ١٠/١٥٦-١٥٧

فلو دبرت لمال نصرفه فى كسوتهم ،قال: فكتبت الى صديقى الهاشمى أسأله مساعدتى بما حضر عنده ،فأرسل الى كيسا مختوما ذكر أن فيه ألف درهم ، وما لبثت الا أن جاءت الى رقعة صديقى الآخر يسألنى ما سألته الهاشمى ،فأرسلت اليه ذلك الكيس بحاله ، وخرجت الى المسجد ، وقضيت الليلة هناك مستحييا من زوجتى ،ولما دخلت عليها وأخبرتها القصة ،استحسنت ما صدر منى ، واذا أنا بصديقى الهاشمى ومعه ذلك الكيس بحاله ،وهو يستفسر منى عنه ،فأخبرته الخبر، فقال : عندما جاء الى طلبك ،ما كنت أملك الا هذا الكيس ،فبعثت به اليك ، ثم كتبت الى صديقنا أسأله المساعدة ،فبعث الى بكيسى هذا . وقال الواقدى : ثم قسمنا ذلك الألف ثلاثا بعدما أخرجنا للمرأة مائة درهم. ووصل الخبر الى المأمون فدعانى ،فذكرت له القصة ،فأمر لنا بسبعة آلاف دينار ، لكل واحد منا الفا دينار وللمرأة ألف دينار.(١)

ولم تحدث هذه الحياة الدينية التى يسود فيها الايمان والتقوى ، والايثار والمحبة ، والمواساة والمناصرة ،الا بفضل جهد العلماء الربانيين ، والفقهاء والمحدثين ،والزهاد والمتنسكين ، وقد خصصنا الباب الثالث الأخير للبحث فى أمر هؤلاء الذين هم كانوا على الحقيقة قوام الدعوة فى هذا العصر ،علما بأن الزهد والتنسك ينبغى أن يكونا موزونين بميزان الكتاب والسنة ،واذا لم يوزن بهما -لا قدر الله- أصابهما الانحراف ، وصارا نوعا من الزهد الأعجمى الذى لا يقبله الاسلام ، ولكن نريد أن نستعرض قبل ذلك بعض المشكلات المهمة للدعوة فى العصر العباسى الأول وبعض أساليبها فى تلك الأيام ،فنتكلم فيها فيما يأتى من الفصلين :

---

(١) انظر: المسعودى : مروج الذهب : ٤/٣٣-٣٤

الفصل الثالث عشر

المشكلات التى واجهتها الدعوة فى العصر العباسى الأول

* * *

استعرضنا فى الفصل السابق الجانبين للدولة العباسية فى عصرها الأول : جانبها الدعوى ، وجانبها الانحرافى عن الدعوة ، ونريد أن ننظر - فى هذا الفصل - فى المشكلات التى واجهتها الدعوة أثناء سيرها فى هذا العصر - ونكتفى باستعراض بعض النواحى المهمة من هذه المشكلات.

فالمشكلة الكبرى ، التى واجهتها الدعوة الاسلامية فى ذلك العصر ، هى انحراف الدولة عن جادتها الدعوية ، فهذا الانحراف - وان لم يكن تاما - فهو الذى أحدث مشكلات أخرى فى طريق الدعوة ، اذ أن مثال المجتمع الاسلامى الدعوى ، مثال منارة مضيئة للجوانب ، قائمة فى وسط المحيط ، فى الظلام الحالك ، وتصدمها أمواج طاغية متواصلة ، وتهب من حولها العواصف ، ومثل الدولة مثال محافظ تلك المنارة .

فعلى المحافظ أن يظل متيقظا بوعيه الكامل وموهلاته المتنوعة نظرا الى دقة موقع المنارة وخطورته ، فكلما حدث خراب - فى داخلها أو خارجها أو أساسها - من أجل تلك الصدمات المتوالية ، أو العواصف العاتية ، وجب على المحافظ اصلاح ذلك الخراب على الفور ، بدون أى كسل أو تهاون ، فان زالت لبنة وضع فورا مكانها لبنة أخرى ، وان حدثت ثلمة ، رممها فورا بمهارته الفنية ـــ

واذا ترك الخراب بدون اصلاح ، والثلمة بدون ترميم ، فهل يتصور العقل السليم أن الخراب لا يتمدى ـ؟ وأن الثلمة لا تتوسع ـ؟ بينما لم تتوقف صدمات الأمواج ، ولم تهدأ هزات العواصف ـ؟ (١) وهل تبقى المنارة قائمة على قواعدها ـ في مثل هذه الحالة ـ الى مدة طويلة ـ؟

وما جاء الاسلام الا لتبقى دعوته الى يوم القيامة .

وقد حدث الخراب فعلا ، ونود أن نشير ههنا ـ على سبيل المثال ـ الى جانب مشرق دعوى للدولة العباسية في عصرها الأول ، ألا وهو تطبيق الشريعة الاسلامية على النحو الذي كان ـ وكان نظام القضاء مظهرا من مظاهرة ، فتأثر هذا النظام بشوائب تلك الانحرافات التي أشرنا اليها فيما سبق ، فسببت ـ ولو بطريق غير مباشر ـ تسرب الفساد في هذه الناحية المشرقة للدولة العباسية ـ

---

(١) وقرأنا في أيام الحداثة قصة عنوانها : " عاقبة التواني " كان رجلان يشتغلان في صنع سفينة ، فوجد أحدهما قطعة خشب فيها دودة صغيرة ، فأراد أن يرميها ولكن منعه زميله قائلا : " انها خشبة صغيرة لا تضر بناء السفينة ، وفي رميها خسارة علينا " . فامتنع الرجل ، وأدخلت الخشبة في السفينة ، وتم بناؤها ، وصارت تغدو وتروح في البحار .

أما تلك الدودة الصغيرة ، فولدت ـ بعد مدة ـ ديدانا كثيرة بدأت تأكل الخشب المتجاورة من داخلها ، فأصبحت جوفاء ، وصادف السفينة مرة طوفان بحري ، فانخرمت وغرقت بما فيها من الأنفس والأموال .

وفي هذه القصة عبرة لأولي الأبصار . ـ

فذكر الكندى[1] قصة تدل على دخول الرشوة فى نظام القضاء ، قيل : ان قاضى مصر ابراهيم بن الجراح كان له ابن يقال له اسحاق ، فأخذ من رجل اسمه معاوية الأسوانى ، ألف دينار على أن يحمل أباه ابراهيم القاضى على تولية معاوية المذكور على مسائل الشهود ، ولو أن أمر اسحاق افتضح ، ونال جزاء جريمته ، فسجن ، ولكن - كما نرى - لم يتسرب هذا المرض فى هذا النظام المثالى الا من أجل شوم تلك الانحرافات .

وكذلك تأثرت بها الشهادة التى لها مكانة ذات احترام وتقدير فى نظام القضاء ، وقد أكد الله سبحانه وتعالى بعدم كتمانها ، فقال : " ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فانه اثم قلبه "[2] فجعلها بعض الناس فى تلك الأيام صناعة يرتزقون منها ، واليكم ما ذكره ابن خلكان ضمن ترجمة الامام أبى يوسف رحمه الله :

قال[3] :-

" ان الرشيد قال لأبى يوسف : بلغنى أنك تقول : ان هؤلاء الذين يشهدون عندك ، وتقبل أقوالهم ، (هم) متصنعة - ؟ فقال : نعم ! يا أمير المؤمنين قال : وكيف ذاك - ؟ قال : لأن من صح ستره ، وخلصت أمانته لم يعرفنا ، ولم نعرفه ، ومن ظهر أمره ، وانكشف خبره لم يأتنا ولم نقبله ، وبقيت هذه الطبقة ، وهم هؤلاء المتصنعة ، الذين أظهروا الستر وأبطنوا غيره ، فتبسم الرشيد ، وقال : صدقت "

---

(١) انظر الولاة والقضاة بمصر / ٤٢٨

(٢) سورة البقرة : الآية : ٢٨٣

(٣) وفيات الأعيان : ٢ / ٤٠٥

فمن شؤم تلك الانحرافات التى لم تكترث الدولة باصلاحها ، أن بدأ الخراب يتسرب فى النواحى التى كانت صالحة وسليمة ، ولا ينبغى أن نتعجب من ذلك ، فان سريان الفساد اذا ترك بدون اصلاح ، أمر طبيعى ، والى هذه الحقيقة يشير شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى كلامه عن عصره :

" وهذه الأمور (١) ، مما تعظم بها المحنة على المؤمنين ، فانهم يحتاجون الى شيئين : الى دفع الفتنة التى ابتلى بها نظراؤهم من فتنة الدين والدنيا عن نفوسهم ، مع قيام المقتضى لها ، فان معهم نفوسا وشياطين ، كما مع غيرهم ، فمع وجود ذلك من نظرائهم يقوى المقتضى عندهم ، كما هو الواقع ، فيقوى الداعى الذى فى نفس الانسان وشيطانه ، وما يحصل من الداعى بفعل الغير والنظير ، فكم ممن لم يرد خيرا ولا شرا حتى رأى غيره ، لا سيما ان كان نظيره يفعله ففعله ، فان الناس كأسراب (٢) القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض "

فالمشكلة الكبرى - وهى أم المشاكل - التى واجهتها الدعوة الاسلامية فى العصر العباسى الأول هى : انحراف الدولة عن الجادة الدعوية ، وعدم اعتنائها باصلاح المفاسد التى بدأت تأكل ما جاورها من الأشياء السليمة .

---

(١) ذكر شيخ الاسلام - رحمه الله - قبل ذلك ثلاثة أقسام من الناس: الأول : التابعون شهواتهم وأهواءهم ، والثانى : الصالحون المخلصون لله ، والثالث : المتوسطون ، تارة يميلون الى الأهواء وتارة الى الصلاح ، وقال : كثر هذا القسم الثالث فى آخر خلافة عثمان وعلى رضى الله عنهما ، فنشأت الفتن . (انظر : الحسبة فى الاسلام : ٨٢-٨٣)

(٢) أسراب : جمع سرب بكسر الأول وسكون الثانى : القطيع من النساء والطير والظباء ، والبقر والحمر والشاة . (انظر : لسان العرب : ١ / ٤٦٣)
القطا : طائر معروف ثقيل فى مشيه ، يصوت : " قطا قطا " . — وأحدثه : قطاة (انظر : لسان العرب : ١٥ / ١٨٩)

وطبعا جرت هذه المشكلة مآسي عديدة على العالم الاسلامي في العصور التي تلت العصر العباسي الأول ،ولم تستطع الدول التي جاءت بعدها - باستثناء بعضها - أن تتغلب على تلك المشكلات الدعوية التي سببت لها هذه المشكلة الرئيسية ، وانتهز أعداؤنا هذه الفرصة الذهبية ، وفعلوا ما فعلوا بنا ، وقد تألم به - ولم يزل يتألم - رجال الدعوة الاسلامية المخلصون في كل زمان ومكان ،ولا بأس لو ذكرنا بهذه المناسبة ما كتبه الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي - حفظه الله وكثر أمثاله - في كتابه الذي صدر حديثا باسم : (دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين)[1] ، فيقول :

" الاستعمار العالمي اكتسح بتفوقه المدني والعسكري كل شبر من أرض الاسلام ، وحاول أن يغير معالمها جملة وتفصيلا لمصلحته الخاصة ،ولكنه كان قد دخل عالما اسلاميا استشرى فيه الفساد العام في كل مرافق الحياة .

ولهذا الوضع الحاضر سوابق في التاريخ الاسلامي ،فدولة الخلافة العباسية لم يسقطها التتار ، ولكن أسقطها خلفاء كانت قصورهم مترعة بالاثم والملذات الحرام ، والأندلس ،لم يسقطها الفرنجة ، ولكن أسقطها المترفون الناعمون وملوك الطوائف ..... بل نحن الذين فرطنا في ديننا وأسأنا اليه بالاهمال والتأويل الفاسد والتطبيق الغبي "

والمشكلة الثانية التي واجهتها الدعوة الاسلامية : هي وجود مذاهب مختلفة ،فكرية ،وكلامية ، نشأ بعضها من دس أعداء الاسلام وتآمرهم :

---

(١) انظر: مجلة (الأمة) الصادرة من الدوحة (قطر) ص : ٦٦ العدد الأول ، السنة الثانية - محرم ١٤٠٢ هـ

كالسبيئة والشيعة ، ونشأ بعضها من اجل الاعوجاج الفكرى كالخوارج ، (١) (٢) (٣)
كما حدث بعضها من جراء الاحتكاك بالأمم الأخرى وترجمة ثقافتها وعلومها ترجمة لم تنظم —

---

(١) السبيئة القائلون بألوهية على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وبدأ بهذا القول عبد الله بن سبأ اليهودى وأتباعه ، فأحرق علـى رضى الله عنه قوما منهم ، ونفى ابن سبأ الى ساباط المدائن .
(انظر : الاسفرائينى : الفرق بين الفرق : ٢١ و ٢٣٣-٢٣٦)

(٢) الشيعة : الذين شايعوا عليا رضى الله تعالى عنه على الخصوص وقالوا : بامامته وخلافته نصا ووصية ، اما جليا واما خفيا ، واعتقدوا أن الامامة لا تخرج من أولاده ، وان خرجت فبظلم يكون من غيره ، او بتقية من عنده ، وقالوا ، ليست الامامة قضية مصلحية ، بل هـى قضية أصولية ، وهى ركن الدين ، ولا يجوز للرسل عليهم السلام اغفاله واهماله ، ولا تفويضه الى العامة وارساله ، وللشيعة فرق عديدة والعقائد التى تجمع فرق الشيعة : هى القول بوجوب التعييـن والتنصيص ، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الصغائر والكبائر والقول بالتولى والتبرى قولا وفعلا وعقدا الا فى حال التقية ـــ ويخالفهم بعض الزيدية فقط .
(انظر : شهرستانى : الملل والنحل : ١/ ١٣١ وما بعدها) .

(٣) الخوارج : كل من خرج على الامام الحق الذى اتفقت الجماعة عليـه يسمى خارجيا ، سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمـة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين باحسان ، والأئمة كل زمان وللخوارج فرق عديدة والعقائد التى تجمعها هى : التبرى من عثمان وعلى ، ويقدمون ذلك على كل طاعة ، ولا يصححون المناكحات الا على ذلك ، ويكفرون أصحاب الكبائر ، ويرون الخروج على الامام اذا خالـف السنة حقا واجبا .
(انظر : شهرستانى : الملل والنحل : ١/ ١٠٥ وما بعدها) .

كما كان من الواجب أن تنظم ، كالمعتزلة (١) ، والمرجئة (٢) والجهمية (٣) ، وغيرهما ، وجعلت هذه الفرق تحاول التدخل فى حياة المسلمين العامة ، كما أصبحت توجد عقبات فى طريق الدعوة وقد اقتضت ـ هى بحد ذاتها ـ أن يشتغل الدعاة بمقاومتها والرد عليها ، وقد تضاعفت قوة اثنين منها خلال العصر العباسى الأول ، ألا وهما : الشيعة ، والمعتزلة ـ

---

(١) المعتزلة : القائلون فى القدر وفى المنزلة بين المنزلتين ، بدأ بهذا القول واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ، كانا يجلسان فى مجلس الامام الحسن البصرى رحمه الله ، فطردهما الحسن عن مجلسه ، فاعتزلا الى سارية من سوارى مسجد البصرة ، فقيل لهما ولأتباعهما : (معتزلة) لاعتزالهم قول الأمة فى دعواها أن الفاسق من امة الاسلام لا مؤمن ولا كافر . وللمعتزلة ثنتان وعشرون فرقة ، كل فرقة منها تكفر سائرها .

(انظر : الاسفرائينى : الفرق بين الفرق : ٢٠- ٢١ و ٢٤)

" : شهرستانى : الملل والنحل : ١/ ٤٩ وما بعدها)

(٢) المرجئة : القائلون بتأخير العمل عن النية والعقد ، فيؤخرون حكم صاحب الكبيرة الى يوم القيامة ، فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا ، عن كونه من أهل الجنة أو من أهل النار ، كما يقولون : لا تضر مع الايمان معصية ، ولا تنفع مع الكفر طاعة ـ وللمرجئة فرق عديدة .

(انظر : شهرستانى : المصدر السابق : ١/ ١٢٥ وما بعدها .

(٣) الجهمية : اصحاب جهم بن صفوان ، ظهرت بدعته بترمذ ، ينفون الصفات الأزلية لله سبحانه وتعالى ، ويثبتون له علوما حادثة ، فيقولون لا يجوز أن يعلم الشىء قبل خلقه ، لأنه لو علم ثم خلق ، أفبقى علمه على ما كان أم لم يبق ، فان بقى فهو جهل فان العلم بأن سيوجد ، غير العلم بأن قد وجد ، وان لم يبق فقد تغير والمتغير مخلوق ليس بقديم . وما عدا ذلك هفوات فلسفية .

(انظر : شهرستانى : المصدر السابق : ١/ ٧٩ - ٨١)

وقد قلنا فيما سبق ، ان فكرة الدعوة العباسية هى تطور فكرة الامامة عند الشيعة ، والخلفاء العباسيون استغلوا هذه الفكرة - بعد اقامة دولتهم - لتدعيم سلطتهم واشاعة قداستهم ، فقط ، أما الأفكار الباطلة للشيعة ، فلم تحتل مكانة عندهم ، ولم نجدهم يروجون لها كمذهب شرعى للدولة غير المأمون ، فاننا وجدناه يعلن تفضيل على رضى الله تعالى عنه على الخلفاء الثلاثة الراشدين ، بل هو يدين بأن عليا رضى الله تعالى عنه أفضل خلق الله بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، ويناظر العلماء والفقهاء فى هذه المسألة ، ويقيم على زعمه الباطل دلائل مستندا الى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية (١) ، كما أنه أعلن براءة الذمة من كل من ذكر معاوية رضى الله تعالى عنه - بخير ، او فضله على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) !

وكذلك احتلت المعتزلة مكانة مرموقة فى بلاط المأمون ، وقبل ذلك لم ينجحوا فى أن يستمدوا القوة من السلطة الحاكمة/ لنشر ضلالهم ، بل وجدنا الرشيد قد قتل القائل بخلق القرآن تقربا الى الله (٣) ، وعاقب من يبغض الشيخين .

ولكن المعتزلة بلغت ذروة مجدها وسيطرتها فى عهد المأمون والمعتصم والواثق . اذ أن أمثال ثمامة بن اشرس (٤) وبشر بن غياث المريسى (٥) وأحمد ابن ابى داود من زعماء المعتزلة نالوا شرفا وكرامة ـــ

---

(١) اقرأ القصة بتمامها فى العقد الفريد : ٥/٩٧-١٠٠

(٢) انظر : المسعودى : مروج الذهب : ٤/٤٠ - ٤١

(٣) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٢٠٥

(٤) هو أبو معن ثمامة بن أشرس النميرى ، البصرى ، كان ممن سعى فى قتل المحدث أحمد بن نصر الخزاعى ، قال الذهبى فيه : هو من كبار المعتزلة ومن رؤوس الضلالة - وكان له اتصال بالرشيد والمأمون . مات سنة ثلاث عشرة ومائتين .
(انظر : الذهبى : ميزان الاعتدال : ١/٣٧٢
(" : ابن حجر : لسان الميزان : ٢/٨٣ - ٨٤)

(٥) هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن ابى كريمة عبد الرحمن المريسى العدوى بالولاء ، قال الذهبى فيه مبتدع ضال تفقه على ابى يوسف فبرع ثم جر القول بخلق القرآن - (يتبع) فى الصفحة التالية ـــ

فى بلاط المأمون (١)، وكان أحمد بن أبى داؤد من أقوى شخصيات المعتزلة، التى تأثر بها الخلفاء، المأمون والمعتصم والواثق، حتى أن المأمون أوصى أخاه المعتصم أن لا يزال يستشير أحمد بن أبى داؤد (٢) فى مهمات أموره، فأصبح ممن غلب على المعتصم رأيا وفكرا (٣)، وحاز على منصب قاضى القضاة فى عهد المعتصم، مكان القاضى يحيى بن أكثم فى عهد المأمون، وبقى فى منصبه الى نهاية عهد الواثق (٤). وبنفوذ هؤلاء زعماء المعتزلة فى أوساط الحكم، قويت سيطرتهم، وبذلوا جهدهم ليكون الاعتزال هو التعبير الوحيد عن عقيدة الاسلام، والمذهب السائد فى الدولة، بحيث لا يزاحمه مذهب آخر،

ومسألة خلق القرآن التى أبرزتها المعتزلة كفارق بين الكفر والايمان فى أيام المأمون وغيره، هى أقوى أدلة نفوذ المعتزلة فى أوساط الحكم، وكان من واجب الدولة العباسية ـ لو كانت دعوية خالصة ـ أن تقاوم هذه المذاهب المحدثة بكل قوة وشدة، وتستأصلها من جذورها، وتصر اصرارا جادا وشديدا على أفراد المجتمع الاسلامى أن يرفضوا كل ـ

(تابع حاشية رقم (٤) فى الصفحة السابقة) : كان أبوه يهوديا قصابا صباغا، مات سنة ثمانى عشرة ومائتين.

(انظر : الذهبى : ميزان الاعتدال : ١/٣٢٢، ٣٢٣

" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٢٨١

---

(١) انظر : الخطيب : تاريخ بغداد : ٤/١٤٢

" : المسعودى : مروج الذهب : ٤/٨

" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٢١٨

(٢) " : ابن كثير : المصدر نفسه : ١٠/٢٨٠

(٣) " : المسعودى : المصدر السابق : ٤/٤٧

(٤) " : ابن كثير : المصدر السابق : ١٠/٣١٩

فكر محدث لا صلة له بالمنهجين الأصيلين للاسلام ،ألا !! وهما : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،اذ أن التمسك بهما ، والعض عليهما بالنواجذ ،هو الذى يضمن سلامة الوحدة العقدية ، التى هى دعامة رئيسية من دعائم المجتمع الاسلامى الدعوى ،وهى التى تبعث الروح والحيوية فى دعائم أخرى للمجتمع ،كما أن حدوث أى نوع من التفكك - لا قدر الله - فى هذه الدعامة ،يزعزع دعائم المجتمع الأخرى ، ومحافظة هذه الدعامة الرئيسية لا تحصل الا اذا كانت حياة المسئولين الكبار فى الدولة طبق الكتاب والسنة ،واذا كانت فيهم غيرة شديدة للحفاظ على القيم الاسلامية الدعوية ، ونباهة فائقة يدركون بها (١) أبعاد الخطر المحدق بالقيم الدعوية للمجتمع الاسلامى ، وقد وجدنا نوعا من الضعف من هذه الناحية فى خلفاء بنى العباس ، فقد رأينا أبا جعفر المنصور يوقر عمرو بن عبيد ،شيخ المعتزلة ومفتيها ، ويكرمه اكراما بالغا ،من أجل استفتائه عن طلب المال من الحكام ، (٢) لا شك أن هذا الوصف يستحق التقدير ،كما أن عقائد ذلك الرجل الفاسدة كانت تستحق التعزير ، وبما أن الدولة الدعوية حريصة على الحفاظ بالوحدة العقدية ،كان المفروض للمنصور أن يرجح كفة التعزير ، وكذلك اذا وجدنا المهدى شديدا فى أمر الزنادقة ، وجدناه متساهلا فى أمر المبتدعة ووضاعى الحديث ،فيدخل عليه رجل ويضع حديثا فيه ذكر سماح السباق بين الحمام ، وذلك لأن المهدى كان مولعا بلعب الحمام ،

---

(١) ونريد أن نلفت نظر القارىء الى قصة صبيغ العراقى ، وبصيرة الفاروق رضى الله عنه فيه : انظر ص ٣١ من الرسالة .

(٢) انظر : المسعودى : مروج الذهب : ٣/٣١٣ - ٣١٤

" : ابن كثير :البداية والنهاية : ١٠/١٢٤

فيعطيه عشرة آلاف درهم ،مع علمه بـه أنه كذاب وضع الحديث، و هكذا وجد ذلك المبتدع الوضاع، الجائزة بدل التعزير و التأديب. وأما المأمون ، و المعتصم و الواثق ،فقد اكتسحهم سيل مسألة خلق القرآن .

ولقد جرت هذه الناحية الضعيفة في خلفاء بني العباس على المجتمع الاسلامي مأساة تفكك الوحدة العقدية ،و أثمرت الفرق الباطلة ثمارها ، و باضت و أفرخت، و هكذا حدثت عقبات في طريق الدعوة ، فأصبحت تستعمل مؤهلات بعض أصحاب السلطة في نشر ضلال هذه الفرق الباطلة ، كما أن مواهب العلماء الربانيين بدأت تصرف في مقاومة ما جاءت به هذه الفرق ،و خصوصا ما جاءت به المعتزلة أيام المأمون و بعدها من الأفكار الفاسدة ، و ذهب بعض من العلماء ضحية في سبيل هذه المحنة (٢) .

و باحتكاك هذه المذاهب الباطلة بمبادئ الدين الحنيف و بأصول أهل السنة و الجماعة ،استغلت الفرصة جماعة الزنادقة (٣) ،و بدءوا ينشرون الحادهم و خلاعتهم و مجونهم في بعض بيئات المجتمع الاسلامي آنذاك . ولو لم تحدث هذه العقبات، و بذل الخلفاء في حماية الدعوة ما بذلوا من نشاطهم في ترويج أفكار المعتزلة ،لعادت الدولة الى منهجها الدعوي عودا يذكر و يشكر .

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١٥٣

(٢) هو العالم الرباني أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي ،رحمه الله ،قتله الواثق لرفضه عقيدة خلق القرآن ، اقرأ قصته في البداية والنهاية : ١٠/ ٣٠٣ ـ ٣٠٦ .

(٣) مما يدل على كثرة الفرق في العصر العباسي الأول ،أن رجلا من خراسان كان نصرانيا فأسلم ثم ارتد ،فأمر المأمون به، فحمل الى بغداد ، فسأله: " ما الذي أوحشك من الاسلام ؟ "،فقال المرتد : " أوحشني ما رأيت من كثرة الاختلاف في دينكم " ، فجعل المأمون يجلوله حقيقة اختلاف هذه الأمة ، وأنه ليس على النحو الذي فهم ..... حتى عاد الاسلام و خرّ المأمون ساجدا .

(انظر: ابن طيفور : بغداد في تاريخ الخلافة العباسية : ص: ٣٢ ـ ٣٣)

والمشكلة الثالثة ، التي واجهتها الدعوة في العصر العباسي الأول هي : عدم تبني الدولة اياها في الخارج ، وان حمتها في الداخل على نحو ما ، ويعود سببها الى نواحي الضعف التي حدثت في الكيان الاسلامي آنذاك ، اذ أن توجيه الدعوة الى الخارج ينبني - غالبا - على كون الكيان الاسلامي كيانا دعويا خالصا ، وبذلك تستطيع الدولة أن توجه دعوتها الى الخارج تدعو الأمم المتجاورة الى الخير الذي تستفيد منه .

ان الدولة العباسية في عصرها الأول ، اشتغلت في بداية أمرها بتدعيم سلطتها وتوجيه قوتها الى اخماد الثورات الداخلية ، وبعد ما استقر أمرها نجد ذكر الصوائف والشواتي نحو الروم والهجمات عليها ، ويقود تلك الصوائف والشواتي - في غالب الأحيان - بعض القواد ، وقد يقودها الخلفاء ، كما قاد المهدي بنفسه الجيش في سنة ثلاث وستين ومائة (١) ، ثم قاد الرشيد بنفسه قبل أن يلي الخلافة وبعدها (٢) ، وتوقف (٣) هذا الجهاد من سنة احدى وتسعين ومائة الى سنة خمس عشرة ومائتين ، حوالي خمس وعشرين سنة (٤) .

ثم بدأ المأمون الجهاد في سنة خمس عشرة ومائتين (٥) ، كما غزا المعتصم الروم وفتح عمورية في سنة ثلاث وعشرين ومائتين (٦) .

---

(١) انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٨/١٤٤ - ١٤٨

(٢) " : " : المصدر نفسه : ٨/١٥٢ - ١٥٣

(٣) " : " : " " : ٨/٣٠٧-٣١٠

(٤) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٢٠٦

(٥) " : الطبري : المصدر السابق : ٨/٦٢٣-٦٢٥

(٦) " : الطبري : المصدر السابق : ٩/٥٥ وما بعدها

وهذه الصوائف والشواتى كانت تهدف الى حماية الحدود والثغور، والى تأديب المعتدين من الروم ،أكثر مما تهدف الى الفتح ونشر الدعوة الاسلامية ،ومن ثم لم نجد فى ذكر هذه الصوائف والشواتى ، ما يوضح لنا اهتمامها بتبليغ الدعوة ونشرها ،بحيث يوجه أولا دعوة الاسلام الى الذين خرج المسلمون لغزوهم ،ثم تخييرهم بين دفع الجزية ومقاومة سيوف المسلمين ،كما كانت هذه ميزة الدعوة الاسلامية فى العهد النبوى والراشدى .

فما وجدنا فى ذكر هذه الصوائف غير ذكر مجيء خلق كثير من الأسارى فى داخل المملكة ،الا فى الغزوة التى قام بها المأمون فى سنة سبع عشرة ومائتين ، وكتب الى ملك الروم يدعوه الى الاسلام (١) ، والى سائر حصون الروم يدعوهم الى الاسلام ويخيرهم بين الاسلام والجزية والسيف (٢).

ومن جهة أخرى ،لم نر فى أعقاب هذه الصوائف والشواتى ، أن عددا كبيرا من غير المسلمين دخلوا فى الاسلام بعد الهدنة التى قامت بين الدولتين .

ودخول غير المسلمين فى الاسلام من أهم مقتضيات الهدنة القائمة بين الدولة الاسلامية الدعوية ودول غير المسلمين ،كما حدث ذلك بعد صلح الحديبية فى العهد النبوى ، وبعد استيلاء المسلمين - عنوة أو صلحا - على بلاد الشام ومصر وفارس فى العهد الراشدى .

---

(١) انظر : ابن كثير :البداية والنهاية : ١٠/ ٢٧١ - ٢٧٢

(٢) " : المسعودى : مروج الذهب : ٤/ ٤٢

ونرى أن سبب ذلك ضعف تلك الفعالية الدعوية التى كانت موفورة فى الدولة الاسلامية فى العهدين الامامين النبوى والراشدى.

ويبدو أن الجهاد، وان كان قائما فى العصر العباسى الأول ، ولكن روحه الدعوية أصبحت ضئيلة جدا ، ومن أجل ذلك لم يأت بالنتائج التى كانت تقتضيها الدعوة الاسلامية .

وهذا الأمر - فى الحقيقة - اصبح مشكلة كبيرة فى طريق الدعوة .

ذكرنا فى هذا الفصل مشكلات رئيسية ثلاثة واجهتها الدعوة الاسلامية فى العصر العباسى الاول ، وكفانا هذا عن ذكر تلك المشكلات المتنوعة التى تتفرع عن هذه الثلاثة الرئيسية ، والدعوة الاسلامية رغم حوْول المشكلات والعقبات فى طريقها ، فى العصر العباسى الأول ، كانت تعمل عملها فى الأمة الاسلامية بأساليب مختلفة ، نذكر بعضا منها فى الفصل الآتى :-

الفصل الرابع

بعض أساليب
الدعوة في العصر العباسي
الأول

* * *

ان الدعوة ، هي وظيفة الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وانتقلت هذه الوظيفة العظيمة الى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، اكراما لها من الله سبحانه وتعالى : ((قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة ، أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله وما أنا من المشركين) (١)

فان حظتها دولة من دول المسلمين ، فقد أدت واجبها الجوهري ، ولم تمن على الدعوة شيئا ، بل هي كسبت بذلك لنفسها خيرا ، وان قصرت أي دولة اسلامية في حمل لواء الدعوة ، فهي مسئولة عن تقصيرها ، مسئولية من تخلى عن اداء مهمته الاصلية ، وتبقى الدعوة ماضية في سبيلها حسب ظروفها المواجهة .

فالدولة العباسية في عصرها الأول ، وان قصرت في اداء واجبها نحو الدعوة الاسلامية ، فالدعوة كانت جارية بأساليبها المختلفة ، ونذكر منها ما يلي :

(أ) مجالس المحدثين :

نال الحديث الشريف في العصر العباسي الأول ، رواجا عاما وتقديرا بالغا من الجمهور ، وقيض الله سبحانه وتعالى لخدمة علم الحديث أفواجا من العلماء ، كانوا يمتازون بعلو همتهم وطموحهم ـ

---

(١) سورة يوسف الآية : (١٠٨)

وبشدة نشاطهم وقوة احتمالهم وصبرهم ، وحدة ذاكرتهم وقوة حفظهم .

وأصبح العالم الاسلامي آنذاك مجالا فسيحا لتجول طلبة علـــم الحديث ، من الشرق الى الغرب ، ومن الشمال الى الجنوب ، وما أسعد هذه الرحلات العلمية المباركة وما أبهجها ! اذ أنها لم تكن مجرد رحلات علمية ، بل كانت تفوح منها روائح زكية للدعوة الاسلامية في أرجاء العالم الاسلامي .

وورود طالب من طلبة الحديث ، أو عالم من علماء الحديث ، في بلد من بلدان العالم الاسلامي ، يصبح سببا لارتواء أهل القلوب النابضة ، وأصحاب المشاعر الدقيقة ، في حقل الدعوة الاسلامية ، ومن أجل ذلك لم تزل مجالس علم الحديث زاخرة بأفواج من المستمعين للحديث ، والمصغين اليه ، وكان الناس يتهافتون على سماع الحديث ، وحضور دروســـه ، تهافت الفراش على النور ، واذا جاء محدث جليل في البلد ، يتنافس الناس لأخذ الحديث منه ، ويحضرون في حلقة درسة في عدد يستغربه العقل ، فمما حكاه الذهبي (١) في تذكرة الحفاظ (٢) ، ان مجلس يزيد بن هارون ببغداد ، كان يحضره سبعون ألفا .

---

(١) انظر : ١/٣١٨

(٢) هو الحافظ يزيد بن هارون بن زاذى ، ولد سنة ثماني عشرة ومائة ، ومات في سنة ست ومائتين ، قال ابن المديني : ما رأيت أحفظ من يزيد بن هارون ، وقال عاصم بن علي : كان يزيد يقوم الليل ويصلي بوضوء العتمة وقال علي بن شعيب : سمعت يزيـــد يقول : أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بالاسناد ولا فخر ، وقال العجلي : يزيد ثقة ، ثبت ، متعبد .

(انظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ : ١/٣١٧- ٣٢٠)

وقدر المستمعون فى مجلس سليمان ابن حرب (١) ، فكانوا أربعين ألفا ، بنى له شبه منبر بجنب قصر المأمون ، فصعده وحضر المأمون والأمراء (٢) ، فأرسل للمأمون سترشفاف ، وبقى يكتب ما يملى ، وكذلك كان مجلس عاصم بن على (٣) المحدث ، كان عدد الحاضرين فى مجلسه يقدر بأكثر من مائة ألف انسان .

وروى أنه وجه المعتصم من يقدر عدد الحاضرين فى مجلس الامام عاصم بن على ، وكان يجلس على سطح وتنتشر الخلق ، قال الراوى : حتى سمعته يوما يقول : ((حدثنا الليث بن سعد)) وهم يستعيدونه ، فأعاد أربع عشرة مرة ، والناس لا يسمعون ، وكان هارون - الذى يستملى عليه - يركب نخلة معوجة يستملى عليها ، فقدر المجلس بعشرين ومائة ألف شخص (٤) .

وأغرب من العدد ، ذلك الوقار والسكينة ، والهدوء الذى كان يغشى هذه المجالس ، فكان الناس منصتين ، هادئين ، كأن على رؤوسهم الطير وذلك لتقدير الجمهور من صميم فؤادهم منزلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبجيلهم أصحاب هذا العلم العظيم .

---

(١) هو أبو أيوب سليمان بن حرب الواشحى ، قاضى مكة ، ثقة ، حافظ للحديث ، سمع عنه البخارى وأبو داود وأحمد بن حنبل مات سنة أربع وعشرين ومائتين
(انظر : الذهبى : المصدر نفسه : ١/٣٩٣)

(٢) انظر : المصدر السابق : ١/٣٩٣

(٣) هو عاصم بن على بن عاصم بن صهيب ، الحافظ الامام الثقة ، روى عنه البخارى وأحمد بن حنبل وخلق كثير ، كان ممن ذب عن السنة فى محنة خلق القرآن ، توفى فى رجب سنة احدى وعشرين ومائتين .
(انظروا لذهبى : المصدر السابق : ١/٣٩٧)

(٤) انظر . : م سنن

وفى جانب آخر نجد زيادة الاهتمام والعناية بالسنة النبوية صلى الله عليه وسلم من الخلفاء ومن رجالات الدولة أيضا فى العصر العباسى الأول .

فقد ذكر السيوطى ـ رحمه الله ـ أن المنصور كان أعلم الناس بالحديث والأنساب مشهورا بطلبه (١).

وسئل المنصور مرة ـ وهو صاحب العز والجاه والسلطان ـ : هل بقى من لذات الدنيا شىء لم تنله ـ؟ قال نعم بقيت خصلة وهى : أن أقعد فى مصطبة وحولى أصحاب الحديث ، فقدا عليه الندماء والوزراء بالمحابر والدفاتر ، يريدون أن يهيئوا له هذه الخصلة ، فقال لهم : لستم بهم ، انما هم الدنسة ثيابهم ، المشققة أرجلهم الطويلة شعورهم ، برد الآفاق ، ونقلة الحديث (٢).

وقد ذكرنا فيما مضى اهتمام الرشيد بسماع الحديث من أبى معاوية الضرير ، وغضبه الشديد على عمه الذى طعن فى الحديث (٣).

وكان الرشيد يأنس الى رجال الحديث ويحبهم ويستمع اليهم ، فقيل : انه أول ملك رحل فى طلب علم الحديث ، فانه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على الامام مالك بن أنس رحمه الله ، (٤) وروى عنه الامامان الشافعى وأبو يوسف رحمهما الله (٥).

---

(١) انظر : تاريخ الخلفاء : ٢٧٠

(٢) انظر : المصدر نفسه : ٢٦٦ - ٢٦٧

(٣) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠ / ١٢٥

(٤) انظر : السيوطى : تاريخ الخلفاء : ٢٩٤

(٥) انظر : ابن العماد : شذرات الذهب : ١ / ٣٣٦

على كل ، ان هذا الاقبال العظيم على مجالس علم الحديث فـــى العصر العباسى الأول ،أثبت بكل صراحة ووضوح أن الجمهور رفضوا أفكار الفرق الباطلة ،ولم يقبلوا أى تأويل أو تحريف لكتاب الله ، مهما كـــان ذلك التأويل يتجاوب والعقل البشرى ، غير المهتدى بهدى الكتـــاب والسنة التى هى بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ربه .

ومن المعلوم أن جهابذة علماء السنة قد صانوها ،وكانوا يدققونهـــا بقوة ذاكرتهم النادرة ،واستحضارهم العلمى الدهش ، كما كانـــوا يصفونها بغربال الجرح والتعديل ،ومصطلحاتهم العلمية .

وهكذا كانت الدعوة الاسلامية تشق طريقها بهذا الاسلوب الجذاب البديع فى أوساط المسلمين .

(ب) مجالس الفقهاء :

ان الدعوة الاسلامية تهتى بجميع نهضات العصر وتطوره ،وبمعالجة ما يثيره ويجدده مرور الأيام والليالى من المسائل والحوادث ، فـــاذا كانت الدعوة تخدم المجتمع الاسلامى بتوفير البيان الأصيل لكتاب الله تعالى ، وتصفية المنبع الثانى للشريعة الاسلامية ، ـ الا وهى السنة المطهرة ـ فهى تهتم من جهة أخرى بمعالجة ما يواجهه المجتمـــــع الاسلامى فى ذلك العصر من المسائل الحديثة والوقائع المستجدة ، بسبب اتساع رقعة الدولة الاسلامية ، وانشعاب الحياة الاجتماعية ،واحتكاك الحضارات المختلفة والثقافات المتنوعة ، وتعقد نظام التجارة والادارة .

فقيض الله سبحانه وتعالى لهذه المهمة الجليلة رجالا عباقرة ،يتصفون بالتفقه والكفاءة ،والاخلاص والأمانة ، وهم : فقهاء الأمة الاسلامية ،قد وهبهم الله تعالى قوة عقلية نادرة لادراك الحقائـــق ـــ

واستنباط المسائل واستخراج الأحكام ، فبدوا يحللون ما يطرأ على المجتمع الاسلامي من المسائل والحوادث ، بكفاءتهم النادرة التي أشرنا اليها ، واطلاعهم الواسع على مقتضيات المجتمع العصري الذي كان المسلمون يعيشون فيه .

فكان مجتمع العراق ومجتمع ما وراء النهر ، ينعمان بفقه الامام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله ، اذ حاز صاحبه القاضي أبو يوسف - رحمه الله - منصب قاضي القضاة في عهد الرشيد ، كما كان مجتمع الحجاز ينعم بفقه الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى ، وكانت حلقات درسه قائمة في مسجد الاسلام الأول ، ألا وهو المسجد النبوي الشريف .

وانتشر فقههما في مصر وشمال افريقية والأندلس ، بفضل جهود تلاميذه النوابغ ، أمثال : عبد الرحمن بن القاسم (١) العتقي ، وعبد الله بن وهب (٢)

---

(١) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري ، فقيه جمع بين الزهد والعلم ، مولده ووفاته بمصر ، ولد في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، ومات في سنة احدى وتسعين ومائة ، له المدونة ستة عشر جزءا ، وهي من أجل كتب المالكية .

(انظر : الزركلي : الأعلام : ٤/٩٧)

(٢) هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء ، فقيه جمع بين الفقه والحديث والعبادة كان حافظا ، ثقة مجتهدا ، عرض عليه القضاء فخبأ نفسه ولزم منزله ، ولد بمصر في سنة خمس وعشرين ومائة ، ومات فيها سنة سبع وتسعين ومائة .

(الزركلي : الأعلام : ٤/٢٨٩) .

وأشهب (١) بن عبد العزيز وعبد الله (٢) بن عبد الحكم ويحيى (٣) بن يحيى الليثي .

كما كانت الديار المصرية تتمتع بفيوض الفقيهين العظيمين الامام ليث بن سعد والامام محمد بن ادريس الشافعي ، وكانت الشام تستنير من فقه الامام الأوزاعي وسفيان الثوري ، كما كانت بغداد تستفيد من فقه امام أهل السنة أحمد بن حنبل ، رحمهم الله تعالى رحمة واسعة .

وهكذا هيأت الدعوة الاسلامية بواسطة هؤلاء الفقهاء العباقرة جواتسهم من خلاله في المحافظة - ما أمكن - على حياة الأمة الاسلامية في اجتماعها ومعاملاتها واقتصادها ، كي لا تضيع ذاتيتها في خضم العصر العباسي الأول ، الذي سبق الكلام عن بعض الانحرافات التي ظهرت فيه .

---

(١) هو أشهب بن عبد العزيز بن داود ، القيسي العامري ، فقيه الديار المصرية في عصره ، قال الشافعي : ما أخرجت مصر أفقه من أشهب ، لولا طيش فيه ، ولد في سنة خمس وأربعين ومائة ، ومات بمصر ، في سنة اربع ومائتين .
(الزركلي : الاعلام : ١/٣٣٥)

(٢) هو عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع ، من أجلة أصحاب مالك . له مصنفات في الفقه وغيره ، منها : " سيرة عمر بن عبد العزيز و " القضاء في البنيان " و " المناسك " و " الأموال " ولد بالاسكندرية سنة خمسين ومائة ، ومات في القاهرة سنة أربع عشرة ومائة .
(الزركلي : المصدر السابق : ٤/٢٢٩)

(٣) هو يحيى بن يحيى بن أبي عيسى كثير بن رسلاس الليثي بالولاء ، عالم الاندلس في عصره ، بربري الاصل ، سمع الموطأ من مالك وأخذ عن علماء مكة ومصر ، وعاد الى الاندلس ، فنشر فيها مذهب مالك ، وعلا شأنه عند السلطان ، فكان لا يولى قاض في أقطار بلاد الاندلس الا بمشورته واختياره ، ولد بطنجة سنة اثنتين وخمسين ومائة وتوفي بقرطبة سنة أربع وثلاثين ومائتين .
(الزركلي : المصدر السابق : ٩/٢٢٣) .

(ج) حلقات الزهاد والنساك :

انبثقت فى محيط الدعوة الاسلامية فى العصر العباسى الأول جبهة ثالثة لمقاومة تيارات الفساد الطاغية ، وحازت على هذه الجبهة جماعة الزهاد والنساك ، وهم الذين جعلوا نصب أعينهم تزكية النفوس وتهذيبها ، وتحليتها بالفضائل الشرعية ، وتخليتها عن الرذائل النفسية والخلقية ، والتخلق بالاخلاق النبوية ، واتباع سنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم اتباعا كاملا فى مظاهر حياتهم ، واحياء لوظائف صلى الله عليه وسلم ـ القلبية وكيفياته الايمانية ، فى باطنهم ، ليصلوا بذلك درجة (الاحسان) الذى عبر عنه الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم فى حديث جبريل : (بأن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك) .

وجعل هؤلاء الزهاد مقصد حياتهم ـ على اختلاف مذاهبهم من اصابة الحق والبعد عنه ـ أن ينفخوا فى الأمة روحا جديدة من الايمان والتقوى ، والتزكية والاحسان ، ويجددوا صلة القلوب بالله ، والأجسام بالأرواح ، والمجتمع بالأخلاق ، وأن يوجدوا فى العامة : قوة مقاومة الشهوات ، وفتنة المال والولد ، وزينة الحياة الدنيا ، وفى الخاصة : قوة مقاومة جوائز الملوك وعقوباتهم ، ووعدهم ووعيدهم ، والجرأة على الجهر بكلمة حق عند سلطان جائر ، والاحتساب على الملوك والأمراء والاستهانة بالمظاهر والزخارف ، والقناعة بالقليل مما تيسر .

ولم يكونوا مجردين عن العلوم والآداب ، بل كان لبعضهم باع طويل فى العلوم الاسلامية والآداب المعاصرة ، وبذلك استطاعوا أن يتركوا أثرا فى توجيه العامة الى سواء السبيل من نحو ، وفى توجيه بعض الملوك ـ أحيانا ـ الى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم من نحو آخر .

وكان لبعض منهم مواقف مجيدة أمام الخلفاء العباسيين ، أدوا فيها حق النصيحة ، وحذروهم من سخط الله وغضبه ، ووجهوهم الى اجتناب الجور والمعاصي .

وها نرى أبا جعفر المنصور يطوف بالبيت العتيق ليلا ، واذا هو يسمع صوتا يعلو ويشكو الى ربه عز وجل : (اللهم انى أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ..)

فيجن المنصور ، ويطلب الرجل ، فيجده أحد الزهاد ، فيشرح ذلك العابد أمام المنصور جميع جوانب ظلمه وجوره وغفلته وتساهله ، وجور أمرائه وولاته ويحذره سطوة الله ، وينصحه أن يعتبر مما نزل بأعدائه بني أمية .

ويبدو من نصائحه أن الرجل لم يكن زاهدا جافا ، أو ناسكا متقشفا ، بل تستوجب لياقته مواضع الضعف والفساد في الادارات الحكومية ، وله فهم دقيق ، واطلاع واسع على شئون الدولة .(١)

كما نرى صالح المري(٢) يأتي الى المهدي وينصحه بالكلمات التالية :

" يا أمير المؤمنين ! اعمل لله ما أكلمك به اليوم ، فان أولى الناس بالله أعطاهم لغلظة النصيحة فيه ، وجدير بمن لقرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يرث أخلاقه ، ويأتم بهديه ، —

---

(١) اقرأ القصة بتمامها في العقد الفريد : ٣/١٥٩ - ١٦١

(٢) هو أبو بشر صالح بن بشير بن وادع بن أبي بن أبي الأقعس ، القارئ ، المعروف بالمري ، من أهل البصرة ، سمع عن الحسن وابن سيرين ، وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم .
كان عبدا صالحا ، زاهدا ، ناسكا ، شديد الخوف ، كثير البكاء ، كان قصاصا ، وقصصه تكون مليئة بالعبرة والموعظة .
مات سنة ست وسبعين ومائة (انظر ترجمته : الخطيب : تاريخ بغداد : ٩/٣٠٥ - ٣١٠) .

وقد ورثك الله من فهم العلم ، وانارة الحجة ميراثا قطع به عذرك ، فمهما ادعيت من حجة أو ركبت من شبهة ، لم يصح لك برهان من الله ، حل بك من سخط الله بقدر ما تجاهلته من العلم ، أو أقدمت عليه من شبهة الباطل . واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خصم من خالفه في أمته ، ينتزع أحكامها ، ومن كان محمد خصمه ، كان الله خصمه ، فأعد لمخاصمة الله ، ومخاصمة رسول الله ، حججا تضمن لك النجاة ، أو استسلم للهلكة .

واعلم أن أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى يدعيه الى الله قربة ، وان أثبت الناس قدما يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

فمثلك لا يكابر بتجريد المعصية ، ولكن تمثل له الاساءة احسانا ، ويشهد له عليها خونة العلماء ، وبهذه العبالة تصيدت الدنيا نظراءك . فأحسن الحمل ، فقد أحسنت اليك الأداء (١) فبكى المهدى .

وبما أن هذه النواحي الثلاث لأساليب الدعوة الاسلامية في العصر العباسي الأول ، لها أهمية خاصة وتأثير عميق في مجال الدعوة ، أردنا التوسع فيها قليلا بترجمة بعض رجالها البارزين من المحدثين والفقهاء والزهاد ، وخصصنا لذلك الباب الأخير لهذه الرسالة .

ونجد في العصر العباسي الأول أساليب أخرى للدعوة الاسلامية غير هذه الأساليب الثلاثة الرئيسية التي ذكرناها آنفا ، ومنها :

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد : ٣٠٦/٩

(د) حركة اصلاحية متطوعة :

فسد حال بغداد في سنة احدى ومائتين ، وكان المأمون آنذاك بخراسان ، وضعفت سلطته على بغداد من أجل بعده وأخذه البيعة لعلى الرضى بولاية العهد .

فثار العباسيون في بغداد ، وبايعوا ابراهيم بن المهدى ، وتهيأت الفرصة للفساق والمشاغبين في بغداد وما حولها من القرى ، فبدؤا ينهبون أموال الناس ، ويتعرضون لاعراضهم فينهبون الغلمان والنساء ، فقام رجلان من العامة متطوعين لاصلاح هذا الفساد المؤلم ، أحدهما رجل يقال له : خالد الدريوش ، والثانى : رجل من أهل خراسان يقال له : سهل بن سلامة أبو حاتم الأنصارى .

واجتمع حولهما جمع من أهل بغداد وما جاورها ، لدفع تلك المصيبة التى حدثت من نشاط الفساق والمشاغبين ، وهكذا تكونت جماعتان للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تطوعا ، يرأس احداهما خالد دريوش ، والأخرى سهل بن سلامة الأنصارى ، فجعلوا يأمرون الناس بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، كما يستعملون فى بعض الأحيان ـ القوة ضد أولئك الفساق والمشاغبين .

أما خالد الدريوش ، فبقى على هدفه الوحيد وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولكن سهل بن سلامة الأنصارى جاوز حده ، فبدأ يتعرض لأصحاب السلطة ، ويدعو الناس الى التمسك بالكتاب والسنة ، ويحرضهم على قتال من خالفهم ، كائنا من كان من أصحاب السلطة .

وكان قد جمع الأسلحة فى مقره . فانتهه أصحاب السلطة فى أمره ، وقبض عليهما ابراهيم بن المهدى فى سنة اثنتين ومائتين وسجنهما .(١)

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٨/ ٥٥١-٥٥٤ و ٥٦٢-٥٦٤

وهكذا وان قامت حركة اصلاحية متطوعة فى العصر العباسى الأول ، ولكنها لم تنظم ،كما كان ينبغى أن تنظم ، وربما كان من أسباب اخفاقها عدم استعداد تلك المرحلة من حياة المسلمين لنجاح مثل هذه الحركات.

(هـ) شعر الدعوة الاسلامية :

ان للشعر أثرا عميقا فى اثارة العواطف والمشاعر ،وانه ربما كان أحد من السيف قطعا ،وأشد من السحر تأثيرا ،ومن الشعر ما أحدث الأحداث الكبيرة .

وهل نستطيع أن ننسى أثر شعر سديف بن ميمون (١) ،خادم السفاح تحريضه اياه على قتل عدد كبير من أمراء بنى أمية فى مجلس واحد ـ؟ فلنتساءل : هل خدم الشعر الدعوة الاسلامية فى العصر العباسى الأول ـ؟ والجواب : أن الشعر لم يخدم الدعوة الاسلامية فى ذلك العصر ،كما خدمها فى العهد النبوى والراشدى .

اذ أن من الموضوعات الشعرية الأساسية عامة ـ قبل الاسلام وبعده : المديح والهجاء ، والغزل والخمر ، ولم تظهر الدعوة كموضوع أساسى للشعر الا فى العهد النبوى ثم الراشدى .

وبعدما دخل الانحراف فى بعض نواحى الحياة الاجتماعية الاسلامية دخل ـ طبيعيا ـ فى الشعر والشعراء ، لأن الشعراء أسرع تأثرا بالنسبة الى غيرهم ،وذلك لحدة المزاج الشعرى الذى لا يخلو من التطرف والمبالغة ، ولذا يضرب المثل : ((أعذب الشعر أكذبه)) .

---

(١) انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٤/٤٨٥ ـ ٤٨٧

" : ابن المعتز : طبقات الشعراء : ٣٩ ـ ٤٠

ويبدو أن الاسلام من أجل ذلك لم يستحسن الشعر الذى لا يحمل معنى من معانى الدعوة ، ويشير الى ذلك قوله تعالى : ((والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)) (١) .

فلم نجد شاعرا (٢) من كبار الشعراء فى العهد الأموى ، والعباسى الأول ، اختار الدعوة كموضوع أساسى لشعره (٣) .

ومن أعلام الشعراء الذين ذاع صيتهم فى العصر العباسى الأول ، فبشار بن برد (٤) ، وحماد عجرد (٥) ، —

---

(١) سورة الشعراء : الآيات : ٢٢٤ - ٢٢٧

(٢) أردنا بالشاعر - هنا - من عرف كشاعر فى المجتمع ، وظهت صفته الشعرية على أوصافه الأخرى ، فلا يدخل فيه أمثال عبد الله بن المبارك ، والامام الشافعى وغيرهما ، فهؤلاء كانوا يقرضون شعرا دعويا ، ولم يكونوا معروفين فى الناس كشعراء ، بل كعلماء وفقهاء .

(٣) ان التوسع فى هذا الموضوع ربما يبعدنا عن جوهر الرسالة — ، فاكتفينا - من أجل ذلك - بهذه الاشارة الدالة .

(٤) هو أبو معاذ بشار بن برد العقيلى بالولاء ، أفحل شعراء عصره ، ولد أعمى ، رمى بالزندقة ، قتله المهدى سنة سبع وستين ومائة - (انظر : ابن المعتز : طبقات الشعراء : ٢١ وما بعدها .
" : الخطيب : تاريخ بغداد : ١١٢/٢٧ وما بعدها .
" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٤٩/١٠ - ١٥٠

(٥) هو حماد بن عمر بن يوسف بن كليب الكوفى . شاعر ماجن ، ظريف ، زنديق ، كان بينه وبين بشار بن برد مهاجاة كثيرة - مات سنة خمس أو ثمان وخمسين أو احدى وستين —
(انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١١٤/١٠
" : الأصبهانى : الأغانى : ٣٢١/١٤ وما بعدها) .

أبو نواس (١)، وأبو العتاهية (٢)، وأبو تمام (٣)، والبحترى (٤) وغيرهم لم نجد أحداً منهم يختار الدعوة الاسلامية موضوعا أساسيا لشعره (٥)، وان وجد فى شعر بعضهم قصائد أو أبيات ذات صلة بمعنى من معانى الدعوة الاسلامية .

---

(١) أبو نواس : هو الحسن بن هانئ بن صباح البصرى ، الحكمى بالولاء ، شاعر معروف ، من أجود شعراء عصره ، كان ماجنا ، ثم تاب وحسنت توبته ، مات سنة ثمان وتسعين ومائة .
(انظر : ابن المعتز : طبقات الشعراء : ١٩٣ وما بعدها
" : الخطيب : تاريخ بغداد : ٤٣٦/٧ وما بعدها
" : ابن كثير : البداية والنهاية : ٢٢٧/١٠ وما بعدها

(٢) أبو العتاهية : هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم بن سويد العنزى بالولاء ، بائع جرار ، كان شاعرا مكثرا ، سريع الخاطر ، رمى بالزندقة مع كثرة شعره فى الزهد والموعظة ، كان يتلعب بالشعر ويأخذ كيف يشاء ، مات فى سنة احدى عشرة ومائتين .
(انظر : ابن المعتز : المصدر السابق : ٢٢٧ وما بعدها
" : الخطيب : " " : ٢٤٨/٨ وما بعدها
" : ابن كثير : " " : ٢٦٥/١٠ " "

(٣) ابو تمام : هو حبيب بن اوس بن الحارث الطائى ، من أشعر الناس فى زمانه ، شامى الأصل ، كان شاعر المعتصم مات سنة احدى وثلاثين ومائتين بالموصل .
(انظر : ابن المعتز : المصدر السابق : ٣٨٢
" : الخطيب : " " : ٢٤٨/٨ وما بعدها
" : ابن كثير : " " : ٢٩٩/١٠

(٤) البحترى : هو أبو عبادة وليد بن عبيد بن يحيى الطائى ، البحترى من كبار شعراء العربية وكان شعره يمتاز بجودة اللفظ وحسن النغم ، ولد سنة ست ومائتين ومات سنة اربع وثمانين ومائتين
(انظر : ابن المعتز : المصدر السابق : ٣٩٣ وما بعدها
(" : الخطيب : " " : ٢٤٨/٨ وما بعدها
" : ابن كثير : " " : ٧٦/١١

(٥) نريد بذلك أن الدعوة لم تتملك مشاعره ووجدانه وهى ميزة الشاعر الدعوى الذى لا يقرض شعرا الا ورائحة الدعوة تفوح من جوانبه ، كما كان حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغيرهما رضى الله عنهم فى العهد النبوى والراشدى وكما كان الشاعر الدعوى محمد اقبال رحمه الله فى عصرنا هذا .

ظهر فى أيامنا هذه كتاب ، عنوانه : ((شعر الدعوة الاسلامية ، فى العصر العباسى الأول)) .

نشرته كلية اللغة العربية بجامعة الرياض ، جمع الباحث الفاضل فيه بغاية الدقة ، والجهد أبياتا أنشدت فى ذلك العصر فى معنى من معانى الدعوة الاسلامية ، ويبلغ عدد الأبيات نحو ألف وخمسمائة وزيادة ، ولو قسمنا تلك الأبيات على عدد أيام قرن واحد ، لكانت النتيجة أن يصيب كل يوم من أيام المسلمين فى هذا القرن نحو ٤١ ٪ من البيت ، واذا حذفنا الأبيات التى أنشدت ضمن مديح الخلفاء والأمراء والتعازى والمراثى ، لم يبق الا شعر يسير فى الدعوة ، واذا حذفنا مما بقى من الأبيات ، الأبيات التى قرضها رجال لم يكونوا من جماعة الشعراء ، أمثال عبد الله بن المبارك ، والامام الشافعى رحمهما الله ، خفت كفة شعر الدعوة غاية الخفة ، واذا أردنا أن نجمع ما قرض فى ذلك العصر من أشعار الغزل الفاحش أو شعر المجون والخلاعة ، أو شعر المديح والهجاء ، لتراكمت الأكوام .

ولا شك أن الشعر له صلة عميقة بأوضاع المجتمع ، ومن أجل ذلك حكم من حكم بكون المجتمع الاسلامى فى العصر العباسى الأول ، مجتمع خلاعة ومجون (١) ، ولكنه أخطأ ، وبالغ وأسرف فى المبالغة ، اذ أن الشعر جزء صغير من المجتمع ، لا المجتمع كله ، ولا يطلق على الكل حكم جزء من أجزائه

---

(١) اقرأ لذلك مقالات الدكتور طه حسين فى المجلد الثانى من كتابه " حديث الأربعاء "

وان هذه الناحية من نواحي أدب ذلك العصر ،لو حظيت روحا دعوية ، لغيرت مجرى التاريخ الى حد ما ، لأن الشعراء كانت لهم مكانة في الجمهور واذا نزل شاعر من كبار الشعراء ، في بلد من بلدان العالم الاسلامي آنذاك ،كان الناس يقبلون عليه ،ويسمعون منه ،ويكتبون شعره ، ويعرضون عليه الأشعار.(١)

على كل ، فان الشعر خدم الدعوة الاسلامية في العصر العباسي الأول ، ولو على مستوى ضعيف ،وكان المفروض أن يكون مستواه أرفع مما كان وأسمى .

ولنا أن نعتبر الشعر أيضا أسلوبا من أساليب الدعوة في ذلك العصر. ولنورد نماذج صغيرة من الأبيات التي تحمل في ثناياها الدعوة الى الله:

قال محمود الوراق :(٢)

كن من الله يكن لك ... واتق الله لعلك

لا تكن الا معدا ... للمنايا فكأنك

ان للموت لسهما ... واقعا دونك او بك ،

نحن نجري في أفانيـ ... ـن سكون وتحرك ،

فعلى الله توكل ... ويتقواه تمسك ،(٣)

---

(١) انظر : الصولي : أخبار ابي تمام : ٥٩ و ٦٦

(٢) هو محمود بن الحسن الوراق ،شاعر مكثر ، أكثر شعره في الزهد والأدب ، والأمثال والحكم ، وكان نحاسا ، توفي في حدود المائتين والثلاثين .
(انظر : ابن المعتز : طبقات الشعراء : ٣٦٦ - ٣٦٧
" : الخطيب : تاريخ بغداد : ١٣/٨٧ ــ ٨٩)

(٣) البيان والتبيين : ٤٨٥

وقال وهو يحرض المخاطب على تكفير ما فات واعداد ما بقى :

بكيت لقرب الأجـــل ... وبعد فوات الأمـــــل

ووافد شيب طـــــرا ... بعقب شباب رحـــــل

شباب كأن لم يكـــن ... وشيب كأن لم يـــزل

طواك بشير البقـــا ... وحل بشـير الأجـــل

طوى صاحب صاحبا ... كذاك اختلاف الـــدول (١)

ومن شعر أبى العتاهية :

لعمر أبى ! لو أننى أتفكـــر ... رضيت بما يقضى على ويقـــدر

توكل على الرحمن فى كل حاجة ... أردت فان الله يقضى ويقـــدر

متى مايرد ذو العرش أمرا بعبده ... يصير وما للعبد ما يتخـــير (٢)

وقد يهلك الانسان من وجه أمن ... وينجو باذن الله من حيث يحذر

ولأبى العتاهية أيضا :

يا أيها المرء المضيع دينـــه ... احراز دينك خير شىء تصطنـــع

والله أرحم بالفتى من نفســـه ... فاعمل فما كلفت ما لم تستطـــع

والحق أفضل ما قصدت سبيلـــه ... والله أكرم من تزور وتنتجـــع (٣)

فامهد لنفسك صالحا تجزى بـــه ... وانظر لنفسك أى أمـــر تتبـــع

---

(١) البيان والتبيين : ٤٨٤

(٢) ديوان أبى العتاهية : ١٧٧

(٣) ديوان أبى العتاهية : ٢٥٣

وله أيضا :

أيها المبصر الصحيح السميع ، أنت باللهو والهوى مخدوع

كيف يعمى عن السبيل بصير عجبا ذا أو يستصم سميع

ما لنا لا نستطيع أن نجمع الما ل ورد الممات لا نستطيع

حبب الأكل والشرب الينا وبناء القصور والتجميع

وصنوف اللذات من كل لون والفنا مقبل الينا سريع (١)

وله أيضا :

واذا تناسبت الرجال فما أرى نسبا يقاس بصالح الأعمال

واذا بحثت عن التقى وجدته رجلا يصدق قوله بفعال

واذا اتقى الله امرؤ وأطاعه فبداه بين مكارم ومعال

وعلى التقى اذا ترسخ فى التقى تاجان : تاج سكينة وجلال

للمتقين هناك نزل كرامة علت الوجوه بنضرة وجمال

وسوابق غر محجلة ، جرت خمص البطون ، خفيفة الأثقال

من كل أشمث ، كان أغبر ناحلا خلق الرداء ، مرقع السربال

نزلوا بأكرم سيد ، فأظلهم فى دار ملك جلالة ، وظلال (٢)

ومن شعر العالم الربانى عبد الله بن المبارك - رحمه الله - : قرض هذه الأبيات ، وهو فى معركة الجهاد بطرسوس ، فى سنة سبع وسبعين ومائة ، ثم بعثها الى الزاهد الناسك الفضيل بن عياض - رحمه الله - يخاطبه ويصور أمامه صورة حية لساحة القتال : (٣)

---

(١) ديوان أبى العتاهية : ٢٥٢

(٢) " " : ٣٢٥

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ٢/١٠٣ - ١٠٤

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضب جيده بدموعه (١) (٢) ... فنحورنا بدمائنا تتخضب

او كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب (٣)

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... رهج السنابك والغبار الأطيب (٤) (٥)

ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب

لا يستوى غبار خيل الله في ... انف امرئ ودخان نار تلهب

هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت ، لا يكذب

ان الروح الدعوية التي تتجلى في أبيات ابن المبارك ، لو تناولها قرائح أولئك الشعراء الكبار ، الذين يعتبر شعرهم نماذج رائعة لجودة اللفظ وحسن المعاني وسحر التأثير ، وبه نالوا مكانة مرموقة في اوساط الادب والهيئات الحاكمة في ذلك العصر ، لضجت جوانب المجتمع الاسلامي آنذاك ، بهتافات الدعوة الاسلامية .

---

(١) يخضب : أي يبله بالدموع ، هذا من باب الاستعارة : (ابن الاثير : النهاية : ٢/٣٩) .

(٢) جيد : العنق ، الجمع : اجياد وجيود (ابن منظور : لسان العرب : ٣/١٣٩) .

(٣) يوم الصبيحة : أي يوم الصباح وهو يوم الغارة (لسان العرب : ٢/٥٠٥)

(٤) الرهج : الغبار : (النهاية : ٢/٢٨١)

(٥) السنابك : جمع سنبك : طرف الحافر وجانباه من قدم - (لسان العرب : ١٠/٤٤٤)

(ه) أساليب أخرى للدعوة :

نجد في العصر العباسي الأول بعض أساليب أخرى متفرقة للدعوة الاسلامية، منها : ما وجهه الامام أبو يوسف القاضي الى الرشيد ، عندما طلب منه وضع كتاب جامع في جباية الخراج والعشور والصدقات . وأراد بذلك رفع الظلم عن رعيته والصلاح لأمرهم ،فانتهز أبو يوسف هذه الفرصة ،وأوصى الرشيد بكلمات تحمل في ثناياها روح الدعوة الاسلامية فقال :

" يا أمير المؤمنين ان الله ـ ولله الحمد ـ قد قلدك أمرا عظيما : ثوابه أعظم الثواب ، وعقابه أشد العقاب . . فلا تضيعن ما قلدك الله من أمر هذه هذه الأمة والرعية ، فان القوة في العمل باذن الله .

لا تؤخر عمل اليوم الى غد ،فانك اذا فعلت ذلك أضعت ،ان الاجل دون الأمل ، فبادر الأجل بالعمل ، فانه لا عمل بعد الأجل .

ان الرعاة مؤدون الى ربهم ما يؤدي الراعي الى ربه ،فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار ، فان أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة : راع سعدت به رعيته ، ولا تزغ فتزيغ رعيتك . واياك والأمر بالهوى والأخذ بالغضب واذا نظرت الى أمرين أحدهما للآخرة والآخر للدنيا ، فاختر أمر الآخرة على أمر الدنيا ،فان الآخرة تبقى والدنيا تفنى ،وكن من خشية الله على حذر واجعل الناس عندك في أمر الله سواء القريب والبعيد ، ولا تخف في الله لومة لائم ، واحذر فان الحذر بالقلب وليس باللسان . . .

واعلم أنه لن تزول قدما عبد بين يدي الله تبارك وتعالى الا من بعد المسألة فقد قال صلى الله عليه وسلم : ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن علمه ما عمل فيه ، وعن عمره فيم أفناه ، وعن ماله ، من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسده فيم أبلاه .)) .

فاعدد يا أمير المؤمنين للمسألة جوابها ، فان ما علمت ،فأثبت فهو عليك غدا يقرأ ، فاذكر كشف قناعك فيما بينك وبين الله في مجمع الأشهاد ، واني أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله ، ورعاية ما استرعاك الله ،وأن لا تنظر في ذلك الا اليه ، وله ...))(١)

ومن تلك الأساليب الدعوية : عقد مجالس المناظرة بين علماء المسلمين وأساقفة النصارى ، فقيل : ان البطريق النسطوري طيما ثاوس كان يهتم بعقد هذه المجالس بحضرة الخليفة موسى الهادي ، وهارون الرشيد ، فيتناظر فيها علماء المسلمين والنصارى ، وكل فريق يبذل جهده في تأييد عقيدته ، ولا شك أن هذه الظاهرة تدل على تسامح المسلمين ، الجدير بالاكبار.(٢)

ومنها:كتابة الرسالة الدعوية ،فقيل : ان ابن عم للمأمون وهو عبد الله ابن اسماعيل الهاشمي وجه رسالة دعوية الى صديقه النصراني المسيح ابن اسحاق الكندي ، الذي كان يحتل منزلة كريمة في بلاط المأمون ، فالرسالة طويلة تحتوي على مشاعر الود والاخلاص والنصيحة من نحو ، وتشير للمرسل اليه دلائل وشواهد قاطعة على بطلان عقائد النصارى ،وطقوسهم الدينية ، وعلى حقانية الاسلام وقطعية عقائده من نحو آخر.(٣)(٤)

---

(١) كتاب الخراج : ٣- ٥

(٢) انظر: توماس أرنولد : الدعوة الى الاسلام (الترجمة العربية) : ١٠٣ - ١٠٤

(٣) اقرأ نص رسالة الهاشمي الى الكندي في المصدر نفسه : ٤٧٠-٤٧٦

(٤) انظر : توماس أرنولد : المصدر نفسه : ١٠٤

وكان المأمون بنفسه يرغب فى توجيه دعوة الاسلام الى غير المسلمين ويتحمس لذلك ، فوجه الدعوة الى غير المسلمين الذين كانوا يقطنون أقاصى البلاد ، مثل بلاد فرغانة وما وراء النهر.(١)

وقد كان علماء المسلمين يتحلون بالتسامح ورحابة الصدر فى دعوتهم الآخرين الى الاسلام ، ولقد رأينا آنفا كيف سمح للبطريق النسطورى طيما ثاؤس ، أن يناظر علماء المسلمين فى العقائد بمحضر الهادى و الرشيد ، ونقرأ الآن ما نقل من أن زعيم المانوية يزدان بخت ، زار بغداد فى أيام المأمون ، وعقد مجلسا ناظر فيه علماء المسلمين ومتكلميهم فى عقائدهم وأسلوب دعوتهم ، فأفحمه العلماء وقطعوا عليه الحجة ، فحاول المأمون آنذاك أن يقنعه باعتناق الاسلام ، ولكنه أبى ، وقال : نصيحتك ياأمير المؤمنين مسموعة ، وقولك مقبول ، ولكنك ممن لا يجبر الناس على ترك مذاهبهم ، فلم يصر المأمون على قوله ، بل عين ليزدان بخت حفظة تحفظه من الطائفة المتطرفة من المسلمين.(٢)

واذا تصفحنا كتب التاريخ والتراجم ، وكتب الأخلاق والآداب ، وجدنا أمثلة غير قليلة مثل هذه الأساليب المتنوعة للدعوة الاسلامية فى العصر العباسى الأول .

وقد اكتفينا بذكر بعض النماذج منها ، اذ أن هذه الأساليب ، ليس لها تأثير جذرى فى مجال الدعوة الاسلامية .

---

(١) انظر : البلاذرى : فتوح البلدان : ٥٢٧ - ٥٢٩

(٢) انظر : توماس ارنولد : الدعوة الى الاسلام : ١٠٥

كما أننا لا ننكر فضل هذه الجهود المتنوعة فى سبيل الدعوة وقيمتها ، أما الأساليب الثلاثة التى قدمنا ذكرها ، وهى : اسلوب المحدثين ، والفقهاء والزهاد ، فلها دور أساسى فى نشر الدعوة الاسلامية واستثمارها ، ومن أجل ذلك أردنا أن نتوسع قليلا فى هذا الباب ، ونستعرض ثمرات الدعوة فى تراجم بعض أجلة المحدثين والفقهاء والزهاد ، وسنبحث عنها فى الباب الأخير الآتى :-

الباب الثالث

نماذج رجال الدعوة في العصر العباسي الأول

- الفصل الأول: دعاة من المحدثين
- الفصل الثاني: دعاة من الفقهاء
- الفصل الثالث: دعاة من الزهاد

الباب الثالث

نماذج رجال الدعوة فى العصر العباسى الأول

* *

وفيه تمهيد وثلاثة فصول :

تمهيد :

ظهر مما ذكرنا فيما سبق من الفصول والمباحث ، أن الدعوة الاسلامية التى وصلت الى الدولة العباسية فى عصرها الأول ، كانت أمانة غالية فى عنقها ، موروثة من العهد النبوى والراشدى ، وكان من واجبها أن تحافظ عليها ولو على حساب أغلى ما تملكها من الثروة ، كما كان من واجبها اصلاح ما حدث من الانحرافات فى الفترة التى تخللت بينها وبين العهد الراشدى ، ولكنها - مع الأسف - قصرت فى أداء واجبها ، مما زاد الطين بلة ، أما الدعوة الاسلامية ، فهى على الرغم من المشكلات المتنوعة فى سبيلها ، لم تزل تشق طريقها فى كل مكان وزمان ، انها - وان ضعف سيرها وانتشارها من أجل تقصير الدولة فى مساندتها وتبنيها - كانت تتغلب على المشكلات بفضل ما أودعه الله تعالى فيها ذاتها من الحيوية والنشاط ، والجاذبية والبهاء والروعة والصفاء ، وصلاحية الاستيلاء على المشاعر الصادقة والجوارح السليمة ، وبفضل جهود أولئك الرجال النوابغ ، الذين يقيضهم الله تعالى ، لخدمة كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولتصفية ما يطرأ على تعاليمها من غبار الفساد والانحراف ، فظلوا منقطعين فى كل عصر ومصر الى الدعوة الى الله ، وعاكفين على التعليم والتعلم منهمكين فى نشر العلوم الدينية والحكمة الالهية ، منصرفين الى تزكية النفوس وتحليتها بحلى الاخلاص والاحسان .

لم يزل

فهؤلاء - في الحقيقة - حاملوا راية الدعوة الاسلامية ، وهذه هي السلسلة الذهبية التي امتدت الى عصرنا الحاضر ، ولا تزال تمتـــد - ان شاء الله تعالى - الى يوم القيامة ، وأصلها ملتصق بأهداب النبوة المحمدية صلى الله على صاحبها وسلم ، ولم ينقطع قط امتدادها في أي زمان ومكان (١) ، وذلك مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)) (٢) فهذه الطائفة ، هي رجال الدعوة .

ونريد أن نترجم بعض هؤلاء الأئمة العظام ، الذين ظلوا عاكفين على اداء مهمتهم الدعوية ، لا يصرفهم عنها صارف ، ولا يشغلهم عنهـا شاغل :

---

(١) قولنا هذا ، لا يعارض ما أشرنا اليه من ضعف بعض النواحي الدعوية في العصر العباسي الأول ، اذ أن مفهوم الحديث أيضا يشير الـى أن الفساد يعم - ويستثنى منه هذه الطائفة ، والطائفة قد يزداد عدد أفرادها ، وتساندها الدولة - كما كان في العهد الراشدي والعهود التي تمثل به - فتصبح ظاهرة على الفساد كله ، وقد ينقص أفرادها ، وتتصرف الدولة عن مساندتها ، فتصبح ظاهـرة من حيث تعاليمها وعقائدها ونشاطها ، وان لم تكن كذلك من حيث تأثيرها ونفوذها في الجمهور ، وقد أشار الى ذلك حديثه صلى الله عليه وسلم : (بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبـــا ، فطوبى للغرباء)

(رواه مسلم : ٢/١٧٦) ولا يسبب عجز هذه الطائفة شيء كقصـــور الدولة عن اداء مهمتها الدعوية ، وبذلك تبدو أهمية كون الدولـة ممسكة بأهداب الدعوة وعاضة عليها بالنواجذ .

(٢) رواه الشيخان واللفظ لمسلم : ١٣/٦٥

الفصل الأول

دعاة من المحدثين

نترجم في هذا الفصل بعض أعلام المحدثين ، وليس القصد به حصر خدمة الدعوة الاسلامية في شخصيات المترجمين فحسب ، اذ أن هناك عددا يعد بالآلاف في المحدثين ، خدموا هذا الفن الشريف خدمة لا يستهان بقيمتها ، كما أن لهم نصيبا وافرا في نشر الدعوة الاسلامية .

انما أردنا بذلك تقديم نموذج صغير لأئمة الدعوة ، الذين سقوا هذه الشجرة الطيبة بعرقهم ، وبدموعهم ودمائهم ، ونترك جهد القياس للقارئ ، فله أن يقيس على هؤلاء الجهابذة المترجمين ، اخوانهم الذين ساهموا معهم كتفا بكتف ، وعضدا بعضد في ساحة الدعوة الاسلامية - وهم عدد كبير من المحدثين والفقهاء والزهاد .

وقد اكتفينا من الكلام في حياة المترجمين بما له صلة موضوعية وشيجة بالدعوة .

وهناك أعلام ، لهم باع طويل في علوم شتى ، فلا يستطيع القارئ أن يرجح فيهم كفة الحديث أو كفة الفقه ، لبراعتهم في كلا العلمين براعة تامة ، أمثال الامام الأوزاعي ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، - رحمهم الله تعالى - فرجحت فيهم كفة الحديث ، نظرا الى أن فقههم لم يدون كما دون فقه الائمة الأربعة رحمهم الله تعالى رحمة واسعة .(١)

---

(١) اطلعنا أخيرا على كتاب قيم باسم " فقه الامام الأوزاعي " ، جمع فيه المؤلف الفاضل الدكتور عبد الله محمد الجبوري ، فقه الامام الجليل المذكور ، وقدمه لنيل شهادة العالمية (الدكتوراه) ونشرته وزارة الأوقاف العراقية والجهد ، جهد مشكور جدا ، كثر الله أمثاله .

١- الامام الأوزاعي ، رحمه الله

نشأته :

هو شيخ الاسلام ،الامام أبو عمرو ،عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي نسبة الى الأوزاع وهو بطن من حمير ،ولد الامام ببعلبك سنة ثمان وثمانين ،في قرية اسمها : كرك .

مات أبوه وهو صغير ،فتربى يتيما في حجر أمه ،ثم نقلته أمه الى بيروت .

تلقى علم الحديث من علماء عصره ،منهم : عطاء بن أبي رباح ، والقاسم بن مخيمرة ،وشداد بن أبي عمار ،ويحيى بن كثير، ومحمد بن شهاب الزهري وغيرهم ،وأخذ عنه العلوم خلق كثير ، منهم : الامام مالك ،وشعبة ، وابن المبارك ،والوليد بن مسلم ويحيى القطان وغيرهم .(١)

علمه وفضله :

كان الأوزاعي اماما في الفقه والحديث ،أدرك كثيرا من التابعين فروى عنهم .

قال مالك : كان الأوزاعي اماما يقتدى به . وقال سفيان بن عيينة : كان الأوزاعي امام أهل زمانه .

قيل : انه حج مرة ،ورأى الناس منظرا عجيبا ،روى سفيان الثوري -رحمه الله- آخذا بزمام جمله ، والامام مالك بن أنس -رحمه الله- يسوق به .

---

(١) انظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ : ١/ ١٧٨- ١٨٠
" : ابن كثير: البداية والنهاية : ١٠/ ١١٥
" : ابن حجر: تهذيب التهذيب : ٦/ ٢٣٩

والثورى ينادى : افسحوا للشيخ . حتى أجلساه عند الكعبة ، وجلسا بين يديه يأخذان عنه الحديث (١) .

قال اسماعيل بن عياش : سمعت الناس يقولون سنة أربعين ومائة : الأوزاعى اليوم عالم الأمة (٢) .

وروى أنه تذاكر الامام مالك والأوزاعى مرة بالمدينة ، من الظهر حتى صليا العصر ، ومن العصر حتى صليا المغرب فكان مالك يستفيد من الأوزاعى فى المغازى ، وكان الأوزاعى يستفيد من مالك فى الفقه .

كما قيل : ان الأوزاعى رحمه الله أفتى سبعين ألف مسألة باصطلاح المحدثين : (حدثنا وأخبرنا) (٣) .

كان بارعا فى الكتابة ، كانت كتبه ترد على أبى جعفر المنصور ، فيتعجب من فصاحتها وحلاوة عباراتها ، وقال يوما لكبير كتابه : ينبغى أن نستفيد من كلام الأوزاعى ، نكاتب له الى الآفاق ، الى من لا يعرف كلامه . فقال : والله ياأمير المؤمنين ! لا يقدر أحد من أهل الأرض على مثل كلامه ولا على شىء منه (٤) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١١٦

(٢) انظر : الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١/١٧٦

(٣) انظر : ابن كثير : المصدر السابق : م ـــ ن

" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٦/٢٤٠

(٤) انظر : ابن كثير : المصدر السابق : ١٠/١١٦-١١٧

فباعتراف كبير كتاب المنصور فضل الأوزاعي على كتاب عصره ، ثبت أن الأمامة ، انتقلت الى غير الاكفاء ، الذين لم يسيغوا تعاليم الاسلام اساغة تليق بقيادة الأمة الاسلامية ، والاضطلاع بزعامتها ، وكان هؤلاء النوابغ من الأئمة يستحقون - في الحقيقة - قيادتها باجماع آراء أرباب الحل والعقد .

ولا شك أن الأوزاعي كان أحدا منهم ، اذ قال الذهبي : ان الأوزاعي كان يصلح للخلافة ، ونقل قول أبي اسحاق الفزاري ، بأنه قال : لو خيرت لهذه الأمة ، لاخترت لها الأوزاعي .(١)

في ميدان الدعوة :

كان الأوزاعي رحمه الله ، مع لباقته الفائقة ، ومواهبه العلمية زاهدا ورعا تقيا ، قوام الليل ، صوام النهار ، وكان يقول : من أطال القيام في صلاة الليل ، هون الله عليه طول القيام يوم القيامة ، واستنبطه من قوله تعالى : ((ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ، ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا))(٢)

وقال الوليد بن مسلم : ما رأيت أحدا أشد اجتهادا من الأوزاعي في العبادة .

---

(١) انظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ : ١ / ١٨٠

(٢) سورة الانسان : الآيتين : ٢٦ - ٢٧

وقيل : انه حج ، فما نام على الراحلة ، بل ظل يصلى طول الطريق ، فاذا غلبه النوم استند الى القتب .

وقيل : ان امرأة دخلت على زوجة الأوزاعى ، فرأت الحصير الذى يصلى عليه الأوزاعى مبلولا ، فقالت : هل الصبى بال ههنا ؟ فقالت : هذا أثر دموع الشيخ من بكائه فى سجوده ، وهكذا يصبح كل يوم (١) ـ ولا ريب انه من صفات الداعية المخلص أن يكون موصول القلب بربه ، خاشعا له ، متبتلا اليه ، وبذلك يحصل له ذلك الأثر المطلوب فى خطبه ومواعظه ، وفى حاله وقاله ، لأنه ما يخرج من غور القلب ، يستقر فى صميم الفؤاد .

وقالوا : ما رؤى الأوزاعى ضاحكا مقهقها قط . وكان يعظ الناس فلا يبقى أحد فى مجلسه الا بكى بعينه أو بقلبه ، وما رآه أحد يبكى فى مجلسه قط ، وكان اذا خلا بكى حتى يرحم (٢) .

وكان من أقواله : ((خمسة ، كان عليها الصحابة والتابعون : لزوم الجماعة ، واتباع السنة ، وعمارة المساجد والتلاوة ، والجهاد (٣) . ولا بأس لو ذكرنا ههنا موعظة من مواعظ الامام الأوزاعى أمام الجمهور . فقال :-

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١١٧

(٢) " : ابن كثير : المصدر نفسه : ١٠/١١٦

(٣) " : الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١/١٨٠

" أيها الناس ! تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة ، فانكم في دار ، الثواء فيها قليل ، وأنتم عما قليل عنها راحلون ، خلائف بعد القرون الماضية ، الذين استقبلوا من الدنيا آنقها وزهرتها ، فهم كانوا أطول منكم أعمارا ، وأمد منكم أجساما ، وأعظم أحلاما ، وأكثر أموالا وأولادا فخددوا الجبال ، وجابوا الصخر بالواد ، وتنقلوا في البلاد ، مؤيدين ببطش شديد وأجساد كالعماد ، فما لبثت الأيام والليالي ، أن طوت آثارهم ، وأخربت منازلهم وديارهم ، وأنست ذكرهم ، فهل تحس منهم من أحد أو تسمع له ركزا ، كانوا بلهو الأمل امنين ، وعن ميقات يوم موتهم غافلين ، فآبوا اياب قوم نادمين . ثم انكم قد علمتم الذي نزل بساحتكم بياتا من عقوبة الله ، فاصبح كثير منهم من ديارهم جاثمين ، وأصبح الباقون المتخلفون يبصرون في نعمة الله ، وينظرون في آثار نقمته ، وزوال نعمته ، عمن تقدمهم من الهالكين ، ينظرون - والله - في مساكن خالية خاوية ، قد كانت بالعز محفوفة ، وبالنعم معروفة ، والقلوب اليها مصروفة ، والأعين نحوها ناظرة ، فأصبحت آية للذين يخافون العذاب الأليم ، وعبرة لمن يخشى وأصبحتم بعدهم في أجل منقوص ودنيا منقوصة ، في زمان قد ولى عفوه ، وذهب رخاؤه ، وخيره وصفوه ، فلم يبق منه الا جمة شر وصبابة (١) (٢) كدر ، وأهاويل عبر ، وعقوبات غبر ، وارسال فتن ، وتتابع زلازل ، ورذالة خلف بهم ظهر الفساد في البر والبحر ، يضيقون الديار ، ويغلون الاسعار بما يرتكبونه من العار والشنار (٣) ـــ

---

(١) الجمة : (بالضم) والجم (بالفتح) : معظم الشيء أو الكثير منه - والجميع : جمام وجموم (لسان العرب : ١٢/١٠٥)
(٢) الصبابة والصبة (بالضم) بقية الماء أو اللبن وغيرهما ، تبقى في الاناء والسقاء (لسان : ٦/١٥)
(٣) الشنار : اقبح العيب والعار (لسان : ٤/٤٣٠)

فلا تكونوا أشباهـا لمن خدعه الأمل ، وغدره طول الأجل ، ولعبت بـــه الأمانى ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن اذا دعى بدر ، واذا نهى انتهى ، وعقل مثواه ، فمهد لنفسه .))(١)

واذا رأينا الامام الأوزاعى يبكى فى خلوته ، ويخشع لله فى جميع أحواله ، ويجهش بالبكاء فى سجوده ليلا ، فانا نراه قائما كالجبل أمام جبار كبير ، وعيناه تلمعان بنور الصدق والأمانة ، وقلبه مغمور بالهدوء والطمأنينة ، فروى أنه دعاه عبد الله بن على عم أبى العباس السفـــاح ، وسأله عما أهرق من دماء بنى أمية ـ؟ فذكر الله فى قلبه ، وأجابه بغاية الصراحة ، فقال : دماؤهم عليك حرام . فغضب عبد الله واحمرت عيناه فقال : ويحك ولم ـ؟ فأجاب ، وهو مطمئن البال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث ، ثيب زان ، ونفس بنفس ، وتارك لدينه .

ثم استدل عبد الله استدلالا تافها لوراثتهم الخلافة ، بأنهـــم نالوها لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ـ رضى الله عنه ـ بها . فأجاب الامام بكلمتين قال : ((لو أوصى اليه ، لما حكم الحكمين)) . ـ فأفحم عبد الله وتمعر وجهه من شدة الغضب . فأمر ، وأخرج الامام من مجلسه . ثم تبعه فارس ، وظن الامام ، أنه جاء موعد لقاء ربه ، فقام يدأ يصلى ، واذا الفارس يقدم اليه صرة دنانير ، وقد بعثها عبد الله بن على اليه .

يقول الأوزاعى : " ففرقتها قبل أن أدخل بيتى "(٢) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠ / ١١٩

(٢) انظر : الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١ / ١٨١

ويدخل يوما على المنصور وينصحه بالكلمات التالية وقد غلب منه النصيحة :

" يا أمير المؤمنين انظر ما تقول ـ؟ فان مكحولا حدثني عن عطية ابن بسر ،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من بلغته عن الله نصيحة في دينه ، فهي رحمة من الله سيقت اليه ،فان قبلها من الله بشكر ، والا فهي حجة من الله عليه ،ليزداد اثما ، ويزداد الله عليه غضبا ،وان بلغه شيء من الحق ،فرضي ، فله الرضى ، وان سخط فله السخط ، ومن كرهه فقد كره الله عز وجل ، لان الله هو الحق المبين ، يا أمير المؤمنين انك تحملت أمانة هذه الأمة ، وقد عرضت على السموات والأرض ، فابين أن يحملنها وأشفقن منها ، وقد جاء عن جدك عبد الله بن عباس ، في تفسير قول الله عز وجل : ((لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها)) قال : الصغيرة : التبسم ، والكبيرة : الضحك . فما ظنك بالقول والعمل ـ؟ فأعيذك بالله ياأمير المؤمنين أن ترى أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعك مع المخالفة لأمره ،فقد قال صلى الله عليه وسلم : يا صفية ،عمة محمد ،يافاطمة بنت محمد ،استوهبا أنفسكما من الله ،فاني لا أغني عنكما من الله شيئا .

وكذلك جدك العباس ،سأل امارة من النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أي عم ، نفس تحييها خير لك من امارة لا تحصيها ، نظرا لعمه وشفقة عليه من أن يلي ،فيحيد عن سنته جناح بموضة فلا يستطيع له نفعا ولا عنه دفعا .

وقال صلى الله عليه وسلم : ما من راع يبيت غاشا لرعيته الا حرم الله عليه رائحة الجنة . وحقيق على الوالي أن يكون لرعيته ناظرا ، ولما استطاع من عوراتهم ساترا ، وبالحق فيهم قائما ، فلا يتخوف محسنهم منه رهقا (١) ، ولا مسيئهم عدوانا ـ

---

(١) الرهق : التهمة (لسان العرب : ١٠ / ١٢٩)

فقد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ، ويروع (١) المنافقين عنه ، فأتاه جبريل ، فقال : يا محمد ، ما هذه الجريدة التي معك ـ؟ لا تملأ قلوبهم رعبا ، فما ظنك بمن سفك دماءهم ، وقطع أستارهم ونهب أموالهم ـ؟ يا أمير المؤمنين ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، دعا الى القصاص من نفسه يخدش خدشه أعرابيا لم يتعمده ، فقال جبريل : يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا تكسر قرون أمتك .

واعلم يا أمير المؤمنين أن كل ما في يدك ، لا يعدل شربة من شراب الجنة ، ولا ثمرة من ثمارها ، ولو أن ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض ، لأهلك الناس رائحته . فكيف بمن تقمصه ـ؟ ولو أن ذنوبا (٢) من حديد أهل النار صب على ماء الدنيا ، لأحمه (٣) ، فكيف بمن شجرعه ـ؟ ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لأذابته ، فكيف بمن يسلك فيها ويرد فضلها على عاتقه ـ؟ "

وهكذا ظل يخدم المسلمين هذا البطل الجليل في ميدان الدعوة من علمه وفضله ، وزهده وتقواه ، وينصح ولاة المسلمين بغاية الاخلاص والنصيحة ، وبقي مرابطا في سبيل الله ببيروت ، ومات مرابطا في سنة (٥) سبع وخمسين ومائة وعمره اذ ذاك تسع وستون سنة . رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

---

(١) يروع : يخوف . الروع : الفزع (لسان : ٨/١٣٥)
(٢) الذنوب : الدلو العظيمة (ابن الاثير : النهاية : ٢/١٧١)
(٣) أحمه : أي أسخنه ، يقال : أحموا لنا الماء أي أسخنوه ـ (لسان : ١٢/١٥٣) -
(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٣/١٦٢ - ١٦٣
(٥) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ١٢٠
: ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٦/٢٣٨

٢- الامام سفيان الثورى

* * *

نشأتـــه :

هو أمير المؤمنين فى الحديث ،شيخ الاسلام ،سيد الحفـاظ، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، نسبة الى ثـور مضر ،ولد بالكوفة سنة سبع وتسعين ، فى زمن سليمان بن عبد الملك ، سمع من أبيه ومن علماء ، منهم : أبو اسحاق السبيعي ، وأبـو اسحاق الشيبانى ، والأعمش ، واسماعيل بن أبى خالد ،وعمرو بـن دينار ، وأبو الزناد وغيرهم ، وروى عنه خلق كثير لا يحصون ،منهم : معمر بن راشد ، ومالك بن أنس ،والأوزاعى ، وابن جريج ،وشعبة ، وسفيان بن عيينة ، وفضيل بن عياض ، وأبو اسحاق الفزارى وغيرهم .(١)

علمه وفضلـه :

قال الخطيب البغدادى : كان اماما من أئمة المسلمين ،وعلما من أعلام الدين ، مجمعا على امامته ، بحيث يستغنى عن تزكيته مـع الاتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد .(٢)

وقال النسائى : هو أجل من أن يقال فيه ثقة ، وهو أحد الأئمة الذين أرجو أن يكون الله ممن جعله للمتقين اماما .(٣)

---

(١) انظر: الخطيب : تاريخ بغداد : ٩/١٥٢

" : الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١/٢٠٣

" : ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٤/١١١-١١٣

(٢) " : المصدر السابق : م — ن

(٣) ابن حجر : المصدر السابق : ٤/١١٤

وقال شعبة وأبو عاصم وسفيان بن عيينة ويحيى بن معين وغير واحد : هو أمير المؤمنين في الحديث .(١)

قال الأشجعي : دخلت مع سفيان الثوري على هشام بن عروة ، فجعل سفيان يسأل ، وهشام يحدثه ، فلما فرغ ، قال : أعيدها عليك ـ؟ قال : نعم ، فأعادها عليه ـ ، ثم خرج سفيان ، وأذن لأصحاب الحديث .

قال الأشجعي : وتخلفت معهم ، فجعلوا اذا سألوه أرادوا الاملاء ، فيقول : احفظوا كما حفظ صاحبكم ، فيقولون : لا نقدر نحفظ كما حفظ صاحبنا .(٢)

وهذا يدل على قوة ذاكرته النادرة ، فيقول عن نفسه : ما استودعت قلبي شيئا قط فخانني ، حتى اني لأمر بالحائك يتفنى ، فأسد أذني مخافة أن احفظ ما يقول .(٣)

قال عبد الله بن خبيق : حدثني أبي : قال : كنت أنا ، والفزاري وابن المبارك وشيخ معنا ، فقال الفزاري لابن المبارك : يا أبا عبد الرحمن رأيت قط مثل سفيان الثوري ؟

قال : لا قال ابن المبارك : فأنت يا أبا اسحاق رأيت مثله قط ـ؟

قال : لا ، فقال الشيخ الذي كان معنا : ما رأى سفيان قط مثله ، فكيف نحن نرى مثله ـ؟(٤)

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١٣٤

(٢) " : الخطيب : تاريخ بغداد : ٩/١٦٣

(٣) " : ابن كثير : المصدر السابق : م ـ ن

(٤) " : الخطيب : المصدر السابق : ٩/١٥٥

وقال مالك بن أنس : كانت العراق تجيش علينا بالدراهم والثياب ، ثم صارت تجيش علينا بالعلم منذ جاء سفيان .(١)

وروى أنه جاء رجل الى أبى حنيفة رحمه الله ، فقال : ألا ترى ما روى سفيان - ؟ فقال أبو حنيفة : أتأمرنى أن أقول : ان سفيان يكذب فى الحديث -؟ لو كان سفيان فى عهد ابراهيم (يريد ابراهيم النخعى) لاحتاج الناس اليه .(٢)

وقال عبد الله بن المبارك : لا أعلم على الأرض أعلم من سفيان الثورى .(٣)

فى ميدان الدعوة :

اذا سادَ سفيان الثورى الجمهور بعلمه وزهده وتقواه ، من جهة فانه كان ينتقد الخلفاء والولاة على انحرافاتهم عن العبادة الدعوية من جهة أخرى ، بدون أى مبالاة بلومة لائم من علماء البلاط ، أو بعقوبة الخلفاء والولاة وسخطهم ، وكان يتجنب الحضور فى مجالسهم .

ويروى يوسف بن اسباط قصة تدل على مدى زهد سفيان وتقواه وخشيته لله تعالى : فقال : قال لى سفيان الثورى - وقد صلينا العشاء الآخرة - ناولنى المطهرة ، فناولته ، فأخذها بيمينه ، ووضع يساره على خده ، ونمت فاستيقظت وقد طلع الفجر ، فنظرت ، فاذا المطهرة بيمينه كما هى ، فقلت : هذا الفجر قد طلع فقال : لم أزل ، منذ ناولتنى المطهرة اتفكر فى الآخرة حتى الساعة .(٤)

---

(١) ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٤/ ١١٥

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد : ٩/ ١٦٩

(٣) " : المصدر نفسه ٩/ ١٥٧

(٤) المصدر نفسه : م - ن

وقال عبد الرحمن بن مهدى : ما عاشرت في الناس رجلا أرق من سفيان الثورى ، وكنت أرمقه في الليلة بعد الليلة ، ينهض مذعورا ، ينادى النار النار ، شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات .(١)

وقال أبو أسامة : اشتكى الثورى ، فذهبت بماءه فى قارورة ، فأريته طبيبا ، فنظر اليه ، فقال : بول من هذا ؟ ينبغى أن يكون بول راهب ، هذا رجل قد فتت الحزن كبده . مالهذا دواء .(٢)

هذا الحزن ، وهذا الخوف الذى نجده فى الامام سفيان الثورى رحمه الله تعالى ، كان من أجل تفكره الدعوى ، وكان المفروض أن يحطه الخلفاء والحكام ، وتتقلب عليهم خشية الله وخوف الحساب ، بدون ذلك لا يستطيعون أن يبقوا على الجادة الدعوية ويسودوا الناس فحسب ظلها .

وكان الراشدون - رضى الله تعالى عنهم - يملكون هذا اللون من الانابة الى الله وخشيته ، فتركوا أسوة مثالية للحكم الاسلامى الدعوى .

وقال الامام الأوزاعى - ولعله قد عرف أحوال الثورى هذا - لوكيل له : اختر لهذه الأمة ، ما اخترت الا سفيان الثورى .(٣)

والامام الثورى لم يبال - فى أى مرحلة من مراحل حياته - بهذه المناصب وأهلها ، وكان ينصحهم ويرشدهم الى الطريق المستقيم ، فروى : أنه جاء اليه مرة عبد الصمد بن على ، عم أبى العباس السفاح ، وقال له : يا أبا عبد الله ! أتيتك أكتب هذه المناسك عنك .

قال له سفيان : ألا أدلك على ما هو أنفع لك - ؟ قال وما هو ؟ قال : تدع ما أنت عليه . قال : كيف أصنع بأمير المؤمنين أبى جعفر؟ قال : ان أردت الله ، كفاك الله أبا جعفر .

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد : ١٥٧/٩
(٢) " : المصدر نفسه : ١٥٨/٩
(٣) " : " " : ١٦٢/٩

وكان الامام الأوزاعي معه آنذاك ، فقال له : يا أبا عبدالله ان هؤلاء قريش ، ولا يرضون منا الا بالاعظام لهم .

فقال : يا أبو عمرو انا لا نقدر أن نضربهم ، فانا نؤدبهم بمثل هذا الذى ترى .(١)

وقيل : انه رأى أبو جعفر المنصور سفيان الثورى يطوف بالبيت ، ولم يكن يعرفه سفيان آنذاك ، فضرب المنصور على منكب سفيان بيده وقال له : أتعرفنى ـ؟ قال : لا ولكنك قبضت على قبضة جبار .

قال المنصور : عظنى أبا عبدالله قال : وما علمت فيما علمت ، فأعظك فيما جهلت ـ؟ قال : فما يمنعك أن تأتينا ـ؟ قال : ان الله نهى عنكم ، فقال تعالى : ((ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار))(٢)

فمسح أبو جعفر يده به ، ثم التفت الى أصحابه فقال : ألقيا الحب الى العلماء ، فلقطوا الا ما كان سفيان ، فانه اعيانا فرارا .(٣)

ولعل هذا الفرار والانتقاد ، هما العاملان اللذان دفعا أبا جعفر المنصور الى ارادة صلب سفيان الثورى .

فقيل : انه انه بعث الخشابين حين خرج الى مكة ، فقال لهم : ان رأيتم سفيان الثورى فاصلبوه ، فجاؤا ونصبوا الخشب ، وناد وا سفيان . وكان سفيان مستلقيا فى جوار الكعبة ، ورأسه فى حجر الفضيل بن عياض ، ورجليه فى حجر ابن عيينة ،فقالوا له : يا أبا عبدالله اتق الله ، ولا تشمت بنا الأعداء .

فتقدم الى الاستار ، ثم قال : برئت عنه ان دخلها أبو جعفر . ولم يستطع أبو جعفر أن يدخل مكة ، فمات قبل أن يدخلها .(٤) وهكذا صدر من سفيان ـ رحمه الله ـ ما جعله مصداقا لما ورد فى الحديث القدسى :-

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد : ٩/١٥٩
(٢) سورة هود : الآية ١١٣
(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٣/١٦٥
(٤) الخطيب : تاريخ بغداد : ٩/١٥٩

((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله قال : من عادى لى وليا فقد أذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشيء أحب الى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها . وان سألنى لأعطينه ، وان استعاذ بى لأعيذنه ..)) (١).

وروى أنه دخل سفيان مرة على المهدى ، فسلم عليه ، فسأل عن أحواله فقال : حج عمر بن الخطاب ، فانفق فى حجه ستة عشر دينارا ، وأنت حججت فأنفقت فى حجتك بيوت الأموال ـ؟ فقال المهدى : أى شيء تريد ـ؟ أ أكون مثلك ـ؟ قال : فوق ما أنا فيه ودون ما أنت فيه ـ فقال وزيره أبو عبيد الله : يا أبا عبد الله قد كانت كتبك تأتينا ، فننفذها ، قال : من هذا ـ؟ قال أبو عبيد الله وزيرى ، قال : احذره ، فانه كذاب أنا كتبت اليك ؟ ثم قام . فقال له المهدى : أين أبا عبد الله ـ؟ قال : أعود ، وكان ترك نعله حين قام ، فعاد ، فأخذها ثم راح . فانتظره المهدى فلم يعد ، قال : وعدنا أن يعود فلم يعد . قيل له : انه قد عاد لأخذ نعله . فغضب . فقال آمن الناس الا سفيان الثورى ويونس بن فروة الزنديق . وقرنه بزنديق اهانة له فخرج سفيان الى البصرة ولم يزل بها حتى مات (٢).

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الرقاق : ١١/٣٤١

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد : ٩/١٦٠

واصبح منزعجا جدا فى آخر أيام عمره مما يراه فيما حوله من الانحرافات وعندما كان بالبصرة ، كان يقول كثيرا : "ليتنى قدمت ، ليتنى استرحت ليتنى فى قبرى" ، فقيل له : يا أبا عبدالله ما كثرة تمنيك الموت ، ولقد آتاك الله القرآن والعلم ـ؟ فقال : وما يدريني ،لعلى أدخل فى بدعة ،لعلى أدخل فيما لا يحل لى ،لعلى أدخل فى فتنة ، أكون قدمت ، فسبقت هذا .(١)

وياليتها لم تصدر هذه الكلمات التى تثبط العزائم من هذا الداعية المخلص العظيم والعالم الربانى الكبير ، الذى كان ينتقد انحرافات رجال الدولة انتقادا صريحا ،دون أن يبالى بلومة لائم ـ !

وكنا نتمنى منه كلمات تدل على الرجاء والطموح ،وعلى تشجيع مقاومة الانحرافات ـ ولو فى أسوأ حال ـ بتحمس ونشاط وعزيمة . ولكن ... تدل كلمات الامام الثورى ـ رحمه الله ـ على مدى غور تلك الانحرافات التى اصبحت تمكن فى المجتمع الاسلامى آنذاك ، وعلى مدى انتشارها فى البيئة ،بحيث كان يخافها ذلك الامام الجليل على نفسه ،على النفس الزكية التى قد أشرنا الى صفائها ونقائها فيما مضى ، فما ظنك بتلك الانحرافات وأفراد المجتمع ، الذين لا يملكون نفوسا مزكية مثل نفس الثورى وأمثاله ، ولا علما مثل علمهم ، ولا تقوى مثل تقواهم ـــــ؟

وما أعظم تقصير الدولة ـ اذا قصرت ـ فى مثل هذه الحالة !

وتوفى الثورى الى رحمة الله تعالى بالبصرة سنة احدى وستين ومائة ، وهو ابن ست وستين سنة ، ودفن ليلا .(٢) رحمه الله تعالى رحمه واسعة .

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد : ٩/ ١٧١

(٢) " : المصدر نفسه : ٩/ ١٧١

٣ـ الامام الليث بن سعد

نشأتـه :

هو شيخ الديار المصرية أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى بالولاء ، فقيه أهل مصر ، أصله فارسى ، من أهل أصبهـان ، ولد فى شعبان سنة أربع وتسعين ، بقرية اسمها قرقشند ، وهى : قرية من أسفل أرض مصر ، نحو أربعة فراسخ من الفسطاط .(١)

سمع الحديث من علماء مصر والحجاز ، وروى عن عطاء بن أبى ربـاح ونافع مولى بن عمر ، وابن أبى مليكة ، وابن شهاب الزهرى ، وهشـام ابن عروة وغيرهم من خلق كثير ، وحدث عنه محمد بن عجلان ، وهو شيخه ، وابن المبارك ، وعبد الله بن وهب ، ويحيى بن بكير ، وخلق كثير .(٢)

علمه وفضله :

قال ابن سعد : كان قد استقل بالفتوى فى زمانه بمصر ، وكان سريا من الرجال ، نبيلا سمحا ، له ضيافة .(٣)

وقال يحيى بن بكير : ما رأيت أحدا أكمل من الليث بن سعد ، كان فقيه البدن ، عربى اللسان ، يحسن القرآن والنحو ، ويحفظ الشعر والحديث حسن المذاكرة .(٤)

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد : ١٣/ ٦٣

(٢) انظر : الخطيب : المصدر نفسه : ١٣/ ٣
" : الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١/ ٢٢٤
" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٨/ ٤٦٠

(٣) " " : الطبقات الكبرى : ٧/ ٥١٧

(٤) " : الخطيب : المصدر السابق : ١٣/ ٦
" : الذهبى : " " : ١/ ٢٢٦

وقال أبو داود : سمعت احمد يقول : ليس لهم يعني أهل مصر أصح حديثا من الليث .(١)

وقال عبد الله بن وهب : لولا مالك والليث ، لضل الناس .(٢) وكان الامام محمد بن ادريس الشافعي يقول : هو - يعني الليث - أفقه من مالك ، الا أن اصحابه لم يقوموا به .(٣)

وقال الليث لابنه شعيب : لما ودعت أبا جعفر المنصور بيت المقدس قال : أعجبني ما رأيت من شدة عقلك والحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلك .(٤)

قال شعيب : (وكان أبي يقول : لا تجهر بهذا ما دمت حيا .

وروى انه لما قدم الليث العراق ، قال المهدي لوزيره يعقوب : الزم هذا الشيخ ، فانه ثبت عندي أنه لم يبق أحد أعظم بما حمل منه .(٥)

وقال ابن أبي مريم(٦) : ما رأيت أحدا من خلق الله أفضل من ليث ، وما كانت خصلة يتقرب بها الى الله الا كانت تلك الخصلة في الليث .(٧)

---

(١) انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٨/٤٦١

(٢) " : الخطيب : تاريخ بغداد : ١٣/٧

" : الذهبي : تذكرة الحفاظ : ١/٢٥

(٣) " : " : " : ١/٢٢٤

" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٨/٤٦٣

(٤) " : الخطيب : تاريخ بغداد : ١٣/١٠

(٥) " : " : " : م - ن

(٦) هو المحدث الرباني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الحمصي ، شيخ أهل مصر حدث عن خالد بن معدان وراشد ابن سعد ومكحول وغيرهم -
وروى عنه اسماعيل بن عياش وبقية وابن المبارك وغيرهم ، كان من العباد المجتهدين ، توفي سنة ست وخمسين ومائة .
(انظر: الذهبي : سير اعلام النبلاء : ٧/٦٤-٦٥)

(٧) انظر: ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٨/٤٦٥

في ميدان الدعوة :

لمترجمنا هذا شأن يختلف عن أحوال الامامين الذين سبقت ترجمتهما ، وهما الامام الأوزاعي والامام الثوري ، فقد رأينا الأوزاعي ، يبتعد عن الخلفاء والحكام ، ولا يشترك معهم في شئون الدولة ، ولكن رأيناه ينصح الولاة والخلفاء ، ويشير عليهم بالخير ، كما رأينا في الثوري تنافرا شديدا من ولاة أمور المسلمين ، ونرى في شخصية الليث بن سعد ، التجاوب مع الخلفاء والحكام ، مع الحفاظ على دينه ، وصيانة مكانته العلمية وكرامته الشخصية ، فروى أنه طلب منه المنصور أن يتولى نيابة الملك عنه بمصر ، فلم يقبل ، ولكن الله سبحانه وتعالى أعطاه شرفا ومنزلة يتأثر بها حاكم مصر وقاضيها ، فكان اذا لم يستحسن شيئا من القاضي أو الحاكم كتب الى الخليفة ، فعزله الخليفة .(١)

ولعل السبب في ذلك أنه كان في غنى عن هذه المناصب المالية ، اذ كان من أجل أثرياء البلاد ، وكان دخله السنوي ثمانين ألف دينار ،(٢) وكان يعيش عيشة الأغنياء ،

قيل: انه خرج يوما ، فقوم بعض الناس ثيابه ودابته وخاتمه بثمانية عشر ألف درهم الى عشرين ألف درهم .(٣)

وكان له في الاسكندرية ثلاث سفن ، سفينة فيها مطبخه ، وسفينة فيها عياله ، وسفينة فيها ضيوفه .(٤)

---

(١) انظر: الخطيب : تاريخ بغداد : ١٣/٩
" : الذهبي : تذكرة الحفاظ: ١/٢٢٤
(٢) " : الخطيب : المصدر السابق: ١٣/١١
" : الذهبي : " " : ١/٢٢٥
(٣) " : الذهبي : " " : ١/٢٢٦
(٤) " : ابو نعيم : حلية الأولياء : ٧/٣١٩

ولكن الفارق الكبير بين هذا العالم الثري وغيره من العلماء ، أن أولئك الناس ، دفعهم فقرهم الى حياة البذخ والترف ، فانغمسوا في اللهو ، والغناء والمزامير ، والشراب والمعازف ، الا ما شاء الله منهم وهذا العالم الغني مع دخله الكبير لم تجب عليه زكاة درهم قط ، بل ظل مدينا في نهاية السنة في بعض الأحيان (١) .

وهل كان ينفق جميع دخله على نفسه وأهله ؟ فلو كان كذلك ، لدخل في حياة البذخ والترف ، ولكنه كان سخيا كريما ، ينفق ماله في سبيل الله وفي سبيل العلم ، فقيل : انه كان يجلس كل يوم لحوائج الناس ، ولا يرد أحدا سأله ، سواء كانت حاجته صغيرة أو كبيرة ، وكان يطعم الناس في الشتاء البهرايس (٢) بعسل النحل وسمن البقر ، وفي الصيف سويق اللوز بالسكر (٣) .

وقال عبد الله بن صالح : صحبت الليث عشرين سنة فلا يتغدى ولا يتعشى الا مع الناس (٤) .

وجاءت اليه امرأة تسأله العسل فقالت : يا أبا الحارث ان لنا لي عليل ، واشتهى عسلا ، فقال : ياغلام أعطها مرطا من عسل ، والمرط : عشرون وطئة رطل (٥) .

وهكذا كان هذا الداعية المخلص ينفق ماله في خدمة عامة الناس .

---

(١) انظر : الخطيب : تاريخ بغداد : ١٣/ ١١

" : الذهبي : تذكرة الحفاظ : ١/ ٢٢٥

" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٨/ ٤٦٤

(٢) البهرايس : جمع هريسة : طعام يصنع من البر المدقوق — (انظر : لسان العرب : ٦/ ٢٤٧)

(٣) انظر : الخطيب : المصدر السابق : ١٣/ ٩

(٤) " : ابن حجر : " : ٨/ ٤٦٤

(٥) " : الخطيب : " : ١٣/ ٨

ومن جهة اخرى ، كان يقدر هذا الامام أهل العلم من معاصريه ، وظل يخدمهم بماله ، فكان بينه وبين امام دار الهجرة مالك بن أنس، صلة ودية قوية ، ويبعث اليه مائة دينار سنويا ، فكتب اليه مالك مرة أنه صار مدينا ، فبعث اليه خمسمائة دينار، (١) وكتب مالك اليه : " انى أريد أن أدخل ابنتى على زوجها ، فأحب أن تبعث لى بشيء من صفر ، فبعث الليث اليه بثلاثين حملا من صفر، فصبغ منه لابنته ، وباع منه بخمسمائة دينار ، (٢) وبقى عنده فضله .

وقيل : انه احترق بيت أبى لهيعة قاضى مصر ، فاحترقت كتبه ، فساعده الليث بألف دينار. (٣)

كما روى أنه جاء اليه منصور بن عمار الواعظ ، فخدمه بالف دينار وجارية قيمتها تساوى ثلاثمائة دينار. (٤)

وهكذا قدم الامام الليث بن سعد مثالا رائعا دعيا للتكافل الاجتماعى الذى هو دعامة مهمة من دعائم المجتمع الاسلامى (الدعوى) ، وبه يقام الوزن بالقسط ، وتستقيم الناحية الاقتصادية التى تعتبر عاملا مؤثرا فى بناء أخلاق الأمة وفسادها .

---

(١) انظر : الخطيب : تاريخ بغداد : ٧/١٣
" : الذهبى : تذكرة الحفاظ: ٢٢٦/١

(٢) " : الخطيب : المصدر السابق : ٧/١٣ - ٨
" : ابن حجر: تهذيب التهذيب : ٤٦٤/٨

(٣) " : الخطيب : المصدر السابق : ٨/١٣

(٤) " : " : - م - ن

وذكر أبو نعيم قصة طويلة بهذا الصدد ، انظر : حلية الأولياء : ٣٢٠/٧ - ٣٢٣

وصرح الامام بلسان الحال لأغنياء عصره ، وكل عصر ، أن المجتمع الاسلامي ليس مجتمعا يحارب الملكية الفردية ، أو يفرض القيود على دخل فرد من أفراده ، كما أنه مجتمع لا يساغ فيه لغني من الأغنياء أن يعيش في رغد العيش ، وجاره جائع وهو يعلم به ، بل يعلن بكل صراحة في الأغنياء ، أن في أموالهم حقا معلوما للفقراء والمساكين ، وعليهم أن يهتموا بأداء حقوقهم ، والا اختل توازنهم الاجتماعي .

ومن جهة أخرى قدم الامام نموذجا / مثاليا حيا للدعاة ، بأن يهتموا بما تكسب لهم أيديهم من طريق التجارة ، أو الزراعة أو الصناعة أو الحرف ، أكثر مما يعتمدون على الرواتب أو المكافآت التي يستلمونها من الجهة المختصة بها ، فهذا يعطي الدعوة قوة معنوية مؤثرة فيزيدهم عزا ووقارا في الجمهور والأوساط الحكومية ، فيكون صوتهم مسموع ، واقتراحاتهم مقبولة .

ولم يكن الليث بن سعد - رحمه الله - جوادا كريما فحسب ، بل كان المعيا كبيرا ، خدم الدعوة الاسلامية بعلمه الغزير ، فكتب وأفتى ، وحدث وأصلح .

قال الذهبي : مناقب الليث عديدة ، وهو امام ، حجة ، كثير التصانيف .(١)

وقال شعيب / بن الليث : قيل لليث : انا نسمع منك الحديث ، ليس في كتبك - ؟ فقال : أوكل ما في صدري في كتبي - ؟ لو كتبت ما في صدري ما وسعه هذا المركب .(٢)

---

(١) تذكرة الحفاظ : ١/٢٢٦

(٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٨/٤٦٣

وقال أشهب بن عبد العزيز : كان الليث له كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها : أما أولها فيجلس لنيابة السلطان فى نوائبه وحوائجه ، وكان يأتى اليه السلطان ، فاذا أنكر من القاضى أمرا أو من السلطان ، كتب الى أمير المؤمنين فيأتيه العزل . ويجلس لأصحاب الحديث ، وكان يقول : نجحوا أصحاب الحوانيت ، فان قلوبهم معلقة بأسواقهم . ويجلس للمسائل فيأتى اليه الناس ، فيسألونه . ويجلس لحوائج الناس ، لا يسأله أحد من الناس فيرده ، كبرت حاجته أو صغرت .(١)

وقال عثمان بن صالح : كان أهل مصر ينتقصون عثمان - رضى الله عنه - حتى نشأ فيهم الليث بن سعد فحدثهم بفضائل عثمان ، فكفوا عن ذلك ، وكان أهل حمص ينتقصون عليا ، حتى نشأ فيهم اسماعيل بن عياش(٢) ، فحدثهم بفضائله ، فكفوا عن ذلك .(٣)

وهكذا ظل يخدم الدعوة الاسلامية هذا الداعية الكبير بأساليبه الخاصة ، وتوفى الى رحمة الله ليلة الجمعة ، ليلة النصف من شعبان(٤) سنة خمس وسبعين ومائة ، وكان عمره اذ ذاك احدى وثمانون سنة - رحمه الله رحمة واسعة .

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد : ٩/١٣

(٢) هو محدث الشام أبو عتبة اسماعيل بن عياش بن سليم الحمصى - العنسى بالولاء ، ولد سنة ثمان ومائة ، روى عن شراحبيل بن مسلم الخولانى ، ومحمد بن زياد وعبد الله بن دينار وغيرهم من الشاميين وروى عنه : ابن اسحاق ، وسفيان الثورى والأعمش وابن المبارك وخلق كثير . قال فيه الذهبى : كان من بحور العلم . صادق اللهجة ، صاحب سنة واتباع . توفى سنة احدى وثمانين ومائة (انظر سير اعلام النبلاء : ٢٧٧/٨ ـ ٢٩١)

(٣) ابن الخطيب : تاريخ بغداد : ٧/١٣
ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٤٦٤/٨

(٤) الخطيب : المصدر السابق : ١٤/١٣
الذهبى : تذكرة الحفاظ : ٢٢٦/١

٤ـ العالم الربانى عبد الله بن المبارك

==========

نشأتـــه :

هو أعلم أهل المشرق أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزى ، مولى بنى حنظلة ، كانت أمه خوارزمية وأبوه تركيا ، عبداً لرجل من تجار همذان ، من بنى حنظلة .

ولد عبد الله بن المبارك بمرو ، عاصمة خراسان سنة ثمانى عشرة ومائة سمع الحديث عن هشام بن عروة ، واسماعيل بن أبى خالد ، وسليمان الأعمش ومعمر بن راشد ، ومالك بن أنس ، وسفيان الثورى وشعبة ، والأوزاعى ، والليث بن سعد وغيرهم ، وحدث عنه : سفيان ابن عيينة ، وأبو اسحاق الفزارى ، ويحيى بن سعيد القطان ، ويحيى ابن معين ، وأبو بكر بن أبى شيبة وغيرهم خلق كثير.(١)

علمه وفضلـــه :

========

قال الخطيب : ((كان من الربانيين فى العلم ، الموصوفين بالحفظ ومن المذكورين بالزهد))(٢) .

وبدأ الذهبى ترجمته بقوله : ((الامام الحافظ العلامة شيخ الاسلام ، فخر المجاهدين قدوة الزاهدين))(٣) .

---

(١) انظر : الخطيب : تاريخ بغداد : ١٠/١٥٢ - ١٥٤
" : الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١/٢٧٥
" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٥/٣٨٤

(٢) المصدر السابق : ١٠/١٥٢

(٣) المصدر السابق : ١/٢٧٤

ولا شك أن ابن المبارك جمع هذه الصفات في شخصيته، وله أكثر منها، كان صاحب رحلات علمية مثيرة، وله تصانيف كثيرة، فكأن شخصيته مشكاة فيها مصابيح متلألئة ذات ألوان مختلفة، تجد فيها كل نفس اللون الذي ترتاح اليه .

قيل : انه اجتمع مرة أصحاب ابن المبارك، فقالوا : تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير ـ ! فقالوا : جمع العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والشعر والفصاحة والزهد والورع والانصات وقيام الليل والعبادة والحج والغزو والفروسية والشجاعة والشدة في بدنه وترك الكلام فيما لا يعنيه وقلة الخلاف على اصحابه .(١)

وقال فضالة النوسي : كنت أجالس أصحاب الحديث بالكوفة، وكانوا اذا تشاجروا في حديث، قالوا : مروا بنا الى هذا الطبيب حتى نسأله يعني عبد الله بن المبارك .(٢)

وروى أنه جاء رجل الى سفيان الثوري، وسأله عن مسألة، فقال له : من أين أنت ـ؟ فقال : من أهل المشرق، قال : أوليس عندكم أعلم أهل المشرق ـ؟ قال : ومن هو يا أبا عبد الله ـ؟

قال : عبد الله بن المبارك : قال : وهو أعلم أهل المشرق ـ قال : نعم !وأهل المغرب !(٣)

---

(١) انظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ : ١/٢٧٦
" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٥/٣٨٥
(٢) انظر : الخطيب : تاريخ بغداد : ١٠/١٥٦
(٣) " : " : " : ١٠/١٦٢

قال الذهبى : (١)

((والله انى لأحبه فى الله وأرجو الخير بحبه لما منحه الله من التقوى ، والعبادة والاخلاص والجهاد وسعة العلم والاتقان ، والمواساة ، والفتوة والصفات الحميدة))

قال أبو اسحاق الفزارى : (٢)

ابن المبارك امام المسلمين .

وقال ابن عيينة : نظرت فى أمر الصحابة وأمر ابن المبارك ، فما رأيت لهم عليه فضلا الا لصحبتهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وغزوهم معه . (٣)

وقال ابن سعد : طلب العلم ، فروى رواية كثيرة وصنف كتبا كثيرة فى أبواب العلم ، وصفوفه ، حملها عنه قوم وكتبها الناس عنهم ، وقال الشعر فى الزهد والحث على الجهاد . (٤)

وقال الخطيب : ان عمار بن الحسن كان يمدح ابن المبارك ببيتين : (٥)

اذا سار عبد الله من مرو ليلة ... فقد سار منها نورها وجمالها

اذا ذكر الأخيار فى كل بلدة ... فهم أنجم فيها وأنت هلالها

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ : ١/ ٢٧٥

(٢) " : الخطيب تاريخ بغداد : ١٠/ ١٦٣

" : الذهبى : المصدر السابق : ١/ ٢٧٦

" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٥/ ٣٨٥

(٣) " : الخطيب المصدر السابق : م ـــ ن

" : ابن حجر : المصدر السابق : ٥/ ٣٨٥

(٤) " : الطبقات الكبرى : ٧/ ٣٧٢

(٥) " : المصدر السابق : ١٠/ ١٦٤

وقال صخر ـ أحد زملاء ابن المبارك في صباه :ـ كنا غلمانا في الكتاب ، فمررت أنا وابن المبارك ورجل يخطب ، فخطب خطبة طويلة ، فلما فرغ ،قال لي ابن المبارك، : قد حفظتها ،فسمعه رجل من القوم فقال : هاتها ، فأعادعليهم ابن المبارك الخطبة بتمامها .(١)

في ميدان الدعوة :

لقد ثبت بما ذكرنا من أقوال الائمة والمحدثين ،أن شخصية عبدالله بن المبارك كانت جامعة خصائل محمودة متنوعة ، وخليقة بأن تجعله علما من أعلام الدعوة في عصره وبعد عصره ،فكأننا رأينا عقريا يتجول في ميدان الدعوة ، يبرز تارة بصورة تاجر كبير يملك رأس مال مقداره نحو أربعمائة ألف درهم ،(٢) يدور ويتجر به في البلدان ، ويربح نحو ألف مائة درهم سنويا ،وهل كان ينفقها كلها على نفسه ـ؟ لا ،بل كان ينفق كلها في أهل العبادة والزهد والعلم ،وتارة ينفق عليهم من رأس ماله .(٣)

وسأله الفضيل بن عياض مرة : أنت تأمرنا بالزهد ،والتقلل والبلغة ، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان الى البلد الحرام ، وكيف ذا ـ؟

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد : ١٠/١٦٥-١٦٦

(٢) كان يعتبر هذا المبلغ شيئا عظيما في ذلك العصر ، نظرا الى قلة المال المتداول في أيدى الناس ،بالقياس الى ازدياد تداوله في أيدى الناس في عصرنا ،عصر الصناعة والبترول وما الى ذلك.

(٣) الخطيب : المصدر السابق : ١٠/١٥٨
ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١٧٧

فأجابه ابن المبارك قائلا : يا أبا علي انما أفعل هذا لأصون بـــه وجهي ، وأكرم به عرضي ، وأستعين به على طاعة ربي ، لا أرى لله حقا الا سارعت اليه حتى أقوم به (١) .

ولقد أشار ابن المبارك - رحمه الله - في اجابته هذه الى أن يختار الداعية الاسلامي مكسبا يمنحه الحرية الكاملة في أداء مهمته ، فلا يخاف أي نوع من الضغط والفتن في مباشرة عمله من العوامـــل الخارجيـــة .

كما ينبغي له أن يسرع الى كل خير يوصله الى الله ويقربه بـــه .

واقترح ابن المبارك - رحمه الله - باجابته هذه ، على دعاة كل عصر وجيل ، أن يعطوا - ما وسعهم العمل - على تكوين موارد ومكاسب تكفيهم وتصون ماء وجوههم ، ويجتنبوا الوظائف ورواتبها ما استطاعوا ، فـــان الرواتب تأكل الشخصية مع الأيام ، كما تأكل المبرد الخشب ، الا أن يعان صاحبها على ادانة ترميمها والعناية بها .

وقيل : عاب بعض الناس عبد الله بن المبارك ، أنه ينفق ماله على غير أهل بلده ، فأجابهم اجابة ، ينبغي أن تكتب بماء الذهب ، فقـــال :-

((اني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق ، طلبوا الحديث ، فأحسنوا الطلب للحديث ، لحاجة الناس اليهم احتاجوا ، فان تركناهم ضاع عليهم ، وان أعناهم بثوا العلم لأمة محمد صلى الله عليه وسلـــــــم ، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم)) (٢) .

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد : ١٠ / ١٦٠

(٢) " : " " : م - ن

ولم يكن انفاق ابن المبارك منحصرا على طلبة العلم والعلماء فحسب بل كان ينيل معروفه كل محتاج اليه ، وكأنه يحتال حيلا للانفاق في سبيل الله فروى أنه خرج مرة للحج ، ومعه رفقته وأصحابه ، وعندما كانوا يمرون ببلدة ، مات طائر كان معهم ، فأمر برميه على مزبلة كانت هناك ، ثم سار أصحابه ، وتخلف هو لسبب ما ، فلما مر بتلك المزبلة ، اذا هو بجارية خرجت من دار قريبة منها ، فأخذت ذلك الطائر الميت الرمى ، ثم أسرعت به الى الدار ، فذهب ابن المبارك اليها وسألها عن أحوالها ، فقالت : أنا وأخي ههنا ، وليس لنا شيء الا هذا الازار ، وليس لنا قوت الا ما يلقى على هذه المزبلة ، وقد حلت لنا الميتة اضطرارا منذ أيام ، وكان أبونا ، له مال ، فأوخذ ماله ظلما وقتل .

فأمر ابن المبارك برد أحماله ، ثم قال لوكيله : كم معك من النفقة؟ قال : ألف دينار ، فقال : عد منها عشرين دينارا تكفينا الى مرو ، وأعطها الباقي ، فهذا أفضل من حجنا في هذا العام ، ثم رجع . (١)

وقدم ابن المبارك رحمه الله ، بفعله هذا - وبمآثره الأخرى بهذا الصدد - نموذجا رائعا للتكافل الاجتماعي ، وأبرز لأغنياء المجتمع الاسلامي أسوة دعوية لو اتبعوها ، لاصبح المجتمع ، مجتمعا فاضلا يعيش فيه الفقراء والمساكين في رغد العيش ، ولا يمسهم البؤس والشقاء ، ويعيش فيه الأغنياء تغشاهم الطمأنينة القلبية .

وهكذا تنتشر نفحات هذا المجتمع الفاضل الى ما جاوره من المجتمعات الأخرى فتندفع عجلة الدعوة الى الامام .

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠ / ١٧٨

وقيل : انه كان اذا أراد ابن المبارك أن يحج ،قال لأصحابه : من أراد منكم الحج لهذا العام ،فليدفعني نفقته ،لأكون أنا أنفق عليه بالنظام ، وهكذا يأخذ منهم مالهم ،ويكتب على كل صرة اسم صاحبها ، ويلقيها في صندوق ،ثم يخرج معهم للحج ، وهو ينفق عليهم أوسع ما يمكن من النفقات والركوب ،ويعاملهم بحسن الأخلاق ،ويسر عليهم كل تيسير ،فاذا قضوا حجهم ،سألهم : هل أوصاكم أهلكم بهدية ـ؟ فيشترى لكل واحد منهم : ما أوصاه أهله من الهدايا المكية واليمنية وغيرها ، واذا جاؤا الى المدينة اشترى لهم منها الهدايا المدنية ، فاذا رجعوا الى بلادهم ، بعث من أثناء الطريق الى بيوتهم ،فأصلحت وبيضت أبوابها ،ورمم ما طرأ عليها من الخراب ،وبعد أن يصلوا الى البلد ،يقيم حفلة ضيافة يدعوهم فيها ،فيأكلون ويشربون ، ويكسوهم، ثم يخرج أمامهم ذلك الصندوق ،فيفتحه ، فيخرج تلك الصرر المكتوبة عليها أسماء أصحابها ،فيردها الى أصحابها ،ولم ينقص منها درهم ، فينصرفون الى بيوتهم وقلوبهم مليئة بعواطف الشكر والمنة ويحمدونه ويثنون عليه الخير .(١)

فهذا سلوك ابن المبارك مع الذين استطاعوا الى بيت الله سبيلا ، فكيف يكون سلوكه مع المحرومين والسائلين ـ؟ واذا كثر أمثال ابن المبارك في أغنياء المجتمع الاسلامي ، أفلا يكون ذلك المجتمع ، مجتمعا مثاليا دعويا ـ؟ ثم ، أفلا تتفتح قلوب الناس للدعاة ، وتقبل عليهم أيما اقبال ـ؟ وفي الحقيقة هؤلاء العلماء الأعلام ، وهذه الشخصية الدعوية قد تداركت في حقل الدعوة في العصر العباسي الأول كثيرا من النقص الذي سببته أوضاع الخلفاء ومن اليهم .

---

(١) انظر: الخطيب : تاريخ بغداد : ١٠/١٥٨

" : ابن الجوزي : صفة الصفوة : ٤/١٤٠ - ١٤١

ويبدو أن ابن المبارك - رحمه الله - كان داعية ، قد اجتمعت له مقومات الداعية على نحو يثير الاعجاب ، انه لم يكن غنيا من الأغنياء — يجود بماله في سبيل الله فحسب ، بل كان في مقدمة من يجودون بأرواحهم وأنفسهم في سبيل الله ، فاذا رأيناه تاجرا صدوقا ، أمينا يتجر بماله وينفقه في سبيل الله بغاية جود وسخاء ، رأيناه يخرج غازيا في سبيل الله ، وأبياته التي وجهها الى الفضيل بن عياض — وذكرناها (١) في فصل أساليب الدعوة - تدل على حدة عواطفه ، وصدق مقاله وقوة ايمانه في هذا المجال ، ونكتفي ههنا بذكر قصتين بهذا الصدد :

قال عبدة بن سليمان المروزي : كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم ، فصادفنا العدو ، فلما التقى الصفان ، خرج رجل من العدو ، ودعا الى البراز ، فخرج اليه رجل منا وقتله ، ثم خرج اليه رجل آخر من العدو فقتله ، ثم خرج اليه الثالث من العدو ، فطارده ساعة ثم أوصله الى جهنم ، فازدحمنا اليه لنعرفه ، فاذا هو يلثم وجهه بكمه ، فمددت كمه ، فاذا هو عبد الله ابن المبارك ، فقال لي : وأنت يا أبا (٢) عمرو ممن يفضحني ؟

الواقع يدل على غاية صدق نية الرجل واخلاصه لله تعالى ، كما يدل على شجاعته الفائقة ومهارته في فنون الحرب ، وكان رحمه الله ممن يريد اخفاء ما يفعله لابتغاء وجه الله .

---

(١) انظر : ص : ٣٥٠

(٢) " : الخطيب : تاريخ بغداد : ١٠/١٦٧

وهناك واقع يدل على أن ابن المبارك كان ممن ينتهز الفرصة للجمع بين تضحية النفس والمال معا ، روى الخطيب (١) : كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف الى طرسوس ، وكان ينزل الرقة فى خان ، وكان شاب يختلف اليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث .

قال : فقدم عبد الله الرقة مرة ، فلم ير ذلك الشاب ، وكان مستعجلا فخرج فى النفير ، فلما قفل من غزوته ورجع الرقة ، سأل عن الشاب ، فقالوا : انه محبوس لدين ركبه ، فقال عبد الله : كم مبلغ دينه ـ؟ فقالوا : عشرة آلاف درهم . فلم يزل يستقصى ، حتى دل على صاحب المال ، فدعاه ليلا ، ودفع اليه عشرة آلاف درهم ، وحلفه أن لا يخبر عن ذلك أحدا ، ما دام عبد الله حيا ، ثم قال له : اذا أصبحت فأخرج الشاب من الحبس ، وأدلج عبد الله ، فأخرج الفتى من الحبس ، وقيل له : عبد الله ابن المبارك كان ههنا ، وكان يذكرك وقد خرج .

فخرج الفتى فى أثره ، فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة ، فلما رآه عبد الله قال : يافتى أين كنت ؟ لم أرك فى الخان . قال : نعم يا أبا عبد الرحمن ، كنت محبوسا بدين ، قال : كيف كان سبب خلاصك ـ؟ قال : جاء رجل فقضى دينى ، ولم أعلم به ، حتى أخرجت من الحبس ، فقال له عبد الله : يافتى احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك .

وقيل : انه لم يعلم هذا الخبر أحد الا بعد موت عبد الله .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد : ١٠/١٥٩

وهل هناك مثال أحسن من هذا فى اخفاء ما يفعله المسلم ابتغاء وجه الله ـ؟ أليس هذا تفسيرا حيا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله))(١) ـ ؟ وما أروع ما تمثله هذا الداعية العظيم من سمات الدعوة الاسلامية فصار ـ كما يقال ـ ثلاثة عصافير بطلقة واحدة : ثلاث صفات هامة يحتاج اليها أفراد المجتمع الاسلامى الدعوى :

* ـ خرج غازيا فى سبيل الله ،
* ـ وأنفق ماله فى سبيل الله ،
* ـ وأخفى انفاقه ، فلم يعلمه أحد الا بعد موته ،

ويظهر من ظاهر عبد الله بن المبارك ، من دخله الكبير ، وانفاقه الكثير ، أن مستوى عيشه كان على مستوى الأغنياء الكبار ، والحقيقة لم تكن كذلك ، وان كانت سفرته تحمل وحدها على بعير ، وفيها أنواع من المأكولات ، من اللحوم ، والدجاج ، والحلوى وما الى ذلك ، فيطعم الناس وهو صائم فى شديد الحر ، فقال اسماعيل بن عياش : ما على وجه الأرض مثله ، وما أظن خصلة من الخير الا وقد جعلها الله فى ابن المبارك ، ولقد حدثنى أصحابى : أنهم صحبوه من مصر الى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم .(٢)

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم : ٧/١٢٣ - ١٢٤

(٢) انظر : الخطيب : تاريخ بغداد : ١٠/١٥٧

" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١٧٨

وقد أخرج ابن حجر (١) ـ رحمه الله ـ خبرا يظهر منه أن ابن المبارك كان يذهب مذهب الدقة والاحتياط البالغ في ورعه، فروى أنه استعار قلما من رجل بالشام، ونسي أن يرده الى صاحبه، فذهب الى خراسان، ولما تذكر، رجع على عقبيه الى الشام، فرد القلم الى صاحبه، ثم خرج الى خراسان، وهذا الضرب من الورع، الذي ينم عن محاسبة النفس حسابا دقيقا أمر يجدر للدعاة أن يأخذوا أنفسهم به .

وان الله سبحانه وتعالى أنعم عليه نتيجة تقواه والتزامه اياه .. بكرامات يذكرها جل من ترجموا له (٢)، ونعرض عن ذكرها ههنا لعدم وقوعها في صميم الموضوع . ونعد هذا ايضا من كراماته: بأنه كان رحالة كبيرا في باب العلم وفي التجارة، والحج والغزو في سبيل الله، ومع تراكم هذه الأشغال الشاقة (٣) صنف كتبا كثيرة في أبواب العلم، وكانت كتبه التي حدث بها عشرين ألفا او واحد وعشرين ألفا (٤) .

وبعد عمر طويل قضاه ابن المبارك رحمه الله في خدمة الاسلام والدعوة اليه، بأساليب مختلفة، نظرية وعملية، لحقت روحه ببارئها، في العاشر من رمضان، سنة احدى وثمانين ومائة، وكان منصرفا من غزوة غزاها في سبيل الله (٥) . ولئن توارى عن الناس شخص ابن المبارك، وأودع الثرى، فان سيرته كداعية عظيم ما تزال تشكل معالم هادية على طريق الدعوة .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

---

(١) انظر : تهذيب التهذيب : ٥ / ٣٨٧
(٢) " : الخطيب : تاريخ بغداد : ١٠ / ١٦٧
" : ابن الجوزي : صفة الصفوة : ٤ / ١٤٤
" : ابن حجر : المصدر السابق : ٥ / ٣٨٧
(٣) " : ابن سعد : الطبقات الكبرى : ٧ / ٣٧٢
(٤) " : الخطيب : المصدر السابق : ١٠ / ١٦٤
(٥) " : ابن سعد : المصدر السابق : م ـــ ن
" : الذهبي : تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٧٩

صلاة الامام البخارى

* *

نشأتـــه :

هو الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن ، اسماعيل ابن ابراهيم بن المغيرة بن الأحنف بردزبه الجعفى بالولاء ، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ الكبير .

ولد ببخارا ، يوم الجمعة بعد صلاة الظهر ، والثالث عشر من شوال سنة أربع وتسعين ومائة .

كان جده بردزبه مجوسيا ، ومات على المجوسية ، وابنه المغيرة أسلم على يدى يمان الجعفى البخارى ، حاكم بخارا ، فنسب اليه (١) .

نشأ يتيما ، وأول سماعه للحديث سنة خمس ومائتين ، وحفظ تصانيف عبد الله بن المبارك فى صباه ، ورحل فى طلب العلم الى سائر بلدان المحدثين ، اولا سمع حديث بلده ، ثم خرج منها وذهب الى بلخ وسمع محدثيها ، ثم رحل الى أماكن أخرى ، مرو ، ونيسابور ، وبغداد ، والبصرة ، والكوفة ، والشام وعسقلان ، وحمص ، ودمشق ، ومكة ، والمدينة .

وسمع فى هذه البلاد عن مكى بن ابراهيم البلخى ، وأبى عاصم الشيبانى ، وأبى بكر الحميدى ، ومحمد بن كثير العبدى ، وعلى بن المدينى ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهم من المحدثين يتجاوز عددهم الألف .

---

(١) انظر : الخطيب : تاريخ بغداد : ٢/٦

" : ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٤/١٩٠

وسمع عنه الترمذى ، ومسلم ، والنسائى ، وابن خزيمة وغيرهم ، خلق كثير. (١)

علمه وفضله :

قال الذهبى : (٢)

كان - أى البخارى - رأسا فى الذكاء ، ورأسا فى العلم ، ورأسا فى الورع والعبادة .

وقال ابن خزيمة : (٣)

ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخارى .

وقال محمد بن بشار البندار:

حفاظ الدنيا أربعة : أبو زرعة بالرى ، ومسلم بن الحجاج بنيسابور ، و عبدالله بن عبد الرحمن الدارمى بسمرقند ، ومحمد بن اسماعيل البخارى ببخارا . (٤)

وقال الدارمى : قد رأيت العلماء بالحرمين ، والحجاز ، والشام ، والعراقيين ، فما رأيت فيهم أجمع من أبى عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى . (٥)

وقيل : انه كتب أهل بغداد الى الامام البخارى البيت التالى : (٦)

المسلمون بخير ما بقيت لهم ... وليس بعدك خير حين تفتقد

---

(١) انظر : الذهبى : تذكرة الحفاظ : ٢/٥٥٥
" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١١/٢٥
" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٩/٤٧-٤٨

(٢) " : تذكرة الحفاظ : ٢/ ٥٥٥

(٣) " : المصدر نفسه : ٢/٥٥٦

(٤) " : الخطيب : تاريخ بغداد : ٢/١٦

(٥) " : " : " : ٢/٢٨

(٦) " : " : " : ٢/٢٢
" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١١/٢٦
" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٩/٥١

وقال يحيى بن جعفر : لو قدرت أن أزيد فى عمر محمد بن اسماعيل البخارى بموتى لفعلت ، فان موتى يكون موت رجل واحد ، وموت محمد بن اسماعيل ، ذهاب العلم .(١)

ويحكى حاشد بن اسماعيل ، أحد زملاء البخارى قصة تدل على قوة حفظه الفائقة ، فقال : كان أبو عبد الله محمد بن اسماعيل يختلف معنا الى مشائخ البصرة ، وهو غلام فلا يكتب ، ومضى على ذلك أيام ، وكنا نقول له : انك تختلف معنا ولا تكتب ، فما معناك فيما تصنع ـ؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوما : انكما قد أكثرتما على ، فأعرضا على ما كتبتما ، فأخرجنا ما عندنا ، فزاد على خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها كلها عن ظهر قلب ، حتى جعلنا نحكم كتبنا على حفظه ، ثم قال : أترون أنى اختلف هدرا وأضيع أياما ـ؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد .(٢)

وهناك اعترافات أخرى بعلم الامام البخارى وفضله ، من العلماء والمحدثين ، قد اهتمت بذكرها كتب التذكرة والتراجم ، وتدل على أن البخارى رحمه الله كان امام أهل الحديث فى زمانه ، وكان يفوق أقرانه بعلمه وورعه وتقواه ، وقوة ذاكرته النادرة .

فى ميدان الدعوة :
==========

رحلات الامام البخارى العلمية كلها تعتبر جهودا عظيمة فى سبيل الدعوة الاسلامية ، وأكبر خدماته فى هذا الميدان تصنيفه الخالد ذكره ((الجامع الصحيح)) فجمع فى كتابه الأحاديث الصحيحة التى تنطبق على شروطه رواية ودراية ـ

---

(١) انظر : الخطيب : تاريخ بغداد : ٢/ ٢٤
(٢) " : " : " " : ٢/ ١٥
" : الذهبى : تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٦

وخرج أكثر من ثمانية آلاف حديث ، من ستمائة ألف حديث ، وصنف هذا الكتاب فى مدة استغرقت ست عشرة سنة ، وكان قد التزم أن يغتسل ويصلى ركعتين قبل كتابة كل حديث فى الكتاب .(١)

وتقبل الله تعالى حسن نيته وصدق مقاصده ، فنال الكتاب اقبالا عظيما فى أوساط المسلمين ، وأجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه .(٢)

وهكذا اعطى هذا الامام الجليل الامة الاسلامية مجموعة مصدقة ، منقحة للاحاديث الصحيحة يراجعها علماء الامة وعامتها عند الحاجة بغاية الاعتماد والثقة والطمأنينة ، وجرت على ألسن الخلائق كلمة بأنه ((أصح الكتب بعد كتاب الله الجامع الصحيح للبخارى))(٣)

ولا بأس لو ذكرنا بهذه المناسبة أبياتا ذكرها الحافظ ابن كثير رحمه الله فى شأن صحيح البخارى ، نظمها أحد العارفين بفضل الجامع الصحيح :-

صحيح البخارى لو أنصفوه ... لما خط الا بماء الذهب

هو الفرق بين الهدى والعمى ... هو السد بين الفتى والعطب

أسانيد مثل نجوم السماء ... امام متون لها كالشهب

بها قام ميزان دين الرسول ... ودان به العجم بعد العرب

حجاب من النار لا شك فيه ... يميز بين الرضى والغضب

وستر رقيق الى المصطفى ... ونص مبين لكشف الريب

---

(١) انظر : الخطيب : تاريخ بغداد : ٢/ ٩

" : ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٤/ ١٩٠

" : السيوطى : تدريب الراوى : ١/ ١٠٣

(٢) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ١١/ ٢٤

(٣) " : النووى : شرح صحيح مسلم : ١/ ١٤

فيا عالما أجمع العالمـــــو ن على فضل رتبته فى الرتـــب

سبقت الأئمة فيما جمعـــت وفزت على زعمهم بالقصـــب

نفيت الصحيف من الناقلـــــ ين ومن كان متهما بالكـــذب

وأبرزت فى حسن ترتيبـــه وتبويبه هجبا بالمجـــــب

فأعطاك مولاك ما تشتهيـــه وأجزل حظك فيما وهـــب (١)

والمأثرة الأخرى لهذا الامام الجليل فى ميدان الدعوة الاسلامية : هو تصنيفه العظيم ((التاريخ الكبير)) كتاب كبير فى فن أسماء الرجال ، ويحكى البخارى بنفسه قصة تصنيفه هذا الكتاب فيقول :

" فلما طعنت فى ثمانى عشرة ، جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين ، وأقاويلهم ، وذلك أيام عبيد الله بن موسى ، وصنفت " كتاب التاريخ " إذ ذاك عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى الليالى المقمرة ، . . . وقل اسم فى التاريخ الا وله قصة عندى الا أنى كرهت تطويل الكتاب ، . . . لو نشر بعض اسنادى ، هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت التاريخ ولا عرفوا . . . صنفته ثلاث مرات " (٢)

ويكفى لمعرفة دقة نظر الامام البخارى - رحمه الله - فى " أسماء الرجال وبراعته الفائقة فى هذا الفن الجليل ، ذكر تلك الحكاية المعروفة التى صادفها هذا الامام النبيل ، وأظهر فيها براعته النادرة فى هذا الفن .

---

(١) البداية والنهاية : ١١/ ٢٧-٢٨

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد : ٢/٧

(١)

يقول الخطيب في تاريخ بغداد : انه روى هذه القصة غير واحد من المشائخ ،وهي : أن أهل الحديث ببغداد ، لما سمعوا بمجيء الامام البخاري اليها ،اجتمعوا ،وأرادوا أن يختبروا تبحر الامام في رجال الحديث ،فاختاروا مائة حديث ،وقلبوا متونها وأسانيدها بحيث نسبوا اسناد هذا المتن الى متن آخر ، ومتن هذا الاسناد الى اسناد آخر ،وهكذا رتبوا عشر مجموعات للأحاديث في كل مجموعة عشرة أحاديث مقلوبة المتن والاسناد، وكلفوا عشرة رجال لالقاء هذه المجموعات على الامام البخاري رحمه الله .

فلما جاء البخاري بغداد ،اجتمع حوله جمع كبير من علماء الحديث وغيرهم ،كما جرت العادة في تلك الأيام ،وحضر المجلس أولئك الرهط أيضا ، فلما اطمأن المجلس ، قام رجل من أولئك العشرة ، فسأل الامام عن حديث من تلك الأحاديث ، فقال البخاري : ((لا أعرفه)) فسأله عن الثاني ،فقال : لا أعرفه ،حتى انتهى من العشرة التي كانت عنده ،ثم قام الآخر ،وسأل ،وأجابه الامام بما أجاب به الأول ، واستمروا في القاء الاحاديث ، واستمر الامام في اجابته ((لا أعرفه)) وفي هذه الفترة من الزمن تفطن الذين أرادوا الامتحان ،أن هناك ضيفا في المربعين ،ولكن العامة دهشت باجابة الامام ، ولما أفرغوا ما في جعبتهم جميعا ،التفت الامام الى الأول منهم ،فقال له : أما حديثك الأول ، فهو كذا ، وحديثك الثاني : فهو كذا ، والثالث، والرابع ،فأتم العشرة ،بحيث رد كل متن الى اسناده ،وكل اسناد الى متنه . وفعل بالآخرين مثل ذلك ،فرد المتون الى الاسانيد ، والأسانيد الى المتون فاعترف علماء بغداد ومن بلغهم هذا الخبر بتبحر علمه وفضله .

---

(١) انظر : ٢/٢١
وانظر: ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٤/١٨٩

وذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله أيضا قصة تناهى القصة ،بأن الامام البخارى رحمه الله زار سمرقند ،واجتمع بأربعمائة من علماء الحديث هناك ،فخلطوا أسانيد الأحاديث ،بحيث أدخلوا اسناد الشام فى اسناد العراق ،وكذلك عكسه ،كما خلطوا الرجال فى الأسانيد ، ثم قرؤوها على البخارى ، فرد كل حديث الى اسناده ،وقوم تلك الأحاديث والأسانيد كلها ،ولم يستطيعوا أن يأخذوا عليه سقطة فى اسناد ولا متن .

وتدل هذه الوقائع على قوة ذاكرة الامام العجيبة الموهوبة من الله، وعلى دقة نظره ، وعلو كعبه فى هذا الفن الجليل ، كما تبرز لنا صورة مشرقة لخدمات هؤلاء العلماء المخلصين ،والمحدثين البارعين للدعوة الاسلامية .

فلو لم يتحمل هؤلاء الأئمة العظام ،هذه المشقة وهذا التعب فى خدمة هذا الفن الشريف ،ولو لم يميزوا الكذب من الصدق والخبيث من الطيب ،والفاسد من الصحيح ،لأصبحت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عرضة لمكائد الدجالة ودسائسهم ، الذين جعلوا يضعون الأحاديث وينشرونها فى الناس ،ولضلت الدعوة الاسلامية طريقها فى ظلام حالك ، وكان للامام البخارى ـ رحمه الله ـ قسط كبير فى هذه الخدمات الدعوية الجليلة ،وقد اعترف به كبار رجال العلم فى عصره ، فقال الامام أبو عيسى الترمذى :" لم أر بالعراق ولا فى خراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من البخارى . (٢)

---

(١) انظر: البداية والنهاية : ١١/٢٥

(٢) " : المصدر نفسه : ١١/٢٦

وما نال البخارى هذا المنصب الجليل الا بعد ما تحمل المشقة والتعب فى هذا السبيل ، فيقول زميل من زملائه ، وهو عمر بن حفص الأشقر : " كنا مع محمد بن اسماعيل البخارى بالبصرة ، نكتب الحديث ، ففقدناه أياما ، فظلبناه ، فوجدناه فى بيت وهو عريان ، وقد نفد ما عنده ، ولم يبق معه شيء ، فاجتمعنا ، وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثيابا وكسوناه "(١) .

فهذا لون من التعب المادى الذى تحمله البخارى ، وهناك لون من التعب المعنوى ، فكان يسهر فى الليالى ، وتارة يستيقظ مرات وكرات فى الليلة يسجل ما يخطر بباله من الملاحظات القيمة ، فقال محمد بن أبى حاتم الوراق : انه رأى البخارى يستيقظ فى ليلة واحدة من خمس عشرة مرة الى عشرين مرة ، فيقوم ويثير المصباح و يسجل ملاحظته على الأحاديث ثم يضطجع(٢) .

وفى جانب آخر ، ترك البخارى - رحمه الله - معالم الزهد والتقوى فى سيره على طريق الدعوة ، فحاز ذروة المجد فى الورع ، بحيث لم يغتب انسانا طول حياته ، فقال : " انى لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبنى أن اغتبت أحدا "(٣) .

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد : ١٣/٢

(٢) " : " " : م - ن

(٣) " : " " : م - ن

ابن كثير : البداية والنهاية : ٦/١١

وهذا مستوى للورع والتقوى بالغ الرفعة ، وله ألوان أخرى وأخبار كثيرة من الزهد والتقوى ، وقد استغنينا عن ذكرها بعد ما ذكرنا محافظته على لسانه من الغيبة ، اذ ليس هناك أى رياضة روحية أصعب من اجتناب الغيبة ، وان الرجل الدعوى بشد الحاجة الى صون لسانه عن الغيبة ، اذ هى مجلبة للأحقاد ، وسبب لايقاع النفرة بين القلوب والداعية مؤلف لا منفر ، ومقرب بين الناس لا مباعد .

وهكذا بقى هذا الامام الجليل يخدم العلوم الاسلامية . وخصوصا علم الحديث ، وينشر نفحاته الدعوية فى أنحاء العالم الاسلامى آنذلك ، حتى جاء موعد لقاء ربه ، وكان نازلا عند بعض أقاربه فى بلدة يقال لها : ((خرتنك)) على بعد فرسخين من سمرقند ، فتوفى الى رحمة الله ليلة عيد الفطر عند صلاة العشاء سنة ست وخمسين ومائتين ، صابرا على المناضحة عن دينه ومبادئه ، وكان عمره اذ ذاك اثنتين وستين سنة ، وصلى عليه يوم العيد بعد صلاة الظهر.(١) رحمه الله رحمة واسعة .

---

(١) انظر : الخطيب : تاريخ بغداد : ٢/٣٤
" ابن خلكان : وفيات : ٤/١٩٠
" : الذهبى : تذكرة الحفاظ : ٢/٥٥٦
" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١١/٢٧
" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٩/٤٨

٦-الامام مسلم

نشأتـــه :

هو الامام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى ، النيسابورى ، صاحب ((الصحيح)) ولد سنة أربع ومائتين ، ورحل فى طلب العلم الى العراق والحجاز ، والشام ومصر-

وسمع الحديث عن يحيى بن يحيى التميمى ، النيسابورى ، وقتيبة ابن سعيد ، واسحاق بن راهويه ، وأحمد بن حنبل وعن خلق كثير -

وروى عنه الامام الترمذى حديثا واحدا ، وابراهيم بن أبى طالب (١)
وابن خزيمة وغيرهم .

علمه وفضلـــه :

كان الامام مسلم- رحمه الله - علما من أعلام أئمة الحديث وحفاظه ، (٢)
ولقبه الذهبى بحجة الاسلام . (٣)

وقال شيخه محمد بن عبد الوهاب الفراء ، كان مسلم من علماء الناس (٤)
وأوعية العلم ، ما علمته الا خيرا ، وقال سلمة بن قاسم : ثقة (٥)
جليل القدر من الأئمة .

---

(١) انظر : الخطيب : تاريخ بغداد : ١٣/١٠٠
" : الذهبى : تذكرة الحفاظ: ٢/٥٨٨
" : ابن كثير: البداية والنهاية : ١١/٣٣-٣٤
" : ابن حجر: تهذيب التهذيب : ١٠/١٢٦-١٢٧
(٢) " : الخطيب : تاريخ بغداد : ١٣/١٠٠
(٣) " : تذكرة الحفاظ : ٢/٥٨٨
(٤)و(٥) انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ١٠/١٢٦-١٢٧

وقال أبو قريش الحافظ : حفاظ الدنيا أربعة ، فذكر منهم مسلما ، وقال (١)
اسحاق بن منصور لمسلم : لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين . (٢)

فى ميـــدان الدعـــوة :

لكل من هؤلاء الأئمة الأعلام ميزة خاصة فى ميدان الدعـــوة الاسلامية ولا شك أن عكوف الامام مسلم على خدمة علم الحديث ، وملازمته شيوخ هذا الفن الجليل ، وتصانيفه العديدة ، (٣) خدمة جليلة فى حقل الدعوة الاسلامية ، وأبرز ما أنجزه هذا الامام الجليل من مهمته فى سبيل الدعوة ، هو : تصنيفه الكبير ((المسند الصحيح)) (٤) جمع فيه الامـــام مسلم اثنى عشر ألف من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة ، واستغرق تأليف هذا الكتاب الجليل خمس عشرة سنة . (٥)

وقد اتفق العلماء على أن أصح الكتب بعد كتاب الله تعالـــى : الصحيحان للامام البخارى ومسلم ، وتلقتهما الأمة بالقبول . (٦)

ورجح بعض العلماء صحيح مسلم على صحيح البخارى ، فقال حسين ابن على النيسابورى ، شيخ الحاكم أبى عبد الله النيسابورى : ما تحـــت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج فى الحديث . (٧)

---

(١) انظر : الذهبى : تذكرة الحفاظ : ٢/ ٥٨٩
(٢) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ١١/ ٣٣
(٣) " : الذهبى المصدر السابق : ٢/ ٥٩٠
(٤) " : الخطيب : تاريخ بغداد : ١٣/ ١٠٠
(٥) " : الذهبى بالمصدر السابق : ٢/ ٥٨٩
" بالسيوطى : تدريب الراوى : ١/ ١٠٤
(٦) " : النووى شرح صحيح مسلم : ١/ ١٤
(٧) " : الخطيب : المصدر السابق : ١٣/ ١٠١

ولكل من الكتابين ميزة تخص به ، فمن ميزات صحيح مسلم : جمع الطرق ، وجودة السياق ، والمحافظة على اداء الألفاظ كما هي ، من غير تقطيع ، ولا رواية بالمعنى ، (١) ويمتاز صحيح البخاري في قوة الأسانيد وصحتها ، (٢) فمن استحسن ميزة صحيح مسلم فضله على صحيح البخاري ، وكذلك عكسه ، وما تلقته الأمة بالتواتر هو فضل صحيح البخاري على صحيح مسلم -

قال الخطيب :

"انما قفا مسلم طريق البخاري ، ونظر في علمه وحذا حذوه ، ولما ورد البخاري نيسابور في آخر أمره ، لازمه مسلم وأدام الاختلاف اليه . . .

وقال : أحمد بن حمدون القصار : سمعت مسلم بن الحجاج ، وجاء الى محمد بن اسماعيل البخاري ، فقبل بين عينيه ، وقال : دعني حتى أقبل رجليك ياأستاذ الأستاذين وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث في علله". (٣)

على كل، فصحيح البخاري وصحيح مسلم ، كلاهما مأثرة جليلة في ميدان الدعوة الاسلامية انجزها امامان جليلان في العصر العباسي الأول ، وقد خدما بصنيعهما الدعوة خدمة لا تكاد تفضلها خدمة .

وتوفي الامام مسلم - رحمه الله - عشية يوم الأحد ، الخامس والعشرين من رجب سنة احدى وستين ومائتين ، ودفن بنصر آباد بنيسابور يوم الاثنين ، وكان عمره اذ ذاك سبع وخمسين سنة . (٤) رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

---

(١) انظر: ابن حجر : تهذيب التهذيب : ١٢٧/١

(٢) انظر: ابن كثير : البداية والنهاية : ٣٣/١١

(٣) تاريخ بغداد : ١٠٢/١٣

(٤) انظر : الخطيب : المصدر نفسه : ١٠٤/١٣
" : الذهبي : تذكرة الحفاظ: ٥٩٠/٢
" : ابن كثير : البداية والنهاية : ٣٤/١١
" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ١٢٧/١٠

الفصل الثانـــى :

دعاة من الفقهـــــاء

* * * *

١ ـ الامام الأعظم أبو حنيفة

* * * *

نشأتـــه :

هو الامام الأعظم ،فقيه العصر ،أبو حنيفة النعمان بن الثابـــت (١) ابن النعمان بن المرزبان ،من أبناء فارس الأحرار،ولد بالكوفـــة سنة ثمانين فى عهد عبدالملك بن مروان (٢) ،وهو تابعى ادرك عهد الصحابة رضى الله تعالى عنهم ـ ورأى الصحابى الجليل أنس بن مالك خـــادم رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) .

لم يجد الامام ـ رحمه الله ـ فى بداية عمره من يرشده لطلـــب العلم ، فظل مشتغلا بالتجارة ،حتى رآه الامام عامر الشعبى مـــرة، ولمس فيه الذكاء والفطنة ،فحثه على الاشتغال بالعلم ، يقول الامام أبو حنيفة : "مررت يوما على الشعبى ،وهو جالس ،فدعانى ،وقال : الى من تختلف ـ؟ فقلت : أختلف الى فلان ، فقال : لم أعن الـــى السوق ، عنيت الاختلاف الى العلماء ـــ

---

(١) انظر: الصيمرى : أخبار أبى حنيفة : ٢
" : الخطيب : تاريخ بغداد : ١٣/٣٢٤
(٢) " : الذهبى : مناقب أبى حنيفة : ٧
" : الصالحى : عقود الجمان : ٤٢
(٣) " : الصيمرى : المصدر السابق : ٤
" : الخطيب : المصدر السابق : م ـ ن
" : ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٥/٤٠٦
" : الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١/١٦٨

فقلت : أنا قليل الاختلاف اليهم ،قال : لا تفعل ، وعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء ،فاني أرى فيك يقظة وحركة . فوقع في قلبي من قوله ،فتركت الاختلاف الى السوق ،وأخذت في العلم ،فنفعني الله تعالى بقوله " . وهكذا قيضه الله تعالى لخدمة دينه ،فمال أولا الى الكلام والجدليات ،فكان يناظر فرق الخوارج والفرق الباطلة الأخرى ثم هداه الله تعالى الفقه (١) ،وهو يحكي عن نفسه فيقول :

" لما أردت طلب العلم ،جعلت أتخير وأتشاور ، فقلت :أتحفظ القرآن ،فأكون في موضع يأتيني الخلق لقراءته وأعلم الناس القرآن ، فقلت: أحداث ،يحفظونه كما أحفظه . ثم شاورت ،فقيل لي : النحو ، فقلت: اذا بلغت فيه الغاية ،جلست مع صبي أؤدب به لبعض الملوك . ثم شاورت ،فقيل لي : الغريب والشعر ، فقلت : اذا بلغت فيه الغاية ،صرت أمدح وأذم وأتصدق به . فقلت : الكلام ، ثم قلت : اذا بلغت فيه الغاية ،قالوا : زنديق ، ثم قلت : الحديث : فقلت: اذا بلغت فيه الغاية ، أردت أن أداري فيه الصبيان ، وان اجتمع على جماعة ، أو قصدوني ، فأخرجت طرائف ما جمعت ، قالوا : كذاب ، فصار شينا علي الى يوم القيامة قلت : الفقه ، فطلبت فيه عيبا ، فلم أجد فيه ، قلت : أول ما آخذ فيه ،أصير جليسا للعلماء ،والأشياخ وان جرت مسألة في القرابة أو الجيران ، أو فريضة سألوني عنها فان كانت عندي معرفة ، والا قالوا : يجب أن تسأل الذين تجالسهم فأسأل عنها ، ويتوقعون جوابي عنها ،فآتيهم بنبل وعلم ووقار، فمن أراد أن يطلب به دنيا ،بلغ أمرا حسنا جسيما ، وصار الى رفعة

---

(١) انظر: الصالحي : عقود الجمان : ١٦٠ - ١٦١

ومن أراد العبادة والخير ،لم يستطع أحد أن يقول : تعبد بلا علم ولا عقل ،وقيل : علم وعمل يعلمه "(١)

فاشتغل أبو حنيفة بالفقه ، وجلس في مجلس حماد بن أبي سليمان ، فقيه الكوفة ، وتفقه وبرع ،وفاق أقرانه ، وكان يحل المسائل الفقهية المعقدة بما وهبه الله تعالى من الذكاء والفطنة ، والتفقه والنباهة .

علمه وفضله :
==========

للامام أبي حنيفة مناقب كثيرة ،اعترف بعلمه وفضله أقرانه ومعاصروه وأصحابه ،ونذكر ههنا نبذة من تلك الأقوال : قال تلميذه الكبير الامام أبو يوسف(٢) : " ما صحبت أحدا من الناس ،فيقدر أن يقول : انه رأى أكمل عقلا ولا أتم مروءة من أبي حنيفة "(٣)

---

(١) انظر : الصيمري : أخبار أبي حنيفة : ٥ - ٦

(٢) هو صاحب (كتاب الخراج) المعروف ،قاضي القضاة الامام المجتهد العلامة المحدث أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بحير بن معاوية الانصاري الكوفي ،من أنبل تلامذة أبي حنيفة ومروج فقهه في الأمصار ، لزم أبا حنيفة وتفقه عليه حوالي سبع عشرة سنة ، وقال الذهبي فيه : "بلغ أبو يوسف من رئاسة العلم ما لامزيد عليه " كان قاضي القضاة في عهد الرشيد ،سبق بعض أخباره فيما مضى من الرسالة —
توفي في سنة اثنتين وثمانين ومائة وعمره تسع وستون سنة
(انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء : ٨/ ٤٧٠ - ٤٧٣)

(٣) انظر :الصيمري :المصدر السابق : ٢٩

وقال يزيد بن هارون : أدركت الناس ، فما رأيت أحدا أعقل ولا أفضل ولا أورع ، من أبي حنيفة .(١)

وقال عاصم بن علي المحدث :

لو وزن عقل أبي حنيفة بنصف عقل أهل الأرض لرجح بهم .(٢)

وقال القاضي ابن شبرمة :

عجزت النساء أن تلد مثل النعمان .(٣)

وقال عبد الله بن المبارك :

ما رأيت أحدا أتقى لله من سفيان الثوري ، ولا رأيت أحدا أعقل من أبي حنيفة .(٤)

وقال ابن المبارك أيضا :

لقيت الفا من العلماء ، فما رأيت أحدا يفي بعقل هؤلاء الثلاثة

قيل : من هم ـ؟ قال : ابن عون ، الورع الزاهد العالم ، وأبو حنيفة ، وسفيان الثوري ، قيل له : أأبو حنيفة من هؤلاء ـ؟ قال : أف ، أف أف لك ـ ! لولا أني لقيت أبا حنيفة ، لكنت من الفلاسين الذين يبيعون الفلوس ببغداد ، ولولا أني لقيت أبا حنيفة ، لكنت من المبتدعة .(٥)

وقال ابن المبارك أيضا : كنت عند مالك بن أنس ، فدخل عليه رجل ، فأكرمه غاية اكرام ، ولما خرج من عنده قال : أتدرون من هذا ـ؟ قالوا : لا قال ابن المبارك : وكنت قد عرفته أنا ، فقال مالك : هذا أبو حنيفة العراقي ، ـ

---

(١) انظر : الصيمري : اخبار أبي حنيفة : ٣٠

(٢) " : " : م - ن

(٣) " : ابن عبد البر : الانتقاء : ١٣١

(٤) " : " " " : المصدر نفسه : ١٣٣

(٥) " : الصيمري : المصدر السابق : ١٣٦

لو قال : " هذه الاسطوانة من ذهب " لخرجت كما قال ، لقد وفق له الفقه ، حتى ما عليه فيه كبير مؤونة .(١)

ذكر أبو حنيفة بين يدى داود (٢) الطائى ، فقال : ذلك نجم يهتدى به السارى ، وعلم تقبله قلوب المؤمنين ، فكل علم ليس من علمه فهو بلاء على حامله ، علمه - والله - علم بالحلال والحرام والنجاة من عذاب الجبار ، مع ورع مستكن وخدمة دائمة (٣) .

وقال الامام الشافعى : من أراد أن يتبحر فى الفقه فهو عيال على أبى حنيفة ، كان ابو حنيفة ممن وفق له الفقه (٤) .

وقال يحيى بن معين : الفقهاء أربعة : أبو حنيفة ، وسفيان ، ومالك ، والأوزاعى (٥) .

دخل القاضى أبو يوسف على هارون الرشيد - فسأله الرشيد أن يصف أخلاق أبى حنيفة ، فقال :

" ان الله تعالى يقول :((ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد)) وهو عند لسان كل قائل ، كان علم بأبى حنيفة أنه كان شديد الذب عن محارم الله أن تؤتى ، شديد الورع أن ينطق فى دين الله بما لا يعلم ، يحب أن يطاع الله ولا يعصى ، مجانبا لأهل الدنيا فى زمانهم ـــــ

---

(١) انظر : الصيمري : أخبار أبى حنيفة : ٧٤

(٢) هو أبو سليمان داود بن نصير الطائى الكوفى من تلامذة أبى حنيفة ، كان فقيها ، قال فيه : يحيى بن معين ، ثقة ، وقال محارب بن دثار : لو كان داود فى الأمم الماضية لقص الله علينا من خبره مات سنة ستين أو خمس وستين ومائة - (انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٢٠٣/٣)

(٣) انظر : الصيمرى : المصدر السابق : ٧٦

(٤) " : ابن عبد البر : الانتقاء : ١٣٦

" : الخطيب : تاريخ بغداد : ٣٤٦/١٣

(٥) " : الصيمرى : المصدر السابق : ٨٠

لا ينافس في عزها ، طويل الصمت ، دائم الفكر ، على عمل واسع ، لم يكن مهذارا ولا ثرثارا ان سئل عن مسألة كان عنده فيها علم ، نطق به ، وأجاب فيها بما سمع ، وان كان غير ذلك ، قاس على الحق واتهمه صائنا نفسه ودينه ، بذولا للعلم والمال ، مستغنيا بنفسه عن جميع الناس ، لا يميل الى طمع . بعيدا عن الغيبة لا يذكر أحدا الا بخير "(١)

لا شك أن الامام الأعظم - رحمه الله - كان يحمل علما وفضلا يتحدث بهما الركبان في انحاء العالم الاسلامي آنذاك ، ومن الطبيعي جدا ، أن الانسان اذا وصل الى ذروة الشرف والمجد بعلمه وفضله أصبح محسودا للناس ، فأصبح الامام الأعظم كذلك ، وأشاع عنه حاسدوه ما هو بريء منه من المعائب ، فاغتابوه ، وأساؤوا الظن به ، الا من أنقذه الله تعالى ، فاطلع على محاسنه ورجع عما يظنه به من السوء ، فذكر عبد الله بن المبارك ، أن الامام الأوزاعي - رحمه الله - كان ممن لا يعرف فضل أبي حنيفة ، فالتقى مرة بابن المبارك ببيروت ، فسأله : —

" من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنى أبا حنيفة -؟ فلم يرد عليه ابن المبارك شيئا ، وجاء الى مستقره وأخرج من كتب أبي حنيفة مسائل ثم ذهب بتلك الأوراق الى الامام الأوزاعي ، فقرأها الأوزاعي واستحسنها وسأل : لمن هذه المسائل -؟ قال ابن المبارك : لشيخ ، لقيته بالعراق ، فقال : هذا نبيل من المشائخ ، اذهب اليه واستكثر منه فقال ابن المبارك : هذا هو أبو حنيفة الذي نهيت عنه ، قال حرام علي أن أنهاك عن تتعلم عنه مثل هذا فالزمه ، واستكثر ، فان هذا يحسن أن يتكلم في العلم ."(٢)

---

(١) انظر : الصيمري : اخبار أبي حنيفة : ٣١

(٢) انظر : " : " " : ٧٨

" : الخطيب : تاريخ بغداد ١٣ / ٣٣٨

في هذه القصة درس وعبرة ، انها قصة تدل على اخلاص الامام الأوزاعي رحمه الله ، ونصحه للمسلمين من جهة ، وهي تبرز حكمة ابن المبارك - رحمه الله - وحنكته في ميدان الدعوة من جهة أخرى ، كما أنها تزيل الستار عن مكانة أبي حنيفة - رحمه الله - في مجال العلم والدعوة ، فصرح الامام الأوزاعي بما كان يجول في خاطره عن أبي حنيفة ، من أجل تأثره بأقاويل الحساد ، تأثرا يدل على نصحه ، وتفكره بشئون المسلمين ، فزعم أن ما بلغه عن أبي حنيفة بدعة يجب أن يحال دونها ، فسأل ابن المبارك عنها للتأكيد ، واختار ابن المبارك غاية الحكمة في الدفاع عن أبي حنيفة ، اذ أنه عرف أن الأوزاعي قد بلغه شيء كثير عن أبي حنيفة ، فلو أراد أن يقنعه بالكلام لم يقتنع ، وكان عنده شيء مما ينجزه أبو حنيفة من مهمته في سبيل خدمة الدين ، فقدمه الى الأوزاعي ، ولم يكن الأوزاعي ينتقد أبا حنيفة بغضا وحقدا ، بل نصحا للمسلمين ، فلما تبين أمامه الحق ، اعترف بفضل أبي حنيفة ورجع عما كان يظنه ، هكذا كان أسلافنا رحمهم الله تعالى ، كان حربهم وسلمهم لله وفي الله ، وفي القصة درس وعبرة للمسلمين عامة وخاصة .

وروى أن عبد الله بن المبارك كان جالسا يوما يحدث الناس ، فقال : حدثني النعمان بن ثابت ، فقال بعضهم : من يعني أبو عبد الرحمن ؟ فقال : أعني أبا حنيفة مخ العلم ، فأمسك بعضهم عن الكتابة ، فسكت ابن المبارك هنيهة ، ثم قال : أيها الناس ما أسوأ أدبكم - وما أجهلكم بالأئمة وما أقل معرفتكم بالعلم وأهله ليس أحد أحق أن يقتدى به من أبي حنيفة ، لأنه كان اماما ، تقيا ، نقيا ، ورعا ، عالما ، فقيها كشف العلم كشفا لم يكشفه أحد ببصر وفهم . وفطنة وتقى . ثم حلف أن لا يحدثهم شهرا .(١)

---

(١) انظر : الصالحي : عقود الجمان : ١٨٩

في ميدان الدعوة :
==========

خدم الدعوة الاسلامية هذا الفقيه الجليل بجوانب حياته المتنوعة، وترك آثارا يقتفى بها في كل مجال/وفي كل زمان ، فقد بذل علمه في سبيل الدعوة الاسلامية ، واجتهد في المسائل الفقهية اجتهادا يؤخذ به ويؤثر ، وأفاد المجتمع الاسلامي بعلمه الغزير وفهمه الدقيق . وحلقته الفقهية في المسجد — لو عبرنا عنها باصطلاح أيامنا ، لقلنا : انها — كانت مجمعا علميا كبيرا يضم أعضاء عباقرة من أمثال أبي يوسف القاضي ، ومحمد بن الحسن الشيباني (١) . وزفر بن الهذيل العنبري (٢) ، وداؤد بن نصير الطائي وغيرهم .

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء ، الفقيه الحنفي المعروف ، من كبار تلامذة أبي حنيفة ، حضر مجلسه سنتين ثم تفقه على صاحبه أبي يوسف ، وهو الذي دون فقه أبي حنيفة في كتابه (الجامع الكبير) ولد سنة خمس وثلاثين ومائة ، وتوفي في قرية الري اسمها رنبويه سنة تسع وتسعين ومائة .
(انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٤/١٨٤ - ١٨٥)

(٢) هو أبو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس بن سليم العنبري ، ولد سنة عشر ومائة وحدث عن الأعمش واسماعيل بن أبي خالد وأبي حنيفة وغيرهم ، قال الذهبي فيه ، الفقيه المجتهد الرباني العلامة ، من بحور الفقه وأذكياء الوقت ، تفقه بأبي حنيفة وهو من أكبر تلامذته كان ممن جمع بين العلم والعمل ، كان يدري الحديث ويتقنه ، وكان منصفا في البحث ومتهما ، قال عبد الرحمن بن مهدي : حدثنا عبد الواحد بن زياد : قال لقيت زفر رحمه الله فقلت له : صرتم حديثا في الناس وضحكة ، قال : وماذاك ؟ قلت : تقولون : " ادرؤا الحدود بالشبهات " ثم جئتم الى أعظم الحدود فقلتم : تقام بالشبهات ، قال : وما هو ؟ قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يقتل مسلم بكافر " فقلتم : يقتل به - يعني بالذمي - قال : فاني أشهدك الساعة - اني قد رجعت عنه . توفي رحمه الله سنة ثمان وخمسين ومائة - (الذهبي : سير اعلام النبلاء : ٨/٣٥-٣٧) .

وله الصدارة فى المجلس ، فيطرح فيه مسألة جديدة واجهت المجتمع ، فينظرون فيها فى ضوء كتاب الله وما وصل اليهم صحيحا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما وهبهم الله تعالى من مواهب الاجتهاد ، فيغوصون فى أعماق المسائل الدقيقة ، ويطلعون وفى أيديهم لآلىء ثمينة ، وها هو أبو حنيفة - رحمه الله - يصرح بالمبادىء التى يلتزمها مجمعه العلمى فى بحث المسائل الفقهية ، فيقول :

" انى آخذ بكتاب الله اذا وجدته ، فما لم أجده فيه ، أخذت بسنة رسول الله ، والآثار الصحاح عنه التى فشت فى أيدى الثقات عن الثقات ، فاذا لم أجد فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ، أخذت بقول أصحابه من شئت ، وأدع قول من شئت ، ثم لا أخرج عن قولهم الى قول غيرهم ، فاذا انتهى الأمر الى ابراهيم والشعبى والحسن وابن سيرين وسعيد ابن المسيب - وعدد رجالا قد اجتهدوا - فلى أن أجتهد كما اجتهدوا "(١)

قال زهير بن معاوية : كنت عند الامام أبى حنيفة ، والأبيض بن الأغر يقايسه يديرونها بينهم ، فصاح رجل من ناحية المسجد ظننته من أهل المدينة : ما هذه المقايسات ؟ دعوها ، فان أول من قاس ابليس . فأقبل اليه الامام أبو حنيفة ، فقال : ياهذا وضعت الكلام فى غير موضعه ، ابليس ، رد على الله تعالى أمره ، قال سبحانه وتعالى : ((واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ، كان من الجن ففسق عن أمر ربه))(٢) ، وقال تبارك وتعالى : ((فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين))(٣) ، وقال

---

(١) الصيمرى : أخبار أبى حنيفة : ٤٠
ابن عبد البر : الانتقاء : ١٤٢
(٢) سورة الكهف : الآية : ٥٠
(٣) سورة الحجر : الآية : ٢١

وقال عز وجل : ((الا ابليس ، أبى واستكبر وكان من الكافرين))(١)

وقال : ((أأسجد لمن خلقت طينا)) (٢) ،فاستكبر ، ورد على الله تعالى أمره ، وكل من رد على الله تعالى أمره فهو كافر ، وهذا القياس الذى نحن فيه ،نطلب فيه اتباع أمر الله تعالى لأنا نرده الى أصل أمرالله تعالى فى كتابه ، أو الى سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الى قول الأئمة من أصحابه أو التابعين ،فاتبعناهم أيضا فى ردنا الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجماع أمر الله تعالى ، قال الله تعالى :

((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)) (٣) الى قوله : ((واليوم الآخر)) فنحن ندور حول الاتباع ، فنعمل بأول أمر الله تعالى . وابليس ، حيث قاس خالف أمر الله تعالى ورده ، فكيف يستويان - ؟ قال الرجل : غلطت يا أبا حنيفة وتبت ، فنور الله تعالى قلبك كما نورت قلبى (٤) .

وهذه القصة تدل واضحة على ما كان يدور فى مجلس الامام أبى حنيفة من مناقشات علمية وفقهية ، كما تدل على كون تلك المناقشات مبنية على الأسس السليمة المرضية عند الله تعالى بفضله ومنه .

ومن جهة أخرى تبرز القصة جانبا دعويا من جوانب أخلاق الامام أبى حنيفة رحمه الله ،فانه لم يثر على المعترض ولم يزجره بل تناوله بالبيان والرفق ، حتى ظهرت له الحقيقة جلية واستعار بها عقله وقلبه ، ولو زجره أو انتهره لضيع فائدة كبيرة فى دينه ، وبهذا ونحوه —

---

(١) سورة البقرة : الآية : ٣٤

(٢) سورة الاسراء : الآية : ٦١

(٣) سورة النساء : الآية : ٥٩

(٤) الصالحى : عقود الجمان : ١٧٦ - ١٧٧

نال أبو حنيفة رحمه الله حظه من الدعوة الاسلامية ، وهذه مميزة مثالية من مميزات أساليب الدعوة كان يتحلى بها أسلافنا رحمهم الله تعالى .

وكان يرى الامام الأعظم دولتى بنى أمية وبنى العباس منحرفتين عن الجادة الدعوية ،كما يرى أن امامة خلفائهما لم تنعقد ، لعدم توفر الشروط اللازمة شرعا فى بيعتهم ، فلم يرض بأن يؤيد الدولة باشتراكه فى شئونها الداخلية أو الخارجية ، وتحمل العقوبات التى أذاه بها أصحاب السلطة بغاية الصبر والصمود ،حتى توفى الى رحمة الله تعالى فى هذا السبيل ، ونسرد ههنا خبرين يظهر منهما تفكير أبى حنيفة بهذا الصدد :

روى أنه أراد يزيد بن عمر بن هبيرة والى العراق لمروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية ، أن يولى أبا حنيفة أمر خاتمه ،فلا ينفذ كتاب الا من تحت يد أبى حنيفة ، ولا يخرج من بيت المال شىء الا من تحت يد أبى حنيفة ، فأبى أبو حنيفة ذلك ،فقال له جماعة من الفقهاء فيهم ابن أبى ليلى ، وابن شبرمة وداؤد بن أبى هند وغيرهم : "لا تهلك نفسك ، فانا اخوانك وكلنا كاره لهذا الأمر ، لم نختره ،ولم نجد بدا من ذلك " ، فأبى وقال : " لو أرادنى أن أعدله أبواب المسجد ، لم أفعل ،فكيف ،وهو يريد أن يكتب بضرب عنق رجل مسلم ،وأختم أنا على ذلك الكتاب -؟ فوالله لا أدخل فى هذا أبدا " ، فحبسه صاحب الشرطة أسبوعين لم يضربه ، وحلف ابن أبى هبيرة ، ان لم يقبل أبو حنيفة هذا المنصب ليضربنه بالسياط على رأسه ، فقال أبو حنيفة : " ضربة لى فى الدنيا ، أسهل علىّ من مقامع الحديد فى الآخرة ، والله لا فعلت ،ولو قتلنى " ، فنقل قوله الى ابن هبيرة ، فقال : " بلغ من قدره أن يعارض يمينى بيمينه — ؟ "

فدعاه ،وكلمه ، وحلف له : ان لم يل ، ليضربن على رأسه حتى يموت، فقال له أبو حنيفة : "هي موتة واحدة". فأمر ابن هبيرة ، فضرب على رأسه عشرين سوطا ، فقال أبو حنيفة : " اذكر مقامك بين يدى الله ، فانه أذل من مقامى بين يديك ، ولا تهددنى ،فاني أقول "لا اله الا الله" والله سائلك عنى ،حيث لا يقبل منك جوابا الا بالحق ".

فأشار ابن هبيرة الى الجلاد أن يمسك ، وأرسل أبا حنيفة الى السجن ، فبات هناك ،فاصبح وقد انتفخ رأسه ووجهه من الضرب ، ثم اطلقه ابن هبيرة ، فخرج الى مكة ، وأقام هناك الى أن سقطت الدولة الأموية (١) ،ورجع الى الكوفة بعد أن قامت الدولة العباسية .

وقال الربيع بن يونس ،حاجب أبى جعفر المنصور: جمع المنصور مالكا وابن أبى ذئب (٢) وأبا حنيفة ،فقال لهم : كيف ترون هذا الأمر الذى أعطانى الله من أمر الأمة - هل أنا لذلك أهل -؟

---

(١) انظر : الصيمرى : أخبار أبى حنيفة : ٥٧- ٥٨
" : ابن عبد البر: الانتقاء : ١٧١
" : الخطيب : تاريخ بغداد : ١٣/ ٣٢٦
" : الذهبى : مناقب أبى حنيفة :١٧
" : الصالحى : عقود الجمان : ٣١١- ٣١٢

(٢) هو الامام الثبت العابد شيخ الوقت أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن ابن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئب هشام بن شعبة القرشى العامرى ، الفقيه المدنى ،ولد سنة ثمانين ، قال أحمد بن حنبل كان ابن أبى ذئب يشبه سعيد بن المسيب ،وكان من أورع الناس وأفضلهم ،كان يصوم يوما ويفطر يوما ،كان خشن العيش ،كان من رجال العلم صرامة وقولا بالحق ،قيل : ان المهدى حج ، فدخل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق الا من قام ، الا ابن أبى ذئب ،فقيل له : قم فهذا أمير المؤمنين قال : انما يقوم الناس لرب العالمين ،فقال المهدى : دعوه ،فانه قد قامت كل شعرة من رأسى ، توفى سنة تسع وخمسين ومائة -
(انظر : الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١/ ١٩١ - ١٩٢)

فسكت القوم ، فتوجه الى ابن أبى ذئب وقال له : ما تقول فى الذى قلدنى الله من أمر هذه الأمة ، أمة محمد صلى الله عليه وسلم ـ؟ فقال : ان ملك دنيا يؤتيه الله من يشاء ، وملك الآخرة يؤتيه الله من طلبه من الله ووفقه له ، وان التوفيق اذا أطعت الله ، قرب منك ، وان عصيت بعد ، وان الخلافة تكون باجماع أهل التقوى عليها ، والمؤن لمن وليها ، وأنت وأعوانك ، كنتم خارجين من التوفيق ، عالين على الخلق ، فان سألت الله السلامة ، وتقربت اليه بالأعمال الزاكية ، كان ذلك فى نجاتك ، والا ، فأنت المطلوب .

قال الربيع : فكنت أنا ومالك بن أنس ، نجمع ثيابنا خوفا أن يرشش علينا من دمه ، ثم توجه المنصور الى أبى حنيفة ، فقال له : ماتقول ـ؟ قال : المسترشد لدينه يكون بعيد الغضب ، اذا أنت نصحت لنفسك ، علمت أنك لم ترد الله باجتماعنا ، وانما أردت أن تعلم العامة أنا نقول فيك ما تهواه ، مخافة سيفك وحبسك ، ولقد وليت الخلافة وما اجتمع عليك نفسان من أهل التقوى ، والخلافة تكون عن اجماع المؤمنين ومشورتهم . . . . . .

قال الربيع ثم توجه الى مالك فقال له : ما تقول ـ؟ قال : لولم يرك الله اهلا لذلك ، ما قدر لك ملك أمر الأمة ، وأزال عنهم من بعد من نبيهم وقرب هذا الأمر الى أهل بيته ، أعانك الله على ما ولاك ، وألهمك الشكر على ما خولك ، وأعانك على ما استرعاك . فأمرهم فانصرفوا .

قال الربيع :

ثم قال لى المنصور : خذ معك ثلاث بدر ، واتبع القوم ، فان أخذها مالك كلها ، فادفعها اليه ، وان أخذ ابن أبى ذئب أو أبو حنيفة شيئا فجئنى برأسيهما ، قال : فأتيت ابن أبى ذئب ـ

فقلت له فقال : ما أرضى هذا المال له ، فكيف آخذه لنفسي ؟ وقال أبو حنيفة : ما أنفع له ان كان يعطى من يرحم ، أن يرحم نفسه ممن يظلم ، والله لو ضرب عنقي على أن أمس منها درهما ، ما مسسته ، قال : وأتيت مالكا ، فأخذها كلها ، فأتيت المنصور ، فأعلمته ، فقال : بهذه الصيانة حقنوا دماءهم .(١)

اجتهد الامام مالك - رحمه الله - اجتهادا ، فاختار الرخصة والحكمة في سبيل الدعوة ، ورجح الامام أبو حنيفة - ومعه العالم الرباني ابن أبي ذئب رحمه الله - العزيمة ، وجاهد الجهاد الأكبر ، فنطق بكلمة حق عند سلطان جابر ، وترك للدعاة الى الله أسوة حسنة بأن لا ينسوا أبدا هدفهم الوحيد ، ألا وهو تحويل شئون الامة كلها الى الجادة الدعوية المستقيمة .

وترك هذا الامام الأكبر بسلوكه الشخصي نماذج رائعة للدعاة الى الله ، فكان ورعا تقيا ، أمينا ، زاهدا ، وداعيا الى الله بما وهبه الله من الذكاء والفطنة وسرعة الخاطر ، وله أخبار كثيرة بهذا الصدد ذكرها المترجمون له ،(٢) وهو بهذه الأخبار يكون علما من أعلام الدعوة في العصر العباسي الأول ، ونذكر ههنا بعضا منها :

---

(١) الصيمري : أخبار أبي حنيفة : ٥٩ - ٦٠

(٢) انظر : الصيمري : المصدر نفسه : ٢٩ وما بعدها
" : ابن عبد البر : الانتقاء : ١٥٢ وما بعدها
" : الخطيب : تاريخ بغداد : ١٣/ ٣٥٠ وما بعدها
" : ابن خلكان : وفيات : ٥/ ٤١٢
" : الذهبي : مناقب أبي حنيفة : ٩ وما بعدها
" : الصالحي : عقود الجمان : ٢١١ " "

كان أبو حنيفة بائع خز ، وكان مثالا حيا للتاجر الصدوق الأمين الذى تناله بشرى الحديث الشريف : ((التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)) (١)

فيروى : أن حفص بن عبد الرحمن كان شريكا لأبى حنيفة ، فبعث اليه بضاعة ، وأخبره أن فى ثوب كذا عيبا ، فاذا بعته ، فبين ذلك العيب ، فباع حفص البضاعة ونسى أن يبين العيب للمشترى ، والمشترى كان رجلا غريبا لا يعرفه حفص ، فأمر أبو حنيفة أن يتصدق بثمن المتاع كله . (٢)

وكان هذا نموذجا من ورع أبى حنيفة ، ولعله كان يكفيه أن يتصدق بما يقابل ذلك العيب من ثمن البضاعة ، ولكنه لم يرض بأن يختلط بماله مقدار خردلة من حرام أو شبهة ، وهكذا قدم مثالا رائعا يجب أن يقتدى به الدعاة الذين يفترض فيهم أن يكونوا أمثلة حية لما يدعون اليه الناس .

وروى أنه وقعت الى الكوفة أغنام من الغارة ، واختلطت بغنم الكوفة ، فسأل أبو حنيفة : كم تعيش الغنم ؟ قيل له : سبع سنين ، فترك أكل لحم الغنم سبع سنين .

وقال يزيد بن هارون المحدث : رأيته يوما جالسا فى الشمس عند باب انسان ، فقلت له : يا أبا حنيفة ، لو تحولت الى الظل ، فقال : لى على صاحب هذه الدار دراهم ، ولا أحب أن أجلس فى ظل فناء داره وفى رواية أخرى : أنه قال بعد ذلك : ما أراه واجبا على الناس ، ولكن العالم يحتاج أن يأخذه لنفسه من علمه بأكثر مما يدعو الخلق اليه . (٣)

---

(١) رواه الدارمى : ٢/٢٤٧

(٢) انظر : الصيمرى : أخبار أبى حنيفة : ١ و ٣٤

(٣) " : الصالحى : عقود الجمان : ٢٤٤

ولا يسعنا الا أن نقف موقف الحذر من قبول بعض هذه الأخبار، ولكن الأصل العام لها : وهو الورع ومجاهدة النفس ،أمر مسلم، وينبغى للدعاة الى الله أن يأخذوا أنفسهم بهذين الأمرين ، لما يمكن أن يأتى منهما من الخير الكثير فى حقل الدعوة الاسلامية .

ويروى أنه جاءت امرأة الى أبى حنيفة بثوب خز وقالت له أن يبيعه لها ،فسألها : بكم أبيعه ـ؟ قالت : بمائة ، فقال لها : هو خير عن مائة ،فزادت مائة أخرى ،فقال : هو خير ، فزادت حتى وصلت الى أربعمائة ، فقال هو خير منه ،فقالت : أتهزأ بى ـ؟

قال: هاتى رجلا يشتريه ،فجاءت برجل ، فساومه ،فاشتراه الرجل بخمسمائة درهم (١) .

وهكذا قدم الامام الأعظم أسوة مثالية لأداء الامانة وتلك سمة من سمات شخصيته الدعوية ، وما أقل من يقف موقف أبى حنيفة من التجار! الذين ينتهزون مثل هذه الفرصة ، ويستغلون جهل البائع بالأسعار الرائجة فى السوق ،ويشترون ما لديه بأبخس الأثمان الممكن ، ولكن أبا حنيفة ـ رحمه الله ـ تعمق فى القضية ، وأبرز دقائق الأمانة .

بأن الخبير مؤتمن مثل المستشار ، وعليه أن ينصح لمن لا خبرة عنده ، وخلاف الأمانة أن ينتهز الخبير فرصة عدم خبرة العامى ـ وان لم يربح أبو حنيفة ماديا فى هذه الصفقة ، ولكنه ربح ربحا معنويا عظيما من عدة وجوه : فأدى الأمانة ،وأفاد المرأة عديمة الخبرة بربح مضاعف، وألف قلبها وقلب من شاهد هذه الصفقة الممتازة ، وبذلك اكتسب كسبا كبيرا فى ميدان الدعوة ، بحيث ارتفعت مكانته فى نظرهم فيسمع قوله ويطاع أمره .

---

(١) انظر : الصيمرى : أخبار أبى حنيفة : ٣٩

وأخيرا نذكر خبرا يدل على ورع أبى حنيفة وزهده من ناحية ، وعلى سموله واتجاهاته فى الحكم الاسلامى الدعوى من ناحية أخرى ، قال تلميذه الامام أبو يوسف - رحمه الله -

" اجتمعنا عند أبى حنيفة فى يوم مطير فى نفر من أصحابه ، منهم: داود الطائى (١) ، والقاسم بن معن (٢) ، وعافية بن يزيد (٣) ، وحفص بن غياث

---

(١) هو عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : الامام العلامة قاضى الكوفة ابو عبد الله القاسم بن معن بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود الهذلى ، أحد الأعلام ، الفقيه المحدث خرج له أبو داود والنسائى ، قال أحمد بن حنبل : كان لا يأخذ على القضاء رزقا . توفى سنة خمس وسبعين ومائة .
(الذهبى : تذكرة الحفاظ: ١/ ٢٣٩)

(٢) هو عافية بن يزيد بن قيس الأودى ، الكوفى ، الحنفى ، قاضى بغداد جانب الشرقى ، كان من العلماء العاملين ، روى عن هشام بن عروة ، والأعمش ، ومجالد وغيرهم ، استقال من القضاء وكان سببه : أنه أهدى له الخصم رطبا ، فرده وزجره ، فلما حاكم خصمه من الغد ، قال عافية : لم يستويا فى قلبى ، ثم حكاها للخليفة وقال : هذا حالى وما قبلت ، فكيف ، لو قبلت -؟ فأعفاه الخليفة - مات سنة نيف وستين ومائة .
(انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء : ٧/ ٣٩٩) —

(٣) هو أبو عمر حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعى الكوفى ، قاضى الكوفة وبغداد ، روى عن جده (طلق بن معاوية) وعن اسماعيل بن أبى خالد وأبى مالك الأشجعى وغيرهم ، وروى عنه الامام أحمد واسحاق وابن معين وغيرهم ، قال العجلى : ثقة ، مأمون ، فقيه ، ولد سنة سبع عشرة ومائة ومات سنة ست وتسعين ومائة .
(انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٢/ ٤١٥-٤١٨)

ووكيع بن الجراح (١) ، ومالك بن مغول (٢) ، وزفر ، فأقبل علينا بوجهه وقال : "أنتم سار قلبي وجلاء حزني ، وأسرجت لكم الفقه وألجمته ، وقد تركت الناس يطؤون أعقابكم ويلتمسون ألفاظكم ، ما منكم واحد الا وهو يصلح للقضاء ، فسألتكم بالله وبقدر ما وهب الله لكم من جلالة العلم ، لما صنتموه عن ذل الاستئجار ، وان بلي أحد منكم بالقضاء ، فعلم من نفسه خرابة سترها الله عن العباد لم يجز قضاؤه ، ولم يطب له رزقه ، فان دفعته ضرورة الى الدخول فيه ، فلا يحتجبن عن الناس ، وليصل الخمس في مسجده ، وينادي عند كل صلاة : "من له حاجة ـ؟" فاذا صلى العشاء نادى ثلاثة أصوات : " من له حاجة" ثم دخل الى منزله ، فان مرض مرضا لا يستطيع الجلوس معه أسقط من رزقه بقدر مرضه ، وأيما امام غفل فيما ، أو جار في حكم ، بطلت امامته ولم يجز حكمه (٣) " .

---

(١) هو الحافظ أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الروّاسي : روى عن أبيه واسماعيل بن خالد وهشام بن عروة والأعمش وغيرهم ، وروى عنه أبناؤه سفيان ومليح ، وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد ابن حنبل وغيرهم . قال عبد الله بن أحمد عن أبيه : ما رأيت أوعى للعلم من وكيع ولا أحفظ منه .
كان يصوم الدهر ويختم كل ليلة ـ ولد سنة ثمان وعشرين ومائة ومات في سنة ست وتسعين ومائة (ابن حجر : تهذيب التهذيب : ١١/ ١٢٣ - ١٣٠)

(٢) هو الامام الثقة المحدث أبو عبد الله مالك بن مغول بن عاصم ابن غزية بن خرشة البجلي الكوفي ، حدث عن الشعبي ، وعطاء ابن أبي رباح وعبد الله بن بريدة وغيرهم ، وروى عنه شعبة ، والثوري ، وأبو اسحاق السبيعي وغيرهم خلق كثير .
توفي سنة تسع وخمسين ومائة . (انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء : ٧/ ١٧٤ - ١٧٦)

(٣) انظر: الذهبي : مناقب أبي حنيفة : ١٧

فهذه وصية قيمة لأبي حنيفة ، وجهها الى تلامذته الأعزاء ، وهي تحمل في ثناياها مثالا من المثل التي ينبغي أن يحاكيها الدعاة كما يبدو منها عمق فكر أبي حنيفة ، ودقة نظره في المقومات الدعوية التي على المسلمين كافة - رسميين وغير رسميين - أن يلتزموها ويمضوا عليها بالنواجذ ، ويعرفوا حق المعرفة بأن الانحراف عنها يبعدهم - شعبا ودولة - عن أهداف حياتهم الدعوية الأصيلة .

توفي الى رحمة الله تعالى هذا الامام الجليل في سنة خمسين ومائة ، وعمره اذ ذاك سبعون سنة ، قضى معظمها في سبيل العلم والدعوة الى الله ، وكان أبو جعفر المنصور يجد في نفسه على أبي حنيفة ، لحمايته لابراهيم بن عبد الله بن الحسن العلوي الذي خرج على المنصور بالبصرة ، فأصر على أبي حنيفة أن يلي القضاء ، ولكنه أبى ، فحبسه ، وظل محبوسا خمسة عشر يوما ، كل يوم يضرب عشرة أسواط ، ويطاف به في الأسواق ، والدم يسيل على عقبيه ، ثم يعاد الى السجن ، قيل : استمر الضرب عشرة ايام ثم ترك في السجن محبوسا ، فبقي خمسة أيام وتوفي .

وقيل : ان المنصور سقاه السم فاسود جسمه وخرجت نفسه وهو ساجد بين يدي ربه (١) . ومات شهيدا في سبيل الله .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

---

(١) انظر : الصيمري : أخبار أبي حنيفة : ٨٧ و ٨٨
" : ابن عبد البر : الانتقاء : ١٧١
" : الذهبي : مناقب أبي حنيفة : ٣٠
" : الصالحي : عقود الجمان : ٣٥٧ - ٣٥٩

٢ـ الامام مالك بن أنس

======

نشأتـــه :

=====

هو امام دار الهجرة ، الحافظ الفقيه شيخ الاسلام ابو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث بن غثمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث الأصبحى ، المدنى .

ولد سنة ثلاث وتسعين بالمدينة المنورة ، وحدث عن غير واحد من التابعين ، عن نافع مولى ابن عمر ، وابن شهاب الزهرى ، وعامر بن عبد الله بن الزبير ، وابن المنكدر وعبد الله بن دينار وغيرهم خلق كثير ، وحدث عنه خلق كثير لا يحصى عددهم ، منهم الامام أبو حنيفة ، والشافعى وعبد الله بن المبارك ، ويحيى القطان والأوزاعى ، وعبد الرحمن بن مهدى وسفيان الثورى وابن عيينة وغيرهم .(١)

علمه وفضلـــه :

=========

كان الامام مالك ـ رحمه الله ـ حذرا جدا فى أخذ العلم ، فلم يأخذ الا ممن اعتمد على علمه وفقهه وفهمه ودينه وتقواه ، فكان يقول :ـ

" لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ من سواهم ، لا يؤخذ من سفيه ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الى بدعة ، ولا من كذاب يكذب فى أحاديث الناس ، وان كان لا يتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف ما يحمل ويحدث به " .

---

(١) انظر : ابن عبد البر : الانتقاء : ١٠ و ١٣
" : الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١/ ٢٧
" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ١٧٤
" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ١٠/ ٥ - ٦

ومع تدقيقه هذا كان جيد الحفظ والضبط والاتقان .

فيروى أنه جاء الامام محمد بن شهاب الزهرى الى المدينة ، فازدحم على بابه طلاب العلم ، وفيهم مالك بن أنس ، فحدث أربعين حديثا وزيادة ، ولما حضروا اليه فى اليوم الثانى قال لهم : انظروا فيما كتبتم أمس لأعيد عليكم بعض ما حدثتكم اذا رأيتم ذلك ، فقيل له : ههنا من يحدث أمامك جميع ما حدثته أمس ، قال : من هو ؟ قيل مالك ابن أنس (١) ، فتقدم مالك وحدث أربعين حديثا بتمامها ، فتعجب الزهرى .

وقد اعترف بعلم الامام مالك وفضله جماعة من العلماء المعاصرين له ومن تلامذته ، نذكر ههنا نبذة من أقوالهم : قال سفيان بن عيينة : انه - يعنى مالكا - لا يبلغ من الحديث الا صحيحا ، ولا يحدث الا عن ثقات الناس (٢) ، وما أرى المدينة الا ستخرب بعد موت مالك بن أنس .

وقال الامام الشافعى : اذا جاءك الحديث عن مالك ، فشد به يدك ، وقال : اذا ذكر العلماء فمالك النجم ، وما أحد أمن على من مالك ابن أنس (٣) .

سئل الامام أحمد بن حنبل عن سفيان الثورى ومالك اذا اختلفا فى الرواية ، فقال : مالك أكبر فى قلبى ، قيل : فمالك والأوزاعى اذا اختلفا ؟ فقال : مالك أحب الى ، وان كان الأوزاعى من الأئمة (٤) قيل : فمالك وابراهيم النخعى ؟ فقال ضمه مع أهل زمانه .

---

(١) انظر : ابن عبد البر : الانتقاء : ١٨

(٢) " : ابن عبد البر : المصدر نفسه : ٢١

(٣) " : " " " : المصدر نفسه : ٢٣

(٤) " : " " " : " " : ٣٠

وقال عبد الله بن وهب : لولا أنى أدركت مالكا والليث بن سعد لضللت.(١)

وقال الذهبى (٢) : وقد اتفق لمالك مناقب ، ما علمتها اجتمعت لغيره :

أحدها : طول العمر وعلو الرواية ، ثانيتها : الذهن الثاقب ، والفهم وسعة العلم ، وثالثتها : اتفاق الأئمة على أنه حجة ، صحيح الرواية ، ورابعتها : تجمعهم على دينه وعدالته واتباعه السنن ، وخامستها : تقدمه فى الفقه والفتوى وصحة قواعده .

فى ميدان الدعوة :

خدم الدعوة الاسلامية هذا الامام الجليل بشتى نواحى علمه وزهده وتقواه ، فكان مرجعا كبيرا للخلائق ، بدأ يخدم المجتمع الاسلامى بفتاواه المستنبطة من الكتاب والسنة ، فى نفس الوقت الذى كان يفتى فيه بالمدينة كبار فقهائها أمثال يحيى بن سعيد الأنصارى ، وربيعة بن عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأى (٣) ، ونافع مولى ابن عمر ، ويقول مالك عن نفسه : "ما أفتيت حتى شهد لى سبعون أنى أهل لذلك" .(٤)

وكان لمالك - رحمه الله - حلقه وسيعة فى رحاب المسجد النبوى الشريف ، يقصدها طلاب العلم من أنحاء العالم الاسلامى آنذاك ، يستفيدون من مناهل علمه العذبة ، ثم يرجعون الى بلادهم دعاة الى الله ، ينشرون ما ارتشفوه من هذا المنبع الصافى ، من الحديث والفقه ، ومن الزهد والتقوى —

---

(١) انظر : ابن عبد البر : الانتقاء : ٢٧

(٢) " : تذكرة الحفاظ : ١/ ٢١٢

(٣) " : ابن عبد البر : م ـــــ ن

(٤) " : الذهبى : المصدر السابق : ١/ ٢٠٨

كما كان مجلس الامام مجلس علم ووقار ، كان يهتم اهتماما خاصا عند خروجه للتدريس ، فكان يلبس لباسا فاخرا من الثياب المدنية ، ويتطيب ويسرح لحيته ويكتحل ، ويطلب مراوح ، فيعطى كل انسان مروحة ثم يبدأ درسه (١) .

وفى هذه الحلقة العلمية ألف كتابه المعروف (الموطأ) الذى يعتبر مرجعا هاما من مراجع طلاب علم الحديث وهواة الفقه فى الدعوة ، وقال عنه الامام الشافعى رحمه الله : (ما فى الأرض كتاب فى العلم أكثر صوابا من موطأ مالك) (٢)

ومن هذه الحلقة العلمية كان يرد مالك - رحمه الله - على أهل الأهواء والبدع من المعطلة والمشبهة وأهل الأرجاء والاعتزال والقدر (٣) ، ولا شك أن فى ذلك خدمة بالغة للدعوة فى سهب هذه الأعصر ، وبذلك أصبحت هذه الحلقة العلمية مجمعا علميا كبيرا يضم اعضاء نوابغ فيهم عبد الله بن وهب ، وعبد الرحمن بن قاسم العتقى ، وأشهب بن عبد العزيز ، وعبد الله بن عبد الحكم ، ويحيى الليثى وغيرهم (٤) ، فيعقون فيه لأخذ الحديث ، ويحققون على المسائل الفقهية تحقيقا علميا ، وينظرون فيما يثيره أهل الهوى ، وأصحاب الزيغ الفكرى ، من مقالات كلامية تشوش أفكار الجمهور ، فيجاب عنها اجابة مفحمة مقنعة فى ضوء الكتاب والسنة ، وهكذا كانت تؤدى هذه الحلقة العلمية واجبها الدعوى نحو المجتمع الاسلامى .

---

(١) الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١ / ٢١٠
انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠ / ١٧٤
(٢) انظر : الذهبى : المصدر السابق : ١ / ٢٠٨
(٣) انظر : ابن عبد البر : الانتقاء : ٣٢ - ٣٧
(٤) قد ذكرنا ترجمتهم فى الباب الثانى ، وفى المبحث الثالث من فصله الثالث .

وللامام مالك ـ رحمه الله ـ مواقف ، لا بأس بها مع خلفاء العصر العباسى الأول ، وقد أدرك عصر المنصور والمهدى وهارون ، فكان يعاملهم محتفظا بعلمه ووقاره ، فلم يعارضهم جهريا ، ولم يذل أمامهم وجهه ، كان يقبل ما يقدمون اليه من مال وهدايا ، ولم يمد اليهم أبدا يده ، فيروى أنه لما قدم المهدى المدينة ، بعث الى مالك بألفين أو ثلاثة آلاف دينار ، فقبله ، ثم جاء اليه حاجب المهدى الربيع ابن يونس ، يحثه على أن يذهب الى بغداد مع أمير المؤمنين ، فقال له مالك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون)) يعنى بذلك أنه لن يرضى بترك السكن بالمدينة ، ثم قال : والمال عندى على حاله ، يعنى : لو دفعتمونى المال راغبا فى انتقالى الى بغداد ، فأخطأتم ، المال على حاله موجود عندى خذوه متى شئتم ، وفى الموقف الذى يقفه الامام مالك عزة وكرامة ينبغى ألا تغيبا عن قلوب الدعاة .(١)

وحضر هارون الرشيد فى بيت مالك ، ومعه أبناؤه ، فطلب من مالك أن يقرأ على أبنائه ، فأجاب : ما قرأت على أحد منذ زمان وانما يقرأ على ، فقال هارون : أخرج الناس من عندك ، حتى أقرأ أنا عليك ، فقال : اذا منع العالم لبعض الخاص ، لم ينتفع الخاص .(٢)

هذه ناحية من جوانب حياة الامام ـ رحمه الله ـ مع خلفاء العصر العباسى الأول ، بحيث يحضرون اليه ويحضر اليهم ، ويقدمون اليه المال فيقبله ، ولكن لم يستطيعوا بذلك أن يهيمنوا عليه ، ويتصرفوا به كما يشاؤون ، ومالك ـ رحمه الله ـ يعلمنا بذلك أصلا من أصول

---

(١) انظر : ابن عبد البر : الانتقاء : ٤٢
" : الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١/ ٢١٠
(٢) " : الذهبى : المصدر نفسه : ١/ ٢١٢

صلة الدعاة بالحكام ، وفاد هذا الاصل : أن الداعية يجب ألا يقع في قبضة الحاكم يتصرف به كيف يشاء ، ولكن لا بأس عليه اذا هو لم يعتزله ابتغاء نفع يرجوه لدين الله ، والموقف ، على كل حال ، دقيق وخطـــــير .

وهناك ناحية أخرى لحياة الامام مع هؤلاء الخلفاء ، انه لم يرضـــى أن يداهن في أمور الدين ، أو يكتم العلم بأمر من هؤلاء الخلفـــاء وولاتهم ، يروى : أن أبا جعفر المنصور منع مالكا ، أن يروى الحديث: ((ليس على المستكره طلاق))

فانـــه

كان يرى أبعاد ما ينتجه هذا الحديث سياسيا ، اذ يفضي الى انـــه ((ليس على المستكره بيعة))

ولكن الامام لم يمتنع ، فحدث به على رؤوس الأشهاد ، فضربه والـــي المدينة - ربما كان ضربه باشارة المنصور - بالسياط حتى انخلعت كتفـــه فكان اذا قام من مجلسه حمل يده اليمنى أو اليسرى بالأخرى ، (١) فتحمـــل هذه العقوبة والايذاء بغاية الصبر والصمود ، ولـم يرض أن يكتم علمـــه من أجل غرض سياسي تافه ، أو حتى من أجل ضرر يناله في نفســـــه أو في جسده .

---

(١) انظر : ابن عبد البر: الانتقاء : ٤٣ - ٤٤

وهناك مأثرة كبرى لهذا الامام الجليل في حقل الدعوة الاسلامية ، ويجب أن تكتب بماء الذهب : يروى أنه لما حج المنصور طلب مالكا - رحمه الله - وحادثه في أمور شتى ، ثم قال له : " عزمت أن أمر بكتبك هذه التي قد وضعت - يعني الموطأ - فتنسخ نسخا ثم أبعث الى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة ، وآمرهم أن يعملوا بما فيها ، ولا يتعدوها الى غيرها ، ويتركوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدث ، فاني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم " .

فقال مالك : " يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا ، فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث وووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق اليهم وعملوا به ، ودانوا به من اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغيرهم ، وان ردهم عما اعتقدوه شديد ، فدع الناس وما هم عليه ، وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم " .
(١)

فقال المنصور : " لعمري لو طاوعتني على ذلك لأمرت به " ويدل هذا الخبر على غاية اخلاص هذا الامام الجليل ونصحه للأمة الاسلامية ، فلو كان انتهازيا - لا قدر الله - لانتهز هذه الفرصة الذهبية وأقبل على عرض ولي أمور المسلمين بغاية الاستعجال ، وسلط على الأمة آراءه وأفكاره بقوة السلطة ، كما فعلته المعتزلة أيام المأمون والمعتصم والواثق ، ولكن الامام - رحمه الله - كان يحمل روحا دعوية خالصة ، وكان يدرك ادراكا دقيقا ما سوف يجره هذه الخطوة من الكوارث والمآسي على أبعاد الدعوة الاسلامية ، فلم يرض بها وصان الأمة عن التفرقة والانشقاق ، بالوصاية العلمية والفكرية عليها .

---

(١) انظر : ابن عبد البر: الانتقاء : ٤١

وكان أمام هذا الامام الجليل، بصدد علاقته بأصحاب السلطة واحدة من ثلاث :

الأولى : أن يلقى بنفسه فى أيديهم ، ويصبح عالما من علماء البلاط، فيأمر بما يأمر به رجال البلاط ،وينهى عما ينهون عنه ،ويصير لعبة فى أيديهم . ولم يخطر ببال الامام أن يختار هذا الموقف فى حين من الأحيان .

والثانية : موقف عزيمة : فيصرح أمام الخلفاء والولاة جميع معائبهم بكل صراحة ،ويوضح عليهم جورهم وطغيانهم ،وانحرافاتهم عن الجادة الدعوية ،فيكتسب بذلك غضبهم وحقدهم .

والثالثة : موقف رخصة : بأن يلائم مع ولاة أمور المسلمين مع الحفاظ على دينه وعرضه ، فاجتهد ،واختار هذا الموقف ، ولكن .... يبد و أنه انزعج منه فى آخر حياته ، فروى أنه كان يشهد الصلوات، والجنائز ،ويعود المرضى ، ويقضى الحقوق ويجلس فى المسجد ،ثم ترك الجلوس فيه ، فكان يصلى وينصرف ثم ترك شهود الجنائز ، فيأتى الى اصحابه فيعزيهم فقط ،ثم ترك ذلك كله ... فقيل له : ما يمنعك ؟ قال : "مخافة أن أرى منكرا فأحتاج أن أغيره" (١) ،وكأنه - رضى الله عنه - قد رأى من تفاقم المنكرات ما شمر ازاءه بالعجز عن التغيير ،ومن هنا يسهل تقدير تلك الانحرافات التى بدأت تدخل فى المجتمع الاسلامى ، نتيجة أسباب عديدة منها : غفلة الدولة ورجالها عن أداء مهمتهم الدعوية فى تلك الأيام .

---

(١) انظر: الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١/ ٢١٠ و ٢١٢

فيها ان هذا الامام الجليل الذى قرر أن لا يختار موقف المصادمة الصريحة بولاة أمور المسلمين ، بل قرر أن يسايرهم فى حدود الحفاظ على دينه وعرضه ، لم يستطع البقاء على موقفه ، كما لم يستطع تغيير موقفه ، فاختار حياة العزلة ، حتى لحق بربه .

وتوفى الى رحمة الله تعالى هذا الامام الجليل فى سنة تسع وسبعين ومائة ، فى عهد هارون الرشيد ، وعمره اذ ذاك خمس أو ست وثمانون سنة ، ودفن بالبقيع ، (١) وترك فوجا من تلامذته دونوا فقهه ، وروجوه فى الأندلس وشمال افريقية .

---

(١) انظر : ابن عبد البر : الانتقاء : ٤٥

" : الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١/ ٢١٢-٢١٣

" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ١٧٣ - ١٧٥

٣- الامام الشافعي

نشأته :

هو الامام العلم ، حبر الأمة أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي المطلبي .

يلتقي نسبه في عبد مناف مع النسب الشريف للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ولد في سنة خمسين ومائة بغزة ، في نفس العام الذي توفي فيه الامام أبو حنيفة رحمه الله تعالى -

مات أبوه وهو صغير ، فحملته أمه الى مكة المكرمة وهو ابن سنتين ، وذلك للحفاظ على نسبه ، فترعرع بمكة وقرأ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين ، وحفظ موطأ الامام مالك بن أنس رحمه الله ، وهو ابن عشر سنين ، وأخذ العلم أولا عن مسلم[1] بن خالد الزنجي ، ثم سافر الى المدينة المنورة ولازم الامام مالكا ، وقرأ عليه كتابه الموطأ ، كما سمع الحديث عن ابن الماجشون[2] ، واسماعيل بن جعفر[3] ، وسفيان بن عيينة وغيرهم خلق كثير .

---

(١) هو الامام الفقيه مسلم بن خالد بن مسلم بن سعيد القرشي المخزومي بالولاء ، تابعي ، من كبار الفقهاء ، كان امام أهل مكة ، أصله من الشام ، لقب " بالزنجي " لحمرته او على الضد لبياضه ، توفي سنة ثمانين ومائة وله ثمانون سنة (انظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ : ١/٢٥٥)

(٢) هو الامام العلم الفقيه أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة التيمي بالولاء كان من العلماء الربانيين ، من فقهاء المدينة توفي سنة اربع وستين ومائة .

(انظر : الذهبي : المصدر السابق : ١/٢٢٢)

(٣) هو الامام العالم أبو اسحاق اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الانصاري الزرقي بالولاء ، قرأ القرآن على نافع مولى بن عمر ، وهو من أهل المدينة ، قدم بغداد ولم يزل بها حتى توفي سنة ثمانين ومائة .

(انظر : الذهبي : المصدر السابق : ١/٢٥٠)

(" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ١/٢٨٧) .

(١)
وروى عنه الامام أحمد بن حنبل ، وعبد الله بن الزبير الحميدى ،
(٢) (٣) (٤)
ويوسف بن يحيى البويطى ، وأبو ثور وخلق كثير .

---

(١) هو الحافظ الفقيه الامام أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشى الحميدى ، من أهل مكة ، يعتبر من كبار أصحاب الشافعى ، كان من كبار أئمة الدين ، حدث عنه البخارى وغيره ، توفى بمكة سنة تسع عشرة ومائتين .
(انظر : الذهبى : تذكرة الحفاظ : ٢/٤١٣ - ٤١٤) .

(٢) هو العالم الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى ، من كبار أصحاب الشافعى بمصر ، كان فقيها عالما ، أخرج أيام محنة خلق القرآن وحمل الى بغداد وحبس هناك ، فلم يعترف بتلك العقيدة الباطلة وتوفى فى السجن .
(انظر : ابن عبد البر : الانتقاء : ١٠٩ - ١١٠) .

(٣) هو أبو ثور ابراهيم بن خالد الكلبى ، ممن أخذ عن الشافعى ببغداد وجالسه ، له كتاب ذكر فيه اختلاف مالك والشافعى ، كان يذهب مذهب أهل العراق ولكن أكثر ميلا الى الشافعى ، توفى ببغداد سنة أربعين ومائتين .
(انظر : ابن عبد البر : المصدر السابق : ١٠٧)

(٤) انظر : المسعودى : مروج الذهب : ٤/٢٤
" : ابن عبد البر : المصدر السابق : ٦٦ - ٦٩
" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٢٥١ - ٢٥٢
" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٩/٢٥ - ٢٧

علمه وفضله :

كان الامام الشافعي رحمه الله صاحب علم غزير وفضل كبير ، وقد بدا نبله في صباه ، اذ قال له شيخه مسلم بن خالد الزنجي : " افت يا أبا عبدالله قد آن لك أن تفتي " وكان عمره اذ ذاك خمس عشرة سنة (١) ، كما كان شيخه سفيان بن عيينة - رحمه الله - اذا جاءه شيء عن التفسير والفتيا ، التفت الى الشافعي وقال : (سلوا هذا) (٢).

وبدأ الشافعي رحلته العلمية ، عندما كانت مدرستان للفقه في ذروة حيويتهما ونشاطهما ، كانت مدرسة الامام مالك - رحمه الله - تمثل فقه أهل الحجاز ، وكانت مدرسة الامام أبي حنيفة - رحمه الله - تمثل فقه أهل العراق ، وكان تلميذ أبي حنيفة الامام محمد بن حسن الشيباني ينوب عن أبي حنيفة في تلك الأيام ، فرحل الشافعي الى مالك ولازمه وأخذ عنه العلم ، كما أخذ عن الامام محمد بن الحسن الشيباني ، فكان الشافعي يقول " حملت عن محمد بن الحسن حمل بختي ، أو قال : وقر بعير ، ليس عليه الا سماعي منه " (٣).

وهكذا استفاد من المدرستين ، كما استفاد مما أودعه الله تعالى في شخصيته من الفطنة والذكاء ، وصلاحية الاجتهاد وقوة الاستنباط فأسس مدرسة جديدة للفقه ، تقربه من السنة وتبعده من الرأي والقياس ، وقد روى غير واحد عن الامام الشافعي قوله : " اذا صح عندكم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقولوا به ودعوا قولي ، فاني أقول به وان لم تسمعوا مني " (٤).

---

(١) انظر : ابن عبد البر: الانتقاء : ٧١

(٢) " : " " " : " : ٧٠

(٣) " : " " " : " : ٦٨- ٦٩

(٤) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ٢٥٣

وأقام الامام الشافعي في قبيلة هذيل حوالي عشر سنين أو عشرين سنة ، فتعلم منهم لغات العرب وفصاحتها وبرع في اللغة والشعر وأيام العرب وأنسابها .(١)

وروى ابن عبد البر : (٢) أن ابن هشام صاحب المغازي كان يقول : ان الشافعي حجة في اللغة ، وروى عن اسماعيل بن يحيى المزني (٣) أنه قال : قدم علينا الشافعي ، وكان بمصر ابن هشام صاحب المغازي ، وكان عالم مصر بالغريب والشعر ، فقيل له : لو أتيت الشافعي، فأبى أن يأتيه ، فلما كان بعد ذلك قيل له : لو أتيته ، فأتاه ، فذاكره أنساب الرجال ، فقال له الشافعي بعد أن تذاكرا طويلا : دع عنك أنساب الرجال ، فانها لا تذهب عنا ولا عنك ، وخذ بنا في أنساب النساء ، فلما أخذا فيها ، بقي ابن هشام ، فكان ابن هشام بعد ذلك يقول :

" ما ظننت أن الله عز وجل خلق مثل هذا "

ولقد اعترف بعلمه وفضله كثير من معاصريه وتلامذته ، نذكر هنا نبذة من أقوالهم :-

قال سفيان بن عيينة : (٤)

هذا - يعني الشافعي - أفضل فتيان أهل زمانه .

---

(١) انظر : ابن كثير: البداية والنهاية : ١٠/٢٥٣

(٢) " : الانتقاء : ٩٣

(٣) هو الفقيه العالم أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى بن عمرو بن مسلم المزني كان من أعلم أصحاب الشافعي ، دقيق الفهم والنظر ـــــ توفي بمصر سنة اربع وستين ومائتين .

(انظر : ابن عبد البر : المصدر السابق : ٨١٠ ـ ١١١)

(٤) انظر : ابن عبد البر : الانتقاء : ٧٠

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

قلت لأبي : يا أبت أي رجل كان الشافعي ، فاني اسمعك تكثر الدعاء له ـ؟ فقال : يابني كان الشافعي كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس ، فانظر ، هل لهذين من عوض أو خلف ـ؟ (١)

وقال اسحاق بن راهويه : الشافعي امام ، ما أحد تكلم بالرأي الا والشافعي أكثرهم اتباعا وأقلهم خطأ . (٢)

وقال أحمد بن حنبل :

ما رأيت أحدا أفقه في كتاب الله تعالى من هذا الفتى القرشي يعني محمد بن ادريس الشافعي . (٣)

في ميدان الدعوة :

==========

خدم هذا الامام الجليل الدعوة الاسلامية من نواحي علمه المتنوعة ، ولكن لم يتيسر له أن يبقى مقيما في بلد من بلدان العالم الاسلامي آنذاك ، فقضى معظم عمره في الرحلات ، كان واليا على نجران في سنة أربع وثمانين ومائة ، وكان عمره اذ ذاك اربعا وثلاثين سنة ، فتعصب عليه بعض أهل تلك المنطقة ، فوشوا به الى هارون الرشيد أنه يحمي العلويين ، فجيء به الى بغداد وهو في القيود ، فشفع فيه الامام محمد بن الحسن الشيباني ، وتبين للرشيد براءة الشافعي مما اتهم به ، فأطلقه وأكرمه وأعطاه خمسة آلاف دينار . (٤)

---

(١) انظر : ابن عبد البر : الانتقاء : ٧٤ - ٧٥

(٢) " : الذهبي : تذكرة الحفاظ : ١ / ٣٦٢

(٣) " : البيهقي : مناقب الشافعي : ٢ / ٢٥٦

(٤) " : ابن عبد البر : المصدر السابق : ٩٧

وروى أن هارون طلب من الشافعي أن يعظه ، كما كان من عادته ، فنصحه الشافعي بكلمات تالية : (١)

" يا ذا الرجل انه من أطال عنان الأمن في الغرة ، طواى عذار الحذر في المهلة ، ومن لم يحول على طرف النجاة ، كان بمنزلة قلة الاكتراث من الله مقيتا ، وصار في أمنه المحذور مثل نسج العنكبوت لا يأمن عليها نفسه ولا يهيئ له ما أظلم عليه من نسبه .

أما لو اعتبرت بما سلف ، واستقبلت الحسن المؤتنف ، فنظرت ليومك وقدمت لغدك ، وقصرت أملك ، وصورت بين عينيك اقتراب أجلك ، واستقصرت مدة الدنيا ، لم تفتر بالمهلة ، لما امتدت اليك يد الندامة ، ولا ابتدرتك الحسرات غدا يوم القيامة . ولكن ضرب عليك الهوى رواق الحيرة ، فتركك ، واذا بدت لك يد موعظة لم تكد تراها ((من لم يجعل الله نورا فماله من نور)) "

قيل : ان هارون بكى بعد ما سمع هذه الكلمات بكاء شديدا حتى ابتل بدموعه منديل كان بين يديه ، وعلا شهيقه وانتحابه . (٢)

ونزل الشافعي عند الامام محمد بن الحسن الشيباني ، وتلقى عنه فقه العراق ، ثم رجع الى مكة ، ثم عاد الى العراق سنة خمس وتسعين ومائة ، فاستفاد منه الامام أحمد بن حنبل وغيره من العلماء ، ثم رجع الى مكة ، ثم جاء الى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة ، وكانت بغداد في تلك الأيام تحترق بنار الحرب بين الأخوين محمد الأمين وعبد الله المأمون وقتل الأمين في هذه السنة ، فلم يقم بها ، وخرج الى مصر سنة تسع وتسعين ومائة ، وأقام هناك الى سنة أربع ومائتين ، الى حين وفاته . (٣)

---

(١) العذار كالعنان (انظر : لسان العرب : ٦/٢٢٤)
(٢) انظر : البيهقي : مناقب الشافعي : ١/١٣٤ - ١٣٥
(٣) " : ابن عبد البر : الانتقاء : ٩٧
" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٢٥٢
" : البيهقي : المصدر السابق : ١/٢٢٠

وفي رحلته العديدة فيما بين العراق والحجاز استفاد الامام الشافعي رحمه الله وأفاد ، وصنف كتابه " الرسالة " في هذه الفترة ، ويعتبر هذا الكتاب مصدرا هاما من مصادر أصول الفقه ، ولما انتقل الشافعي الى مصر ، انكشفت أمامه آفاق جديدة ورأى فيها ما لم يره من قبل في الحجاز والعراق اذ أن مصر كانت ملتقى القارتين الكبيرتين آسيا وافريقيا ، كما كانت ملتقى لحضارات أمم مختلفة وثقافاتها ، فواجه الامام الشافعي هناك مقتضيات جديدة متنوعة للمجتمع الاسلامي الدعوي ، ومن أجل ذلك وجدناه يعيد نظره في آرائه الفقهية ، فيغير رأيه السابق ، ويفتي بما بدا له الرأي الجديد في ضوء تجاربه ومعلوماته الجديدة ، فله قول قديم وقول جديد ، وهكذا قضى الامام الشافعي في مصر حوالي خمس سنين من سنة تسع وتسعين ومائة الى سنة اربع ومائتين ، يخدم الدعوة الاسلامية بعلمه الغزير وأفكاره الراسخة .

واليكم ما يحكيه تلميذ الشافعي المصري الربيع بن سليمان المرادي ، كيف كان الامام يتحمل التعب في سبيل العلم وخدمته ، قال :

" رأيت الشافعي بنصيبين قبل أن يدخل مصر ، فلم أره أكلا بنهار ولا نائما بليل وكانت له جارية سوداء ، تخدمه ، وكان يعمل الباب من العلم ثم يقول : ياجارية ، قومي الى القداح ، فتقوم ، فتسرج له ، فيكتب ما يحتاج أن يكتبه ويرسمه في موضعه ، ثم يطفئ السراج ، ويستلقي على ظهره فيعمل الباب من العلم ثم يقول : ياجارية قومي الى القداح ، فتقوم فتسرج له فيكتب الباب من العلم ويرسمه في موضعه ثم يطفئ السراج ، فكان على هذا منه ، فقلت : يا أبا عبد الله لو تركت السراج يقد ، فان هذه الجارية منك في جهد ، قال : ان السراج يشغل قلبي " (١) .

---

(١) البيهقي : مناقب الشافعي : ١/٢٣٧ ـ ٢٣٨

ومن جهة أخرى ، كان الشافعي - رحمه الله - يرد على أصحاب علم الكلام ردا قاطعا ، ويستدل من الآيات القرآنية استدلالا مفحما على بطلان قولهم وعقائدهم ، فمثلا : استدل في رؤية الباري تعالى من الآية الكريمة : ((كلا ، انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون))(١)

فقال : أفهمنا بذلك أن هناك قوما غير محجوبين ، ينظرون اليه لا يضامون في رؤيته ، وهم : المؤمنون .

كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ترون ربكم عز وجل يوم القيامة ، كما ترون الشمس لا تضامون في رؤيتها))(٢)

واستدل بقوله تعالى : ((وما كان الله ليضيع ايمانكم))(٣) الآية ، على كون الايمان مشتملا على القول والعمل والاعتقاد بالقلب ، بأن الله سبحانه وتعالى سمى صلاة المسلمين الى بيت المقدس في قوله هذا : " ايمانا " والصلاة قول وعمل واعتقاد .(٤)

وشعره معروف في الايمان بالقدر : قال :(٥)

وما شئتَ كان وان لم أشأ ... وما شئتُ ان لم تشأ لم يكن .

خلقت العباد على ما علمت ... وفي العلم يجري الفتى والسنن

على ذا مننت وهذا خذلت ... وهذا أعنت وذا لم تعن

فمنهم شقي ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن

---

(١) سورة المطففين : الآية : ١٥

(٢) انظر : ابن عبد البر : الانتقاء : ٧٩

(٣) سورة البقرة : الآية ١٤٣

(٤) انظر : ابن عبد البر : المصدر السابق : ٨١

(٥) انظر : ابن عبد البر : المصدر السابق : ٨٠

وكان يقول فى أصحاب علم الكلام : ((حكمى فى أصحاب الكلام ، أن يضربوا بالجريد ، ويحملوا على الابل ، ويطاف بهم فى العشائر والقبائل يقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأخذ فى علم الكلام)) (١)

ما أعدل ؟وما أحكم؟ما قرره الامام الشافعى - رحمه الله - من التعزير لاصحاب علم الكلام ، هذا كان مما ينبغى للدولة الدعوية أن تفعله ، فلو قررت الدولة الأموية او العباسية تعزيرات لمن خرج فى العقائد من اطار الكتاب والسنة ، وخاصة فى المشتبهات كانت قد أدت واجبها - على نحو ما - ضمن حراستها قيم المجتمع الاسلامى الدعوية ، ولكن كلتا الدولتين قد أسرفت فى الاشتغال بتدعيم السلطة ، والهيمنة النوعية على مسيرة الدولة ، مما صرفهما الى حد ملحوظ عن واجبهما الجوهرى ، وهو الواجب الدعوى ،فنتج من ذلك ما نتج من انحرافات عقدية تركت أثرها فى كيان الدولة .

والعهد الذى نشأ فيه الامام الشافعى رحمه الله ،كان عهدا وجد علم الكلام فيه رواجا وقبولا فى كثير من الأوساط العلمية ، فالمعتزلة بدأت تتقدم خطوة بعد خطوة الى منصة الحكم ،حتى بلغت قمتها فى عهد المأمون ،ومن المعلوم أن الفقه لصلة بالرأى والقياس ،كما أن علم الكلام عبارة عن تحكم العقل والظن والقياس فى الأمور الدينية ،فى مثل هذه الحالة رفع الامام الشافعى رحمه الله راية التمسك بالكتاب والسنة، وربط الفقه بهما أكثر من ربطه بالرأى والقياس ،وبذلك حاز لقب (ناصر السنة) (٢) —

---

(١) انظر : ابن عبد البر : الانتقاء: ٨٠

(٢) " : الذهبى : تذكرة الحفاظ: ١ / ٣٦٢

" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠ / ٢٥٤

" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٩ / ٢٨ - ٢٩

كما جادل أصحاب النزعة العقلية مجادلة حسنة ، واذا انظرنا في كتابه المعروف (الأم) وجدناه يحتوي على اسلوب جدلي ، ولعله اختار هذا الاسلوب ليستأنس به أصحاب علم الكلام الذي اسلوبه جدلي تماما ، وليقاوم به ما أثاره علم الكلام على نفس اسلوبه اذ ان الحديد لا يقطعه الا الحديد وهكذا استخدم هذا الامام الجليل بعض أساليب الخصوم في افحامهم والرد عليهم ، واقام على أصحاب علم الكلام الحجة بتفوق الكتاب والسنة ، وقال :

قد عوج الناس حتى أحدثوا بدعا ... في الدين بالرأي لم تبعث بها الرسل

حتى استخف بحق الله أكثرهم ... وفي الذي حملوا من حقه شغل

وأعلن بكل صراحة ووضوح :

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... الا الحديث والا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه حدثنا (١) ... وما سوى ذلك وسواس الشياطين (٢)

وهذا عمل دعوي كبير كانت تقتضيه أوضاع ذلك العصر ، وقام به هذا الامام الكبير في حقل الدعوة الاسلامية ، فلم يزل حاملا راية الدعوة بعلم وبصيرة وهدى ، حتى توفي في آخر رجب سنة أربع ومائتين ، وعمره اذ ذاك أربع وخمسون سنة (٣) . رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

---

(١) ربما أراد الامام بذلك علم الكلام وما اليه ، أما العلوم النافعة ، والعلوم التجريبية التطبيقية ، فهو رضي الله عنه - أدرى بأنها فرض كفاية على المسلمين بشرط أن لا تصادم العقائد الاسلامية .

(٢) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠ / ٢٥٤

(٣) " : الذهبي : تذكرة الحفاظ : ١ / ٣٦٣

" : ابن كثير : المصدر السابق : م - ن

٤ـ الامام أحمد بن حنبل

==========

نشأتـــه :

=====

هو شيخ الاسلام وسيد المسلمين في عصره ، الحافظ الحجة ، أبـــو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني ، المروزي البغدادي .

ولد سنة أربع وستين ومائة ببغداد ، توفي أبوه محمد شابا ، وكـان جنديا في الجيش ، وكان من أصحاب الدعوة العباسية ، فترعرع في حضانة أمه ، حفظ القرآن الكريم في صباه ، وكان في حداثة سنه يختلف الى مجلس الامام أبي يوسف القاضي ، ثم ترك ذلك ، وأقبل على سماع الحديث ، فكان أول سماعه للحديث في سنة تسع وسبعين ومائة وعمره اذ ذاك ســت عشرة سنة ، فتلقى الحديث عن هشيم بن بشير في بغداد ، وبعد ما توفي هشيم في سنة ثلاث وثمانين ومائة ، بدأ رحلاته العلمية المتعـــة ، فخرج الى الكوفة ، ودخل البصرة خمس مرات ، والى الحجاز كذلك ، والتقى هناك بالامام الشافعي ، فأخذ منه فقه الحديث ، وسافر الـــى اليمن ، وأخذ عن عبد الرزاق بن همام ، وهكذا تكونت عند الامـام أحمد بن حنبل ثروة علمية كبيرة ، وروى عنه الامام البخاري ومسلم وأبـــو داود وغيرهم (١) .

---

(١) انظر : ابن الجوزي : مناقب الامام أحمد بن حنبل : ٤٦ وما بعدها

" : الذهبي : تذكرة الحفاظ : ٢/ ٤٣١

" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ٣٢٦

" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ١/ ٧٢ - ٧٣

علمه وفضلـــه :

بلغ الامام أحمد بن حنبل مبلغ الامامة فى الحديث ، حتى كان الامام الشافعى يقول له : يا أبا عبدالله اذا صح عندكم الحديث فأعلمنى به أذهب اليه ، حجازيا كان أو شاميا ، أو عراقيا أو يمنيـــا (١) ، واعترف بعلمه وفضله كثير من العلماء ، ننقل ههنا نبذة من أقوالهم :

قال عبدالله بن أحمد : سمعت أبا زرعة يقول :-

كان أبوك يحفظ الف الف حديث ، ذاكرته فأخذت عليه الأبواب (٢) ،

وقال ابراهيم الحربى :

رأيت أحمد ، كأن الله قد جمع له علم الأولين والآخرين (٣) ، ـــــ

وقال يحيى القطان : ما قدم على مثل أحمد ، وقال فيه مرة : " حبر من أحبار هذه الأمة .

وقال عبد الرزاق : ما رأيت أفقه منه ولا أورع (٤) .

وقال الامام الشافعى : خرجت من العراق فما تركت رجلا أفضل ولا أعلم ولا أورع ، ولا أتقى من أحمد بن حنبل .

وقال قتيبة : مات سفيان الثورى ومات الورع ، ومات الشافعى وماتت السنن ، ويموت أحمد بن حنبل وتظهر البدع - وقال : ان أحمـــد ابن حنبل قام فى الأمة مقام النبوة (٥) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٣٢٧

(٢) ابن الجوزى : مناقب الامام أحمد : ٨٥

(٣) الذهبى : تذكرة الحفاظ : ٢/٤٣١

(٤) ابن حجر : تهذيب التهذيب : ١/٧٣

(٥) ابن كثير : المصدر السابق : ١٠/٣٣٥ - ٣٣٦

فى ميدان الدعوة :

حياة هذا الامام الجليل مليئة بالجهود فى سبيل الدعوة الى الله ، بدأ خدمته للدعوة بجلوسه لتدريس الحديث الشريف ، وجلوسه للفتيا ، ونشر علم النبوة فى المجتمع الاسلامى ، وكانت حلقة درسه مملوءة بطلاب العلم ، فروى أن عدد الذين كانوا يستمعون درسه نحو خمسة آلاف أو أكثر ، والذين كانوا يكتبون عنه كانوا نحو خمسمائة انسان (١) .

وهكذا ظل ينشر هذا الامام نفحات الدعوة فى العالم الاسلامى آنذاك .

وحدثت فى عصر هذا الامام الكبير فتنة خلق القرآن ، التى هزت المجتمع الاسلامى آنذاك ، وأصبحت عقبة كبيرة فى سير الدعوة الاسلامية ، أثارتها الممتزلة لغلبة النزعة العقلية على أفكارهم ، فرأوا : أن الله هو القديم المطلق ، فكل ما عداه محدث ومخلوق ، وقد زينت لهم عقولهم هذه الفكرة الخاطئة ، ولا صلة لها بالعقيدة الاسلامية ، ولم يؤثر عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه شىء يؤيد هذه الفكرة الزائفة ، ولكنهم عضوا عليها بالنواجذ ، وأرادوا تعميمها فى المجتمع الاسلامى ، فدخلوا فى أوساط الحكم ، وظهروا على عقلية الخليفة العباسى المأمون ، فدعا الى مسألة خلق القرآن كعقيدة رسمية ، فارقة بين الايمان والكفر ، وأجبر كثيرا من العلماء والفقهاء ، والقضاة والمحدثين ، على أن يعتنقوا هذه العقيدة الفاسدة ، فأجابه كثير منهم خوفا على أنفسهم وصونا لأعراضهم .

---

(١) ابن الجوزى : مناقب الامام أحمد : ٢٧١

ولم يدرك كنه ما تضمره هذه العقيدة الزائفة من النتائج الهدامة للدعوة الاسلامية الا قليل من العلماء ، فلم يعترفوا بها على رؤوس الأشهاد وكان فى مقدمتهم الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى .

كان يعرف الامام حق المعرفة أن العقيدة الاسلامية ،ليس لها مصدر غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،وهى ثابتة كالجبال الراسيات ، فلا تتغير ولن تتغير بتقلب الأوضاع ،وتغير الزمان والمكان كما أنه ليس هناك أدنى مجال لادخال ما لا يوجد فى الكتاب والسنة فى العقيدة الاسلامية ،ولا اخراج ما أثبته لها الكتاب والسنة ، وكان يعرف الامام أن معنى الاعتراف بهذه العقيدة الفاسدة التى أحدثتها المعتزلة ، اعتراف بعدم تقديس كتاب الله تعالى ،فيجر الى الاستهانة به ، وربما يؤدى الانسان الى أن يعتقد بأن القرآن ما عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بألفاظه مما أوحى الله اليه من المعانى ، وهكذا تضرب هذه العقيدة الفاسدة ضربة تكاد تزلزل أصل الدعوة الاسلامية .

فقام هذا الامام الجليل - رحمه الله - أمام هذه المحنة المتعبة كصخرة عظيمة ،لا تستطيع أن تحركها السيول مهما كانت جارفة ،ولا الزلازل مهما كانت عنيفة .

فضرب ضربا شديدا كاد يقضى على حياته ، وعذب ، وذل ، وأهين وخلعت يداه فى عهد المعتصم ،وظل محبوسا فى عهد الواثق ،ولم يزل يردد صوته الهادى : " أعطونى شيئا من كتاب الله ، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ."

وهكذا رفع هذا الامام الجليل مشعل التمسك بالكتاب والسنة ، فى ظلام حالك طرأ على فترة من العصر العباسى الأول ، ولم يظهر منه أى نوع من الضعف والوهن فى مقاومة هذا التيار الجارف من تيارات هدامة لمبادئ الدين ـــ

وظل ثابتا على موقفه بكل شجاعة وبسالة ، وبكل صبر وصمود ، حتى جاء عهد المتوكل فأفرج عنه .(١)

ومن ناحية أخرى قدم هذا الامام الكبير أسوة حسنة فى سبيل الدعوة الاسلامية من زهده وورعه ، فكان زاهدا قانعا لا يلتفت الى الدنيا ومفاتنها ، فقضى عمره ولم يأخذ جائزة من الجوائز السلطانية فروى أنه ما كان يصلى خلف عمه اسحاق بن حنبل وأبنائه ، وذلك لأنهم أخذوا جوائز السلطان .(٢)

وروى : أن الامام الشافعى قال للرشيد مرة : ان اليمن تحتاج الى قاض ، فقال له : اختر من شئت فقال الشافعى لأحمد بن حنبل — وكان يتردد اليه — : ألا تقبل قضاء اليمن ؟ فقال : انما أختلف اليك لأجل العلم المزهد فى الدنيا ، فتأمرنى أن ألى القضاء ، ولولا العلم ، لما أكلمك بعد اليوم ، فاستحيى الشافعى منه .(٣)

وقيل : انه وشى الى الخليفة المتوكل رجل من المبتدعة ، أن الامام أحمد بن حنبل يأخذ بيعة الناس سرا لعلوى اختفى فى بيته ، فأمر الخليفة نائبه للتفتيش ، ففتش بيت الامام ليلا ، فلم يجدوا شيئا ، فظهر على الخليفة كذب ذلك المبتدع ، ثم بعث الى الامام عشرة آلاف درهم ، فلم يقبلها ، فقيل له : ان لم تقبلها ، يسئ الخليفة بك الظن فيما وشى به عنك ، فالمصلحة لك فى قبولها ، فقبلها كارها ، وفرقها فورا على المحتاجين من أهل الحديث ، حتى تصدق بالكيس الذى كانت الجائزة فيه ، ولم يحط أهله منها شيئا ، بينما كانوا فى غاية الفقر فى تلك الأيام .(٤)

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/٣٣٣-٣٣٥

(٢) " : " " : " " : ١٠/٣٣٨

(٣) " : " " : " " : ١٠/٣٢٨

(٤) " : " " : " " : ١٠/٣٣٨

وروى أن الامام ذهب الى المتوكل ،على طلبه اياه، وبقى فى معسكره ثمانية أيام، وكان الخليفة يبعث اليه كل يوم مائدة فيها ألوان الأطعمة تساوى مائة وعشرين درهما ،فلم يأكل منها شيئا ، وظل صائما ،رغم كونه مريضا ، ولم يفطر الا بقليل من السويق، وذلك بعد ما أصر عليه ابنه عبد الله (١) .

ولولم يكن هذا التدقيق فى الزهد ،وهذا الاباء والترفع فى هذا الامام الجليل ،لما استطاع أن يقاوم ذلك التيار الجارف من المادية التى بدأت تأكل أصول المجتمع الاسلامى الدعوى، ولقد شهد التاريخ الاسلامى، أن كل من قام لاصلاح المجتمع الاسلامى ،ولتجديد ما حدث من الخراب فى المميزات الدعوية ،استند الى أمور فى مقدمتها الزهد والتعفف ، لأنه يكسب بهما الانسان قوة المقاومة والاعتداد بالشخصية والعقيدة، وقوة الاستهانة بالمغريات التى كثيرا ما يتسلح بها خصوم الاسلام ،وقوة التغلب على شهوات النفس .

فاستفاد هذا الامام الجليل بالزهد قوة روحية جديدة ، وصلة عميقة بالله، والانابة اليه، فبقى كالطود الشامخ أمام تيارات الانحراف التى تجرف كثيرا من الرجال ، وتطويهم بين أمواجها طيا .

توفى هذا الامام الجليل الى رحمة الله تعالى فى سنة احدى واربعين ومائتين ،ولربما كان فى جزع الناس لوفاته دليل على ما ترك فى النفوس من أثر بالغ ، وعلى خدمته الدعوة فى المجتمع .

يروى : أنه اجتمع جم غفير من الناس حول منزله عندما سمعوا نبأ وفاته، واشترك حوالى مائة شخص من بنى هاشم ،من الأسرة المالكة فى غسله ،يقلبون ما بين عينيه ويدعون له .

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ٣٣٨

وقيل : انه لم يجتمع فى الجاهلية ولا فى الاسلام جمع مثل ما اجتمعوا على جنازة الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ، وأمر الأمير محمد ابن عبد الله بن طاهر أن يحصى عدد الذين صلوا على الأمام أحمد ، فوجدوهم نحو مليون وسبعمائة ألف نسمة ، ما عدا من كانوا فى السفن على دجلة ، ويروى : أنه أسلم عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس يوم مات هذا الامام الكبير ، وذلك بعد ما شاهدوا الاقبال العظيم من الناس على جنازته (١) .

وكان هذا أدنى ما أظهره الله تعالى مما قبله من حسنات هذا الامام الجليل فى سبيل الدعوة الاسلامية ، وأما ما ادخره الله تعالى لآخرته ، فلا تعدله الدنيا وما فيها .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠ / ٣٤٢

الفصل الثالث :

دعاة من الزهـــاد

١ ـ ابراهيم بن أدهم :

هو أبو اسحاق ابراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن عامر بن اسحاق التميمي ، أصله من بلخ ، ثم سكن الشام ، كان من مشاهير العباد والزهاد ، قيل : انه كان ابن ملك من ملوك خراسان ، وكان مولعا بالصيد ، فخرج مرة في أثر ثعلب اذ سمع هاتفا يقول : " ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت " فتأثر به وآثر أن يختار حياة الفقر ، حياة الكد والتعب ، فترك كل ما كان عنده من زينة وتفاخر ، وخرج الى العراق ، ثم الى الشام ، يعمل في البساتين ويحصد الحصاد .(١)

ودخل مكة وصحب سفيان الثوري وفضيل بن عياض ، وكانت له صلة بالامام الأوزاعي رحمهم الله تعالى ، قال سفيان الثوري : كان ابراهيم ابن أدهم يشبه ابراهيم الخليل عليه السلام ، ولو كان في الصحابة كان رجلا فاضلا له سرائر ، وما رأيته يظهر تسبيحا ولا شيئا ، ولا أكل مع أحد الا كان آخر من يرفع يديه .(٢)

قال عبد الرحمن بن مهدي : قلت لابن المبارك : ابراهيم بن أدهم ممن سمع ـ؟ قال : قد سمع من الناس ، وله فضل في نفسه ، صاحب سرائر ، وما رأيته يظهر تسبيحا ولا شيئا من الخير ، ولا أكل مع قوم قط الا كان آخر من يرفع يده .(٣)

---

(١) انظر : أبو نعيم : حلية الأولياء : ٧/ ٣٦٨
" : الذهبي : سير أعلام النبلاء : ٧/ ٣٨٨ - ٣٨٩
(٢) " : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ١٣٦
(٣) " : الذهبي : سير اعلام النبلاء : ٧/ ٣٨٩ - ٣٩٠

وقال ابراهيم عن نفسه :

أقمت بالشام اربعا وعشرين سنة ،لم أقم بها لجهاد ولا رباط ، انما نزلتها لأشبع من خبز حلال ، وكان يقول :" أطب مطعمك ،ولا عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار. (١)

قدم هذا الزاهد الكبير بعمله أسوة يقتدى بها فى طلب كسب الحلال ، وأشار بقوله المذكور أنفا الى أهمية أكل الحلال ،اذ أن له تأثيرا بالغا فى احياء القلوب واماتتها ، فاذا اغتذى الانسان بشىء من الحرام بدأ موت القلب ،حتى تم موته بتوالى أكل الحرام ،فلا تفيده صلواته ،ولا صيامه ، ولا زكاته ولا حجه ، وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم الى ذلك بقوله : ((الرجل يطيل السفر أشعث ، أغبر، يمد يديه الى السماء : يارب ،يارب ،ومطعمه حرام ،ومشربه حرام ،وملبسه حرام، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك ؟)) . (٢)

وكان ابراهيم بن أدهم يقول : (الزهد ثلاثة : واجب ، ومستحب ، وزهد سلامة ،فأما الواجب : فالزهد فى الحرام ،والزهد عن الشهوات الحلال مستحب ،والزهد عن الشبهات سلامة) (٣)

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١٣٦

(٢) رواه مسلم : ٧/١٠٠

(٣) انظر : ابن كثير : المصدر السابق : ١٠/١٣٨

وله أخبار كثيرة[1] تدل على زهده وورعه من جهة ، والى اصلاح النفس وتزكيتها من جهة أخرى -

روى أنه جاء اليه رجل وقدم اليه جبة وقال : أرجو أن تقبلها مني ، قال : أقبلها اذا كنت غنيا ، فقال : أنا غني ، فقال : كم عندك من المال -؟ قال : الفان ، قال : هل تحب أن تكون أربعة آلاف -؟ قال : نعم ، قال : فأنت فقير لا أقبلها منك[2] .

وهكذا أشار هذا العابد الرباني الى حقيقة قوله صلى الله عليه وسلم[3] : ((ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى ، غنى النفس))

كما أراد اصلاح النفس وتزكيتها من رذيلة تلهيها عن ذكر ربها ، وهي : مرض التكاثر الذي جاء ذكره في قوله تعالى : ((الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر))[4] وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : —

((لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب))[5].

ولم يحدث هذا الفساد في المجتمع الاسلامي الا بعدما فتحت الدنيا على المسلمين ، وأقبل كثير منهم عليها بغير المعيار الاسلامي ، فغلبت المادة على النفوس ودخل مرض التكاثر في أفراد المجتمع —

(١) اقرأ ترجمته في حلية الأولياء : ٣٦٧/٧ - ٣٩٥

(٢) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٣٨/١٠

(٣) متفق عليه ، اللفظ للبخاري : الصحيح : ٢٧١/١١

(٤) سورة التكاثر : الآيتين : ١ - ٢

(٥) متفق عليه ، واللفظ لمسلم : ١٣٩/٧

ولا يمكن معالجة هذا المرض الخطير الا بالاهتمام بتزكية النفوس .

فخدم هؤلاء الزهاد والعباد هذه الناحية المهمة من الدعوة الاسلامية ، خدمات لا يستهان بقيمتها ، وأصبحوا بأنفسهم مثلا رائعة لما يدعون الناس اليه .

فروى أنه جاء رجل الى ابراهيم بن أدهم وأخبره أن أباه مات وترك مالا عند القاضي ، وقال : قد جئت اليك بعشرة آلاف درهم وبغلة وفرس ، لتنفقها الى بلخ ، فأطرق ابراهيم طويلا ، ثم رفع رأسه وقال : ان كنت صادقا ، فالدراهم والفرس والبغلة لك ، ولا تخبر به أحدا ، ثم ذهب الى بلخ وأخذ المال من القاضي ، وأنفق جميعه في سبيل الله .(١)

وروى انه أكل يوما على ضفة نهر الأردن كسيرات مبلولة بالماء وضعها أمامه أحد من أصحابه يقال له : أبو يوسف الغسولي ، فأكل منها ثم قام فشرب من النهر ، ثم جاء واستلقى على قفاه ، وقال : يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السرور والنعيم اذن لجالدونا على ما نحن فيه بأسيافهم أيام الحياة على ما نحن فيه من لذة العيش وقلة التعب .(١)

ولم يكن هذا العابد الرباني زاهدا جافا ، ترك لذائذ الدنيا وعكف على خشونة العيش بل كان زاهدا متزنا في الزهد ، وانما اختار حياة الخشونة لمعالجة المرض الذي بدأ يكتسح قيم المجتمع الاسلامي الدعوى ، معالجة عملية شديدة ، ليخفف بها أثر ذلك المرض السارى بالمجتمع ألا وهو :حب الدنيا وكراهية الموت .

---

(١) انظر :ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠ / ١٣٨

(٢) " : أبو نعيم : حلية الأولياء : ٧ / ٣٧٠ - ٣٧١

وهناك أخبار تدل على كونه متزناومقتصدا فى الزهد ، روى أن الامام الأوزاعى ،أضاف مرة ابراهيم بن أدهم ،فأكل القليل من الطعام، فقال له الأوزاعى : لم أكلت القليل ـ؟ قال : انك هيأت القليل ، ثم أضاف ابراهيم الأوزاعى ،وأعد له طعاما كثيرا ، فقال له الأوزاعى : أما تخاف أن يكون سرفا ـ؟

فقال : لا ،ان السرف ما كان فى معصية الله ، فأما ما أنفقه الرجل على اخوانه ، فهو من الدين .(١)

وروى أنه كان يعمل عمل الأجير، ويذهب الى السوق ،ومعه ما نال من أجرة ذلك العمل ، فيشترى به البيض والزبدة ،والمأكولات الطيبة ، فيأتى بها ويطعمها أصحابه وهو صائم ، فاذا أفطر ،أكل من رديء الطعام ، وحرم نفسه من المطعم الطيب .(٢)

وهكذا أبرز أنه زاهد مقتصد ، لا يحرم الطيبات ، وانما اختار لنفسه الحياة الخشنة من أجل متطلبات الدعوة ـ كما تراءت له ـ فى تلك الأيام .

وكان متيقظا ،حكيما ، يعرف معالجة الموضع بما يناسبه من التدبير، وهذه مميزة مهمة يحتاج اليها الدعاة فى كل مجالات الدعوة ، فروى أنه كسب مرة عشرين دينارا ،فذهب الى حجام ليحلق رأسه ورؤس أصحابه فازدرى بهم الحلاق عندما رآهم فقراء ،واشتغل عنهم بغيرهم ،وبعد ما طال جلوسهم عنده توجه اليهم وقال : ماذا تريدون ـ؟

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ١٣٨ ـ ١٣٩

(٢) " : " : " : ١٠/ ١٣٨

قال ابراهيم : أريد أن تحلق رأسي وتحجمني ، ففعل ،فأعطاه ابراهيم (١)
عشرين دينارا وقال له : أردت أن لا تحقر بعد هذا فقيرا أبدا .

وكان يردد أبياتا تدل على كون متاع الدنيا ،متاع الغرور ،وتحض السامع على النشاط في العمل لآخرته ، كما تحضه على الخوض والتفكير فيما يفسد قيم المجتمع الاسلامي الدعوية ،ومنها الابيات التالية :-

رأيت الذنوب تميت القلوب ويورثها الذل ادمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
وما أفسد الدين الا ملوك وأحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس فلم يربحوا ولم يغل بالبيع أثمانها
لقد رتع القوم في جيفة يبين لذي اللب أنتانها (٢)

وكان من أقواله : ((كل سلطان لا يكون عادلا ،فهو واللص بمنزلة واحدة ، وكل عالم لا يكون ورعا ، فهو والذئب بمنزلة واحدة ،وكل من قدم سوى الله فهو والكلب بمنزلة واحدة (٣)))

توفي هذا الزاهد العظيم ، في جزيرة من جزائر البحر الأبيض المتوسط ،مرابطا في سبيل الله ، يروى أنه أصيب بمرض الاسهال فذهب الى الخلاء في الليلة التي مات فيها نحو عشرين مرة ، وكان يجدد وضوءه في كل مرة فلما كانت غشية الموت ،قال : أوتروا القوس ،فقبض عليه ومات كأنه يصوب رميته الى أعداء الدعوة الاسلامية ،وذلك (٤)
في سنة اثنتين وستين ومائة . رحمه الله تعالى رحمه واسعة.

---

(١) انظر : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ١٣٩
(٢) " : " " : " " : ١٠/ ١٤١
(٣) " : " " : " " : ١٠/ ١٤٢
(٤) " : " " : " " : ١٠/ ١٤٢

٢- ابن السماك

هو الزاهد القدوة ، سيد الوعاظ أبو العباس محمد بن صبيح ابن السماك المجلى بالولاء ، السماك : نسبة الى بيع السمك وصيده كان زاهدا عابدا ، حسن الكلام وصاحب مواعظ ، روى عن هشام بن عروة ، والأعمش ، ويزيد بن أبى زياد وغيرهم ، وروى عنه يحيى بن يحيى وأحمد ابن حنبل ويحيى بن أيوب العابد وآخرون ، كان صدوقا ثقة (١).

خدم الدعوة الاسلامية عن طريق المواعظ الحسنة ، كان يحضر آلاف من المسلمين فى مجالس وعظه ، ويتأثرون بحسن كلامه ، وصدق مقاله ، واخلاص نيته لله سبحانه وتعالى ، وكان الخليفة هارون الرشيد ممن يحضر تلك المجالس (٢) ، ولم يكن غرضه من هذه المجالس للوعظ الا ابتغاء وجه الله تعالى ، والدعوة اليه ، فقال عند وفاته : (اللهم انك تعلم أنى لم أجلس مجلسا للناس الا لأحببك الى خلقك ، وأحبب خلقك اليك (٣)) .

ولقد نهج هذا الواعظ الزاهد منهجا معتدلا فى أداء مهمته الدعوية ، فلم يخط خطوة تبرز بها شخصيته كرجال يطوفون أوساط السلطة ، كما أنه لم يسلك مسلك الابتعاد التام عن رجال الدولة ، فكان يحضر بلاط الرشيد على طلبه —

---

(١) انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٤/ ٣٠٢
" : الذهبى : سير أعلام النبلاء : ٨/ ٢٦٢
(٢) " : ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ٢/ ١٥٦
(٣) " : الخطيب : تاريخ بغداد : ٥/ ٣٧٣

روى : أن هارون الرشيد قد حلف أنه من أهل الجنة ،فاستفتى العلماء فلم يفته أحد بأنه من أهلها ، فقيل له عن ابن السماك ، فاستحضره وسأله ، فقال له : (هل قدر أمير المؤمنين على معصية فتركها خوفا من الله تعالى ـ؟ فقال : نعم ،كانت جارية أنا هويتها وأنا اذ ذاك شاب ،ثم انى ظفرت بها مرة ، وعزمت على ارتكاب الفاحشة معها ، ثم انى فكرت فى النار وهولها ، وان الزنا من الكبائر فأشفقت من ذلك ،وكففت عن الجارية ، مخافة من الله تعالى ، فقال له ابن السماك : أبشر يا أمير المؤمنين ،فانك من أهل الجنة ، فقال هارون : ومن أين لك هذا ـ؟ فقال : من قوله تعالى : ((وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هى المأوى)) (١) فسر هارون بذلك .

وليس معنى ذلك أن ابن السماك أول الآية الكريمة تأويلا ليكتسب به رضاء الخليفة ،بل هى نكتة فقهية تستنبط من الآية الكريمة ، ولم يتنبه اليها غيره ، وقد نقل ابن العماد (٢) قول فقيه : (بأن استدلال ابن السماك صحيح ، لأن الظاهر أن كل مسلم يدخلها ، وانما الاشكال لوقال : يدخلها دون مجازاة ،وغاية ما فيه الشك ،الحنث لا يقع به ،والله أعلم) .

ولم تكن زيارة ابن السماك بلاط الخليفة خالية عن روح الدعوة وجوهرها بل كان لا يدخر جهده من انتهاز الفرصة لتبليغ ما يجب عليه ابلاغه الى رجال الحكم ، فروى أنه لما لبى الرشيد مرة فى آخر شعبان ،فانتهز ابن السماك هذه الفرصة السعيدة لينصح هارون -

---

(١) انظر: ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٤/ ٣٠٢

(٢) ' : شذرات الذهب : ١/ ٣٠٤

فقيل : انه سأله يحيى بن خالد: أتدرى ، لم بعث اليك أمير المؤمنين ـ؟ قال : لا أدرى ، قال يحى بن خالد ، بعث لما بلغه عنك من حسن دعائك للخاصة والعامة ، فقال له ابن السماك " أما ما بلغ أمير المؤمنين عنى من ذلك فبستر الله الذى ستره على ، ولولا ستره ، لم يبق لنا ثناء ولا التقاء على المودة ، فالستر هو الذى أجلسنى بين يديك يا أمير المؤمنين ، انى والله ، ما رأيت وجها أحسن من وجهك فلا تحرق وجهك بالنار" ، فبكى هارون بكاء شديدا ، ثم دعا بماء فلما تسقى ، فأتى بقدح فيه ماء ، فقال ابن السماك : " أكلمك بكلمة قبل أن تشرب هذا الماء" ، قال : قل ما أحببت ، قال ، "يا أمير المؤمنين لو منعت هذه الشربة الا بالدنيا وما فيها ، أكنت تفتديها بالدنيا وما فيها حتى تصل اليك ـ؟ " قال : نعم : قال :"فاشرب ريا ، بارك الله فيك ". فلما فرغ من شربه قال له : "يا أمير المؤمنين ا أرأيت لو منعت اخراج هذه الشربة منك الا بالدنيا وما فيها ، أكنت تفتدى ذلك بالدنيا وما فيها ؟ " قال : نعم ، قال :"ياأمير المؤمنين ! فما تصنع بشىء شربة ماء خير منه ـ؟ " فبكى هارون واشتد بكاؤه ، فقال يحيى بن خالد : يا ابن السماك فقد آذيت أمير المؤمنين ، فقال له : وأنت يايحيى ! فلا يغرنك رفاهية العيش ولينه (١) .

ولقد رأينا فى هذا الواعظ الجليل ، ذلك الاعتدال الذى رأيناه فى المحدث الفقيه الامام الليث بن سعد رحمه الله ، الا أن ذلك الامام كان ثريا ، ينفق دخله الكبير فى سبيل الله —

---

(١) انظر: الخطيب : تاريخ بغداد : ٥ / ٣٧٢

وهذا الزاهد الواعظ كان خاوى الوفاض ، لا يملك ذهبا ولا فضة ولكن كان غنى القلب ،كان يوجه أصحاب الثروة الى الانفاق فى سبيل الله ، وبهذا يؤدى نصيبه من الجهد لابقاء المجتمع الاسلامى على مميزته المهمة ، ألا وهى : التوازن الاقتصادى.

روى : أنه جاء اليه رجل وقال له : أعزك الله ، انى أتيتك فى حاجة ، فقال : والله ما عندنا صفرا ولا بيضا ، قال : والله ما جئنا فى شىء من هذين الجوهرين ، قال : وفيم ذاك ـ؟ قال سألنى هذا الرجل ، أن أكلمك فى أن تكلم بعض اخوانك فى صداق أهله .

فأخذ ابن السماك رقعة وكتب فيها : (اطال الله بقاك يا أبا العباس ان الدهر قد كلح فجرح ،وجمح فطمح ، وأفسد ما أصلح فان لم تعن عليه فضح) ودفعها الى الرجل فقال : أوصلها الى الفضل بن يحيى ، قال : فأوصلها ، فدعا الفضل صاحب بيت ماله ، فقال : ما فى بيت مالنا ـ؟ قال : ألف ومائتا دينار وثلاثون ألف درهم.

قال : احطها الى أبى العباس ،وأعلمه أنا فى ضيق ،فلما أتى بالمال ، قال : ادفعوه الى الرجل ، قيل له : انما يكفى هذا الرجل ألف أو الفان . قال ما جاء بسببه ،فهو له .(١)

---

(١) انظر : الخطيب : تاريخ بغداد : ٥/ ٣٧١ - ٣٧٢

وهذه الثقة التي نالها ابن السماك من الفضل بن يحيى ، لم تكن الا من أجل غنائه القلبي ، ومن أجل خدماته الدعوية التي كان وقف حياته في سبيلها ، ويبدو فكره الدائم في سبيل الدعوة من الحوار الذي جرى بينه وبين عابد قابله على رأس جبل في طريقه ، فسلم عليه وبعد ما تعرف بنفسه جرى بينهما الحوار التالي :

قال ابن السماك : اني رجل مهموم ،

قال العابد : ومم همك ـ؟

قال : في ثلاث .

قال : وما هذه ـ؟

قال : ما دليل الخوف ـ؟

قال : الحزن .

قال : فما دليل الشوق ـ؟

قال : الطلب .

قال : فما دليل الرجاء ـ؟

قال : العمل .

قال : فمن أين ضعفنا ـ؟

قال العابد : لأنكم وثقتم بعفو الله عنكم ولو عاجلكم بالعقوبة ، لهويتم من معصيته الى طاعته .(١)

---

(١) انظر: أبو نعيم : حلية الأولياء : ٨/٢٠٧ - ٢٠٨

ولا بأس لو ذكرنا بهذه المناسبة بعضا من كلمات هذا الزاهد الواعظ : من كلماته : " كم من شيء اذا لم ينفع لم يضر، لكن العلم، اذا لم ينفع يضر "(١)

ومنها : " الدنيا كلها قليل ، والذى بقى منها قليل ، والذى لك من الباقى قليل ولم يبق من قليلك الا قليل ، وقد أصبحت فى دار العزاء ، وغدا تقبر الى دار الجزاء ، فاشتر نفسك لعلك تنجو "(٢)

وطلب منه أحد من أثرياء بغداد أن يصف له الدنيا ، فكتب اليه : " أما بعد فالله حفها بالشهوات ، ثم ملأها بالآفات ، ومزج حلالها بالمؤونات ، ومزج حرامها بالتبعات ، فحلالها حساب، وحرامها عذاب "(٣) .

ومن كلامه : " الذباب على العذرة أحسن من القارئ على أبواب الملوك "(٤) .

وهكذا قضى هذا الناسك الواعظ حياته فى سبيل الدعوة الاسلامية ، ولحق بربه سنة ثلاث وثمانين ومائة .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة . . .

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد : ٥/ ٣٧٠
الذهبى : سير أعلام النبلاء : ٨/ ٢٩٢
(٢) الذهبى : المصدر نفسه : ٨/ ٢٩٣
(٣) الخطيب : " " : ٥/ ٣٧١
(٤) " : " " : ٥/ ٣٧٠
(٥) " : " " : ٥/ ٣٧٣
الذهبى : المصدر السابق : ٨/ ٢٩٣

٣ـ الفضيل بن عياض

هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي ، أحد أئمة العباد والزهاد ، وأحد العلماء والأولياء ، ولد بخراسان ، وسمع الحديث عن الأعمش والثوري ، وجعفر الصادق ـ ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وغيرهم ـ

وروى عنه الثوري ، وابن عيينة وابن المبارك ويحيى القطان ـ وعبد الرحمن بن مهدي (١) وخلق كثير.

قيل : انه كان نهابا ، يقطع الطريق بخراسان بين أبيورد (٢) وسرخس (٣) ، وكان يتعشق جارية ، فبينما هو ذات ليلة كان يتسور جدارا ليجتمع بتلك الجارية ، اذ سمع قارئا يتلو قول الله تعالى : ((ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله)) ... (٤) الآية ، فأثرت الآية الكريمة في قلبه ، فاقشعر جلده ، وانطلق من فمه : " بلى يارب قد آن " فتاب ، وأقلع عما كان عليه ورجع الى خربته ، وسمع أهل قافلة يقولون " خذوا حذركم ان فضيلا أمامكم ، يقطع الطريق " ، ـ

---

(١) انظر: الذهبي : سير أعلام النبلاء : ٧/ ٣٧٣
" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/ ١٩٨ ـ ١٩٩
" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٨/ ٢٩٤

(٢) أبيورد (بفتح أوله وكسر ثانيه وياء ساكنه ، وفتح الواو وسكون الراء ودال مهملة) مدينة بخراسان بين سرخس ونسا ، وهي مدينة ردية الماء يكثر فيها خروج العرق .
(انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان : ١/ ٨٦)

(٣) سرخس (بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الخاء المعجمة ، وآخره سين مهملة) : مدينة قديمة من نواحي خراسان ، كبيرة واسعة ، وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق ـ
(انظر : ياقوت : المعجم : ٣/ ٢٠٨)ـ

(٤) سورة الحديد : الآية : ١٦

فقال فى نفسه : " أنت تسعى بالليل فى المعاصى وقوم من المسلمين يخافونك ـ؟ اللهم انى تبت اليك وجعلت توبتى مجاورة البيت الحرام "(١)

وهكذا أصبح مثالا حيا فى سبيل الدعوة لمن أراد أن يتوب الى الله توبة نصوحا فقدم الكوفة ، وتلقى الحديث من مشايخ زمانه ، ثم انتقل الى مكة وتعبد هناك ، كان كثير التلاوة والصلاة والصيام وله قصة مع الرشيد ذكرناها فى أحوال الرشيد(٢) ، وقد رواها ابن المبارك ولا بأس لو أوردنا هنا ما رواه الفضل بن الربيع ، وقد أورد الذهبى هذه الرواية فى كتابه سير أعلام النبلاء(٣) ، ولعلها زيارة الرشيد فضيلا غير زيارته الأولى التى سبق ذكرها :

قال الفضل بن الربيع :

" ... أتينا الفضيل بن عياض ، فاذا هو يتلو آية يرددها ، فقال : اقرع الباب ، فقرعت ، فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين . قال : مالى ولأمير المؤمنين ـ؟ قلت : سبحان الله أما عليك طاعة ـ؟ فنزل ، ففتح الباب ، ثم ارتقى الى الغرفة ، فأطفأ السراج ، ثم التجأ الى زاوية ، فدخلنا ، فجعلنا نجول عليه بأيدينا ، فسبقت كف هارون قبلى اليه ، فقال : يالها من كف ما ألينها ! ان نجت غدا من عذاب الله ، فقلت فى نفس : ليكلمنه الليلة بكلام نقى من قلب تقى ـــــ

---

(١) انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء : ٧/٣٧٣-٣٧٤
" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١٩١
" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٨/٢٩٥

(٢) " : ص ٢٠٨ من الرسالة

(٣) " : ٧/٣٧٨ ـ ٣٨١

فقال له : خذ لما جئناك له ،رحمك الله . فقال :" ان عمر بن عبد العزيز ،لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعب ورجاء بن حيوة ، فقال لهم : انى قد ابتليت بهذا البلاء ، فأشيروا على . - فعد الخلافة من البلاء ،وعددتها أنت وأصحابك نعمة - فقال له سالم : "ان أردت النجاة فصم الدنيا ،وليكن افطارك منها الموت . "

وقال له ابن كعب :" ان أردت النجاة من عذاب الله ، فليكن كبير المسلمين عندك أبا ، وأوسطهم : أخا ،وأصغرهم ولدا ، فوقر أباك ،وأكرم أخاك ، وتحنن على ولدك ."

وقال له رجاء :" ان أردت النجاة من عذاب الله ،فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ،واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت اذا شئت ." وانى أقول لك هذا وانى أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الأقدام ،فهل معك - رحمك الله - من يشير عليك بمثل هذا -؟ فبكى هارون بكاء شديدا حتى غشى عليه .

فقلت له : أرفق بأمير المؤمنين : فقال : يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك ،وأرفق به أنا ؟ ثم أفاق ،فقال له : زدنى - رحمك الله - قال :"بلغنى أن عاملا لعمر بن عبد العزيز شكا اليه ،فكتب اليه : يا أخى اذكرك طول سهر أهل النار فى النار مع خلود الأبد ، واياك أن ينصرف بك من عند الله ،فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء "

فلما قرأ الكتاب ،طوى البلاد ،حتى قدم عليه ،فقال : ما أقدمك قال : خلصت قلبى بكتابك ،لا أعود الى ولاية حتى ألقى الله . فبكى هارون بكاء شديدا . -

فقال : يا أمير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاء اليه ، فقال : أمّرني ، فقال له : ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة ، فان استطعت أن لا تكون أميرا فافعل ، فبكى هارون وقال : زدني ، قال : يا حسن الوجه ، أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة ، فان استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل ، واياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة)) فبكى هارون ، وقال له : عليك دين ـ؟ قال : نعم ، دين ربي ، لم يحاسبني عليه ، فالويل لي ان سألني ، والويل لي ان ناقشني والويل لي ان لم ألهم حجتي ، قال : انما أعني من دين العباد ، قال : ان ربي لم يأمرني بهذا ، أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره ، فقال عز وجل : ((وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)) . فقال : هذه ألف دينار خذها ، فأنفقها على عيالك ، وتقو بها على عبادة ربك . فقال : سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا ـ؟ سلمك الله ، ووفقك . ثم صمت فلم يكلمنا . فخرجنا ، فقال هارون : يا أبا العباس اذا دللتني ، فدلني على مثل هذا ، هذا سيد المسلمين ، فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت : قد ترى ما نحن فيه من الضيق ، فلو قبلت هذا المال . قال : انما مثلي ومثلكم كمثل قوم لهم بعير ، يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه .

فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل ، فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل ، خرج فجلس على السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون ، فجلس الى جنبه ، فجعل يكلمه فلا يجيبه ، فبينا نحن كذلك اذ خرجت جارية سوداء ، فقالت : يا هذا قد آذيت الشيخ الليلة ، فانصرف ، فانصرفنا .

قضى هذا الزاهد الربانى عمره فى العزلة ، فى جوار بيت الله ، يرشد خلق الله الى سبيل الحق والهداية بأقواله وأعماله وله أخبار حسنة[١] ، كان زاهدا ، عالما ، أثنى عليه كثير من العلماء ، فقال عبد الله ابن المبارك[٢] : ما بقى على ظهر الأرض عندى أفضل من فضيل .

وقال هارون الرشيد : ما رأيت فى العلماء أهيب من مالك ، ولا أورع من الفضيل ، وقال شريك : لم يزل لكل قوم حجة فى زمانه ، وان فضيل بن عياض حجة لأهل زمانه[٣] .

وقال ابراهيم بن الأشعث خادم الفضيل : ما رأيت أحدا كان الله فى صدره أعظم من الفضيل ، كان اذا ذكر الله عنده ، أو سمع القرآن ، ظهر به من الخوف والحزن ، وفاضت عيناه ، فبكى ، حتى يرحمه من يحضرته[٤] .

كان لا يقبل صلة الملوك والخلفاء ، كما مر آنفا ، فقضى حياة زهد وتقشف ، الا أنه كان يقبل صلة ابن المبارك نظرا الى اخلاصه له ، وحبه اياه[٥] .

---

(١) اقرأ ترجمته فى حلية الأولياء : ٨/٨٤-١٣٩

(٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٨/٢٩٥

(٣) الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١/٢٤٦

ابن حجر : المصدر السابق : ٨/٢٩٥-٢٩٦

(٤) ابن حجر : " " : ٨/٢٩٦

(٥) الذهبى : المصدر السابق : ١/٢٤٦

وذكر الذهبي[١] ، أنه كانت قراءة الفضيل "حزينة شهية بطيئة مترسلة ،كأنه يخاطب انسانا ،وكان اذا مر بآية فيها ذكر الجنة يردد فيها ، وكانت صلاته بالليل أكثر ذلك قاعدا ،يلقى له الحصير في مسجده ،فيصلي من أول الليل ساعة ، ثم تغلبه عينه ، فيلقى نفسه على الحصير ،فينام قليلا ، ثم يقوم فاذا غلبه النوم ، نام ، ثم يقوم، هكذا ، حتى يصبح وكان دأبه اذا نعس أن ينام ."

ولهذا العابد الرباني كلمات يجب أن تكتب بماء الذهب نذكر هنا بعضا منها :

كان من أقواله : " لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا ، لا أحاسب بها في الآخرة لكنت أتقذرها ، كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها أن تصيب ثوبه "[٢]

ومن أقواله : " العمل لأجل الناس شرك ، وترك العمل لأجل الناس رياء ،والاخلاص أن يعافيك الله عنهما " ، ومنها قوله :"اني لأعصي الله ،فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي وامرأتي وفأر بيتي"[٣]

ومنها قوله : " لا يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوه "[٤]

ومنها قوله : " لو أن لي دعوة مستجابة لجعلتها في الامام ،

قيل له : وكيف ذلك يا أبا علي ؟ قال متى جعلتها في الامام فصلاح الامام صلاح العباد والبلاد ، قيل : وكيف ذلك يا أبا علي ،فسر لنا هذا ؟ قال : أما صلاح البلاد ، فاذا أمن الناس ظلم الامام ،عمروا الخرابات ، ونزلوا الأرض ، وأما العباد ،فينظر الى قوم من أهل الجهل فيقول ـــ

---

(١) سير اعلام النبلاء : ٣٧٧/٧

(٢) ابو نعيم : حلية الأولياء : ٨٩/٨

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية : ١٩٩/١٠

(٤) الذهبي : سير اعلام النبلاء : ٣٧٧/٧

قد شغلهم طلب المعيشة عن طلب ما ينفعهم من تعلم القرآن وغيره ، فيجمعهم في دار خمسين خمسين ،أقل أو أكثر ،يقول للرجل : لك ما يصلحك ،وعلم هؤلاء أمر دينهم ، وانظر ما أخرج الله عز وجل من فيهم مما يزكى الأرض ، فرده عليهم ، قال : فكان صلاح العباد والبلاد بقوله هذا ،أشار هذا العالم الرباني الى أهمية تمسك الدولة الاسلامية بأهداب الدعوة تمسكا لا انفكاك فيه ،اذ أن به صلاح المجتمع الاسلامي ،وصيرورته مجتمعا دعويا يؤدي رسالته نحو نفسه ثم نحو البشرية كافة ،كما أشار الى ضد ذلك ،بأن الفساد لا يحدث الا بتقصير أصحاب السلطة في واجباتهم الدعوية .

توفي هذا العابد الزاهد الى رحمة الله تعالى يوم عاشوراء سنة سبع وثمانين ومائة ، وكان عمره اذ ذاك نيفا على ثمانين .(١)

رحمه الله رحمة واسعة . .

****

(١) انظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ : ١/٢٤٦
" : ابن كثير : البداية والنهاية : ١٠/١٩٩
" : ابن حجر : تهذيب التهذيب : ٨/٢٩٥

يتبين لنا مما سبق من أخبار هؤلاء الزهاد ـ ابراهيم وابن السماك وفضيل ـ أن العصر العباسي الأول لم يكن خاليا من أمثالهم من الزهاد والعباد ، اذ أن ما حدث من الانحرافات في أوساط الحكم والمجتمع ، حض كثيرا من الناس على أن يختاروا حياة الاستعلاء على مغريات الحياة الدنيا ، وكان من هؤلاء بعض أبناء الملوك والخلفاء ، وقد رأينا أن ابراهيم بن أدهم كان ابن ملك في بلخ (١) ، ويروى لنا ابن كثير خبر ابن للرشيد يدعى : أحمد ، قد ذهب في حياته مذهب الزهد ، والترفع عن مناعم الحياة التي كان من الممكن أن تفتح أبوابها له ، وآثر حياة الزهد والقناعة .

ولكن الزهد ، موقف حرج جدا في مجال الدعوة الاسلامية ، اذ أن الافراط والتفريط فيه يبعدان الانسان عن الجادة ، ويحدثان في المجتمع ما يهدد كيانه الدعوى ، فالافراط ربما أتى بزهد متطرف لا قشر دون لب ، ويتحول الى الرهبانية التي تدعو الى ترك الدنيا برمتها ، ولا مجال لها في الاسلام ، والتفريط فيه يفقد الحياة الكثير من معانيها الجميلة ، ويفتح الباب لأن يتسرب فيها المكر ، والخديعة ، والنهم الى ملذات الدنيا وما الى ذلك ، وكلا الطرفين أحدث عقبات في سبيل الدعوة الاسلامية ، وويلات في تاريخنا الاسلامي الطويل .

والزهد الذي يتمشى مع الدعوة الاسلامية ، وهو مظهر من مظاهرها ويسهم في تقدمها وارتقائها : هو ما وصل الينا من طراز حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن طراز حياة أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم ـــ

---

(١) انظر: البداية والنهاية : ١٠/١٨٤

هذا الزهد يجنح الى اجتناب مناعم الدنيا وزخارفها كعلاج مرحلي لتزكية النفوس ، أو كسلوك دائم يزيد من فعالية صاحبه في الحياة ، ويقدره على توجيه هذه الفعاليات الوجهة الأجدى والأكثر عائدة على الدعوة وأهلها في العاجلة والآجلة .(١)

وكان هؤلاء الزهاد - ابراهيم وابن السماك وفضيل - يمثلون هذا الزهد الاسلامي الدعوي ، وكانت أمثالهم كثيرة في العصر العباسي الأول ، واكتفينا بذكر ثلاثة منهم كنموذج ، على أننا نشعر أحيانا بشيء من المبالغة في تذكرة حياتهم ، ولا بأس من الافادة منهم ومن أمثالهم بشرط أن نزن ما ينقل عنهم وعن هؤلاء جميعا بميزان الكتاب والسنة ، ثم بميزان الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

وعلى كل حال ، فهؤلاء المحدثون ، والفقهاء ، والزهاد ومن اليهم ، كانوا معالم الدعوة الاسلامية في العصر العباسي الأول ، يدعون الناس الى الحق والهدى جهد طاقتهم ، ويدرؤن عنهم أثر الانحرافات التي ظهرت في هذا العصر ، ويعرضون عليهم أمثلة واقعية للحياة الاسلامية الدعوية ، لعل الناس يهتدون بها ، وينتفعون بدلالاتها ، ويلتزمون نهج الحياة المسلمة بكل ما فيها من فكر وسلوك ، وجوهر وشكل ، وكانوا بذلك خير تعويض لهذه الأمة عما خسرته بسبب بعض الانحرافات وبعض المنحرفين .

---

(١) أخبرني غير واحد ممن زاروا الدرعية ، مقر الامام محمد بن سعود - رحمه الله - وعرفوا أطلال منزله الذي كان يعيش فيه ، أن هذا الرجل - رحمه الله - كان يعيش حياة عادية زاهدا ، ومن ثم استطاع أن يوفر فعالياته وأن يوجهها وجهة استطاع معها أن يبني دولة اسهمت ، وما زالت تسهم في تصحيح مسيرة الحياة الاسلامية .

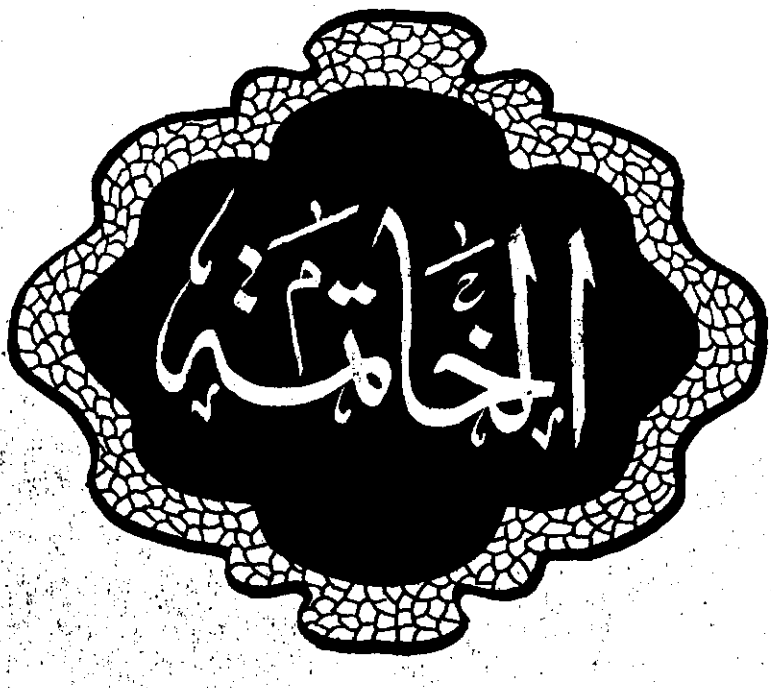
الخاتمة

الخاتمـــــــة :

الآن - وقد فرغت من كتابة الرسالة - لابد من الالمام فى هذه الخاتمة - بقبس مما جاء فيها :

لقد عرضت - اولا - لبحث " الدعوة الاسلامية " ، فى جوهرهـــا وتطورها حتى العصر العباسى الأول ، وبينت أنها - فى جوهرها - " قيام المسلمين - دولة ، وأمة ، وأفرادا - بتبليغ الناس كافـــة ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من الهدى والحق ، ليخرجوهـــم من الظلمات الى النور " وقلت : انها واجبة على المسلمين - دولة وأمة ، وافرادا - على قدر الطاقة ومن خلال الاختصاص ، ثم ذكـــرت ان الانسان مفطور على الدعوة ، بشكل ما الى ما يعتقده ، و هناك - فى الجملة - دعوتان متلفستان ، متصارعتان أبدا ، دعوة الى الشر ، وهى دعوة ابليس ، ودعوة الى الخير ، وهى دعوة المسلم ، فيجب على المسلم الا يغفل الدعوة الى الخير ، أو الدعوة الى الله ، والا فسح المجال للدعوة الأخرى ، وربما أضحى ضريما من صرعاها .

ثم عرضت للدعوة من خلال الواقع السيرى ، وبينت أن رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم اهتم فى دعوته - بادئ ذى بدء - باصلاح العقائد ، لما لها من أثر حاسم فى توجيه حياة الانسان ، فدعـا الى التوحيد الخالص ، والايمان بالدار الآخرة ، واصلاح ذات البين ..... وما الى ذلك من ضروب الحق والخير ، كما نهى عما يناقـض هذه المبادئ ، وكان من هذه الجهود العظيمة أن كون شخصيـــات عقدية أمثال أبى بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان وعلى وأبـــى عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من أصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين . ـــ

فاصبحوا مثلا عليا للعقيدة في شكلها النظري والتطبيقي ، وأسهموا أيما اسهام في تصحيح مسيرة التاريخ الانساني ، كما كون - عليه الصلاة والسلام - مجتمعا اسلاميا عقديا ، دعويا ، ينطوي على قيم لم يحظ بمثلها مجتمع انساني آخر ، ومن المعروف أنه لم ينجح في ترسيخ أسس هذا المجتمع المثالي بمكة ، لحيلولة القوى الطاغوتية دونه ، فهاجر الى المدينة وأقام هذا المجتمع هناك ، وأقام معه دولته ، دولة الدعوة في الظاهر والباطن ، والتصور والسلوك ، نابعةً من الدعوة ومحققةً لها .

وذكرت أهم دعائم هذا المجتمع المثالي الدعوي ، الذي كلف المسلمون الحفاظ على قيمه ، ودعوة المجتمعات الانسانية الأخرى اليه ، وكان لابد لقوى الشر أن تعترض نشوء هذا المجتمع وانبثاق دولته منه ، وهكذا ظهرت عقبات في سبيل الدعوة ، أزالها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوسائل المناسبة ، تارة بالحروب ، وتارة بالاساليب السلمية ، كصلح الحديبية ، وهكذا ، حتى تمت نعمة الله على عباده ، وتكونت دولة الدعوة بقيادته صلى الله عليه وسلم ، تحافظ على قيم المجتمع الدعوية/داخليا وخارجيا ، وتحمل الدعوة الى الناس كافة ، وألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأمانة على كواهل أمته ولحق بالرفيق الأعلى ....

وتحمل الراشدون - رضي الله عنهم - عبء هذه الامانة العظيمة ، وأداروا نظام دولتهم طبقا لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فكانت دولة دعوية خالصة ، جاءت بروائع خالدة في كل حقل من حقول الحياة .

ولما آلت الدولة الى بنى أمية ، لم يلتزموا - باستثناء بعضهم - مبادئ الدعوة فى مناهج حكمهم ، فركزوا جهودهم فى تدعيم سلطتهم بالدرجة الأولى ، كما تسلل شىء من البذخ والترف الى المجتمع الاسلامى من جانب آخر ، وفى الجملة تسرب بعض الانحراف عن الجادة الدعوية فى اوساط الحكم ، واستمر الوضع ، ولم تقم محاولة جدية لسد تلك الثلمة التى حدثت فى المجتمع الاسلامى ، الا فى عهد الخليفة الراشد أبى حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، ولكنه - مع الاسف - لم يستطع مقاومة الاتجاه الأصيل المنحرف فى كيان الدولة ، وقد كانت هذه الانحرافات قليلة فى أصلها بالنسبة الى الحسنات التى كانت توجد فى الجمهور والخلفاء ، ولكن هذه القلة بدأت تأكل الكثرة لعدم الاهتمام بازالتها وانتقل هذا الوضع تقريبا الى العصر العباسى الأول .

ثم استعرضت رقعة الدولة العباسية وموقعها الجغرافى ، اذ أن الموقع الجغرافى له أهمية كبيرة فى تاريخ الدول من جهة انجاز مهمتها الجوهرية وتحقيق أهدافها الأساسية ، فأشرت الى أن الموقع الجغرافى للدولة العباسية كان لها مساعدا كبيرا لنشر الدعوة عليها ، .....

.....

..... كما استعرضت الدعوة العباسية ومرحليتها السرية الجهرية حتى نشأت الدولة ، وترجمت باختصار مناسب للخلفاء العباسيين فى العصر العباسى الأول .

ثم استعرضت ذلك العصر من الناحية الدعوية ، ولم يفتنى أن أعرج على بيان مقومات الدعوة العباسية التى كانت متأثرة جدا بفكرة الامامة عند الشيعة ، واستغلال الفرص السوانح ، وتدعيم السطوة بالوسائل المتاحة -

وأشرت هناك الى نكتة تاريخية مهمة ،وهى : أن الدعوة العباسية نظمت فى سنة مائة من الهجرة وكانت مقتضيات المصلحة الاسلامية الحقة ، تقتضى هذه الدعوة الفتية أن تصير عونا كبيرا لذلك الخليفة الراشد - عمر بن عبد العزيز - الذى حاول فى صدق وحزم توجيه الدولة ، والمجتمع الى العودة نحو حقيقتهما الاسلامية ،فى ذلك المنعطف التاريخى الحرج الذى كانت تمر به الامة الاسلامية ، ولكن ، لم يكترث العباسيون ومن والاهم بنداء الوقت ، ومقتضيات المصلحة الاسلامية ، بل استغلوا الفرصة لانجاز مهمتهم الوحيدة ، وهى : اقامة دولة بنى العباس من أجل العباسيين بالدرجة الاولى .

واستعرضت الحياة الاجتماعية فى ذلك العصر ، فوجدت فيها أنواعا من المآخذ ، منها الترف والبذخ ،وما يتصل بهما : مما يدل على أن الدولة العباسية ظلت تسير فى الخط الذى كانت تسلكه الدولة الأموية ، ولعل هذا ما يشير الى مسئولية الدولة العباسية التى كانت تستطيع أن تعمل الكثير للدعوة وللانسانية ، لو أنها انطلقت فى امورها من منطلقات الدولتين الدعويتين النبوية والراشدية .... بيد أنى لم أذهب الى انها تخلت نهائيا عن الدعوة أو عن التزاماتها الاسلامية ، ومن ثم ذكرت صورا من تدين الخلفاء ، وتقيد الدولة بالشريعة الاسلامية كدستور لها وضابط لنظامها العام فى الجملة .

كما استعرضت المشكلات التى واجهتها الدعوة الاسلامية فى العصر العباسى الأول ، ولم يفتنى بطبيعة الحال أن أوضح هذه المشكلات هى : ما أشرت اليه من تنكب الدولة الجادة الدعوية بنحو من التنكب ،ومن هذه المشكلات أيضا : وجود مذاهب ونحل مختلفة كالشيعة والمعتزلة والمرجئة وغيرها ـــ

ومنها أيضا : عدم تبنى الدولة للدعوة فى الخارج ـ كما ينبغى ـ وأن حصرتها فى الداخل بطريقتها الخاصة .

ثم استعرضت بعض أساليب الدعوة فى العصر العباسى الأول ، والتى من أبرزها أساليب المحدثين العظام والفقهاء الكرام ، والزهاد والعباد .

ثم ترجمت لنماذج من هذه العناصر التى كانت مدار الدعوة فى العصر العباسى الأول ، فهؤلاء قاموا بأعمال جليلة سدت ثغرات عظيمة عرفها العصر العباسى الأول فى ميدان الحياة الاسلامية ، فكانوا الأساة الذين عالجوا مشكلة الدعوة فى ذلك العصر معالجة طيبة ، وحفظوا على المجتمع الاسلامى ما حفظ عليه من مقوماته الاسلامية .

وفى ضوء هذا البحث الذى قمت به توصلت الى النتائج التالية :

أولا : أن الأمة الاسلامية الحقة خير أمة أخرجها الله تبارك وتعالى للناس مثالا حيا لرسالته التى أنزلها على قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأراد أن تكون المنهج الشامل للحياة البشرية على ظهر هذا الكوكب ، وأن على هذه الأمة - اذا أرادت أن تحقق ذاتها - أن تلتزم ما ناطه الله بها من الدعوة الى صراطه المستقيم ، كل من أفرادها وجماعاتها ينهض بهذا الواجب - كما قلت سابقا - قدر طاقته ومن خلال اختصاصه ، وان لم تفعل ذلك ، فقدت مقوماتها التى تميزها عن سواها وعرضت " ذاتيتها " للضياع ، ووجودها للفناء .

ثانيا : لاحظت ، أن أجدى أسلوب على الدعوة الاسلامية هو : ايجاد الكيان الاسلامى الحقيقى الذى يمثلها فى مجتمعه ودولته ، ان هذا الكيان هو من أبلغ حجج الدعوة على الناس ، ومن خلال هذه الحجة تستطيع الدعوة أن تشق طريقها فى المجتمع البشرى ، ومن ثم يجب فى عصرنا أن تتضافر جهود الدعاة ومخططاتهم لجعل مثل هذا الكيان حقيقة راهنة .

ثالثا : لاحظت أن قوة الدعوة الاسلامية وضعفها ، يتأثران كثيرا بموقف الدولة منها ، وقد رأينا دولتى النبوة والراشدين تحميان الدعوة وتلتزمانها فتبلغ ذروة مجدها وقمة عطائها للناس كافة ، وتؤدى مهمتها على نحو رائع ، ورأينا الناس فى ظلا لهما يدخلون فى دين الله أفواجا ، وعندما بدأت الدولة تقصر فى التزامها مبادىء الدعوة فى العصر الأموى والعباسى ، بدأت الدعوة تضعف ، ولا سيما بالقياس الى ما كانت عليه فى العهدين الاماميين السابقين ، النبوى والراشدى ، وجعل الوهن يتطرق الى المجتمع الاسلامى -

ويهدد كيانه الدعوى ، على الرغم من وجود العناصر التى أشرنا اليها والتى كانت توجه الجمهور - فى العصر العباسى الأول وفى العصور المتأخرة - بقدر طاقتها وجهة الدعوة الاسلامية ، وترشده الى التمسك بالقيم الاسلامية الخالصة ، وكانت أعمالهم أعمالا مجيدة حقا ، ولو تصورنا عدمها لكان " الضياع " . ونتيجة لذلك صادفت الأمة ويلات ومآسى غير مرة عبر القرون فى تاريخها .

رابعا : لاحظت أن الافتراق (١) الذى حصل بين الدولة والدعوة ، أفقد الأمة - الى حد كبير - ذاتيتها وفعاليتها الاسلاميتين ، اللتين يمكن أن تؤثر بهما فى الآخرين ، وتجتذبهم الى الاسلام ، وتنقلهم الى العيش فى ظلال منهج الله عز وجل ، كما كانت الحال فى المهدين الاماميين اللذين سبق ذكرهما ، والى اصلاح حال الأمة بعد التلاحم بين الدين والدولة .

خامسا : لاحظت أن عصرنا الحاضر يشبه العصر العباسى الأول من وجوه ، منها :

(أ) ازدهار العلوم والفنون ، وتطور العقلية الانسانية ، فكان العصر العباسى الأول - وخصوصا أيام الرشيد والمأمون - عصر نهضة علمية كبيرة ، اشتغل فيه علماء العلوم الدينية بتدوين علم الحديث

---

(١) كان هذا الافتراق نسبيا ، سواء فى العصر العباسى أو فى غيره من مراحل التاريخ الاسلامى ، ولم يبدُ بشكل حاد حاسم الا فى عصرنا الحاضر ، عندما غزا مبدأ فصل الدين عن الدولة بعض الدول الاسلامية ، ولا سيما الدول التى نصت على هذا فى دساتيرها كتركية وأمثالها .

والفقه والتفسير وغيرها من جهة ، كما اهتم الخلفاء بترجمة كتب الفلسفة والعلوم المادية من طب وكيميا ورياضة من جهة أخرى ، وان لم تكن هذه الترجمة موجهة التوجيه الكافي ، وكذلك عصرنا الحاضر يمتاز بنهضة علمية حديثة ، بيد أنها غير موجهة التوجيه الكافي أيضا .

(ب) توفر المال وكثرة الخيرات: فاذا كان العصر العباسي الأول يمتاز بدخل حكومي كبير ، فان عصرنا الحاضر أيضا يمتاز بتوفر المال وكثرة الخيرات ، اذ فتح الله تعالى على بعض الدول الاسلامية خزائن الأرض بصورة الذهب الأسود السيال .

(ج) تنوع الحضارات والثقافات : كان العصر العباسي الأول ملتقى حضارات مختلفة وثقافات متنوعة ، اذ اعتنقت الاسلام أمم مختلفة الحضارات ومتنوعة الثقافات ، وترجمت ثقافات أخرى الى البيئة الاسلامية ، وكذلك عصرنا الحاضر ، فان الوطن الاسلامي يموج بضروب من الثقافات والحضارات ، فينبغي أن نتناولها حسب خطط دقيقة هادفة ، لا أن نتركها تعمل عملها في حياتنا دون تخطيط ، كما كانت الحال في العصر العباسي الأول .

(د) الوقوف على منعطف تاريخي هام : وهذه من أهم وجوه الشبه بين العصرين ، فالأمة الاسلامية كانت ـ عند قيام الدولة العباسية ـ في حاجة شديدة الى أن تعيدها دولتها الى كيانها الدعوى ، ولكنها لم تلتفت اليها الالتفات الكافي ، وانصرفت الى مهماتها الأخرى ، فاستمر الانحراف وزاد الطين بلة .

وفي عهدنا الحاضر ، قد ظهرت على منعة العالم دول اسلامية عديدة ، لا تطبق الشريعة الاسلامية ـ كما ينبغي ـ اللهم الا المملكة العربية السعودية ، والأمة الاسلامية لا يشفي غليلها ولا يصلحها الا تقريبها من المنبع الصافي ، الا وهو منبع الكتاب والسنة ، الذي تتفجر منه مبادئ الدعوة الاسلامية الحقة .

ومن جهة أخرى هنا حقيقة ينبغي ألا ننساها ، وهي أن أمم العالم يشست- أو كادت - من جميع الأنظمة الوضعية بعدما جربتها مدة طويلة ، كما هي متضايقة جدا من الفوضى الأخلاقية التي أصبحت سيلا جارفا في ديارهم يكتسح كل صغيرة وكبيرة ، فهي مضطربة تتطلع الى نظام صالح شامل يطبق ، ويحل لها جميع أزماتها حلا حقيقيا .... وليس هناك في العالم نظام يصلح لحل هذه الأزمات المعقدة غير نظام الاسلام بجوهره وروحه اللذين عرفهما العهدان الامامان النبوي والراشدي ، وكيف لا - ؟ وهو النظام الذي قال الله فيه : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)) .

فهذا منعطف تاريخي هام حرج ، وقد وقفت أطمه الأمة الاسلامية في حاضرها ، كما وقفت مرة عند قيام الدولة العباسية وقد زاد عددها في العالم ، واصبحت الدول الاسلامية أكثر من ثلث القوة في هيئة الأمم المتحدة ، وقد فتح الله تعالى على بعض منها بركات من السموات والارض ، كما تتمتع الأمة الاسلامية بالوسائل الحديثة والمخترعات الجديدة ، والمنتجات الصناعية المتنوعة ، وهكذا يتفوق وضع الدول الاسلامية في الحاضر وضع العصر العباسي الأول — فقد آن للأمة الاسلامية أن توعى — دولة وأمة وأفرادا - دورها الدعوي الحاسم ، وترفض جميع الأنظمة المزعومة الوضعية ، وتستظل تحت ظل راية الاسلام الدعوية مع عزم راسخ صادق ، واخلاص كامل لله تعالى ، وتقدم الى أمم العالم المضطربة اليائسة أمثلة حية صادقة للكيان الاسلامي الخالص ، ويجب عليها أن تستغل هذا المجال أتم استغلال وأبرعه ، وأن تستخدم الوسائل المعاصرة من وسائل الاعلام وما اليها ، وبذلك تكون دراستنا لتاريخ الدعوة في العصر —

العباسي الأول وفي سواه دراسة جديدة حقا ، وإذا قصرنا في ذلك ، فربما فاتتنا الفرصة وأعقبنا تقصيرنا خسارة كبيرة على أنفسنا بل وعلى غيرنا من شعوب العالم ، وهذا الى جانب مسئولياتنا أمام الله عز وجل عن هذا التقصير ، يوم يجعل الولدان شيبا .

والله تعالى هو المسئول أن يوفقنا الى وضوح الرؤية وان يشد عزائمنا حتى نحقق مهمتنا الدعوية في المجتمع البشري ، وفي هذه المرحلة من التاريخ ، وأن يرزقنا حسن النية ودوام التوفيق ، والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله تعالى على عبده ورسوله محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم تسليما كثيرا ..

المدينة المنورة
١٢ ربيع الأول ، ١٤٠٢هـ

الفهارس

فهرست الأعلام

محمد بن عبد الله المصطفى صلى الله عليه وسلم :
١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ١٠٠ ،
١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٩ ،
١٤٢ ، ٢٢٠ ، ٢٣٥ ، ٢٤٣ ، ٢٥١ ،
٢٩٠ ، ٣٠٢ ، ٣٣٢ ، ٣٦٦ ، ٣٨٥ ،
٤١٥ ، ٤٨٠ .

(أ)

آدم (عليه السلام) : ١٣ ، ١٤ ، ٧٦ ، ١٩٩ ، ٣٠١ ،
ابراهيم بن أبى طالب : ٤٠١ ،
ابراهيم بن أدهم : (٤٤٩) ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ،
ابراهيم بن الأشعث : ٤٦٥ ،
ابراهيم بن الأغلب : ٢١٠ ،
ابراهيم بن الجراح : ٣٠٥ ، ٣٢٠ ،
ابراهيم الحربى : ٤٤٣ ،
ابراهيم الخليل (عليه السلام) : ٤٤٩ ،
ابراهيم بن عبد الله بن الحسن (المحض) : ١٨٢ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ،
١٩٣ ، ٢٠٦ ، ٢٥٤ —
ابراهيم بن محمد (بن على) : ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ،
٢٤٨ ، ٢٤٩ —

ابراهيم بن المهدى : ٢٢١، ٢٢٢، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٧،
٢٨٨، ٣٤٢.
ابراهيم الموصلى : ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠،
ابراهيم النخعى : ٣٦٩ ، ٤١٢، ٤٢٤،
ابراهيم بن هرمة : ٢٨٢، ٢٨٣،
ابن أبى حاتم : ٨٨،
ابن أبى ذئب (٤١٥) : ٤١٦ ،
ابن أبى المرجاء : ٢٩٤،
ابن أبى ليلى (القاضى) : ٤١٤،
ابن أبى مريم (المحدث) : (٣٧٥)
ابن أبى مريم (الضحك) : ٢٧٧ ، ٢٧٨
ابن أبى مليكة : ٣٧٤،
ابن الأثير : ١٨٠ ، ٢١٩،
ابن تيمية : ٣٣، ١٣٦ ، ١٥١ ، ٢٧٩ ، ٣٢١ ،
ابن جامع (المغنى) : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٨٧،
ابن جريج : ٣٦٧،
ابن حجر (الامام أحمد بن على) : ٣٩١،
ابن خزيمة : ٣٩٣ ، ٤٠١ ،
ابن خلدون : ٣٣، ٢٣٤ ، ٢٦٠
ابن خلكان : ٣٢٠ .
ابن ديصان : (٢٩٤)
ابن سعد : ١٤٨ ، ٣٧٤ ، ٣٨٣ ،
ابن سيرين : ٤١٢ ،
ابن شبرمة (القاضى) : ٤٠٧ ، ٤١٤،

ابن طباطبا (محمد بن ابراهيم) :٢٢٠.

ابن الطقطقى : ٢٧١،

ابن عبد البر : ٤٣٥ ،

ابن عبد ربه : ١٤١ ، ٢٣٩ ، ٢٥١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ ،

ابن علاثة (القاضى) ٢٥٥، ٣١٢،

ابن العماد : ٤٥٦

ابن قتيبة الدينورى : ١٦٧، ١٧٣ ،٤٤٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٨،

ابن كثير : ١٣٧ ، ١٤١، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٣، ١٦٤، ٢١٤،
٢٥٢، ٢٩١، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٩٥، ٣٩٨ ، ٤٦٨.

ابن لهيعة (القاضى) : ٣٧٨.

ابن الماجشون : (٤٣٢)

ابن المنذر : ٨٨

ابن المنكدر : ٤٢٣،

ابن هشام : ٤٣٥،

أبى الأزهر (المهلب بن أبى عيسى) : ٢٥٥

أبو أسامة : ٣٧٠

أبو اسحاق السبيعى : ٣٦٧،

أبو اسحاق الشيبانى : ٣٦٧

أبو اسحاق الفزارى : ٣٦١ ، ٣٦٧ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ،

أبو بكر بن أبى شيبة : ٣٨١ ،

أبو بكر الحميدى : ٣٩٢،

أبوبكر الصديق : ٢٩، ٣٠، ٤٦، ١٠٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١،
١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٦ ،
١٦٧، ٢٤٥، ٢٤٦، ٤٧١ ،

أبو تمام (الشاعر) : (٣٤٥)

أبو ثور : (٤٣٣)

أبو حذيفة : ٤٨، ١٤٨

أبو حمزة (عمرو بن أعين) ١٦٦

أبو حنيفة (الامام) : ٣٣٧، ٣٦٩، "(٤٠٤) ، ٤٠٦، ٤٠٧ ،
٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤،
٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠،
٤٢٢، ٤٢٣، ٤٣٢، ٤٣٤ .

أبو داود (الامام) : ٣٧٥ ، ٤٤٢،

أبو داود (خالد بن ابراهيم) ١٦٦- ٢٤٧،

أبو داود (نائب أبى مسلم) ١٨٦

أبو دبوسة الزنجى : ٢٧٦

أبو ذر (الغفارى) : ٨٣

أبو زرعة : ٤٤٣،

أبو الزناد : ٣٦٧،

أبو السرايا : ٢٢٠، ٢٢١،

أبو سعيد الخدرى : ٥٥، ٧١، ١٥٠،

أبو سفيان بن حرب : ٧١، ١١٣

أبو سلمة الخلال (حفص بن سليمان) : ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٩،
١٨٢، ٢٥٤

أبو صالح : ٣٠١،

أبو عاصم الشيبانى : ٣٦٨، ٣٩٢،

أبو العباس السفاح : ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، (١٧٧)، ١٧٨،
١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥،
١٩٢، ١٩٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٠،
٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٦، ٢٨٠، ٣٤٣،
٣٦٤، ٣٧٠،

أبو عبيدة بن الجراح : ٤٨، ١٣٤، ٢٦٢، ٤٧١

أبو عبيد الله (الوزير) : ٣٧٢،

أبو عبيدة معمر بن المثنى : ٣١٦

أبو العتاهية (الشاعر) : (٣٤٥) ، ٣٤٨،

أبو عثمان النهدى : (٢٧٣) ٢٧٤،

أبو عزارة : ٣٠٦

أبو عزيز بن عمير : ٣٩

أبو عكرمة السراج : ١٦٦ : ١٦٩

أبو على (شبل بن طهمان) : ١٦٦

أبو عون : ١٧٥ ، ١٧٦

أبو قريش الحافظ : ٤٠٢.

أبو لبابة : ٤٨

أبولهب : ٣٧

أبو محمد المهدى (الشاعر) : ٢٥١

أبو مسلم الخراسانى (عبد الرحمن بن مسلم): ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤،
١٧٥، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣،
١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٧، ١٩٩،
٢٣٤، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٥٦،

أبو معاوية (محمد بن حازم) الضرير: ٣٠١، ٣٣٥،

أبو موسى الأشعرى : ١٣١

أبو نواس (الشاعر) : ٢٧١، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٨، ٣٤٥

أبو هاشم (عبدالله بن محمد بن الحنفية) ١٦٥، ٢٣٩، ٢٤٠،
٢٤٥،

أبو هبار : ١٨٨

أبو هريرة : ٦، ٩٠، ١٠٧، ١١٠، ١٦٤، ٣٠١

أبو الورد : ١٧٨

أبو يوسف الغسولى : ٤٥٢

أبو يوسف القاضى : ٢٦٨، ٢٨٧، ٣١٠، ٣٢٠، ٣٣٥، ٣٣٧،
٣٥١، (٤٠٦)، ٤٠٨، ٤١١، ٤٢٠، ٤٢٢،

الابيض بن الأغر : ٤١٢،

أحمد بن أبى خالد : ٣١٣

أحمد بن أبى داؤد (المعتزلى) : (٢٢٧) ٢٣٢، ٣٢٥، ٣٢٦،

أحمد بن حمدون القصار : ٤٠٣ .

أحمد بن حنبل (الامام) : ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٣٣٨، ٣٧٥،

٣٩٢، ٤٠١، ٤٢٤، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٣٧،

(٤٤٢)، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٥٥،

أحمد بن الرشيد (هارون) : ٤٦٨،

أحمد شلبى : ٢٦٢ ،

أحمد بن نصر الخزاعى (٢٣١)

الأخطل (الشاعر) ١٤٤، ١٤٦

ادريس بن ادريس : ١٩٢، ٢٠٧،

ادريس بن عبدالله بن الحسن (المحض) : ١٩٢، ٢٠٦

الارقم بن أبى الأرقم : (٢٨)

أروى بنت منصور : ١٩٨

أسامة بن زيد : ٤٧، ١٢٨

اسحاق بن ابراهيم بن الجراح : ٣٢٠،

اسحاق بن ابراهيم بن مصعب : ٢٢٣، ٢٢٤

اسحاق بن ابراهيم الموصلى : ٢١٤، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٨٨

اسحاق بن حنبل : ٤٤٦،

اسحاق بن راهوية : ٤٠١، ٤٣٦،

اسحاق بن منصور : ٤٠٢،

اسد بن عبدالله القسرى : ١٦٩، ٢٤٧

اسماعيل بن أبى خالد : ٣٦٧، ٣٨١،

اسماعيل بن جعفر : (٤٣٢)

اسماعيل بن عياش : ٣٦٠، (٣٨٠) ، ٣٩٠،

اسماعيل بن يحيى المزنى : (٤٣٥)

الأشجعى : ٣٦٨

أشناس : ٢٢٩.

أشهب بن عبدالعزيز : (٣٣٨) ، ٣٨٠، ٤٢٦،

الاصبهانى (أبو الفرج) : ٢٠٣ ، ٣١٥،

الأعمش (سليمان) : ٣٠١ ، ٣٦٧ ، ٣٨١ ، ٤٥٥ ، ٤٦١ ،

الأفشين : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤،

الأقيشر : ٢٨٣

أم حبيبة : ٧١، ١٦٤

أنس بن مالك : ٨٩، ٢٧٩ ، ٤٠٤

الأوزاعى (الامام) : ٣٣٨، (٣٥٩) ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٤،
٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٦، ٣٨١، ٤٠٨ ،
٤٠٩، ٤١٠، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٤٩، ٤٥٣،

ابتاح : ٢٢٩

ابرينى (أضطة) ٢٠١، ٢١١،

(ب)

بابك الخرمى : ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٢٩،

البحترى (وليد بن عبيد) : "(٣٤٥)

البخارى (الامام) : ١٥٠، (٣٩٢) ، ٣٩٣، ٣٩٤ ، ٣٩٥،

٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٠٣،

٤٤٢،

بختيشوع الأكبر : ١٩٦

بردزبه : ٣٩٢

بسام بن ابراهيم : ١٧٨

بشار بن برد : (٣٤٤)،

بشر بن غياث المريسى : (٣٢٥)

بكير بن ماهان : ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢

بلال بن أبى بردة : (١٤٨)

بلال بن أبى رباح : ٢٩، ٣٧، ٣٩

بوران (خديجة) بنت الحسن بن سهل : ٢٧٠

(ت)

توفيل بن ميخائيل : ٢٢٨

تمام بن تميم التميمي : ٢١٠

الترمذي (الامام) ٣٩٣، ٣٩٨، ٤٠١،

(ث)

ثمامة بن أشرس : (٣٢٥)

ثوبان : ١٦٤

(ج)

جابر بن عبدالله : ٦٧، ١٠٧، ١٠٨

الجاحظ : ٢٠٤، ٢٥٨، ٢٧٦

جبريل : ٥٤ ، ٣٣٩، ٣٦٦،

جديع بن شبيب الكرماني : ١٧١ ، ١٧٢، ١٧٣

جرير(الشاعر) (١٤٥)

جرير بن عبدالله : ٣٠٧

جعفر بن أبي طالب : ٢٢

جعفر بن سليمان : ١٩١، ٢٦٦، ٢٨٥

جعفر بن محمد الصادق : ١٧٤، ٤٦١

جعفر بن يحيى البرمكى : ٢١٢، ٢١٣، ٢٥٤، ٢٧٠

جوهر (جارية) : ٢٠٤

(ح)

حاشد بن اسماعيل : ٣٩٤.

الحاكم أبى عبدالله النيسابورى : ٤٠٢

حبيب بن مرة المرى : ١٧٨ .

الحجاج بن يوسف : ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ٣٢٤،

حذيفة بن اليمان : ١٢٩، ١٣٠

الحسن (البصرى) : ٤١٢،

الحسن بن سهل : ٢٢١، ٢٢٢، ٢٧٠، ٢٧١،

الحسن بن على بن أبى طالب : ٢١٦، ٢٣٨

الحسن بن على المأمونى : ٢٢١

الحسن بن قحطبة : ١٧٥ ، ١٧٩، ١٨٤،

الحسين بن الحسن الأفطس : ٢٢١،

الحسين بن الضحاك : ٢٦٩

الحسين بن على بن أبى طالب : ٢٣٨

الحسين بن على بن الحسن (المحض) : ٢٠٦

حسين بن على النيسابورى : ٤٠٢

حفص بن عبدالرحمن : ٤١٨،

حفص بن غياث : (٢٠ ٤)

حكيم بن حزام : ٤٨

حماد الرواية : (١٤٥)

حماد بن أبى سليمان : ٤٠٦

حماد عجرد : ٢٦٦ ، ٢٩٤، (٣٤٤)

حميد بن قحطبة : ١٧٥ ، ١٨٣، ١٩١

خازم بن خزيمة : ١٧٨

خالد الدريوش : ٣٤٢،

خالد بن عبدالله القسرى : (١٤١) ، ١٤٢،

خالد بن الوليد : ١١٤، ١١٥ ، ١٢٩

خباب بن الأرت : ٢٩

الخصيب النصرانى : ١٩٧

الخطيب (البغدادى) : ١٦٤، ٣١٦، ٣٦٧، ٣٨١، ٣٨٣ ،
٣٨٩، ٣٩٧، ٤٠٣ .

الخيزران : ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٢، ٢٦١،

(د)

داود (عليه السلام) : ٧٣

داود بن أبى هند : ٤١٤

داود بن على : ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠ ،

داود الطائى : (٤٠٨) ، ٤١١، ٤٢٠،

دحية الكلبى : (١١٣)

دعبل بن على الخزاعى : ١٧٠

(ذ)

الذهبى (الامام) : ٢١٥ ، ٣٣٢، ٣٦٩، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٣،
٣٩٣، ٤٠١، ٤٢٥، ٤٦٢، ٤٦٦،

(ر)

ربعى بن عامر : (٢٢٥)

الربيع بن سليمان المرادى : ٤٣٨

الربيع بن صبيح : (٢٠٠)

الربيع بن يونس : ١٩٨، ٢٠٢، ٣٠٦، ٣٠٧، ٤١٥، ٤١٦، ٤٢٧،

ربيعة بن عبد الرحمن (ربيعة الرأى) : ٤٢٥ .

ربيعة بن نزار: ١٧٠

رجاء بن حيوة : ٤٦٣.

الرشيد (هارون بن محمد) ١٥٨ ، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٠٧،
(٢٠٩) ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٩،
٢٢٢، ٢٣٣، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧١ ،
٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨ ،
٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣١٠، ٣١١، ٣١٦ ،
٣٢٠، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣ ،
٤٠٨، ٤٢٧، ٤٣١، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٦، ٤٥٥، ٤٥٦ ،
٤٥٧، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٧٧

رويحة : ٣٩ ،

رباح بن عثمان المرى : ١٨٩

ريطةبنت عبدالله : ١٧٧

(ز)

زبيدة بنت جعفر : ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨

زفر بن عاصم : ١٨٣

زفر بن الهذيل العنبرى : (٤١١) ، (٤٢) ،

الزهرى (محمد بن شهاب) : ٣٥٩ ، ٣٧٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ،

زهير بن معاوية : ٤١٢ ،

زياد بن صالح : ١٧٨

زيد بن ثابت : ٨١

زيد بن حارثة : ٤٨ ، ١٤٨

زيد بن ظبيان : ٢٨٣

زيد بن على : ١٦٤

زينب بنت جحش : ٤٨ ، ١٤٨

و

و (س)

سالم بن عبدالله : ٤٦٣

سالم مولى أبى حذيفة : ٤٨ ، ١٤٨

سحيم مولى عتبة ، ٢٧٣،

سديف بن ميمون : ٣٤٣،

سعد بن أبي وقاص : ١٢٩، ١٣٢، ١٣٦

سعد بن الربيع : (٣٩)

سعيد بن عبد العزيز (سعيد خزينة) : ١٦٩

سعيد بن المسيب : ٤١٢،

سفيان الثوري (الامام) : ٣٣٨، ٣٥٩، (٣٦٧) ، ٣٦٨، ٣٦٩،
٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٨١،
٣٨٢، ٤٠٧، / ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٤٣ ،
٤٤٩، ٤٦١،

سفيان بن عيينة : ٣٥٩، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٨١، ٣٨٣،
٤٢٣، ٤٢٤، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٦١،

سفيان بن معاوية : ١٩١

سلامة ١٨٢

سلامة الزرقاء : ٢٦٦

سلم الخاسر : ٢٦٦، ٢٦٨،

سلمان الفارسي : ٨١

سليمان (عليه السلام) : ١٢

سليمان بن بريدة : (٩٩)

سليمان بن حرب : (٣٣٤)

سليمان بن عبدالملك : ١٤٦، ١٥٣، ١٨٠، ٢٣٩، ٢٥٣، ٣٦٧،

سليمان بن طى : ١٨٤

سليمان بن كثير الخزاعى : ١٦٦، ١٧٣ ، ٢٤٧،

سليمان بن هشام : (١٧٦)

سهل بن سلامة الأنصارى : ٣٤٢

سهل بن سنباط : ٢٢٩

سواد بن غزية : (١٣٨)

سوار بن عبدالله القاضى : ٣٠٦ ،

سيد قطب : ١٠

السيوطى (الامام جلال الدين) : ١٨١، ٢١٥، ٢٢٤، ٢٣٠ ،
٢٨٧، ٣٣٥،

(ش)

الشافعى (الامام محمد بن ادريس) ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٧، ٣٧٥،
٤٠٨، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٦، (٤٣٢)،
٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩،
٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٦،

شداد بن أبى عمار : ٣٥٩

شريك بن عبدالله النخعي القاضي : ٣٠٧،

شعبة (الامام) : ٣٥٩ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨، ٣٨١،

الشعبي (الامام عامر) : ٤٠٤، ٤١٢

شعيب بن الليث : ٣٧٥ ، ٣٧٩

شوقي ضيف : ٢٦٣.

الشوكاني (محمد بن علي): ٨٨

(ص)

صالح بن علي بن عبدالله : ١٧٥ ، ٢٥٠ ، ٢٨٥،

صالح المري : (٣٤٠)

صبيغ : (١٠٥) ، ١٣١،

صخر (زميل ابن المبارك) : ٣٨٤.

صفية بنت حيي : ١٤٨

صفية (بنت عبد المطلب) : ٣٦٥

(ط)

طاهر بن الحسين : ٢١٧ ، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٣٤،

الطبري (الامام ابن جرير) : ٨٨، ١٦٧، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٢ ،

٢٥٦، ٢٨٠، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣١٢،

طلحة بن زريق : ١٦٦ ، ٢٤٧،

طيما ثاوس (البطريق) : ٣٥٢ ، ٣٥٣

(ع)

عائشة أم المؤمنين : ٤٧، ٨٣، ٨٨، ٨٩

عاصم بن علي : (٣٣٤)، ٤٠٧،

عافية بن يزيد (القاضي) : ٣١٢، (٤٢٠)،

عامر بن عبدالله بن الزبير: ٤٢٣،

عبدة بن الصامت : (١٠٢)

العباس بن عبدالمطلب : ٣١، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٩٦، ٣٦٥، ٤٦٤

العباس بن المأمون : ٢٢٥، ٢٦٩، ٣١٣،

العباس بن محمد (بن علي) : ٣١٢

العباس بن محمد (المهدي) : ٢٦٦

عبد الجبار بن عبد الرحمن : ٢٥٦

عبد الجبار المحتسب : ٢٠١،

عبد الرحمن بن عوف : ٣٩، ٤٧١

عبدالرحمن بن قاسم المتقي : (٣٣٧)، ٤٢٦،

عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث : ٢٢٥

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام : ١٥٧

عبد الرحمن بن مهدي : ٣٧٠، ٤٢٣، ٤٤٩، ٤٦١

عبد الرزاق بن همام : ٤٤٢، ٤٤٣

عبدة بن سليمان المروزى : ٣٨٨

عبد الصمد بن على : ٢٠١، ٣٧٠

عبد العزيز (بن المنصور) : ١٩٦،

عبدالله بن أحمد بن حنبل : ٤٣٦ ، ٤٤٣، ٤٤٧ ،

عبدالله بن اسماعيل الهاشمى : ٣٥٢

عبدالله بن أيوب التيمى ٢٦٨

عبدالله بن الجارود : ٢١٠

عبدالله بن جدعان : ٣٠٦

عبدالله بن الحسن (المثنى) : ١٨٦

عبدالله بن الحسن بن الحسين بن على : ١٧٤ ، ١٧٥

عبدالله بن خبيق : ٣٦٨

عبدالله بن دينار : ٤١٣ ٤٢٣،

عبدالله بن الزبير : ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥١، ١٥٢، ٢٥٥

عبدالله بن الزبير الحميدى : (٤٣٣) ،

عبدالله بن سبأ : ٤٣٨ .

عبدالله بن صالح : ٣٧٧

عبدالله بن طاهر : ٢٢٢، ٢٦٩ ،

عبدالله بن عباس : ٣٠ ، ٣٢، ٥٥، ١٣٦ ، ٣٦٥،

عبدالله بن عبد الحكم : (٣٣٨) ٤٢٦،

عبدالله بن عبد الرحمن الدارمى : ٣٩٣

عبدالله بن علي : ١٦٤ ، ١٧٥، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤ ،
١٨٥، ١٨٩، ٢٣٤، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢ ،
٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٦، ٣٦٤،
عبدالله بن عون : (١٤٨) ، ٤٠٧،
عبدالله بن عياش المنتوف : ٢٥٥.
عبدالله بن المبارك : ٢٩٩، ٣٠١، ٣١٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠،
٣٥٩، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٤، (٣٨١) ، ٣٨٢،
٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩،
٣٩٠، ٣٩١، ٤٠٧، ٤٠٩/٤١٠، ٤٢٣، ٤٤٩ ،
٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٥.
عبدالله بن مرزوق : ٢٩٢، ٢٩٣
عبدالله بن مسعود : ١٠، ٧١، ٨٦، ٢٨٦
عبدالله بن المعتز : ٢٦٤
عبدالله بن المقفع : ٢٩٤،
عبدالله بن وهب : (٣٣٧) ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٤٢٥، ٤٢٦،
عبيدالله بن الحسن العنبري القاضي : ٣٠٨، ٣٠٩
عبيدالله بن موسى : ٣٩٦ .
عبدالملك بن رامين : ٢٨٥.

عبد الملك بن شهاب المسمعي : ٢٠٠

عبد الملك بن مروان : ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،
١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٨٢ ،
٢٢٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٤٠٤ .

عبد يا ليل : ٩١

عتبة بن ربيعة : ٤٨

عتبة بن فرقد : (٢٧٣) ٢٧٤

عثمان بن صالح : ٣٨٠ .

عثمان بن عفان : ٣٠ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٥١ ، ٣٨٠ ، ٤٧١ .

عجيف بن عنبسة : ٢٢٨

عطاء بن أبي رباح : ٣٥٩ ، ٣٧٤ .

عطية بن بسر : ٣٦٥

عقبة بن سالم : ١٧١

عقبة بن عامر : (٨٠)

عقبة بن مسلم : ١٩٩

العلاء بن الحداد (الشاعر) : ٢٩٦.

علي بن أبي طالب : ٣١ ، ٤٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٥١ ، ١٦٧
٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٣٢٥ ،
٣٦٤ ، ٣٨٠ ، ٤٧١.

علي زين العابدين : ١٤٨ ، ٢٣٨

علی بن صالح الحاجب : ٣٠٢ ، ٣٠٣

علی بن عبدالله بن عباس : ١٦٥

علی بن عیسی بن ماهان : ٢١٧، ٢١٨ ،

علی المدینی : ٣٩٢،

علیة بنت المهدی : ٢٨٧

علی بن موسی بن جعفر (الرضا) : ٢٢١

علی بن یقطین : ٢٩٦

عمار المهلبی : ١٦٩، ١٧٠

عمارة بن حمزة : ٢٥٦،

عمارة بن الحسن : ٣٨٣ ،

عمار بن یاسر : ٢٩

عمر بن حفص الأشقر : ٣٦٩

عمر بن الخطاب (الفاروق) : ٢٩، ٣٠، ٣٩، ٤٨، ١٠٨، ١٠٩،
١٢٢، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٦،
١٥١، ١٦٧، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٧٣، ٢٧٤، ٣٧٢،
٤٧١،

عمر بن عبد العزیز : ١٣٧، ١٤١، ١٤٢، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٣، ١٦٦،
٢٤٣، ٢٤٤، ٤٦٣، ٤٧٣،

عمران بن اسماعیل : ١٦٦

عمرو بن بحير بن ورقاء : ١٦٩

عمرو بن دينار: ٣٦٧

عمرو بن عبيد : ٣٢٧

عمرو بن سعيد بن العاص : ٢٥٥

عمرو بن العاص : ٣٧، (١٣١، ٢٢٤)

عمرو بن هانئ : ٢٥٣

عوف بن مالك : (٧٤)

عياض بن غنم (١٢٩)

عيسى بن أعين : ١٦٦

عيسى بن مريم (عليهما السلام) ٢٤٢

عيسى بن موسى : ١٨٢، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣،
١٩٧، ٢٥٤، ٢٥٥

(غ)

الغمر بن يزيد : ٢٥١، ٢٥٢

(ف)

فاطمة بنت محمد : ٤٧، ٤٣٨، ٣٦٥،

فاطمة بنت الوليد : ٤٨، ١٤٨

فضالة النوسى : ٣٨٢

الفضل بن الربيع : ٢١٦، ٢٦٦، ٢٧٧، ٤٦٢،

الفضل بن سهل ذو الرياستين : ٢١٧، ٢٢١، ٣٠١

الفضل بن يحيى : ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢٧٠ ، ٤٥٨، ٤٥٩

الفضيل بن عياض : ٢٩٨ ، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٤٩، ٣٦٧، ٣٧١،

٣٨٤، ٣٨٨، ٤٤٩، (٤٦١) ، ٤٦٢، ٤٦٥،

٤٦٨، ٤٦٩،

فليح بن أبى العوراء : ٢٠٣ ،

(ق)

القاسم (المؤتمن) : ٢١٤، ٢١٧

القاسم بن مجاشع : ١٦٦ ،

القاسم بن مخيمرة : ٣٥٩ ،

القاسم بن معن : (٤٢٠)

قتيبة بن سعيد : ٤٠١، ٤٤٣،

قحطبة بن شبيب : ١٦٦، ١٧٣ ، ١٧٥

قراطيس : ٢٣١

القرطبى : ٩،

قصيف : ٢١٤-

(ك)

كثير عزة : ٢٣٨

الكميت بن يزيد الأسدى : ١٧٠

الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف) ٢٧٥ز، ٣٠٥، ٣٢٠

كوشـــر : ٢١٨.

(ل)

لاهز بن قريظ : ١٦٦ ، ٢٤٧

الليث بن سعد (الامام): ٣٣٨، (٣٧٤) ، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨/، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٤٢٥، ٤٥٧،

ليون : ٢٠١

(م)

ماردة بنت شبيب : ٢٢٧

مالك بن أنس (الامام) : ١٨٩، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٨١، ٤٠٧ ، ٤٠٨، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، (٤٢٣)، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٦٥،

مالك بن مغول : (٤٢١)،

مالك بن الهيثم : ١٦٦، ٢٤٧،

المأمون (عبدالله بن هارون الرشيد) : ١٩٩، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦،
٢١٧، ٢١٨، (٢٢٠)، ٢٢١، ٢٢٢،
٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧،
٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٦١، ٢٦٥،
٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٤،
٢٨٨، ٢٩٧، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤،
٣٠٥، ٣١١، ٣١٣، ٣١٧، ٣٢٥، ٣٢٦،
٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٥٢،
٣٥٣، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤٤، ٤٧٧،

مانى (بن فاتك) : (٢٩٤)، ٢٩٥، ٢٩٧،

الماوردى (ابو الحسن على بن محمد): ٣١١، ٣١٣،

المتوكل : ٢٢٨، ٤٤٦، ٤٤٧،

محمد بن أبى حاتم الوراق : ٣٩٩

محمد بن أبى العباس : ١٩٧،

محمد الأمين : ٢١٣، ٢١٤، (٢١٦)، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٦٨،
٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٤، ٣٣٥، ٤٣٧،

محمد بن البشار البندار : ٣٩٣،

محمد بن جعفر الصادق : ٢٢١

محمد بن الحسن الشيبانى : (٤١١)، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٧،

محمد بن خالد بن برمك : ٢١٣،

محمد الخضرى بك : ٣١٠

محمد بن خنيس : ١٦٦، ١٦٩

محمد بن سليمان بن على : ١٩١، ٢٦١

محمد بن السماك : ٢٩٨، (٤٥٥)، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩،
٤٦٨، ٤٦٩،

محمد بن عبد الرحمن الأوقص القاضى : ٣٠٦

محمد بن عبدالله بن الحسن (المحض) : ١٨٢، ١٨٨، ١٨٩،
١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ٢١٦،
٢٤٢، ٢٥٤.

محمد بن عبدالله بن طاهر : ٤٤٨،

محمد بن عبدالوهاب الفراء : ٤٠١

محمد بن عجلان : ٣٧٤،

محمد بن على (ابن الحنفية) : ٢٣٨،

محمد بن على بن عبدالله : ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٧،
١٨٨، ١٨٩، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٤،
٢٤٥، ٢٤٦،

محمد بن عمر الواقدى : ٣١٦،

محمد الغزالى : ٣٢٢،

محمد بن كثير العبدى : ٣٩٢

محمد بن كعب : ٤٦٣

محمد بن مقاتل بن حكيم العكي : ٢١٠

محمد بن نوح : ٢٢٣

محمد بن يحيى : ٢١٢، ٢٧٠

محمود الوراق : (٣٤٧)

مخارق المغني : ٢٦٧

مراجل : ٢١٣، ٢٢٠.

مرقيون : (٢٩٤)

مروان بن أبي حفصة : ٢٦٦ ، ٢٦٧.

مروان الشامي : ٢٠٤

مروان بن الحكم : ١٥٠،

مروان بن محمد : ١٦٤ ، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧،
١٨٣، ١٨٤، ١٨٨، ٤١٤،

المسعودي (علي بن الحسين) ٣٠، ١٤٠، ١٧٠، ١٧١، ١٨٠،
٢٥٣، ٢٥٥، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٩٣ ،
٣٠٢، ٣٠٤، ٣١٦،

مسلم (الامام) : ٤٧، ٢٧٤، ٣٩٣، (٤٠١) ، ٤٠٢، ٤٠٣ ،
٤٤٢،

مسلم بن خالد الزنجي : (٤٣٢)، ٤٣٤

مسلمة بن قاسم : ٤٠١

مسور بن ساور : ٣١٢.

المسيح بن اسحاق الكندى : ٣٥٢

مصعب بن عمير : ٣٩

مضر بن نزار : ١٧٠

مطيع بن اياس : ٢٩٤

معاذ بن مسلم : ١٩٩

معاوية الأسوانى : ٣٢٠

معاوية بن أبى سفيان ٣٠، ٣١/٣٢، ٧١، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤١، ١٤٩، ١٥١، ٢٢٤، ٣٢٥،

المعتصم : ٢٢٢، ٢٢٥، (٢٢٧)، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٦١، ٢٦٩، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٤، ٤٤٥،

معمر بن راشد : ٣٦٧، ٣٨١

معن بن زائدة : (١٧١)

المغيرة : ٣٩٢

المقدسى (أبو عبدالله محمد بن أحمد) ١٥٨، ١٦٧

المقتع : ١٩٩،

مكحـــول : ٣٦٥

مكى بن ابراهيم البلخى : ٣٩٢

المنذر بن الحارث : ١١٤

المنصور (أبو جعفر) : ١٧٩ ، ١٨٠ ، (١٨٢) ،
١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،
١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،
١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ،
٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٥ ،
٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣٢٧ ،
٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ،
٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ،
٤٢٩ ،

منصور بن جمهور : ١٧٨

منصور بن عمار الواعظ : ٣٧٨

المهدى (محمد بن عبدالله) : ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، (١٩٨) ،
١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،
٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ،
٢٨٥ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ،
٣١٢ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٤٢٧ ،

المهلب بن أبى صفرة : (١٤٠)

موسى (عليه السلام) : ١٠٩ ، ٣٠١

موسى بن جعفر : ٢٠٢ ،

موسى بن عيسى : ٣٠٧، ٣٠٨

موسى بن كعب : ١٦٦، ١٧٨، ٢٤٧،

موسى بن محمد الأمين : ٢١٦، ٢١٧،

موسى بن يحيى : ٢١٠، ٢١٢،

ميسرة مولى علي بن عبدالله : ١٦٦ ، ١٦٨

(ن)

نافع مولى ابن عمر : ٢٨٦ ، ٣٧٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ،

النجاشي : ٢٢

النسائي (الامام) ٣٦٧ ، ٣٩٣،

نصر بن سيار ، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤

نقفور : ٢١١،

نوبخت(المنجم) : ١٩٧،

نوح (عليه السلام) : ١٩٩،

(هـ)

الهادي (موسى بن محمد) ١٩٣، ٢٠١، (٢٠٦) ، ٢٠٧/٢٠٨، ٢١٢،

٢٦٦، ٢٦٧، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣١١، ٣٥٢ ، ٣٥٣،

هارون : ٣٣٤

هرثمة بن اعين : ٢١٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٤

هرقل : ١١٢ ، ١١٣

هشام بن اسماعيل : (١٤٠)

هشام (بن عبد الملك) : ٢٥٣

هشام بن عروة : ٣٦٨ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٤٥٥ ،

هشيم بن بسير : ٤٤٢

الهيثم بن عدى الطائى : ٢٥٣

((و))

الواثق بالله (٢٣١) ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٨٧ ،

٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٤٤٥

وكيع بن الجراح : (٤٢١) ،

الوليد بن عبد الملك : ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ٢٥٣ ،

الوليد بن مسلم : ٣٥٩ ، ٣٦١ ،

الوليد بن معاوية ١٧٤ ،

الوليد بن يزيد : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٧٠

(ى)

يحيى بن أكثم القاضى : ٣١٣ ، ٣٢٦ ،

يحيى بن أيوب العابد : ٤٤٥

يحيى بن بكير : ٣٧٤ ،

يحيى بن جعفر : ٣٩٤ ،

يحيى بن خالد بن برمك : ٢٠١، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢٧٠، ٤٥٧،

يحيى بن زياد : ٢٩٤

يحيى بن سعيد الانصارى : ٤٢٥، ٤٦١

يحيى بن عبد الله بن الحسن (المحض) : ٢٠٩، ٢١٠،

يحيى القطان : ٣٥٩، ٣٨١، ٤٢٣، ٤٤٣، ٤٦١.

يحيى بن كثير : ٣٥٩

يحيى بن معين : ٣٦٨ ، ٣٨١ ، ٣٩٢ ، ٤٠٨،

يحيى بن يحيى التميمى : ٤٠١،

يحيى بن يحيى الليثى : (٣٣٨) ، ٤٢٦، ٤٥٥ ،

يزدان بن باذان : ٢٩٦

يزدان بخت : ٣٥٣

يزيد بن أبى زياد : ٤٥٥،

يزيد بن أبى سفيان : ١٣٢

يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى ، : ١٧٣، ١٧٩، ١٨٢، ١٩٥، ١٩٧،

٤١٤، ٤١٥،

يزيد بن الفيض : ٢٩٧ ،

يزيد بن معاوية : ١٣٨ ، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٦، ٢٥٣،

يزيد بن هارون : (٣٣٣) ، ٤٠٧، ٤١٨،

يزيد بن الوليد بن عبد الملك : ١٤٢ ، ١٧٠،

يعقوب بن داود بن طهمان : (٢٠٣) ، ٣٧٥

يقطين : ٢٩٦

يمان الجعفي : ٣٩٢

يوسف بن اسباط : ٣٦٩،

يوسف بن يحيى البويطي : (٤٣٣)،

يونس بن فروة : ٢٩٧ ، ٣٧٢.

فهرست المصادر والمراجع

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجع
١	١	* القرآن الكريم
٢		* ابن أبي العز:
	—	علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (٠٠ — ٧٩٢هـ)
	٢	١- شرح العقيدة الطحاوية
		طبع : المكتب الاسلامي ، بيروت - ١٣٩١هـ
٣		* ابن الأثير :
		مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (٥٤٤- ٦٠٦هـ)
	٣	١- النهاية في غريب الحديث والأثر
		طبع : دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م
٤		* ابن الأثير :
		عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (٥٥٥- ٦٣٠هـ)

١ تسلسل	٢ تسلسل	المصادر والمراجع
	٤	١- الكامل في التاريخ طبع : دار صادر ، بيروت - ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م
	٥	٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة طبع : دار الشعب ، القاهرة - ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م

٥		* ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي (٨١٣ - ٨٧٤هـ)
	٦	١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة طبع : دار الكتب المصرية القاهرة - ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م

٦		* ابن تيمية شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية الحرانى (٦٦١ - ٧٢٨هـ)
	٧	١- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم طبع : مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة - ١٣٨٩هـ

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجع
	٨	٢- الحسبة فى الاسلام أو وظيفة الحكومة الاسلامية طبع : دار الكاتب العربى - بدون تاريخ
	٩	٣- السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية طبع : دار الكاتب العربي - بدون تاريخ .
	١٠	٤- منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية . طبع : المطبعة الأميرية بولاق ، مصر ١٣٢٢هـ
٧		* ابن الجوزى الامام الحافظ الواعظ ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى (٥١٠ - ٥٩٧هـ)
	١١	١- صفة الصفوة طبع : دار الوعى بحلب: ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م
	١٢	٢- مناقب الامام أحمد بن حنبل - طبع : مكتبة الخانجى بمصر - ١٣٩٩هـ / ١٩٦٩م

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجع
٨		* ابن حجر
		الامام الحافظ أحمد بن على بن على الكنانى العسقلانى
		الشافعى (٧٧٣- ٨٥٢ هـ)
	١٣	١- الاصابة فى تمييز الصحابة طبع : المكتبة
		التجارية بمصر - ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م
	١٤	٢- تهذيب التهذيب طبع : دائرة المعارف العثمانية
		الهند - ١٣٢٥هـ
	١٥	٣- فتح البارى شرح صحيح البخارى طبع :المكتبة
		السلفية بمصر - ١٣٨٠ هـ)
	١٦	٤- لسان الميزان طبع دائرة المعارف العثمانية
		الهند ١٣٢٥)
٩		ابن حزم :
		الامام الجليل أبو محمد على بن أحمد بن سعيد
		بن حزم الاندلسى (٣٨٤- ٤٥٦ هـ)
	١٧	١- المحلى طبع القاهرة بدون تاريخ .
١٠		* ابن خلدون :
		المؤرخ الفيلسوف ولى الدين عبد الرحمن بن
		محمد بن الحسين بن محمد بن جابر بن خلدون
		الحضرمى (٧٣٢- ٨٠٨هـ)

مسلسل ١	مسلسل ٢	المصادر والمراجع
	١٨	١- المقدمة (تحقيق : الدكتور على عبد الواحد وافـى) طبع : لجنة البيان العربى - ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م
١١		* ابن خلكان : المؤرخ أبو العباس شمس الدين أحمد محمد بن ابراهيم بن أبى بكر بن خلكان البرمكى ، الأربلى (٦٠٨- ٦٨١هـ)
	١٩	١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان طبع : دار صادر ، بيروت - ١٣٩٧هـ / ١٩٥٧م
١٢		* ابن سعد المؤرخ المحدث محمد بن سعد بن منيع الزهرى بالولاء (١٦٨- ٢٣٠هـ)
	٢٠	١- الطبقات الكبرى - طبع : دار صادر بيروت ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجع
١٣		* ابن سيده علي بن اسماعيل بن سيده (٠٠ــــ٤٥٨هـ)
	٢١	١ــ المحكم والمحيط الأعظم في اللغة (تحقيق : مصطفى السقا و حسين نصار) طبع مصر : ١٣٧٧هـ / ١٩٥٦م
١٤		* ابن الطقطقى : محمد بن علي بن طبا طبا (٠٠ــــ ٧٠٢هـ)
	٢٢	١ــ الفخرى في الدول الاسلامية والآداب السلطانية طبع: دار صادر، بيروت ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م
١٥		* ابن طيفور : ابو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب (٠٠ــــ٢٨٠هـ)
	٢٣	١ــ بغداد في تاريخ الخلافة العباسية طبع: مكتبة المعارف، بيروت ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م
١٦		* ابن عبد البر : الامام الحافظ المحدث أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى، القرطبى (٠٠ــــ٤٦٣هـ)
	٢٤	١ــ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء طبع: مكتبة القدسى، القاهرة ، ١٣٥٠هـ
	٢٥	٢ــ جامع بيان العلم وفضله طبع: المكتبة العلمية، بالمدينة المنورة ، بدون تاريخ

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجع
١٧		* ابن عبد ربه
		أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن
		حدير بن سالم (٢٤٥-٣٢٧هـ)
	٢٦	١- العقد الفريد
		طبع مكتبة النهضة المصرية - ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م
١٨		* ابن عساكر :
		الامام المؤرخ المحدث أبو القاسم علي بن الحسن
		ابن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر
		الشافعي . (٤٩٩- ٥٧١هـ)
	٢٧	١- (تهذيب) تاريخ دمشق الكبير هذبه الشيخ
		عبد القادر بدران (٠٠ - ١٣٤٦هـ)
		طبع دار المسيرة ، بيروت - ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
١٩		* ابن العماد :
		المؤرخ الفقيه أبو الفلاح عبد الحي بن العماد
		الحنبلي (٠٠-١٠٨٩هـ)
	٢٨	١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب
		طبع : المكتب التجاري ، بيروت - بدون
		تاريخ .

مسلسل ١	مسلسل ٢	المصادر والمراجع
٢٠		* ابن فارس :
		أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازى (٠٠٠ـ٣٩٥هـ)
	٢٩	١ـ معجم مقاييس اللغة (تحقيق : عبد السلام محمد هارون)
		طبع : الحلبى ، القاهرة ـ ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م

٢١		* ابن قتيبة :
		الامام الفقيه ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (٢١٣-٢٧٦هـ)
	٣٠	١ـ الامامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء
		طبع مؤسسة الحلبى ، بيروت ـ ١٣٧٨هـ / ١٩٦٧م
	٣١	٢ـ عيون الأخبار
		طبع : دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م

٢٢		* ابن القيم :
		الشيخ الامام العلامة شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى المعروف بابن قيم الجوزية (٦٩١ -٧٥١هـ)

مسلسل ١	مسلسل ٢	المصادر والمراجع
	٣٢	١-أحكام أهل الذمة (تحقيق : الدكتور صبحي صالح) . طبع : جامعة دمشق - ١٣٨١هـ / ١٩٦١م
	٣٣	٢-التبيان في أقسام القرآن . طبع : دار الكاتب العربي - بدون تاريخ

٢٣		* ابن كثير : الامام المؤرخ المفسر الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي - (٧٠٠-٧٧٤هـ)
	٣٤	١-البداية والنهاية طبع دار الفكر ، بيروت - ١٣٨٨هـ / ١٩٦٧م
	٣٥	٢-تفسير القرآن العظيم (اختصار : محمد علي صابوني) طبع: دار القرآن ، بيروت ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٧م
	٣٦	السيرة النبوية (تحقيق : الدكتور مصطفى عبد الواحد) . طبع دار المعرفة ، بيروت - ١٣٩٣هـ / ١٩٧٤م

٢٤		* ابن ماجة : الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ) ١-السنن (تحقيق : (محمد فؤاد عبد الباقي) طبع الحلبي ، القاهرة - ١٩٧٢م

مسلسل	مسلسل	المصادر والمراجع
٢٥		* ابن المعتز :
		عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد (٢٤٧-٢٩٦هـ)
	٣٨	١ - طبقات الشعراء (تحقيق : عبد الستار أحمد فراج)
		طبع : دار المعارف ، القاهرة : ١٩٧٦م
٢٦		* ابن منظور :
		الامام العلامة ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على بن أحمد الأنصارى ، الافريقى ، المصرى (٦٣٠ - ٧١١هـ)
	٣٩	١- لسان العرب - طبع دار الفكر ، بيروت - بدون تاريخ)
٢٧		* ابن هشام :
		الامام العلامة أبو محمد عبد الملك بن هشام ابن أيوب الحميرى البصرى (٠٠-٢١٨هـ)
	٤٠	١- سيرة النبى صلى الله عليه وسلم (تحقيق: محمد خليل عراس)
		طبع : مكتبة الجمهورية - القاهرة - بدون تاريخ .

مسلسل ١	مسلسل ٢	المصـــــادر و المراجـــع
٢٨		* أبـــو حنيفـــة :
		الامـــام الأعظم أبو حنيفـــة النعمان بن الثابت بن النعمان ابن المرزبان (٨٠ ـــــ ١٥٠ هـ)
	٤١	١ـــ المســـند (تحقيق : صفوت سقـــا الأميـــنى) طبع: دمشق ، بدون تـــاريخ
٢٩		* أبـــو داؤد :
		الامـــام الحافظ أبو داؤد سليمـــان بن الأشعث بن اسحاق ابن بشير بن شداد بن يحيى بن عمران السجســـتـــانى . (٢٠٢ ـــــ ٢٧٥هـ)
	٤٢	١ـــ الســـنن طبع: دار الحديث، حمص، سوريـــة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م
٣٠		* أبـــو السعـــود :
		قـــاضى القضاة أبو السعود بن محمد العمادى الحنـــفى (٩٠٠ ـــــ ٩٨٢هـ)
	٤٣	١ـــ ارشاد العقـــل السليم الى مزايا الكتـــاب الكريم ، طبع: القـــاهرة ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م
٣١		* أبو العتـــاهيـــة :
		أبو اسحاق اسماعيل بن القـــاسم بن سويد بن كيسان العنـــزى بالولاء . (١٣٠ ـــــ ٢١١هـ)
	٤٤	١ـــ ديـــوان أبى العتـــاهيـــة طبع: دار صادر، بيروت ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجع
٣٢		* أبو نعيم الأصبهاني :
		الحافظ الكبير أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن
		أحمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الاصبهاني
		(٣٣٦ - ٤٣٠هـ)
	٤٥	١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
		طبع دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م
٣٣		* أبو يوسف :
		الامام المجتهد العلامة المحدث أبو يوسف
		يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن حبيش الانصاري
		الكوفي (١١٣- ١٨٢هـ)
	٤٦	١- كتاب الخراج
		طبع المكتبة السلفية ، القاهرة - ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م
٣٤		* أحمد (الامام) :
		الامام المجتهد الحافظ الحجة أبو عبد الله
		أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد
		الذهلي الشيباني
		(١٦٤ - ٢٤١هـ)

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجع
	٤٧	١ـ المسند (تحقيق : محمد أحمد شاكر ـ طبع دار المعارف ـ القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م وطبع المكتب الاسلامي بيروت ـ بدون تحقيق والتاريخ .
٣٥		* أحمد (شلبي)
		الدكتور أحمد شلبي
	٤٨	١ـ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية
		طبع مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٧٠م
٣٩		* الأزهري :
		الامام اللغوي أبو منصور محمد بن أحمد بن أزهر الهروي (٢٨٢ - ٣٧٠هـ)
	٤٩	١ـ تهذيب اللغة (تحقيق : الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم)
		الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة
		بدون تاريخ
٣٧		* الاسفرائيني :
		صدر الاسلام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ،الاسفرائيني ،التميمي ـ (٠٠ - ٤٢٩هـ)

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجع
	٥٠	١- الفرق بين الفرق (تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد) طبع القاهرة - ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م
٣٨		* الأصبهانى : أبو الفرج على بن الحسين بن محمد بن أحمد ابن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم الأموى . (٢٨٤ - ٣٥٦هـ)
	٥١	١- الأغانى طبع دار الكتب المصرية - ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م وطبع : الحاج محمد ساسى ١٣٢٣٠هـ
٣٩		* البخارى : الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن الأحنف برذزبة الجعفى (١٩٤ - ٢٥٦هـ)
	٥٢	١- الجامع الصحيح (مع شرحه فتح البارى) ١٣ جزءا طبع المكتبة السلفية ، القاهرة - ١٣٨٠هـ

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجع
٤٠		* البغوى :
		الامام الحافظ العلامة محى السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى - (٠٠-٥١٦ هـ)
	٥٣	١- شرح السنة
		طبع المكتب الاسلامى ، دمشق - ١٣٩١هـ / ١٩٧١م
٤١		* البلاذرى :
		المؤرخ الرحالة أبو الحسن أحمد بن يحيى ابن جابر البغدادى (٠٠- ٢٧٩ هـ)
	٥٤	١- فتوح البلدان (تحقيق : الدكتور صلاح الدين المنجد)
		طبع القاهرة - ١٩٥٧م
٤٢		* البيهقى :
		الامام الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن الحسين ابن على بن عبدالله بن موسى البيهقى - (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)
	٥٥	١- مناقب الشافعى
		طبع : مكتبة دار التراث ، القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجع
٤٣		* الترمذى :
		الامام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ابن موسى بن الضحاك السلمى ، الترمذى - (٠٠ - ٢٧٩هـ)
	٥٦	١-الجامع (مع شرحه " تحفة الأحوذى " للمباركفورى) عشرة أجزاء
		الناشر : المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، طبع القاهرة - ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م
٤٤		* توماس ارنولد
		سير توماس أرنولد (Sir. Thomas W. Arnold.)
	٥٧	١-الدعوة الى الاسلام (المترجمون : الدكتور حسن ابراهيم حسن وزملاؤه)
		طبع القاهرة - ١٩٧١م
٤٥		* الجاحظ :
		المتكلم المعتزلى أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ - ٢٥٥ هـ)
	٥٨	١-البيان والتبيين (تحقيق : فوزى عطوى)
		الناشر : الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ١٩٦٨م
	٥٩	٢-رسائل الجاحظ (تحقيق : عبد السلام محمد هارون)
		الناشر : مكتبة الخانجى - القاهرة - ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م

مسلسل	مسلسل	المصادر والمراجع
٤٦		* جرجى زيدان :
		الكاتب النصرانى جرجى بن حبيب زيدان
		(١٢٧٨ - ١٣٣٢هـ)
	٦٠	١- تاريخ التمدن الاسلامى
		الناشر : دار مكتبة الحياة ، بيروت - بدون تاريخ
٤٧		* الجهشيارى :
		أبو عبد الله محمد بن عبدوس الكوفى الجهشيارى
		(٠٠ - ٣٣١هـ)
	٦١	١- الوزراء والكتاب (تحقيق : مصطفى السقا وزملاؤه)
		طبع القاهرة : ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م
٤٨		* الجوهرى :
		الامام اللغوى الكبير أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى (٣٣٢ - ٣٩٣هـ)
	٦٢	١- الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية (تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار)
		طبع دار الكتاب العربى ، القاهرة - ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجع
٤٩		* الحاكم :
		الامام الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن نعيم بن الحكم الضبى ، النيسابورى - (٣٢١ - ٤٠٥هـ)
	٦٣	١- المستدرك على الصحيحين
		طبع دار الفكر، بيروت : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م
	٦٤	٢- معرفة علوم الحديث
		الناشر : المكتبة العلمية بالمدينة المنورة
		١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م
٥٠		* حسن ابراهيم :
		الدكتور حسن ابراهيم حسن
	٦٥	١- تاريخ الاسلام (السياسى ، والدينى ، والثقافى ، والاجتماعى)
		العصر العباسى الأول
		طبع القاهرة : ١٩٦٤م
٥١		* الحلبى :
		العلامة نور الدين على بن ابراهيم بن أحمد الحلبى الشافعى (٩٧٥ - ١٠٤٤هـ)
	٦٩	١- انسان العيون فى سيرة الأمين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية .
		طبع مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجع
٥٢		* الخطيب :
		المؤرخ الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ، الخطيب البغدادي (٣٩٢ - ٤٦٣هـ)
	٦٧	١- تاريخ بغداد
		طبع : مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩هـ / ١٩٣١م
٥٣		* الدارمي :
		الامام الكبير أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن ابن الفضل بن بهرام الدارمي (٠٠-٢٥٥هـ)
	٦٨	١- السنن
		طبع مطبعة الاعتدال ، دمشق - ١٣٤٩هـ
٥٤		* الذهبي :
		الحافظ الكبير ، مؤرخ الاسلام وشيخ المحدثين الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - (٠٠ - ٧٤٨هـ)
	٦٩	١- تذكرة الحفاظ - طبع دائرة المعارف العثمانية - الهند ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م
	٧٠	٢- سير أعلام النبلاء (تحقيق : شعيب الارناؤوط)
		طبع مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجع
	٧١	٣- مناقب الامام أبي حنيفة وصاحبيه (تحقيق وتعليق : محمد زاهد الكوثري وأبو الوفاء الأفغاني) طبع : دار الكتاب العربي - القاهرة بدون تاريخ
	٧٢	٤- ميزان الاعتدال في نقد الرجال طبع دار احياء الكتب العربية - القاهرة : ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م
٥٥		* رمضان لاوند
	٧٣	١- الحرب العالمية الثانية طبع دار العلم - بيروت - بدون تاريخ
٥٦		* الزبيدي :
	٧٤	الامام اللغوي محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي (١١٤٥-١٢٠٥هـ) ١- تاج العروس من جواهر القاموس طبع مطبع خيرية - القاهرة : ١٣٠٦هـ
٥٧		* الزركلي : الكاتب الاسلامي خير الدين الزركلي

١ تسلسل	٢ تسلسل	المصادر والمراجع
	٧٥	١- الأعلام ، قاموس تراجم ، لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين الطبعة الثالثة للمؤلف ، بدون تاريخ
٥٨		* سيد قطب : المفكر الاسلامي الكبير الشهيد سيد قطب بن الحاج ابراهيم قطب (١٩٠٦م - ١٩٦٦م)
	٧٦	١- في ظلال القرآن طبع دار الشروق ، بيروت ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م
٥٩		* السيوطي : الامام الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الخضيري ، الأسيوطي الشافعي . (٨٤٩هـ - ٩١١هـ)
	٧٧	١- الاتقان في علوم القرآن طبع المكتبة التجارية ، القاهرة - ١٣٦٨هـ
	٧٨	٢- تاريخ الخلفاء (تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد) طبع المكتبة التجارية ، القاهرة - ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م
	٧٩	٣- تدريب الراوي ، في شرح تقريب النواوي طبع دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجع
٦٠		* شهرستانى :
		الامام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد
		الشهرستانى (٤٧٩-٥٤٨هـ)
	٨٠	١-كتاب الملل والنحل (تحقيق : محمد بن
		فتح الله بدران)
		الناشر : مكتبة الانجلو المصرية - ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م
٦١		* شوقى ضيف (الدكتور)
	٨١	١-العصر العباسى الأول
		طبع دار المعارف بمصر - ١٩٧٢م
٦٢		* الشوكانى
		الامام العلامة محمد بن على بن محمد بن عبد الله
		الشوكانى ثم الصنعانى (١١٧٣ - ١٢٥٠هـ)
	٨٢	١-فتح القدير
		طبع مصطفى البابى الحلبى بمصر - ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م
٦٣		* الصالحى :
		العلامة محمد بن يوسف الصالحى الدمشقى
		الشافعى (٠٠-٩٤٢هـ)
	٨٣	١-عقود الجمان فى مناقب الامام الأعظم أبى
		حنيفة النعمان .
		طبع المعارف الشرقية - حيدر آباد - الهند
		١٣٩٤هـ

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجع
٦٤		* الصنعاني
		الامام محمد بن اسماعيل بن صلاح الأمير
		الكحلاني ثم الصنعاني (١٠٥٩-١١٨٢هـ)
	٨٤	١ـ سبل السلام شرح بلوغ المرام
		الناشر : مكتبة الجمهورية العربية ، بمصر
		ـ بدون تاريخ
٦٥		* الصولي :
		أبو بكر محمد بن عبدالله بن العباس بن محمد
		صول الصولي (٠٠ـ٣٣٦ هـ)
	٨٥	١ـ أخبار أبي تمام ـ
		طبع المكتب التجاري بيروت ـ بدون تاريخ
٦٦		* الصيمري :
		الفقيه القاضي أبو عبدالله الحسين بن علي بن
		محمد جعفر الصيمري (٣٥١ - ٤٣٦هـ)
	٨٦	١ـ أخبار أبي حنيفة واصحابه (تحقيق :
		أبو الوفاء الأفغاني)
		طبع : مطبع المعارف الشرقية ، حيدر آباد
		ـ الهند ١٣٩٤ هـ

١ سلسل	٢ سلسل	المصادر والمراجع
٦٧		* الطبرى :
		الامام المؤرخ المفسر أبو جعفر محمد بن جرير ابن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى - (٢٢٤ - ٣١٠هـ)
	٨٧	١- تاريخ الرسل والملوك (تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم]
		طبع دار المعارف بمصر - ١٩٦٦م
	٨٨	٢- جامع البيان فى تفسير القرآن
		طبع بولاق مصر - ١٣٢٨ هـ
٦٨		* عبد الرزاق :
		الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى بالولاء ، الصنعانى (١٢٦ - ٢١١هـ)
	٨٩	١- المصنف
		طبع المجلس العلمى بكراتشى باكستان ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م
٦٩		* علاء الدين :
		الشيخ العلامة علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى (٠٠ - ٩٧٥هـ)
	٩٠	١- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال
		طبع دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الهند - ١٣٦٤هـ

المصادر والمراجع	مسلسل	مسلسل
* علي حسون (الدكتور)		٧٠
١- تاريخ الدولة العثمانية	٩١	
الناشر : المكتب الاسلامي دمشق - ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م		
* فردينان توتل		٧١
١- المنجد في الأدب والعلوم ، معجم لأعلام الشرق والغرب .	٩٢	
طبع المطبعة الكاثوليكية - بيروت - ١٩٦٠ م		
* القرطبي :		٧٢
الامام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي - (٠٠ - ٦٧١هـ)		
١- الجامع لأحكام القرآن	٩٣	
طبع دار الكتب المصرية - ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م		
* القلقشندي :		٧٣
أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (٠٠-٨٢١هـ)		
١- صبح الأعشى في صناعة الانشاء	٩٤	
طبع دار الكتب المصرية - ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م		

مسلسل ١	مسلسل ٢	المصادر والمراجع
٧٤		* الكندى :
		أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندى المصرى
		التجيبى (٢٨٣ - ٣٥٠هـ)
	٩٥	١- الولاة والقضاة فى مصر.
		طبع ليدن - ١٩١٢م
٧٥		* الماوردى :
		القاضى أبو الحسن على بن محمد بن حبيب
		البصرى البغدادى الماوردى (٣٦٤- ٤٥٠هـ)
	٩٦	١- الأحكام السلطانية والولايات الدينية
		طبع مصطفى البابى بمصر - ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م
	٩٧	٢- أدب القاضى
		مطبعة الارشاد ، بغداد - ١٣٩١هـ / ١٩٧١م
٧٦		* المبرد :
		امام اللغة أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد
		الأكبر الأزدى الثمالى -(٢١٠ - ٢٨٦هـ)
	٩٨	١- الكامل فى الأدب
		طبع مكتبة المعارف بيروت - بدون تاريخ

مسلسل	مسلسل	المصادر والمراجع
٧٧		* مجمع اللغة العربية بمصر
	٩٩	١- معجم الفاظ القرآن الكريم
		طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشـــــر -
		١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م
	١٠٠	٢- المعجم الوسيط
		طبع بمصر - ١٣٨١هـ / ١٩٦١م
٧٨		* مجلة :
	١٠١	"مجلة الأمة"، الدوحة - العدد الأول محرم ١٤٠٢هـ
٧٩		* محمد حميد الله (الدكتور)
	١٠٢	١- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة .
		طبع دار الارشاد - بيروت : ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م
٨٠		* محمد الخضرى بك
	١٠٣	١- تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة العباسية)
		طبع مصر - ١٩٧٠م

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجـــــع
٨١		* محمد فؤاد عبد الباقـى
	١٠٤	١ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
		طبع دار الكتب المصرية ـ ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م
٨٢		* المسعودى :
		الرحالة الكبير والمؤرخ أبو الحسن على بن الحسين
		ابن على المسعودى (٠٠ـ٣٤٦هـ)
		١ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق : محمد
		محى الدين عبد الحميد)
		طبع دار الفكر بيروت ـ ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م
٨٣		* المسعودى :
		على نور الدين المسعودى (٠٠ـ٠٠)
	١٠٦	١ـ المختار بن قطب السرور فى أوصاف الأنهذة والخمور
		(تحقيق : عبد الحفيظ منصور)
		طبع مؤسسة عبد الكريم ، تونس ـ ١٩٧٦م
٨٤		* مسلم :
		الامام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم
		القشيرى ، النيسابورى (٢٠٤ـ ٢٦١هـ)
	١٠٧	١ـ الصحيح (مع شرحه للنووى) ١٨ جزءا
		طبع المطبعة المصرية ، القاهرة ـ بدون تاريخ .

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصـــادر والمراجـــع
٨٥		* المقـدسى :
		* شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء المقدسى (٣٣٦- ٣٨٠هـ)
	١٠٨	١- احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم طبع ليدن - ١٩٠٩م
٨٦		* المودودى :
		المفكر الاسلامى الكبير الشيخ العلامة أبو الأعلى بن ابن أحمد حسن بن حسن الحسينى المودودى (١٣٢١-١٣٩٩هـ)
	١٠٩	١- تفهيم القرآن (تفسير القرآن باللغة الأوردية) طبع مكتبة ترجمان القرآن ، لاهور ، باكستـــان - ١٩٧٧م
٨٧		* النووى :
		الامام الحافظ محى الدين أبو زكريا يحيى بـــن شرف بن مرى بن حسن بن حسين بن حزام النووى (٦٣١ - ٦٧٦ هـ)
	١١٠	١- شرح صحيح مسلم ١٨ جزء طبع المطبعة المصرية ، القاهرة - بدون تاريخ

١ مسلسل	٢ مسلسل	المصادر والمراجع
٨٨		* وكيع :
		القاضي الفقيه أبو بكر محمد بن خلف بن حيان
		ابن صدقة بن زياد الضبي المعروف بوكيع
		(٠٠ - ٣٠٦ هـ)
	١١١	أخبار القضاة (تحقيق : عبد العزيز مصطفى الراغي)
		طبع المكتبة التجارية بمصر - ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م
٨٩		* ياقوت الحموي
		الشيخ الامام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت
		ابن عبد الله الحموي البغدادي
		(٥٧٤ - ٦٢٦ هـ)
	١١٢	١- معجم البلدان
		طبع دار صادر بيروت - ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م
٩٠		* يوسف القرضاوي (الدكتور)
	١١٣	١- فقه الزكاة
		طبع مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م

****

فهرست المواضيـــع

الموضوع		الصفحة
* المقدمة		(ب)
* الباب الأول :	الدعوة الاسلامية فى جوهرهـــا ، وكيف تطورت حتى العصر العباسى الأول :	١
* الفصل الأول :	الدعوة الاسلامية ومقوماتها	١
* المبحث الأول :	الدعوة ومكانتها فى حياة الانسان	٣
* المبحث الثانى :	مقومات الدعوة الاسلامية	١٧
(أ) :	بناء العقائد	٢٠
(ب) :	تكوين شخصيات عقدية	٢٨
(ج) :	تكوين مجتمع عقدى	٣٣
١-	وحدة العقيدة	٣٤
٢-	الأخوة	٣٧
٣-	الحرية	٤١
٤-	العدالة والمساواة	٤٤
٥-	التكافل	٤٩
٦-	نظام الأسرة	٥٧
٧-	التوازن الاقتصادى	٦٤

الموضوع	الصفحة
* ملكية المال	٦٤
* كسب المال	٦٦
* الانفـــاق	٦٨
* معالجة الفقر	٦٩
٨ـ العلم والتعليم	٧٥
٩ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر	٨٤
١٠ـ الحياطة البالغة فى العلاقات	٨٦
(د) انشاء دولة تحافظ على المجتمع داخليا وخارجيا	٩٣
١ـ الجانب الحضارى	١٠١
٢ـ الجانب التربوى	١٠٦
٣ـ حماية المجتمع	١٠٩
(هـ) توجيه الدعوة لتعميم هذا المجتمع	١١١
* الفصل الثانى : الدعوة فى طريق التطور	١١٧
* المبحث الأول : المحافظة على اصالة الدعوة فى العهد الراشـــــــــــدى	١١٨
ـــ مهادى ء الراشدين فى ضوء بعض خطبهم	١٢٠
أـ أبو بكر الصديق رضى الله عنه	١٢٠
ب ـ عمر الفاروق " " "	١٢٢
ج ـ عثمان بن عفان " " "	١٢٤
د ـ على بن أبى طالب " " "	١٢٥

الموضوع	الصفحة
ـ حياطة الراشدين البالغة لمقومات المجتمع الاسلامى	١٢٨
ـ دعوية الحكم الراشدى فى ضوء علاقاته الخارجية	١٣٢
* المبحث الثانى : الدعوة فى ظل الأمويين	١٣٥
(أ) سفك الدماء لتدعيم السلطة	١٣٧
(ب) البذخ والترف والاسراف	١٤٤
(ج) العصبية الجاهلية	١٤٧
(د) الابتداع	١٥٠

الباب الثانى

الدعوة الاسلامية فى العصر العباسى الأول	١٥٥
* الفصل الأول : نظرة فى العصر العباسى الأول	١٥٦
* المبحث الأول : رقعة الدولة العباسية وموقعها الجغرافى	١٥٦
* المبحث الثانى : الدعوة العباسية وحاطوها	١٦٤
ـ المرحلة السرية	١٦٨
ـ مرحلة الجهر بالدعوة	١٧١
١ـ ابو العباس السفاح	١٧٧
ـ صفات أبى العباس	١٨٠

الموضوع	الصفحة
٢- أبو جعفر المنصور	١٨٢
- ثورة عبد الله بن علي	١٨٣
- قتل أبي مسلم الخراساني	١٨٥
- ثورة الأخوين العلويين	١٨٨
- خلع عيسى بن موسى	١٩٣
- صفات المنصور	١٩٤
٣- محمد المهدي	١٩٨
- ظهور المقنع	١٩٩
- غزو الهند	٢٠٠
- غزو الروم	٢٠١
- صفات المهدي	٢٠٢
٤- موسى الهادي	٢٠٦
- صفات الهادي	٢٠٧
٥- هارون الرشيد	٢٠٩
- الفتن الداخلية	٢٠٩
- غزو الروم	٢١١
- نكبة البرامكة	٢١٢
- ولاية العهد	٢١٣
- صفات الرشيد	٢١٤

الموضوع	الصفحة
٦ـ محمد الأمين	٢١٦
ـ صفات الأمين	٢١٩
٧ـ عبد الله المأمون	٢٢٠
ـ الثورات	٢٢٠
ـ غزو الروم	٢٢٣
ـ محنة خلق القرآن	٢٢٣
ـ صفات المأمون	٢٢٤
٨ـ المعتصم	٢٢٧
ـ محاربة الزط	٢٢٨
ـ قتل بابك الخرمي	٢٢٨
ـ محاربة الروم	٢٢٩
ـ صفات المعتصم	٢٣٠
٩ـ الواثق بالله	٢٣١
ـ صفات الواثق	٢٣٣
* الفصل الثاني : هل كانت الدولة العباسية دولة دعوية	٢٣٦
* المبحث الأول : قوام الدولة العباسية	٢٣٧
(أ) تطور فكرة الامامة	٢٣٨
(ب) استغلال الفرصة	٢٤٣
(ج) تدعيم السلطة	٢٤٦

الموضوع	الصفحة
* المبحث الثانى : هل كانت الحياة الاجتماعية دعوية فى الدولة العباسية ؟	٢٥٨
(أ) المدنية المترفة والحياة الباذخة	٢٦٠
(ب) حياة الاسراف والتبذير	٢٦٥
(ج) حياة اللهو	٢٧٤
* المبحث الثالث : لم تتخل الدولة العباسية عن الدعوة تخليا نهائيا	٢٩١
(أ) ملامح تدين الخلفاء	٢٩١
(ب) تطبيق الشريعة الاسلامية	٣٠٥
(ج) الصبغة الدينية العامة	٣١٥
* الفصل الثالث : المشكلات التى واجهتها الدعوة فى العصر العباسى الأول ـــــــــ	٣١٨
* الفصل الرابع : بعض أساليب الدعوة فى العصر العباسى الأول ـــــــــ	٣٣٢
(أ) مجالس المحدثين	٣٣٢
(ب) مجالس الفقهاء	٣٣٦
(ج) حلقات الزهاد والنساك	٣٣٩
(د) حركة اصلاحية متطوعة	٣٤٢
(هـ) شعر الدعوة الاسلامية	٣٤٣
(و) أساليب أخرى للدعوة	٣٥١

الموضوع	الصفحة
الباب الثالث	
نماذج رجال الدعوة فى العصر العباسى الأول :	٣٥٥
* تمهيد	٣٥٦
* الفصل الأول : دعاة من المحدثين	٣٥٨
١ـ الامام الأوزاعى	٣٥٩
٢ـ الامام سفيان الثورى	٣٦٧
٣ـ الامام الليث بن سعد	٣٧٤
٤ـ العالم الربانى عبد الله بن المبارك	٣٨١
٥ـ الامام البخارى	٣٩٢
٦ـ الامام مسلم	٤٠١
* الفصل الثانى : دعاة من الفقهاء	٤٠٤
١ـ الامام الأعظم أبو حنيفة	٤٠٤
٢ـ الامام مالك بن أنس	٤٢٣
٣ـ الامام الشافعى	٤٣٢
٤ـ الامام أحمد بن حنبل	٤٤٢

الموضوع	الصفحة
* الفصل الثالث : دعاة من الزهاد	٤٤٩
١ـ ابراهيم بن أدهم	٤٤٩
٢ـ ابن السماك	٤٥٥
٣ـ الفضيل بن عياض	٤٦١
* الخاتمة	٤٧٠
* فهرست الأعلام	٤٨١
* فهرست المصادر والمراجع	٥١٥
* فهرست المواضيع	٥٤٥